

سَبِيلُ الْهُدَى وَرَبِّ الْبَرِّ الْمَسْلُوكِ فِي سِيَرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ

تأليفه الشريف العلامة الفاضلة
الشيخ محمد بن يوسف بن محمد بن الحسين
القمي سنة ١٠٤٦ هـ

مترجمه و تفسیر
الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن الحسين
القمي سنة ١٢٠٦ هـ

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سَبِيلُ الْهُدَى وَرَبِّ الْبَرِّ الْمَسْلُوكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد

كاتب:

محمد بن يوسف الصالحى الشامى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتاب

الفهرس

٥	الفهرس
٢٢	سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد المجلد ٥
٢٢	اشارة
٢٢	اتتمة جماع أبواب المغازى التى غزا فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه الكريمة
٢٢	الباب العشرون فى غزوة بنى قريظة
٢٢	اشارة
٢٤	ذكر مسيرة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى بنى قريظة
٢٥	ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة
٢٥	ذكر اعتراف كعب بن أسد كبير بنى قريظة و غيره بصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم
٢٦	ذكر طلب يهود أبى لبابة و ما وقع له و نزول توبته
٢٧	ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و رده الأمر إلى سعد بن معاذ - رضى الله عنه -
٢٩	ذكر قتلهم و أخذ أموالهم و سبى ذراريهم
٣١	ذكر خبر ثابت بن قيس و من الزبير بن باطا
٣٢	ذكر اصطفاء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ريحانة بنت زيد النضرية لنفسه
٣٢	ذكر قسم المغنم و بيعه
٣٣	ذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذه الغزوة
٣٥	تنبيهات
٣٧	شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه و سلم -
٣٨	شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة
٣٨	شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم
٣٩	شرح غريب ذكر طلبهم أبى لبابة - رضى الله عنه -
٣٩	شرح غريب ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه و سلم
٤٠	شرح غريب ذكر قتلهم

- ٤١ شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس - رضی اللہ عنہ -
- ٤٢ شرح غريب ذكر اصطفاؤه - صَلَّى اللہ عليه و سلم - ريحانہ رضی اللہ عنہا -
- ٤٢ شرح غريب قسم المغنم
- ٤٢ شرح غريب قصيدتي حسان - رضی اللہ عنہ -
- ٤٣ الباب الحادي و العشرون في غزوة بني لحيان بنى هذيل بن مدركة بن ابي عسفان
- ٤٣ اشارة
- ٤٤ تنبيهات
- ٤٥ الباب الثاني و العشرون في غزوة الحديبية
- ٤٥ اشارة
- ٤٦ ذكر خروجه - صَلَّى اللہ عليه و سلم -
- ٤٦ ذكر إحرامه - صَلَّى اللہ عليه و سلم -
- ٤٧ ذكر حديث أبي قتادة و الصعب بن جثامة و بعض من اهدى له
- ٤٧ ذكر أمره كعب بن عجرة بحلق رأسه لعذر
- ٤٨ ذكر بلوغ خبر خروج رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - إلى المشركين
- ٤٩ ذكر مشاورته - صَلَّى اللہ عليه و سلم - و صلاته صلاة الخوف
- ٥٠ ذكر مسير رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - إلى الحديبية من غير طريق خالد بن الوليد و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٥١ ذكر نزول رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - بالحديبية و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٥٣ ذكر نزول المطر في تلك الأيام و ما قاله رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - في صبيحة المطر
- ٥٤ ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعي و رسل قريش على رسول الله صَلَّى اللہ عليه و سلم
- ٥٦ ذكر إرساله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - خراش بن أمية و بعده عثمان بن عفان إلى قريش
- ٥٨ ذكر مبايعته - صَلَّى اللہ عليه و سلم - ببيعة الرضوان و فضل من بايع
- ٦٠ ذكر الهدنة و كيف جرى الصلح يوم الحديبية
- ٦٦ ذكر رجوع رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم -
- ٦٧ ذكر نزول سورة الفتح و مرجع رسول الله - صَلَّى اللہ عليه و سلم - و ما ظهر في ذلك من الآيات

- ٦٨ ذكر قدوم أبي بصير على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و رده إليهم و ما حصل له و لأصحابه من الفرج
- ٧١ ذكر ما أنزل الله سبحانه و تعالى في شأن غزوة الحديبية: قال الله سبحانه و تعالى «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»
- ٧٤ تنبيهات
- ٨٤ شرح غريب ذكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم -
- ٨٤ شرح غريب ذكر مسيرته - صلى الله عليه وسلم - إلى الحديبية
- ٨٥ شرح غريب ذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية
- ٨٦ شرح غريب نزول المطر في تلك الأيام
- ٨٧ شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء و رسل قريش
- شرح غريب ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - خراش بن أمية، و بعده عثمان، و مبايعته - صلى الله عليه وسلم - ببيعة الرضوان، و ذكر الهدنة، و كيا
- ٩١ شرح غريب ذكر رجوعه - صلى الله عليه وسلم - و نزول سورة الفتح
- ٩١ شرح غريب ذكر قدوم أبي بصير - رضی الله عنه - على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
- ٩٢ الباب الثالث و العشرون في غزوة ذي قرد - و هي الغابة
- ٩٢ اشارة
- ٩٣ ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلب العدو و تقديمه جماعة أمامه
- ٩٦ ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطلب العدو
- ٩٨ ذكر قدوم امرأة أبي ذر على ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
- ٩٩ ذكر من قتل في هذه الغزوة
- ٩٩ ذكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة ذي قرد
- ١٠٠ تنبيهات
- ١٠٣ ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلب العدو، و شرح غريبه
- ١٠٤ شرح غريب ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطلب العدو
- ١٠٥ شرح غريب شعر حسان - رضی الله عنه -
- ١٠٦ شرح غريب قصيدة كعب بن مالك - رضی الله عنه -
- ١٠٧ شرح غريب قصيدة شداد بن عارض الحشمي - رضی الله عنه -

- الباب الرابع والعشرون في غزوة خيبر ١٠٧
- إشارة ١٠٧
- ذكر دعاء رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما أشرف على خيبر ١١٠
- ذكر وصول رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى خيبر ١١٠
- ذكر ابتدائه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأهل النطاوة ١١١
- ذكر أخذ الحمى المسلمين ورفعها عنهم ببركته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١١٢
- ذكر فتحه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حصن الصعب بن معاذ بن النطاوة وما وقع في ذلك من الآيات ١١٣
- ذكر محاصرته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حصن الزبير بن العوام- رضى الله عنه- الذى صار فى سهمه بعد ١١٤
- ذكر انتقاله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى محاصرة حصون الشق وفتحها ١١٤
- ذكر انتقاله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حصون الكتيبة وبعثه سرايا لوجع رأسه وما وقع في ذلك من الآيات ١١٥
- ذكر قتل على- رضى الله عنه- الحارث وأخاه مرحبا، و عامرا و ياسرا فرسان يهود و سبعانها ١١٦
- ذكر من زعم من أهل المغازى وغيرهم أن محمد بن مسلمة- رضى الله عنه- هو الذى قتل مرحبا ١١٧
- ذكر قلع على- رضى الله عنه- باب خيبر ١١٨
- ذكر إسلام العبد الأسود وما وقع في ذلك من الآيات ١١٨
- ذكر نهيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أكل لحوم الحمر الإنسية وغيرها مما يذكر ١١٩
- ذكر فتحه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الوطيح والسلام و كانا آخر حصون خيبر فتحا ١٢٠
- ذكر سؤال رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حلى حبي بن أخطب و ماله اللذين حملهما لما أجلى عن المدينة، و ما وقع في ذلك من الآيات ١٢٠
- ذكر إرادته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إجلاء يهود خيبر عنها كما وقع شرطهم، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله و إخراج عمر ابن الخطاب لـ
- ذكر قصة الشاة المسمومة و ما وقع في ذلك من الآيات ١٢٢
- ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب- رضى الله عنه- و من معه من الأشعريين من أرض الحبشة ١٢٤
- ذكر قدوم أبى هريرة و طائفة من أوس على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و هو بخيبر ١٢٥
- ذكر قدوم عيينة بن حصن و بنى فزارة على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خيبر بعد فتحها و ما وقع في ذلك من الآيات ١٢٥
- ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٢٦
- ذكر المراهنة التى كانت بين قريش فى أن أهل خيبر يغلبون رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٢٧

- ذكر استئذان الحجاج بن علاط- رضى الله عنه- من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعد فتح خيبر أن يذهب إلى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر
129 ----- ذكر مغانم خيبر و مقاسمها على طريق الاختصار
- 130 ----- ذكر إهداء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- النساء و العبيد من المغانم
- 131 ----- ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين
- 134 ----- ذكر انصراف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن خيبر و توجهه إلى وادي القرى
- 135 ----- ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر و ما ظهر في ذلك الطريق من الآيات
- 135 ----- ذكر رجوع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة مؤيدا منصورا
- 136 ----- ذكر رد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على الأنصار ما منحوه للمهاجرين
- 136 ----- ذكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة خيبر
- 136 ----- تنبيهات
- 141 ----- شرح غريب ذكر إرادة غطفان مساعدة يهود، و دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر
- 141 ----- شرح غريب ذكر دعاء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما أشرف على خيبر
- 142 ----- شرح غريب ذكر ابتداء القتال و أخذ الحمى المسلمين
- 142 ----- شرح غريب ذكر فتحه- صلى الله عليه وسلم- حصن الصعب
- 143 ----- شرح غريب ذكر محاصرته- صلى الله عليه وسلم- حصن الزبير بن العوام و حصون الشق
- 143 ----- شرح غريب انتقاله- صلى الله عليه وسلم- إلى حصون الكتيبة
- 144 ----- شرح غريب ذكر قتل على رضى الله عنه- الحارث و أخاه مرجبا و عامرا و ياسرا إلخ
- 146 ----- شرح غريب ذكر إسلام العبد الأسود و نهيه- صلى الله عليه وسلم- عن لحوم الحمر الإنسية
- 146 ----- شرح غريب فتحه- صلى الله عليه وسلم- الوطيح و التلالم
- 147 ----- شرح غريب ذكر إرادته- صلى الله عليه وسلم- إجلاء يهود
- 147 ----- شرح غريب قصة الشاة المسمومة
- 148 ----- شرح غريب ذكر قدوم جعفر و أبي هريرة- رضى الله عنهما-
- 149 ----- شرح غريب ذكر قدوم عيينة بن حصن و بنى فزارة و مصالحة أهل فدك
- 150 ----- شرح غريب ذكر المراهنة و خبر الحجاج بن علاط- رضى الله تعالى عنه-

- ١٥١ شرح غريب ذكر غنائم خيبر و مقاسمها
- ١٥١ شرح غريب من استشهد بخيبر
- ١٥٢ شرح غريب ذكر انصراف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و مصالحة أهل تيماء
- ١٥٢ شرح غريب نومهم عن الصلاة و رجوعه - صلى الله عليه و سلم - إلى المدينة
- ١٥٢ شرح غريب ذكر رد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على الأنصار ما منحوه للمهاجرين، و غريب شعر كعب بن مالك - رضى الله عنه
- ١٥٣ شرح غريب أبيات ابن القيم - رضى الله تعالى عنه
- ١٥٤ الباب الخامس و العشرون في غزوة ذات الرقاع
- ١٥٤ اشارة
- ١٥٧ ذكر قصة الطائر الذى سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة رضى الله عنهم
- ١٥٧ ذكر منقبة لعباد بن بشر - رضى الله عنه
- ١٥٨ تنبيهات
- ١٦٢ شرح غريب ذكر حديث جابر فى قصة غوث
- ١٦٣ شرح غريب حديث جابر الطويل
- ١٦٤ شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر - رضى الله عنه
- ١٦٤ الباب السادس و العشرون فى عمرة القضاء
- ١٦٤ اشارة
- ١٦٤ ذكر ما ساقه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من الهدى و تقديمه السلاح و الخيل أمامه
- ١٦٥ ذكر خروجه - صلى الله عليه و سلم - من المدينة و إحرامه
- ١٦٦ ذكر دخول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة
- ١٦٧ ذكر طواف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ماشيا و ما جاء أنه طاف راكبا
- ١٦٧ ذكر دخوله - صلى الله عليه و سلم - البيت
- ١٦٨ ذكر سعيه - صلى الله عليه و سلم - بين الصفا و المروة
- ١٦٨ ذكر خروجه - صلى الله عليه و سلم - من مكة
- ١٦٩ ذكر خروج ابنة حمزة - رضى الله عنها

- ١٧٠ تنبيهات
- ١٧٢ شرح غريب ذكر خروجه- صَلَّى الله عليه و سلم- من المدينة
- ١٧٣ الباب السابع والعشرون في غزوة الفتح الأعظم الذي أعز الله تعالى به دينه و رسوله و جنده و حرمه الأمين
- ١٧٣ اشارة
- ١٧٣ ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة
- ١٧٤ ذكر نقض قريش العهد
- ١٧٤ ذكر إعلامه- صَلَّى الله عليه و سلم- بما حصل لخزاعة يوم أصيبوا
- ١٧٥ ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- يخبره بما وقع لهم
- ١٧٦ ذكر ما قيل إن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- لما بلغه خبر خزاعة أرسل الى قريش يخيرهم بين أمور ثلاثة
- ١٧٧ ذكر إخباره- صَلَّى الله عليه و سلم- بأن أبا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر
- ١٧٩ ذكر مشاورته- صَلَّى الله عليه و سلم- أبا بكر و عمر- رضى الله عنهما- في غزوة قريش
- ١٨٠ ذكر جهاز رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و اجابة دعائه بأن لا تعلم قريش بمسيره، و أمره بحفظ الطرق
- ذكر كتاب حاطب بن أبي بلتعنة [(٢)]- رضى الله عنه- إلى قريش ليعلمهم بغزو رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إياهم، و ما وقع في ذلك من ال
- ١٨٢ ذكر إجماع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- المسير الى مكة
- ١٨٢ ذكر خروجه- صَلَّى الله عليه و سلم- من المدينة قاصدا مكة
- ١٨٣ ذكر فطره- صَلَّى الله عليه و سلم- و أمره به
- ١٨٤ ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بمر الظهران
- ١٨٤ ذكر المنام الذى رآه أبو بكر الصديق- رضى الله عنه
- ١٨٤ ذكر إعلامه- صَلَّى الله عليه و سلم- بالليل بأن أبا سفيان فى الأراك و أمره بأخذه
- ١٨٧ ذكر ارادة أبى سفيان و حكيم بن حزام الانصراف إلى قومهما ليعلماهم بذلك و وقوفهما ليريا جنود الله تبارك و تعالى
- ١٨٨ ذكر تعبئة رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- أصحابه رضوان الله عليهم و نزولهم بأبى سفيان، و ما وقع فى ذلك من الآيات
- ١٩١ ذكر من أمر رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- بقتله يوم الفتح، و لا يدخل فيما عقد من الأمان
- ١٩٣ ذكر دخوله- صَلَّى الله عليه و سلم- مكة و إرسال طائفة من أصحابه أمامه و ارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم، و قتل المسلمين لهم
- ١٩٦ ذكر قراءته- صَلَّى الله عليه و سلم- سورتي الفتح و النصر فى يومه

- ١٩٧ ذكر منزل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يوم الفتح
- ١٩٧ ذكر اغتساله- صلى الله عليه و سلم- يوم الفتح و صلاته وقت الضحى شكرا لله تعالى
- ١٩٨ ذكر رن إبليس و حزنه و كيد الجن لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- و زجرهم عنه و دعاء نائلة بالويل
- ١٩٨ ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق- رضى الله عنهما
- ١٩٩ ذكر دخوله- صلى الله عليه و سلم- المسجد و طوافه و ما وقع فى ذلك من الآيات
- ٢٠٠ ذكر أكله- صلى الله عليه و سلم- عند أم هانئ رضى الله عنها
- ٢٠١ ذكر اطلاعه- صلى الله عليه و سلم- على ما هم به فضالة بن عمير بن الملوح
- ٢٠١ ذكر الآية فى رفعه- صلى الله عليه و سلم- على بن أبي طالب رضى الله عنه- لالقاء صنم قريش
- ٢٠١ ذكر طلبه- صلى الله عليه و سلم- المفتاح من عثمان بن طلحة رضى الله عنه
- ٢٠٢ ذكر أمره- صلى الله عليه و سلم- بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه
- ٢٠٣ ذكر دخول رسول الله- صلى الله عليه و سلم- البيت و صلاته فيه
- ٢٠٤ ذكر قدر صلته- صلى الله عليه و سلم- فى الكعبة
- ٢٠٥ ذكر خروج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من البيت و صلته قبل الكعبة
- ٢٠٦ ذكر خطبته- صلى الله عليه و سلم- يوم الفتح
- تذكر تصديقه- صلى الله عليه و سلم- لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده- صلى الله عليه و سلم- يضعه حيث شاء و نزل قوله تع
- ٢٠٨ ذكر صلته- صلى الله عليه و سلم- ركعتين فى قبل الكعبة
- ٢٠٩ ذكر اطلاعه- صلى الله عليه و سلم- على ما قالته الأنصار- رضى الله عنهم بينهم لما أمن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قريشا
- ٢٠٩ ذكر اطلاعه- صلى الله عليه و سلم- على ما هم به أبو سفيان و ما أسره لهند بنت عتبة
- ٢١٠ ذكر مبايعته- صلى الله عليه و سلم- الناس على الإسلام
- ٢١١ ذكر أمره- صلى الله عليه و سلم- بتكسير الأصنام
- ٢١١ ذكر أذان بلال- رضى الله عنه- فوق الكعبة يوم الفتح و ما وقع فى ذلك من الآيات
- ٢١١ ذكر أمره- صلى الله عليه و سلم- بتجديد الحرم يوم الفتح
- ٢١١ ذكر إسلام السائب بن عبد الله المخزومى- رضى الله عنه
- ٢١٢ ذكر إسلام الحارث بن هشام- رضى الله عنه

- ٢١٢ ذكر إسلام سهيل بن عمرو- رضی اللہ عنہ
- ٢١٢ ذكر إسلام عتبة و معتب ولدی أبی لهب- رضی اللہ عنہما
- ٢١٣ ذكر إسلام عبد اللہ بن الزبیری- رضی اللہ عنہ
- ٢١٤ ذكر إسلام عكرمة- رضی اللہ عنہ- ابن أبی جهل
- ٢١٥ ذكر إسلام صفوان بن أمية- رضی اللہ عنہ
- ٢١٥ ذكر إسلام هند بنت عتبة و ما وقع فی ذلك من الآيات رضی اللہ عنہا
- ٢١٦ ذكر سبب خطبته- صلی اللہ علیہ و سلم- ثاني يوم الفتح و تعظيمه حرمه مكة
- ٢١٧ ذكر قوله- صلی اللہ علیہ و سلم- فی قريش انها لا تقتل صبورا
- ٢١٨ ذكر استسلافه- صلی اللہ علیہ و سلم- مالا و تفريقه على المحتاجين ممن كان معه
- ٢١٨ ذكر نهيه- صلی اللہ علیہ و سلم- عن ثمن الخمر و الخنزير و عن الميتة و بعض فتاويه و أحكامه
- ٢٢٠ ذكر من نذر ان فتح اللہ تعالی مكة على رسوله ان يصلوا بيت المقدس
- ٢٢٠ ذكر قوله- صلی اللہ علیہ و سلم- لا تغزى مكة بعد اليوم
- ٢٢٠ ذكر إرساله- صلی اللہ علیہ و سلم- السرايا لهدم الأصنام التي حول مكة، و الإغارة على من لم يسلم
- ٢٢١ ذكر قوله- صلی اللہ علیہ و سلم- لا هجرة بعد الفتح
- ٢٢١ ذكر قدر إقامته- صلی اللہ علیہ و سلم- بمكة
- ٢٢١ ذكر اخباره- صلی اللہ علیہ و سلم- ذا الجوشن بانه سيظهر على قريش
- ٢٢٢ ذكر بعض ما قيل من الشعر فی فتح مكة- زادها اللہ تعالی شرفا
- ٢٢٥ تنبيهات
- ٢٣١ شرح غريب ذكر نقض قريش العهد
- ٢٣٢ شرح غريب ذكر اعلامه- صلی اللہ علیہ و سلم- بما حصل لخزاعة
- ٢٣٢ شرح غريب ذكر قدوم عمرو بن سالم
- ٢٣٣ شرح غريب ذكر ما قيل- ان رسول اللہ- صلی اللہ علیہ و سلم- لما بلغه خبر خزاعة
- ٢٣٤ شرح غريب ذكر اخبار رسول اللہ- صلی اللہ علیہ و سلم- بأن أبا سفيان سيقدم
- ٢٣٥ شرح غريب ذكر جهاز رسول اللہ- صلی اللہ علیہ و سلم- و كتاب حاطب

- شرح غريب شعر حسان ٢٣٥
- شرح غريب ذكر خروجه- صَلَّى الله عليه و سلم- من المدينة ٢٣٦
- شرح غريب ذكر فطره- صَلَّى الله عليه و سلم- و أمره به ٢٣٦
- شرح غريب ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بمر الظهران ٢٣٧
- شرح غريب ذكر منام أبي بكر- رضى الله عنه ٢٣٧
- شرح غريب ذكر اعلام- صَلَّى الله عليه و سلم- بأن أبا سفيان فى الإدراك و ارادة أبى سفيان الانصراف ٢٣٧
- شرح غريب ذكر تعبته رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- أصحابه و من أمر بقتله ٢٣٨
- شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب- رضى الله عنه ٢٣٨
- شرح غريب ذكر من أمر رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- بقتله و شرح غريب ذكر دخوله- صَلَّى الله عليه و سلم- مكة و أين نزل ٢٤٠
- شرح غريب ذكر اغتساله- صَلَّى الله عليه و سلم- و رن إبليس و إسلام أبى قحافة و غريب خطبته- صَلَّى الله عليه و سلم ٢٤٣
- شرح غريب ذكر خطبته- صَلَّى الله عليه و سلم- يوم الفتح ٢٤٥
- شرح غريب ذكر إسلام عبد الله بن الزبعرى- رضى الله عنه ٢٤٦
- شرح غريب ذكر إسلام عكرمة و صفوان بن أمية و هند بنت عتبة ٢٤٨
- شرح غريب ذكر خطبته- صَلَّى الله عليه و سلم- ثانى يوم الفتح ٢٤٨
- شرح غريب قصيدة حسان بن ثابت- رضى الله عنه ٢٤٩
- شرح غريب أبيات أنس بن زنيم- رضى الله عنه ٢٥١
- شرح غريب أبيات الشقراطيسى- رحمه الله تعالى ٢٥١
- الباب الثامن و العشرون فى غزوة حنين ٢٥٧
- اشارة ٢٥٧
- ذكر استعماله- صَلَّى الله عليه و سلم- عتاب بن أسيد أميرا على مكة و معاذ بن جبل- رضى الله عنهما- معلما لأهلها ٢٥٨
- ذكر استعارته- صَلَّى الله عليه و سلم- أدراعا من صفوان بن أمية ٢٥٨
- ذكر إرساله- صَلَّى الله عليه و سلم- عبد الله بن أبى حردر ليكشف خبر القوم ٢٥٩
- ذكر خروج رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- للقاء هوازن ٢٥٩
- ذكر قول بعض من أسلم، و هو حديث عهد بالجاهلية: أجعل لنا ذات أنواط ٢٦٠

- ٢٦٠ ذكر الآية في قول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما قيل له ان هوازن قد أقبلت
- ٢٦١ ذكر شعر عباس بن مرداس - رضى الله عنه - ناصحا لهوازن
- ٢٦١ ذكر الآية في حفظه - صلى الله عليه و سلم - ممن أراد الفتك به
- ٢٦١ ذكر الآية التي حصلت لجواسيس المشركين في هذه الغزوة
- ٢٦٢ ذكر تعبئة المشركين عسكرهم
- ٢٦٢ ذكر إعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين
- ذكر كيفية الوقعة و ما كان من أول الأمر من فرار أكثر المسلمين عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثم كانت العاقبة للمتقين، و ما وقع في ذلك
- ٢٦٤ ذكر ارادة شيبه بن عثمان - قبل أن يسلم - الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما رآه في نفر قليل، و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٢٦٥ ذكر ارادة النضير بن الحارث الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم - و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٢٦٦ ذكر ثبات رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و رميه الكفار، و نزوله عن بغلته، و دعائه ربه سبحانه و تعالى، و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٢٧٠ ذكر ما قيل إن الملائكة قاتلت يوم حنين و الرعب الذي حصل للمشركين
- ٢٧١ ذكر من ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين
- ٢٧٢ ذكر ثبات ام سليم بنت ملحان، و ام عماره
- ٢٧٣ ذكر انهزام المشركين
- ٢٧٥ ذكر قتل دريد بن الصمه
- ٢٧٦ ذكر من استشهد بحنين
- ٢٧٦ ذكر عيادته - صلى الله عليه و سلم - خالد بن الوليد رضى الله عنه - من جرح أصابه
- ٢٧٦ ذكر بركة يده - صلى الله عليه و سلم - في براء جرح عائد بن عمرو - رضى الله عنه
- ٢٧٧ ذكر بركة يده - صلى الله عليه و سلم - في الماء بحنين
- ٢٧٧ ذكر نهيه - صلى الله عليه و سلم - عن قتل النساء يوم حنين
- ٢٧٧ ذكر قوله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين أنا ابن العواتك
- ٢٧٧ ذكر قوله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه
- ٢٧٩ ذكر جمع غنائم حنين
- ذكر صلاته - صلى الله عليه و سلم - الظهر بحنين و حكومته بين عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس في دم عامر بن الأصبط الأشجعي الذي قتله م

- ٢٨١ ذكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن
- ٢٨١ ذكر ما أنزل الله تبارك و تعالى في شأن هذه الغزوة
- ٢٨٢ ذكر ما قيل في هذه الغزوة من الشعر
- ٢٨٦ تنبيهات
- ٢٩٢ شرح غريب استعماله - صلى الله عليه و سلم - عتابا، و استعارته من صفوان بن أمية أدرعا، و بعثه عبد الله بن أبي حدر، و خروجه للقاء هوازن
- ٢٩٤ شرح غريب ذكر كيفية الوقعة
- ٢٩٥ شرح غريب ذكر ارادة شيبه بن عثمان و النضير بالتصغير بن الحرث الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم
- ٢٩٦ شرح غريب ذكر ثبات رسول الله - صلى الله عليه و سلم
- ٢٩٨ شرح غريب ما قيل أن الملائكة قاتلت يوم حنين
- ٢٩٨ شرح غريب ذكر من ثبت معه - صلى الله عليه و سلم - يومئذ
- ٣٠٠ شرح غريب ذكر بركة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في براء جرح عائذ بن عمرو و في الماء، و نهيه عن قتل النساء، و قوله: انا بن العواتك
- ٣٠٠ شرح غريب ذكر قوله - صلى الله عليه و سلم - من قتل قتيلاً فله سلبه
- ٣٠٣ شرح غريب شعر العباس بن مرداس رضى الله عنه
- ٣٠٤ شرح غريب قصيدة العباس بن مرداس - رضى الله عنه - العينية
- ٣٠٦ شرح غريب قصيدة العباس الرائية
- ٣٠٨ شرح غريب قصيدته السينية
- ٣١٠ شرح غريب قصيدته الهائية
- ٣١٠ شرح غريب قصيدته الميمية
- ٣١١ الباب التاسع و العشرون في غزوة الطائف
- ٣١١ اشارة
- ٣١٢ ذكر إعلامه - صلى الله عليه و سلم - بقبر أبي رغال، و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٣١٢ ذكر محاصرته - صلى الله عليه و سلم - الطائف
- ٣١٣ ذكر بعثه مناديا ينادى: من نزل من العبيد فهو حر
- ٣١٣ ذكر رميه - صلى الله عليه و سلم - حصن الطائف بالمنجنيق

- ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- في إتيان أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام، و ما وقع في ذلك من الآيات - ٣١٤
- ذكر اشتداد الأمر و حثه- صلى الله عليه و سلم- على الرمي ٣١٤
- . ذكر نهيه- صلى الله عليه و سلم- عن دخول المخنثين على النساء ٣١٥
- ذكر منام رسول الله صلى الله عليه و سلم الدال على عدم فتح الطائف حينئذ و إذنه بالرجوع و اشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح ٣١٥
- ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف و هم اثنا عشر رجلا ٣١٦
- ذكر مسير رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من الطائف إلى الجعرانة ٣١٧
- قدوم وفد هوازن ورد السبي إليهم ٣١٨
- ذكر دعائه- صلى الله عليه و سلم- على من أبي أن يرد شيئا من السبي أن يخيس ٣٢٠
- ذكر قسمته- صلى الله عليه و سلم- أموال هوازن بعد أن رد عليهم سبيهم ٣٢١
- ذكر إعطائه- صلى الله عليه و سلم- المؤلفة قلوبهم قبل غيرهم ٣٢٢
- ذكر بيان الحكمة في إعطائه- صلى الله عليه و سلم- أقواما من غنائم حنين و منعه آخرين ٣٢٦
- ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حين أعطى قريشا و لم يعط الأنصار شيئا و جمعه إياهم و استعطافه لهم ٢٢٦
- ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق و النفاق على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- في القسمة العادلة، و ما وقع في ذلك من الآيات ٣٢٨
- ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و من يذكر معه ٣٢٩
- ذكر مجيء أم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و أبيه و أخيه من الرضاعة ٣٢٩
- ذكر رجوع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى المدينة ٣٣٠
- ذكر بعض ما قيل من الشعر في هذه الغزوة ٣٣٠
- تنبيهات ٣٣٢
- شرح غريب ذكر محاصرته- صلى الله عليه و سلم- الطائف و ذكر بعثه- صلى الله عليه و سلم- مناديا ينادي: من نزل من العبيد فهو حر و ذكر رميه
- شرح غريب ذكر اشتداد الأمر و ما يذكر معه ٣٣٥
- شرح غريب ذكر منام رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الدال على عدم فتح الطائف و ما يذكر معه ٣٣٦
- شرح غريب ذكر مسير رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من الطائف و ما يذكر معه ٣٣٧
- شرح غريب ذكر دعائه- صلى الله عليه و سلم- على من أبي أن يرد شيئا من السبي أن يخيس سهمه ٣٤٠
- شرح غريب- ذكر قسمه- صلى الله عليه و سلم- أموال هوازن ٣٤١

- ٣٤١ شرح غريب ذكر إعطائه- صَلَّى الله عليه و سلم- المؤلفه قلوبهم و قول العباس بن مرداس
- ٣٤٢ شرح غريب ذكر بيان الحكمة في عطائه- صَلَّى الله عليه و سلم- أقواما
- ٣٤٣ شرح غريب ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-
- ٣٤٤ شرح غريب شعر حسان- رضى الله عنه
- ٣٤٥ شرح غريب ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق و ما يذكر معه
- ٣٤٦ شرح غريب ذكر قدوم مالك بن عوف- رضى الله عنه-
- ٣٤٧ شرح غريب ذكر رجوع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى المدينة
- ٣٤٧ شرح غريب شعر بجير
- ٣٤٨ شرح غريب شعر كعب بن مالك- رضى الله عنه-
- ٣٥٠ الباب الثلاثون في غزوة تبوك
- ٣٥٠ اشارة
- ٣٥٠ ذكر عزمه- صَلَّى الله عليه و سلم- على قتال الروم و بيان ذلك للناس
- ٣٥١ ذكر حثه- صَلَّى الله عليه و سلم- على النفقة و الحملان في سبيل الله تبارك و تعالى
- ٣٥٢ ذكر بعض ما دار بين رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و بين بعض المنافقين و تشييطهم الناس عن الخروج معه
- ٣٥٣ ذكر خبر المخلفين و المعذرين و البكائين
- ٣٥٥ ذكر حديث أبي موسى في حلف رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- أنه لا يحملهم ثم حملهم
- ٣٥٥ ذكر مجيء المعذرين من الأعراب إلى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- ليأذن لهم فلم يعذرهم
- ٣٥٦ ذكر من تخلف عن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و هو صحيح الإيمان غير شاك
- ٣٥٦ ذكر من استخلفه رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- على أهله، و من استخلفه على المدينة
- ٣٥٧ ذكر خروج رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و أين عسكر؟ و خروج عبد الله بن أبي معه مكرا و مكيدة، و رجوعه أخزاه الله تعالى
- ٣٥٧ ذكر تخلف أبي ذر الغفارى- رضى الله عنه- لما عجز بغيره، و ما وقع في ذلك من الآيات
- ٣٥٨ قصة أبي خيثمة- رضى الله عنه-
- ٣٥٩ ذكر إخباره- صَلَّى الله عليه و سلم- بما قاله جماعة من المنافقين الذين خرجوا معه
- ٣٦٠ ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بذي المروة، و ما وقع في ذلك من الآيات

- ذكر مروره- صَلَّى الله عليه و سلم- بوادي القرى ٣٦٠
- ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بالحجر، و ما وقع في ذلك من الآيات ٣٦٠
- ذكر استسقائه- صَلَّى الله عليه و سلم- ربه حين شكوا إليه العطش، و ما وقع في ذلك من الآيات ٣٦١
- . ذكر إضلال ناقه رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و ما وقع في ذلك من الآيات ٣٦٢
- ذكر اقتدائه- صَلَّى الله عليه و سلم- بعبد الرحمن بن عوف في صلاة الصبح ٣٦٢
- ذكر حكومته- صَلَّى الله عليه و سلم- في رجل عض آخر فانتزع ثنيته ٣٦٣
- ذكر إردافه- صَلَّى الله عليه و سلم- سهيل بن بيضاء ٣٦٣
- ما ذكر أن حية عظيمة عارضت الناس في مسيرهم إن صح الخبر ٣٦٣
- ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بتبوك و ما وقع في ذلك من الآيات ٣٦٣
- ذكر نومه- صَلَّى الله عليه و سلم- حتى طلعت الشمس قبل وصوله إلى تبوك ٣٦٤
- ذكر نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- تبوك و اتخاذه مسجدا ٣٦٤
- ذكر من استعمله- صَلَّى الله عليه و سلم- على الحرس بتبوك ٣٦٥
- ذكر أكله- صَلَّى الله عليه و سلم- من جبن أهده له أهل الكتاب بتبوك ٣٦٦
- ذكر دعائه- صَلَّى الله عليه و سلم- على غلام مر بينه و بين القبلة و هو في الصلاة ٣٦٦
- ذكر الآية في التمر و الأقط الذي جاء بهما بلال بتبوك ٣٦٦
- ذكر طوافه- صَلَّى الله عليه و سلم- على الناس بتبوك ٣٦٧
- ذكر إخباره- صَلَّى الله عليه و سلم- بموت عظيم من المنافقين لما هبت ريح شديدة ٣٦٧
- ذكر قوله- صَلَّى الله عليه و سلم- بتبوك أعطيت خمسا ما أعطيهن أحد قبلي ٣٦٨
- ذكر صلاته- صَلَّى الله عليه و سلم- على معاوية بن معاوية المزني في اليوم الذي مات فيه بالمدينة ٣٦٨
- ذكر إرساله- صَلَّى الله عليه و سلم- دحية إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام و قدوم [رسول] هرقل على رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و ما وقع في ٣٧٠
- ذكر صلاته- صَلَّى الله عليه و سلم- على ذي الجادين رضي الله عنه ٣٧٠
- ذكر مصالحته- صَلَّى الله عليه و سلم- ملك أيلة و أهل جربا و أذرح و هو مقيم بتبوك قبل رجوعه ٣٧١
- ذكر مشاورته- صَلَّى الله عليه و سلم- أصحابه في مجاوزة تبوك إلى نحو دمشق ٣٧٢
- ذكر إرادة رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- الانصراف من تبوك إلى المدينة، و ما وقع في ذلك من الآيات، و قدر إقامته- صَلَّى الله عليه و سلم- بـ

- ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من تبوك إلى المدينة ٣٧٤
- ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله- صلى الله عليه و سلم- ليلة العقبة التي بين تبوك و المدينة و أطلع الله تعالى نبيه- صلى الله عليه و سلم- ٣٧٨
- ذكر قوله- صلى الله عليه و سلم- إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا إلا كانوا معكم ٣٧٨
- ذكر قوله- صلى الله عليه و سلم- لما أشرف على المدينة «هذه طابة» ٣٧٨
- ذكر ملاقاته النساء و الصبيان رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ٣٧٨
- ذكر بيع المسلمين أسلحتهم و قولهم: قد انقطع الجهاد ٣٧٩
- ذكر أمر مسجد الضرار عند رجوع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من غزوة تبوك ٣٨٠
- ذكر ملاقاته الذين تخلفوا عن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ٣٨١
- ذكر حديث كعب بن مالك و أصحابه- رضی الله عنهم- ٣٨٢
- ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر ٣٨٥
- تنبيهات ٣٨٦
- شرح غريب حثه- صلى الله عليه و سلم- على النفقة و الحملان ٣٩٠
- شرح غريب بعض ما دار بين رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و بين بعض المنافقين ٣٩٠
- شرح غريب خبر المخلفين و المعذرين و البكائين ٣٩١
- شرح غريب حديث أبي موسى الأشعري- رضی الله عنه- و ما بعده ٣٩١
- شرح غريب ذكر خروج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ٣٩٢
- شرح غريب قصة تخلف أبي ذر و أبي خيثمة- رضی الله عنهما و إخباره صلى الله عليه و سلم- بما قاله جماعة من المنافقين ٣٩٢
- شرح غريب ذكر نزوله- صلى الله عليه و سلم- بالمروة و نزوله بوادي القرى ٣٩٣
- شرح غريب ذكر نزوله- صلى الله عليه و سلم- بالحجر ٣٩٣
- شرح غريب استسقاؤه- صلى الله عليه و سلم- حين شكوا إليه العطش و أخباره بإضلال ناقته، و ما بعد ذلك ٣٩٤
- شرح غريب ذكر نزوله- صلى الله عليه و سلم- بقرب تبوك و غريب نزوله بتبوك، و ما بعد ذلك ٣٩٥
- شرح غريب ذكر إرساله- صلى الله عليه و سلم- دحية إلى هرقل ٣٩٦
- شرح غريب ذكر صلاته- صلى الله عليه و سلم- على ذي الجادين- رضی الله عنه- و ما بعده ٣٩٧
- شرح غريب ذكر مصالحته- صلى الله عليه و سلم- ملك أيلة و غريب ما بعده ٣٩٧

- ۳۹۸ شرح غریب ذکر بعض آیات وقعت فی رجوع رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- من تبوک
- ۳۹۹ شرح غریب ذکر إرادة بعض المنافقين الفتک برسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ
- ۴۰۰ شرح غریب أمر مسجد الضرار
- ۴۰۰ شرح غریب ذکر حدیث کعب بن مالک- رضی الله عنه-
- ۴۰۴ شرح غریب ذکر أقوام تخلفوا من غیر عذر

سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد المجلد ٥

اشاره

سرشناسه : شمس شامى، محمد بن يوسف، - ق ٩٤٢

عنوان قرار دادى : [سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد]

عنوان و نام پديد آور : سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد/ محمد بن يوسف الصالحى الشامى؛ تحقيق مصطفى عبدالواحد؛
جمهورية مصر العربية وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه لجنة احياء التراث الاسلامى
مشخصات نشر : بيروت : دارالكتاب اللبنانيه ، م ١٩٩٠ = ١٤١٠ هـ = ١٣٦٩ .

مشخصات ظاهرى : ج ١٠

فروست : (سيرة النبوية)

وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ٥٣ قبل از هجرت -- ١١ ق -- سرگذشتنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ٥٣ قبل از هجرت -- ١١ ق -- فضایل

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ق ١١

موضوع : احادیث اهل سنت

شناسه افزوده : عبدالواحد، مصطفى

رده بندی کنگره : BP٢٢/٧٥/ش ٨س ٢

شماره کتابشناسی ملی : م ٨١-٢١٥١١

[تنمۀ جماع أبواب المغازی التي غزا فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه الكريمة]

الباب العشرون فى غزوة بنى قريظة

اشاره

تقدم فى غزوة الخندق أنهم ظاهروا قريشا و أعانوهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و نقضوا العهود و المواثيق التى كانت بينهم و بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فما أجدى ذلك عنهم شيئا و باءوا بغضب من الله و رسوله، و الصّفقة الخاسرة فى الدنيا و الآخرة. قال الله سبحانه و تعالى: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ - أى أعانوهم - مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ - أى حصونهم - وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا [الأحزاب ٢٥: ٢٧].

قال محمد بن عمر عن شيوخه: لما تفرّق المشركون عن الخندق خافت بنو قريظة خوفا شديدا، و قالوا: محمد يزحف إلينا، و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لم يأمر بقتالهم حتى جاءه جبريل يأمره به.

روى الإمام أحمد و الشيخان - مختصرا - و البيهقي و الحاكم فى صحيحه مطولا عن عائشة، و أبو نعيم، و البيهقي من وجه آخر عنها، و ابن عائذ عن جابر بن عبد الله، و ابن سعد عن حميد بن هلال، و ابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى و البيهقي و ابن سعد عن

الماجشون، و البيهقي عن عبيد الله بن كعب بن مالك، و سعيد بن جبير و ابن سعد عن يزيد بن الأصم، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا رَجَعَ عَنِ الْخَنْدَقِ، وَ الْمَسْلُومُونَ وَ قَدْ عَصَّبَهُمُ الْحِصَارُ، فَرَجَعُوا مَجْهُودِينَ، فَوَضَعُوا السَّلَاحَ، وَ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَ دَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ وَ دَعَا بِمَاءٍ فَأَخَذَ يَغْسِلُ رَأْسَهُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ رَجُلٌ أَحَدُ شَقِيهِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو:

غَسَلَ رَأْسَهُ وَ اغْتَسَلَ، وَ دَعَا بِالْمَجْمَرَةِ لِتَبَخَّرَ، وَ قَدْ صَلَّى الظُّهْرَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ وَ نَحْنُ فِي الْبَيْتِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو: وَقَفَ مَوْضِعَ الْجَنَائِزِ، فَنَادَى عَزِيرَكَ مِنْ مَحَارِبِ! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَزَا فَوَثَبَ وَ ثَبَّهُ شَدِيدَةً، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَ قَمَتَ فِي أَثَرِهِ أَنْظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ فِيمَا كُنْتُ أَرَى - وَ هُوَ يَنْفِضُ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهِهِ، وَ هُوَ مَعْتَمٌ، وَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مَعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ، قَالَ الْمَاجِشُونَ - كَمَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ عَنْهَا، سُودَاءٌ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، مَرَّخٌ مِنْ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءٍ - وَ فِي لَفْظٍ: فَرَسٌ - عَلَيْهَا رِحَالُهُ وَ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيْبَاجٍ - قَالَ الْمَاجِشُونَ: أَحْمَرٌ - عَلَى ثَنَائِيهِ أَثَرُ الْغُبَارِ، وَ فِي رِوَايَةٍ: قَدْ عَصَّبَ رَأْسَهُ الْغُبَارَ، عَلَيْهِ لِأَمْتِهِ،

سَبِيلُ الْهَدْيِ وَ الرِّشَادِ، الصَّالِحِي الدَّمَشَقِي، ج ٥، ص ٤:

فَاتَكَأ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عَرَفِ الدَّائِيَّةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَسْرَعْتُمْ مَا حَلَلْتُمْ، عَزِيرَكَ مِنْ مَحَارِبِ! عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، وَ فِي لَفْظٍ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، أَوْ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ مِنْدُ نَزَلِ بَكَ الْعَدُوِّ. وَ مَا رَجَعْنَا الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى بَلَّغْنَا حِمْرَاءَ الْأَسَدِ - يَعْنِي الْأَحْزَابَ - وَ قَدْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَأْمُرُكَ بِقِتَالِ بَنِي قَرِيظَةَ، وَ أَنَا عَامِدٌ إِلَيْهِمْ بَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَزْلَمَ بِهِمُ الْحِصُونَ، فَاخْرُجْ بِالنَّاسِ».

قَالَ حَمِيدُ بْنُ هَالَلٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فَإِنَّ فِي أَصْحَابِي جِهْدًا فَلَوْ أَنْظَرْتَهُمْ أَيَّامًا قَالَ جَبْرِيلُ: انْهَضْ إِلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَدْقَنَّهُمْ كَدَقَّ الْبَيْضِ عَلَى الصَّيْفِ مَا لِأَضْعَعْنَهَا، فَأَدْبَرَ جَبْرِيلُ وَ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى سَطَعَ الْغُبَارُ فِي زَقَاقِ بَنِي غَنَمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِيمَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ: كَأَنِّي أَنْظَرْتُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زَقَاقِ بَنِي غَنَمٍ - مَوْكِبِ جَبْرِيلَ حِينَ سَارَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ [(١)] .. انْتَهَى.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا دَخَلْتُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ - مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي كُنْتُ تَكَلِّمُهُ؟ قَالَ: «وَأَرَأَيْتَهُ؟» قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ: «لَمَنْ تَشَبَّهْتَ؟» قُلْتُ: بِدَحِيَّةِ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: «ذَاكَ جَبْرِيلُ أَمَرَنِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ».

قَالَ قَتَادَةُ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ يَوْمَئِذٍ مَنَادِيًا يَنَادِي «يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي» وَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِلَّا فَاذَّنَ فِي النَّاسِ: «مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا بِنِي قَرِيظَةَ».

وَ رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ، وَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الزَّهْرِيِّ وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَصَلُّوا صَلَاةَ الْعَصْرِ».

وَ وَقَعَ فِي مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَ فِي لَفْظِ الظُّهْرِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَصَلِّيَهَا حَتَّى نَأْتِيَ بَنِي قَرِيظَةَ، إِنَّا لَفِي عَزِيمَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَ مَا عَلَيْنَا مِنْ إِثْمٍ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِنِي قَرِيظَةَ حِينَ وَصَلُّوْهَا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَصَلِّي، لَمْ يَرِدْ مِنَّا أَنْ نَدْعَ الصَّلَاةَ، فَصَلُّوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يَعْتَفِ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَدَفَعَ إِلَيْهِ لَوَاءَهُ، وَ كَانَ الْوَاءُ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَحُلْ مِنْ مَرَجَعِهِ مِنَ الْخَنْدَقِ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ [(٢)].

[(١)] انظر البخارى ٧ / ٤٧٠ (٤١١٧).

[(٢)] أخرجه البخارى ١ / ٤٧١ (٤١١٨) وأخرج عبد الرزاق فى المصنف (٩٧٣٧) و البيهقى فى دلائل النبوة ٤ / ٨ و ابن كثير فى البداية ٤ / ١١٧، و انظر مجمع الزوائد ٦ / ١٤٣.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥

ذكر مسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بنى قريظة

قال محمد بن عمر، و ابن سعد، و ابن هشام، و البلاذرى: فاستعمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة ابن أم مكتوم.
قال محمد بن عمر: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم لسبع بقين من ذى القعدة، و لبس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السلاح و الدرع [(١)] و المغفر و البيضة و أخذ قنأه بيده، و تقلد الترس، و ركب فرسه اللحييف [(٢)]، و حفّ به أصحابه، قد لبسوا السيّاح و ركبوا الخيل، و كانت الخيل ستّة و ثلاثين فرسا و سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أصحابه، و الخيل و الرّجاله حوله قال ابن سعد:

و كان معه - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة آلاف، قلت: كذا ذكر محمد بن عمر: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ركب فرسا. و روى الطبرانى فى الأوسط بسند رجاله ثقات عن أبى رافع، و ابن سعد عن البيهقى و غيره و الطبرانى عن ابن عباس: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أتى بنى قريظة ركب على حمار عرى يقال له يعفور، و الناس حوله [(٣)].

و روى الحاكم، و البيهقى و أبو نعيم عن عائشة و ابن إسحاق عن و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ بنفر من بنى النّجار بالصّورين فيهم حارثة بن النّعمان قد صفّوا عليهم السيّاح فقال: «هل مرّ بكم أحد؟» قالوا: نعم، دحية الكلبى مر على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من إستبرق و أمرنا بحمل السلاح سلاحنا فأخذنا و صففنا، و قال لنا: هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلع عليكم الآن،

قال حارثة بن النّعمان: و كنا صفّين، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ذاك جبريل بعث إلى بنى قريظة ليزلزل بهم حصونهم و يقذف الرّعب فى قلوبهم» [(٤)].

و سبق علىّ فى نفر من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو قتادة - إلى بنى قريظة.

روى محمد بن عمر عن أبى قتادة قال: انتهينا إلى بنى قريظة، فلمّا رأونا أيقنوا بالشّرّ، و غرز علىّ الرّاية عند أصل الحصن، فاستقبلونا فى صياصيتهم يشتمون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و أزواجه. قال أبو قتادة: و سكتنا، و قلنا: السيّف بيننا و بينكم، و انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى

[(١)] الدّرع: قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح، يذكر و يؤنث، انظر المعجم الوسيط ١ / ٢٨٠.

[(٢)] قال فى النهاية: كان اسم فرسه - صلى الله عليه وسلم - اللحييف لطول ذنبه، فعيل بمعنى مفعول، كأنه يلحف الأرض بذنبه أى يغطيها به، انظر النهاية ٤ / ٢٣٨.

[(٣)] الطبرانى فى الأوسط و قال الهيثمى ٦ / ١٤٤ رجاله ثقات.

[(٤)] أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٧) و البيهقى فى الدلائل ٤ / ٩ و ابن كثير فى البداية ٤ / ١١٨ و الحاكم ٤ / ١١٨، ٣ / ٣٤، ٣٥ و أبو نعيم فى الدلائل (٤٣٧).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٦

بنى قريظة، فنزل قريبا من حصنهم على بئر أنا بأسفل حزة بنى قريظة، فلما رآه عليّ -رضى الله عنه- رجع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمرني أن ألزم اللواء، فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أذاهم وشتهم. فقال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخايث، فإن الله -تعالى- كافيك اليهود». فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لم تأمرني بالرجوع؟ فكتمه ما سمع، فقال: «أظنك سمعت منهم لى أذى» فقال: نعم يا رسول الله. قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا». فسار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم، وتقدمه أسيد بن الحضير -فقال: يا أعداء الله: لا نبرح عن حصنكم حتى تموتوا جوعا، إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر، فقالوا: يا ابن الحضير: نحن مواليك دون الخزرج، و خاروا، فقال: لا عهد بيني وبينكم ولا إلا و ذمة، و دنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و ترسنا عنه، و نادى بأعلى صوته نفرا من أشرفهم، حتى أسمعهم فقال: «أجيبوا يا إخوة القردة و الخنازير و عبدة الطاغوت هل أخزاكم الله و أنزل بكم نعمته؟ أ تشتموننى؟! فجعلوا يحلفون ما فعلنا، و يقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، و فى لفظ ما كنت فاحشا. و اجتمع المسلمون عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشاء، و بعث سعد بن عبادة -رضى الله عنه- بأحمال تمر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- و المسلمين. فكان طعامهم، و قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذ «نعم الطعام التمر».

ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة

غدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سحرا، و قدّم الرماة و عبأ أصحابه فأحاطوا بحصون يهود، و رموهم بالنبل و الحجارة، و هم يرمون من حصونهم حتى أمسوا، فباتوا حول الحصون، و جعل المسلمون يعتقبون، يعقب بعضهم بعضا، فما برح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يراميهم حتى أيقنوا بالهلكة، و تركوا رمى المسلمين، و قالوا: دعونا نكلمكم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «نعم» فأنزلوا تباش بن قيس، فكلّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من الأموال و الحلقة و تحقن دماءنا، و نخرج من بلادك بالنساء و الذراري، و لنا ما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: تحقن دماءنا و تسلّم لنا النساء و الذرية و لا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن ينزلوا على حكمه، و عاد تباش إليهم بذلك.

ذكر اعتراف كعب بن أسد كبير بنى قريظة و غيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما عاد تباش إلى قومه، و أخبرهم الخبر، قال كعب بن أسد: يا معشر بنى قريظة، و الله قد نزل بكم من الأمر ما ترون و إنى عارض عليكم خلالا- ثلاثا، فخذوا ما شئتم منها، قالوا: و ما هى؟ قال: نتابع هذا الرجل و نصدقه. فو الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، و أنه الذى تجدونه فى

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧

كتابكم فتأمنون به على دمائكم و أموالكم و نساءكم، و الله إنكم لتعلمون أن محمدا نبي، و ما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن نبيا من بنى إسرائيل، فهو حيث جعله الله، و لقد كنت كارها لنقض العهد و العقد و لكنّ البلاء و الشؤم من هذا الجالس - يعنى حبي بن أخطب- و لقد كان حبي بن أخطب دخل معهم فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش و غطفان، و فاء لكعب بن أسد، بما كان عاهده عليه- أتذكرون ما قال لكم ابن جؤاس حين قدم عليكم: تركت الخمر و الخمير و التمير، و أجتت إلى السقاء و التمر و الشعير، قالوا: و ما ذاك؟ قال: إنه يخرج بهذه القرية نبي، فإن يخرج و أنا حتى أتبعه و أنصره، و إن خرج بعدى، فإياكم أن تخذعوا عنه، و أتبعوه، فكونوا أنصاره و أوليائه، و قد آمنتكم بالكتابين، كليهما الأول و الآخر، و أقرئوه منى السلام، و أخبروه أنى مصدق به. قال كعب: فتعالوا فلتتابعه و نصدقه، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، و لا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليّ

هذه فهلّم فلنقتل أبناءنا و نساءنا، ثم نخرج إلى محمّد و أصحابه رجالا مصلتين السيوف و لم نترك وراءنا ثقلا حتّى يحكم الله بيننا و بين محمّد، فإن نهلك نهلك، و لم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، إن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء و الأبناء. قالوا: أ نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيت على هذه فإن الليلة ليلّة السّبت، و أنّه عسى و أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا، لعلنا نصيب من محمّد و أصحابه غزّة، قالوا: نفسد سبتنا و نحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلّا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمّه ليلّة واحدة من الدّهر حازما، فقال ثعلبة و أسيد ابنا سعيه، و أسد بن عبيد ابن عمهم، و هم نفر من هذيل ليسوا من بنى قريظة، و لا النّضير، نسبهم فوق ذلك و هم بنو عمّ القوم: يا معشر بنى قريظة، و الله إنكم لتعلمون أنّه رسول الله، و أنّ صفته عندنا، و حدّثنا بها علماؤنا و علماء بنى النّضير، هذا أولهم: يعنى حيّى بن أخطب مع جبير بن الهبيان - أنه أصدق الثّاس عندنا، هو خبرنا بصفته عند موته. قالوا: لا نفارق التّوراة. فلما رأى هؤلاء الثّفر إباءهم نزلوا تلك الليلة الّتى فى صباحها نزلت بنو قريظة فأسلموا و أمنوا على أنفسهم و أهليهم و أموالهم.

و قال عمرو بن سعدى: يا معشر يهود، إنكم قد حالقتم محمّدا على ما حالقتموه عليه، فنقضتم عهده الّذى كان بينكم و بينه، فلم أدخل فيه، و لم أشرككم فى غدركم، فإن أبيت أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية و أعطوا الجزية فو الله ما أدري يقبلها أم لا، قالوا: فنحن لا- نقرّ للعرب بخرج فى رقابنا يأخذونه، القتل خير من ذلك، قال: فإنّى برىء منكم. و خرج فى تلك الليلة مع ابني سعيه، فمرّ بحرس رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - و عليهم محمد بن مسلمة، فقال محمد:

من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى، قال محمّد: مرّ اللّهم لا تحرمنى إقاله عثرات الكرام، و خلّى

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨

سبيله، و خرج حتّى أتى مسجد رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - فبات به حتّى أصبح فلما أصبح غدا فلم يدر أنّى هو حتّى السّاعة فذكر شأنه لرسول الله - صلّى الله عليه و سلّم -

فقال: «ذاك رجل نجاه الله بوفائه»

[(١)].

ذكر طلب يهود أبى لبابة و ما وقع له و نزول توبته

قال أهل المغازى وجدّ رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - فى حصارهم، فلما اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - ليلّة السّبت أن ابعث إلينا أبى لبابة بن عبد المنذر [(٢)] فنستشيره فى أمرنا فأرسله إليهم رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - فلما رأوه قام إليه الرّجال و بهش إليه النّساء و الصّبيان يبكون فى وجهه، فرقّ لهم، فقال كعب بن أسد: يا أبى لبابة، إنّنا قد اخترناك على غيرك، إنّ محمّدا قد أبى إلّا أن ننزل على حكمه أفترى أن ننزل على حكمه؟ قال نعم، و أشار بيده إلى حلقة أى أنه الذّبح. قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماى عن مكانهما حتّى عرفت أنّى قد خنت الله و رسوله. فندمت و استرجعت فنزلت و إنّ لحيّتى لمبتلّة من الدّموع، و الثّاس ينتظرون رجوعى إليهم حتّى أخذت من وراء الحصن طريقا أخرى، حتى جئت إلى المسجد، و لم آت رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - فارتبطت و كان ارتباطى على الأسطوانة المخلقّة الّتى يقال لها أسطوانة التّوبة، و قلت لا أبرح من مكاني حتّى أموت أو يتوب الله علىّ ممّا صنعت، و عاهدت الله تعالى بالأطأ أرض بنى قريظة أبدا و لا أرى فى بلد خنت الله تعالى و رسوله - صلّى الله عليه و سلّم - فيه أبدا،

و بلغ رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - ذهابى و ما صنعت، فقال: «دعوه حتّى يحدث الله تعالى - فيه ما شاء، لو كان جاءنى استغفرت له، فإذا لم يأتنى و ذهب، فدعوه».

و أنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال ٢٧] قال أبو لبابة: فكنت في أمر عظيم، في حر شديد عدة ليل لا آكل فيهن ولا أشرب، وقلت: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا، أو يتوب الله عليّ. و أذكر رؤيا رأيتها في النوم ونحن محاصرون بني قريظة. كآني في حمأة آسنه، فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها، ثم أرى نهرا جاريا فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت و أراني أجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر فقال: لندخلن في أمر تغتم له، ثم يفرج عندئذ، فكنت أذكر قول أبي بكر و أنا مرتبط، فأرجو أن ينزل الله تعالى - توبتي. قال: فلم أزل كذلك حتى ما أسمع الصوت من الجهد - و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ينظر إليّ.

قال ابن هشام: أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته كل صلاة فتحله حتى يتوضأ و يصلي ثم يرتبط.

[(١)] ذكره الحافظ ابن كثير في البداية ١٢١ / ٤.

[(٢)] أبو لبابة، الأنصاري المدني، اسمه بشير، و قيل رفاعه بن عبد المنذر، صحابي مشهور، و كان أحد النقباء، و عاش إلى خلافة عليّ، و وهم من سماه مروان. التقريب ٢ / ٤٦٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩

و قال ابن عقبة: زعموا أنه ارتبط قريبا من عشرين ليلة. قال في البداية: و هذا أشبه الأفاويل، و قال ابن إسحاق: أقام مرتبطا خمسا و عشرين ليلة. قال أبو عمر: روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ربوض و الربوض الثقيلة - بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع، و يكاد يذهب بصره. و كانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجته فإذا فرغ أعادت الرباط. و الظاهر أن زوجته كانت تباشر حله مرة و ابنته مرة.

و أنزل الله تعالى - في توبه أبي لبابة و آخرزون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سينا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم [التوبة ١٠٢] قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط: إن توبه أبي لبابة نزلت على رسول الله - صلى الله عليه و سلم من السحر و هو في بيت أم سلمة،

قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله - صلى الله عليه و سلم من السحر و هو يضحك، قالت: فقلت: يا رسول الله مم تضحك؟ أضحك الله سنك، قال: «تیب علی ابي لبابة» قالت: فقلت أ فلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت» قال:

فقامت على باب حجرتها - و ذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قالت: فسار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا - و الله حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه و سلم - هو الذى يطلقنى بيده. فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه. قال السهلي

و روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين - رضوان الله عليهم أجمعين - قال: إن فاطمة - رضی الله عنها. جاءت تحله فقال إنى حلفت ألا يحلنى إلا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال النبى - صلى الله عليه و سلم: «إن فاطمة بضعة منى» قلت: علي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف، و علي بن الحسين روايته مرسله -

قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من توبتي أن أهرج دار قومي التي أصبت فيها الذنب، و أن أنخلع من مالى كله صدقة إلى الله و إلى رسوله. قال: «يجزئك الثلث يا أبا لبابة»

[(١)] .

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ورده الأمر إلى سعد بن معاذ - رضی الله عنه -

فلَمَّا جَهِدَهُم الحِصَارَ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسولِ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - فَأَمَرَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِأَسْرَاهِمُ فَكَتَفُوا رِبَاطًا، وَ جَعَلَ عَلَى كَتَافِهِمُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، وَ نَحَّوْا نَاحِيَةَ، وَ أَخْرَجُوا النِّسَاءَ وَ الذَّرِيَّةَ مِنَ الحِصُونِ فَكَانُوا نَاحِيَةَ وَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ عبدُ اللّهِ بنُ سَلامٍ، وَ جَمَعَتْ أَمْتَهُمُ وَ مَا

[(١)] أَخْرَجَهُ عبدُ الرِّزَاقِ فِي المِصْنَفِ (٩٧٤٥) وَ الطَّبْرِيُّ ٩/ ٤٦ وَ ابنُ حَبانٍ ذَكَرَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي المِوَارِدِ ص (٢١٤) حَدِيثُ (٨٤١).

سَبيلُ الهُدَى وَ الرِّشَادِ، الصَّالِحِيُّ الدَّمَشْقِيُّ، ج ٥، ص: ١٠

وَ جَدَّ فِي حِصُونِهِمُ مِنَ الحَلِقَةِ وَ الأَثاثِ وَ الثِّيابِ، وَ وَجَدُوا فِيهَا أَلْفًا وَ خَمْسَمِائَةَ سَيْفٍ وَ ثَلَاثَمِائَةَ دَرَعٍ، وَ أَلْفِي رِمْحٍ، وَ أَلْفًا وَ خَمْسَمِائَةَ تَرَسٍ وَ حِجْفَةَ [(١)] وَ أَثاثًا كَثِيرًا، وَ آنِيَةَ كَثِيرَةً، وَ خَمْرًا، وَ جَرارًا، وَ سَكْرًا فَهَرِيقُ ذَلِكَ كَلَهُ. وَ لَمْ يَخْتَمَسْهُ وَ وَجَدَ مِنَ الجَمالِ التَّواضِحِ عَدَّةً، وَ مِنَ المَاشِيَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَجَمَعَ هَذَا كَلَهُ.

وَ تَنَحَّى رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - وَ جَلَسَ وَ تَواثَبَ الأَوْسَ إِلى رَسولِ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - فَقَالُوا: يا رَسولَ اللّهِ حَلْفَاؤُنَا دُونَ الخَزْرَجِ، وَ قَدْ رَأَيْتَ ما صَنَعَتْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ بِالْأَمْسِ حَلْفاءُ ابنِ أَبِي وَهَبٍ لَه ثَلَاثَمِائَةَ حاسِرٍ، وَ أَرْبَعَمِائَةَ دارِعٍ. وَ قَدْ نَدِمَ حَلْفَاؤُنَا عَلَى ما كانَ مِنَ نَقْضِهِمُ العَهْدِ فَهَبِهِمُ لَنَا، وَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - ساكَتَ لا يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَكثَرُوا عَلَيْهِ وَ أَلحَوْا نَطَقَتِ الأَوْسُ كَلِّها،

فَقَالَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «أَما تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ الحُكْمُ فِيهِمُ إِلى رَجُلٍ مِنْكُمْ»؟ قالوا:

بلى. قال: «فذلِكَ إِلى سَعَدِ بنِ مَعاذٍ»

[(٢)].

وَ قالَ ابنُ عَقبَةَ: فَقَالَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «اخْتارُوا مِنْ شِئْتُمْ مِنْ أَصْحابِي»

فَاخْتارُوا سَعَدَ بنَ مَعاذٍ، فَرضَى بِذلِكَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - وَ سَعَدٌ يَوْمئِذٍ فِي المَسْجِدِ بِالمَدِينَةِ، فِي خِيْمَةٍ كَعِيبَةُ بِنْتِ سَعِيدٍ - بِالتَّصْغِيرِ فِيهِمَا - الأَسْلَمِيَّةُ، وَ كانَتْ تَدَاوَى الجِرْحَى وَ تَلَمَّ الشَّعْثُ، وَ تَقومُ عَلَى الضَّائِعِ الَّذِي لا أَحَدَ لَه، وَ كانَ لَها خِيْمَةٌ فِي المَسْجِدِ، وَ كانَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - جَعَلَ سَعَدَ بنَ مَعاذٍ فِيها لِيَعُودَ مِنْ قَريبٍ فَلَمَّا جَعَلَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - إِلى سَعَدٍ خَرَجَتِ الأَوْسُ حَتَّى جِاءَ وَه فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ بِأَعْرابِي بِشَنْدَةٍ مِنْ لَيْفٍ وَ عَلَى الحِمَارِ قَطيْفَةً فَوْقَ الشَّنْدَةِ، وَ خَطامَهُ مِنْ لَيْفٍ، وَ كانَ رَجُلًا - جَسِيمًا، فَخَرَجُوا حَوْلَهُ يَقُولُونَ: يا أبا عَمْرٍو، إِنَّ رَسولَ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - قَدْ وُلِّمَكَ أَمْرَ مِوَالِيكَ لِتَحسِنَ فِيهِمُ، فَأَحسَنَ فَقَدْ رَأَيْتَ ابنَ أَبِي وَ ما صَنَعَ فِي حَلْفائِهِ، وَ أَكثَرُوا مِنْ هَذَا وَ شَبِهُهُ، وَ هُوَ لا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى إِذا أَكثَرُوا عَلَيْهِ قالَ سَعَدٌ: قَدْ آنَ لَسَعَدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللّهِ لَوْمَةٌ لائِمٌ، فَقَالَ الضُّحَّاكُ بنُ خَلِيفَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَدِيّ بنِ كَعْبِ بنِ عبدِ الأَشْهَلِ الأَنْصاري: وَ قوماه! وَ قالَ غَيرُهُ مِنْهُمُ نَحْوَ ذَلِكَ ثَمَّ رَجَعَ الضُّحَّاكُ إِلى الأَوْسِ فَنَعَى لَهُمُ رَجالَ بَنِي قَريظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِليهِمُ سَعَدٌ، عَنِ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ، وَ أَقبَلَ سَعَدٌ إِلى رَسولِ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ النَّاسِ حَوْلَ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ جُلُوسًا، فَلَمَّا طَلَعَ سَعَدُ بنَ مَعاذٍ -

وَ فِي الصَّيْحِ حَيِّحِينَ - فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجِدِ: أَي الَّذِي كانَ فِيهِ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - أَعَدَّهُ بَنِي قَريظَةَ أَيامَ حِصَارِهِمُ -

لِلصَّلَاةِ، قالَ رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «قوموا إِلى سَيِّدِكُمْ» وَ فِي لَفْظِ «خَيْرِكُمْ»

فَأَما المَهاجِرُونَ مِنْ قَريظَةَ فَإِنَّمَا يَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرادَ الأَنْصارُ، وَ أَمَّا الأَنْصارُ فيقولون: قَدْ عَمَّ بِها رَسولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ -

[(١)] الحِجْفَةُ: التَّرَسُ مِنْ جُلُودِ بَلالِ خَشَبٍ وَ لا رِبَاطَ مِنْ عَصَبٍ، انظُرِ المَعْجَمَ الوَسِيطَ ١/ ١٥٨.

[(٢)] أَخْرَجَهُ البَخاري ٧/ ٤٧٥ (٤١٢١).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١

المسلمين، و عند الإمام أحمد «قوموا إلى سيدكم» فأنزله، و كان رجال من بنى عبد الأشهل يقولون: قمنا له على أرجلنا صفين، يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم. [(١)]

و فى حديث جابر - رضى الله عنه: عند ابن عائذ، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم: - احكم فيهم يا سعد، فقال: الله و رسوله أحق بالحكم. قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم».

و قالت الأوس الذين بقوا عند رسول الله - صلى الله عليه و سلم: يا أبا عمرو: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد ولاك الحكم فى أمر مواليك فأحسن فيهم، و اذكر بلاءهم عندك، فقال سعد: أترضون حكمى لبنى قريظة؟ قالوا:

نعم، قد رضينا بحكمك، و أنت غائب عنا، اختيارا منا لك، و رجاء أن تمنّ علينا كما فعل غيرك بحلفائه بنى قينقاع، و أثرتنا عندك أثرتنا، و أحوج ما كنا اليوم إلى مجازاتك. فقال سعد: ما آلوكم جهدا، فقالوا: ما يعنى بقوله هذا؟ ثم قال سعد: عليكم عهد الله و ميثاقه، أن الحكم فيهم ما حكمت؟ قالوا: نعم،

ثم قال سعد للتأحية التى فيها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو معرض عنها إجلالا لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - و على من هاهنا مثل ذلك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و من معه:

«نعم»

قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه الموسيقى، و تسمى النساء و الذرية، و تقسم الأموال و تكون الديار للمهاجرين دون الأنصار. فقالت الأنصار: إخواننا كنا معهم، فقال: أحببت أن يستغنوا عنكم»

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: لقد حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات [(٢)].

و ذكر ابن إسحاق فى غير رواية البكائى: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال فى حكم سعد: «بذلك طرقتى الملك سحرا»، و كان سعد بن معاذ فى الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم

رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد دعا فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أقاتلهم من قوم كذبوا رسولك آذوه و أخرجوه، و إن كانت الحرب قد وضعت أوزارها عنا و عنهم فاجعلها لى شهادة، و لا تمتنى حتى تفر عينى من بنى قريظة، فأقر الله تعالى عينه منهم [(٣)].

ذكر قتلهم و أخذ أموالهم و سبى ذراريهم

فلما حكم سعد، بما حكم، و انصرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم الخميس لتسع ليال كما

[(١)] انظر التخرىج السابقة و انظر احمد ٢٢ / ٣ و ابن أبى شيبه ١٤ / ٤٢٥ و البيهقى فى دلائل النبوة ٤ / ١٨ و مسلم فى الجهاد باب ٢٢ رقم (٦٤) و أبو داود (٥٢١٥) و الترمذى ٨٥٦ و الطبرانى فى الكبير ٦ / ٦ و انظر المجمع ٦ / ١٣٨ و ابن أبى شيبه ١٤ / ٤٢٥ و ابن سعد ٣ / ٢ / ٤.

[(٢)] و أخرجه ابن سعد ٣ / ٢ / ٤، ٥ و أبو نعيم فى تاريخ أصفهان ١ / ٩٧ و من حديث أبى سعيد البخارى ٦ / ١٦٥ (٣٠٤٣) و مسلم ٣ / ١٣٨٨ (١٧٦٩ / ٦٤) و البخارى (١٢٣ / ٧).

[(٣)] ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ١٧٨، و القرطبى فى التفسير ٧ / ٣٩٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢

ذكر محمد بن عمر و ابن سعد، و جزم به الدمياطى، و قيل لخمس - كما جزم به فى الإشارة - خلون من ذى الحجة، و أمر بهم فأدخلوا المدينة، و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالسبى فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، و النساء و الذرية إلى دار رملة بنت الحارث، و يقال حبسوا جميعا فى دار رملة، و أمر لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بأحمال تمر فنثرت لهم، فباتوا يكدمونها كدم الحمر، و أمر بالسلاح و الأثاث و المتاع و الثياب فحمل إلى دار ابنه الحارث و بالإبل و الغنم ترعى هناك فى الشجر، فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - غدا إلى السوق، فأمر بأخدود فخذت فى السوق ما بين موضع دار أبى الجهم العدوى إلى أحجار الزيت، فكان أصحابه هناك يحفرون، و جلس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و معه عليه أصحابه و دعا برجال بنى قريظة، فكانوا يخرجون أرسالا، تضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، فقالوا لكعب بن أسد - و هم يذهب بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أرسالا: يا كعب، ما ترى محمدا يصنع بنا؟ قال: ما يسوءكم، ويلكم! على كل حال لا تعقلون!! ألا ترون الداعى لا ينزع، و أنه من ذهب منكم لا يرجع؟ هو و الله السيف، قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم على قالوا: ليس هذا بحين عتاب، لو لا أنا كرهنا أن نرى برأيك ما دخلنا فى نقض العهد الذى كان بيننا و بين محمد، قال حن بن أخطب: اتركوا ما ترون من التلاوم، فإنه لا يرد عنكم شيئا، و اصبروا للسيف، و كان الذين يلون قتلهم على ابن أبى طالب و الزبير بن العوام و جاء سعد بن عباد و الحباب بن المنذر، فقالا: يا رسول الله، إن الأوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم، فقال سعد بن معاذ: ما كرهه من الأوس أحد فيه خير، فمن كرهه فلا أرضاه الله. فقام أسيد بن الحضير - رضى الله عنه - فقال: يا رسول الله: لا تبقين دارا من دور الأوس إلا فرقتهم فيها، فمن سخط فلا يرغم الله إلا أنفه، فابعث إلى دارى أول دورهم، ففرقتهم فى دور الأوس فقتلوهم، ثم أتى يحيى بن أخطب [(١)] مجموعة يدها إلى عنقه، عليه حلة شقحيه.

و قال ابن إسحاق: ففاحيه قد لبسها للقتل، ثم عمد إليها فشقها أنملة أنملة لئلا يسلبه أيها أحد. فقال له رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين طلع: «لم يمكن الله منك يا عدو الله: قال بلى و الله، أما و الله ما لمت نفسى فى عداوتك، و لقد التمت العز فى مكانه فأبى الله إلا أن يمكنك. و لقد قلقت كل مقلقل، و لكنه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، قدر و كتاب و ملحمة كتبت على بنى إسرائيل! ثم جلس فضربت عنقه، و أتى ببتاش بن قيس و قد جابذ الذى جاء به حتى قاتله فدق الذى جاء به أنفه فأرعفه.

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - للذى جاء به «لم صنعت هذا به. أما كان فى السيف كفاية؟» فقال: يا

[(١)] يحيى بن أخطب النضرى: جاهلى. من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر و البادى. أدرك الإسلام و آذى المسلمين.

فأسروه يوم قريظة. ثم قتلوه. توفى سنة ٥ هـ، الأعلام ٢/ ٢٩٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣

رسول الله، جابذنى لأبن يهرب، فقال نيتاش: كذب و التوراه يا أبا القاسم، لو خلانى ما تأخرت عن موطن قتل فيه قومى حتى أكون كأحدهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أحسنوا إسارهم و قتلوهم و اسقوهم، حتى يبردوا، فقتلوا من بقى، لا تجمعوا عليهم حر الشمس و حر السيل» و كان يوما صائفا، فقتلوه و سقوهم، فلما أبردوا راح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقتل من بقى، و أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بكعب بن أسد، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «كعب؟» قال: نعم يا أبا القاسم قال: ما انتفعتم بنصح ابن جواس لكم، و كان مصدقا بى، أما أمركم باتباعى، و إن رأيتمونى أن تقرونى منه السلام؟ قال: بلى و التوراه يا أبا القاسم، و لو لا - أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لا تبتعتك و لكنى على دين يهود، قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «قدمه فاضرب عنقه» فأمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بقتل كل من أنبت منهم.

و روى ابن إسحاق، و الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذى فى صحيحه، و النسائى عن عطية القرظى قال: كنت غلاما فوجدونى لم أنبت، فخلّوا سبيلى [(١)].

و روى الطبرانى عن أسلم الأنصارى قال: جعلنى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على أسارى قريظة، فكنت أنظر إلى فرج الغلام فإن رأيت أنه أنبت ضربت عنقه، و أن لم أره جعلته فى مغنم المسلمين [(٢)].

و كان رفاعه بن شموال القرظى رجلا قد بلغ، فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر، أخت سليط بن قيس، و كانت إحدى حالات النبى - صلى الله عليه و سلم - قد صلّت القبليتين مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و بايعته مع بيعة النساء، فقالت: يا نبى الله، بأبى أنت و أمى، هب لى رفاعه، فإنه زعم أنه سيصلّى، و يأكل لحم الجمل، فوهبه لها فاستحيته فأسلم بعد.

و لم يزل ذلك الدأب حتّى فرغ منهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقتلوا إلى أن غاب الشفق، ثم ردّ عليهم التراب فى الخندق، كلّ ذلك بعين سعد بن معاذ فاستجاب الله دعوته و أقر عينه - رضى الله عنه و لم يقتل من نسايمه إلّا امرأة واحدة من بنى النضير يقال لها نباته تحت رجل من بنى قريظة يقال له الحكم، و كان يحبها و تحبّه، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار بكت إليه و قالت إنك لمفارقى، فقال: هو و الثوراء، ما ترين فأنت امرأة، فدلى عليهم هذه الرّحى، فإنّا لم نقتل منهم أحدا بعد، و أنت امرأة، و إن يظهر محمد علينا فإنه لا يقتل النساء، و إنّما كره أن تسمى، فأحبّ

[(١)] أخرجه أحمد ٣٨٣ / ٤ و الدارمى ٢ / ٢٢٣ و أبو داود ٤ / ٥٦١ (٤٤٠٤) و الترمذى ٤ / ١٤٥ (١٥٨٤) و قال حسن صحيح و النسائى ٦ / ١٥٥ و ابن ماجه ٢ / ٨٤٩ (٢٥٤١).

[(٢)] الطبرانى فى الصغير و الأوسط قال الهيثمى ٦ / ١٤٤ فيه جماعة لم أعرفهم.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤

أن تقتل، و كانت فى حصن الزبير بن باطا فدلت رضى من فوق الحصن، و كان المسلمون ربّما جلسوا تحت الحصن يستظلّون فى فيه، فأطلعت الرّحى فلمّا رآها القوم انفضّوا، و تدرّك خلّاد بن سويد فتشدخ رأسه، فحذر المسلمون أهل الحصن، فلمّا كان اليوم اللى أمر بهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن يقتلوا فيه دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فجعلت تضحك ظهرها لبطن، و هى تقول: سراه بنى قريظة يقتلون إذ سمعت صوت قائل يا «نباته»، قالت أنا و الله التى أدعى، قالت عائشة و لم؟ قالت: قتلنى زوجى، و كانت جاريه حلوة الكلام فقالت عائشة:

و كيف قتلك زوجك؟ قالت: فى حصن الزبير بن باطا فأمرنى فدلت رضى على أصحاب محمد فشدخت رأس رجل منهم فمات، و أنا أقتل به، فانطلق بها، فأمر بها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقتلت، بخلّاد بن سويد. فكانت عائشة تقول: لا أنسى طيب نفس نباته، و كثرة ضحكها، و قد عرفت أنها تقتل. و روى أبو داود قصّتها مختصرة.

ذكر خبر ثابت بن قيس و من الزبير بن باطا

كان الزبير بن باطا منّ على ثابت بن قيس بن شماس [(١)] يوم بعث، فأتى ثابت الزبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى؟ قال: و هل يجهل مثلك مثلى؟ قال ثابت: إن لك عندى يدا، و قدرت أن أجزيك بها، قال الزبير: إن الكريم يجزى الكريم و أحوج ما كنت إليك اليوم،

فأتى ثابت لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: يا رسول الله: إنه كان للزبير عندى يد خير جزّ ناصيتى يوم بعث، فقال: أذكر هذه النعمة عندك، و قد أحببت أن أجزيه بها، فهبه لى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «هو لك» فأتاه ثابت فقال: «إنّ

رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قد وهبك لي، قال الزبير: شيخ كبير لا أهل لي ولا مال يبثرب ما أصنع بالحياة؟ فأنتى ثابت لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال يا رسول الله: اعطني ماله وأهله، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم: «هو لك» فرجع إلى الزبير، فقال: إن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قد أعطاني ولدك وأهلك ومالك،

فقال الزبير: يا ثابت أما أنت فقد كافتني وقد قضيت الذي عليك يا ثابت: ما فعل بالذي كأن وجهه مرآة صيته تترأى عذارى الحى فى وجهه، كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة و بنى عمرو بن قريظة. قال: قتلوا، قال: يا ثابت: ما فى العيش خير بعد هؤلاء، أرجع إلى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم؟ لا حاجة لي فى ذلك، ولكن يا ثابت انظر إلى امرأتى

[(١)] ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى الخطيب من كبار الصحابة و صح فى (م) أنه من أهل الجنة. انفرد له البخارى بحديث. و عنه ابنه إسماعيل و محمد بن قيس و أنس شهد أحدا و ما بعدها، و قتل يوم اليمامة و نفذت وصيته بعد موته بمنام رآه خالد بن الوليد. له عند (خ) حديث واحد. الخلاصة ١/ ١٥٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥

و ولدى فإنهم جزعوا من الموت فاطلب إلى صاحبك فيهم أن يطلقهم، و أن يرد أموالهم، فطلب ثابت من النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - أهل الزبير و ماله و ولده، فرد رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أهله و ماله إلما السيلاح. قال الزبير: يا ثابت أسألك بيدى عندك إلما ألحقنتى بالقوم فما أنا بصائر لله فتله دلو ناضح حتى ألقى الأجنه، قال ابن إسحاق: فقدمه ثابت فضربت عنقه، و قال محمد بن عمر:

قال ثابت: ما كنت لأقتلك، قال الزبير: لا أبالى من قتلنى، فقتله الزبير بن العوام. و لما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحيه» قال: يلقاهم و الله فى نار جهنم خالدا مخلدا!

ذكر اصطفاء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ربحانة بنت زيد النضرية لنفسه

كانت ربحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بنى النضير متروجة فى بنى قريظة، اصطفاه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لنفسه، و كانت جميلة، فعرض عليها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الإسلام فأبت إلما اليهودية، فعزلها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و وجد فى نفسه فأرسل إلى ابن سعيه، فذكر له ذلك، فقال ابن سعيه: فداك أبى و أمى هى تسلم؟ فخرج حتى جاءها، فجعل يقول لها: لا تتبعى قومك، فقد رأيت ما أدخل عليهم حيب بن أخطب، فاسلمى يصطفيك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لنفسه، فأجابت إلى ذلك، فبينما رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى أصحابه، إذ سمع وقع نعلين فقال: «إن هاتين لنعلا بن سعيه يبشرنى بإسلام ربحانة»، فجاءه، فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ربحانة، فسرد بذلك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - [(١)] و سيأتى فى ترجمتها نبذة من أخبارها و تحرير نسبها.

ذكر قسم المغنم و بيعه

لما اجتمعت المغنم أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالمتاع فبيع فيمن يريد، و بيع الشبى و قسمت النخل أسهما، و كانت الخيل ستة و ثلاثين فرسا، فأسهم للفرس بسهمين، و لصاحبه سهم، و للزاجل سهم. و قاد رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ثلاثة أفراس فلم يضرب إلما سهما واحدا.

و أسهم لخلاّد بن سويد و قد قتل تحت الحصن، و أسهم لأبى سنان بن محصن، مات و رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يحاصرهم.

و كان يقاتل مع المسلمين، و كان المسلمون ثلاثة آلاف، و كانت سهمان الخيل و الرجال على ثلاثة آلاف و اثنين و سبعين سهما، للفرس سهمان، و لصاحبه سهم و كان السبى ألفا من النساء و الصبيان، فأخرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خمسة قبل بيع المغنم، فجزأ السبى خمسة أجزاء، فأخذ خمسا، و كان يعتق منه و يهب منه، و يخدم منه

[(١)] أخرجه ابن عساكر كما فى تهذيب تاريخ دمشق ١ / ٣١٢ و ابن كثير فى البداية ٥ / ٣٠٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦

من أراد و كذلك النخل عزل خمسه، و كل ذلك يسهم عليه خمسة أجزاء، و يكتب فى سهم منها لله ثم يخرج السهم، فحيث صار سهمه أخذه و لم يتخير، و صار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي، ثم فض أربعة أسهم على الناس و أخذى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - النساء اللائى حضرن القتال و لم يسهم لهن، و هن صفيئة بنت عبد المطلب، و أم عمارة نسيبة، و أم سليط، و أم العلاء الأنصارية، و السميرة بنت قيس، و أم سعد بن معاذ، و كبشة بنت رافع. و لما بيعت السبايا و الذرية، بعث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بطائفة - قال محمد بن عمر - إلى الشام مع سعد بن عبادة ببيعهم و يشتري بهم سلاحا و خيلا.

و قال ابن إسحاق و غيره: بعث سعد بن زيد الأنصارى الأشهل بسبايا من بنى قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا و سلاحا، و اشترى عثمان بن عفان و عبد الرحمن ابن عوف - رضى الله عنهما - طائفة فاقتهما، فسهمه عثمان بمال كثير، و جعل عثمان على كل من اشتراه من سبيهم شيئا موفيا، فكان يوجد عند العجائز المال و لا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا، و ذلك أن عثمان صار فى سهمه العجائز، و يقال لما قسم جعل الشواب على حدة و العجائز على حدة، ثم خير عبد الرحمن عثمان، فأخذ العجائز. قال ابن أبي سبرة: و إنما لم يؤخذ ما جاءت به العجائز فيكون فى الغنيمه لأنه لم يوجد معهن إلا بعد شهر أو شهرين، فمن جاء منهن بالذى وقت لهن عتق، فلم يتعرض لهن، و اشترى أبو الشحم اليهودى امرأتين مع كل واحدة منهن ثلاثة أطفال بمائة و خمسين دينارا، و جعل يقول: أستم على دين يهود؟ فتقول المرأتان: لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه، و هن ييكين. و نهى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن يفرق فى القسم و البيع بين النساء و الذرية و قال: «لا يفارق بين الأم و ولدها حتى يبلغ». قيل يا رسول الله و ما بلوغه؟ قال: «تحيض الجارية و يحتلم الغلام»

[(١)] و كانت الأم و أولادها الصيغار تباع من المشركين من العرب و من يهود. و إذا كان الولد صغيرا ليس معه أم لم يبع من المشركين و لا من اليهود إلا من المسلمين. و استشهد يوم بنى قريظة خلاد بن سويد، و منذر بن محمد.

ذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذه الغزوة

روى البخارى و النسائى عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال

[(١)] انظر التلخيص للحافظ ابن حجر (٣ / ١٦).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧

لحسن يوم قريظة: اهجهم أو هاجهم و جبريل معك.

[(١)]

و روى ابن مردويه عن جابر - رضى الله عنه، قال: لما كان يوم الأحزاب، و ردهم الله بغيظهم. قال النبى - صلى الله عليه و سلم - «من

يحمى أعراض المسلمين؟» فقام كعب، و ابن رواحة، و حسان، فقال لحسان: «اهجهم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس»، فقال حسان - رضى الله عنه:

لقد لقيت قريظة ما أسأهاو ما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد أصاب بنى النصير
غداة أتاهم يهوى إليهم رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجتبه تعادى بفرسان عليها كالصقور
تركانهم و ما ظفروا بشيء دماؤهم عليهم كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشاً من الرحمن إن قبلت نذيرى و قال أيضاً:
لقد لقيت قريظة ما أسأهاو حلّ بحصنها ذلّ ذليل
و سعد كان أنذرهم بنصح بأنّ إلهكم ربّ جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى فلاهم فى بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منّا صفوف له من حرّ وقعتهم صليل و قال أيضاً:
تفاقد معشر نصرنا قريشاً و ليس لهم ببلدتهم نصير
هم أتوا الكتاب فضيعوه و هم عمى عن التوراة بور
كفرتم بالقران و قد أتيتم بتصديق الذى قال التذير
فهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير و قال أيضاً
لقد سجمت [(٢)] من دمع عينيّ عبرة و حقّ لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى فى معرك فجعت به عيون ذوارى الدّمع دائمة الوجد

[(١)] أخرجه البخارى ٢٣٦ / ٤، ١٤٤ / ٥، ١٨٢ / ٤٥ و مسلم فى الفضائل (١٥٣، ١٥٧) و أحمد ٣٠٢ / ٤ و الطبرانى فى الكبير ٤ / ٤٨ و البيهقى ٢٣٧ / ١٠ و الطحاوى فى معانى الآثار ٤ / ٢٩٨.
[(٢)] سجمت فاضت، انظر المعجم الوسيط ١ / ٤١٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨ على ملّة الرحمن وارث جنة مع الشهداء و فدها أكرم الوعد
فإن تك قد ودّعنا و تركتنا أمسيت فى غرباء مظلمة اللحد
فأنت الذى يا سعد أبت بمشهد كريم و أثواب المكارم و الحمد
بحكمك فى حتى قريظة بالذى قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم و لم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألى شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا إلى الله يوماً للوجهة و القصد و قال أيضاً بيكى سعد بن معاذ و رجالاً من أصحاب رسول الله - صلى
الله عليه و سلم:

ألا يا قومى هل لما حمّ دافع و هل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكّرت عصراً قد مضى فتهافت بنات الحشا و انهلّ منى المدامع

صباية وجد ذكرتنى أخوة و قتلنى مضى فيها طفيل و رافع
و سعد فأضحوا فى الجنان و أوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع [(١)]
وفوا يوم بدر للرسول و فوقهم ظلال المنايا و السيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق و كلهم مطيع له فى كل أمر و سامع
فما نكلوا حتى توالوا جماعة و لا يقطع الآجال إلّا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعته إذا لم يكن إلّا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله و الموت نافع
لنا القدم الأولى إليك و خلفنا لأولنا فى مله الله تابع
و نعلم أنّ الملك لله وحده و أنّ قضاء الله لا بدّ واقع

تنبيهات

الأول: قريظة بضم القاف و فتح الراء و سكون التحتية و بالطاء المعجمة المشالة فتاء تأنيث، قال السمعاني هو اسم رجل نزل أولاده
قلعه حصينه بقرب المدينة فنسبت إليهم.
و قريظة و النضير أخوان من أولاد هارون- عليه الصلاة و السلام.
الثاني:

روى البخارى فى جميع الروايات عن شيخه عبد الله بن محمد بن أسماء قال: حدّثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر- رضى
الله عنهما- قال: قال رسول الله

[(١)] بلاقع: جمع بلقع و هو الخالى من كل مكان، انظر المعجم الوسيط ١ / ٦٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩

- صلى الله عليه و سلم: «لا يصلين أحد العصر إلّا فى بنى قريظة» [(١)]. إلخ. و وافق البخارى على لفظ العصر من طريق جويرية
الإسماعيلى، و أبو نعيم من طريق أبى حفص السلمى عن جويرية و أصحاب المغازى. و رواه الطبرانى، و البيهقى فى الدلائل بإسناد
صحيح إلى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن عمه عبيد الله بن كعب. و رواه الطبرانى أيضا من هذا الوجه
موصولا بذكر كعب بن مالك و البيهقى عن عائشة- رضى الله عنها- و رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء بسنده و قال: «لا
يصلين أحد الظهر إلّا فى بنى قريظة» [(٢)]. و وافقه ابن سعد، و أبو يعلى، و ابن حبان، و أبو نعيم من غير طريق أبى حفص السابق،
قال الحافظ: و لم أره عن جويرية- من غير طريق أبى حفص السلمى إلّا بلفظ الظهر، و جمع بينهما باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر
كان صلى الظهر، و بعضهم لم يصلها. فقيل لمن لم يصلها، لا يصلين أحد الظهر، و لمن صلاها لا يصلين أحد العصر. أو أن طائفة
منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولى الظهر، و التى بعدها العصر.
قال الحافظ: و هو جمع لا بأس به، لكن يبعده اتحاد مخرج الحديث، لأنه عند الشيخين كما بيناه بإسناد واحد من مبدئه إلى منتهاه،
فبيعد أن يكون كل من رجال إسناده حدّث به.

على الوجهين إذ لو كان كذلك لحمله واحد منهم عن بعض رواته، و سبق الكلام على ذلك، ثم قال: هذا كله من حيث حديث ابن
عمر، أما بالنظر إلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان فى كونه قال «الظهر» لطائفة متجه فيحتمل أن رواية «الظهر» هى التى سمعها
ابن عمر، و رواية «العصر» هى التى سمعها كعب بن مالك، و عائشة- رضى الله عنهما- و قيل فى وجه الجمع أيضا

أن يكون- صلى الله عليه وسلم- قال لأهل القوة، أو لمن كان منزله قريبا «لا يصلين أحد الظهر»
و قال لغيرهم: «لا يصلين أحد العصر».

الثالث: أغرب ابن التين فادعى أن الذين صلوا «العصر» صلوا على ظهور دوابهم، واستند إلى أن النزول إلى الصلاة ينافي مقصود الإسراع في الوصول. قال: فأما الذين لم يصلوها عملوا بالدليل الخاص وهو الأمر بالإسراع فتركوا عموم إيقاع «العصر» في وقتها إلى أن فات، و الذين صلوا جمعوا بين دليلى وجوب الصلاة و وجوب الإسراع فصلوا ركبانا، لأنهم لو صلوا نزولا لكان مضادا لما أمروا به من الإسراع، و لا- يظن ذلك بهم مع ثقب أفهامهم قال الحافظ: وفيه نظر، لأنه لم يأمرهم بترك النزول، فلعلهم فهموا أن المراد بأمرهم ألا يصلوا العصر إلّا في بنى قريظة المبالغة في الأمر بالإسراع، فبادروا إلى امتثال أمره و خصوا وقت

[(١)] أخرجه البخارى فى صلاة الخوف حديث (٩٤٦).

[(٢)] مسلم فى الجهاد باب ٢٣ رقم (٦٩) و ابن سعد ٢ / ١ / ٥٤ و البيهقى فى دلائل النبوة ٤ / ٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٠

الصلاة من ذلك لما تقرر عندهم من تأكيد أمرها فلا يمتنع أن ينزلوا فيصلوا، و لا يكون فى ذلك مضادة لما أمروا به. و دعوى أنهم صلوا ركبانا يحتاج إلى دليل، و لم أره صريحا فى شىء من طرق هذه القصة.

الرابع: يستفاد من حديث ابن عمر، و كعب بن مالك، و عائشة ترك تعنيف من بذل وسعه و اجتهد، فيؤخذ منه عدم تأثيمه، و حاصل ما وقع فى القصة أن بعض الصحابة حملوا النهى على حقيقته، و لم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهى الثانى على الأول، و هو ترك تأخير الصلاة على وقتها و استدلوها بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب، و لا سيما الزمان زمان التشريع، و البعض الآخر حملوا النهى على غير الحقيقة و أنه كناية عن الحث و الاستعجال و الإسراع إلى بنى قريظة: و قال فى «زاد المعاد» ما حاصله: كل من الفريقين مأجور بقصده إلا أن من صلى حاز الفضيلتين: امتثال الأمر فى الإسراع، و امتثال الأمر فى المحافظة على الوقت و لا سيما فى هذه القصة بعينها من الحث على المحافظة عليها، و أن من فاتته حبط عمله، و إنما لم يعنف الذين آخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الأمر، و لأنهم اجتهدوا فأخروا امتثالا للأمر، لكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا فى أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى.

الخامس: قال السهيلي: قوله «من فوق سبع سموات» معناه أن الحكم نزل من فوق.

قال: و مثله قول زينب بنت جحش، رضى الله عنها-: زوّجنى الله تعالى من نبيّه من فوق سبع سموات، أى أنزل تزويجها من فوق، قال: و لا يستحيل وصفه- تعالى- بالفوق، على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذى يسبق إلى الوهم من التحديد الذى يفضى إلى التشبيه.

السادس: اختلف فى مدّة الحصار فقال ابن عقبة: بضع عشرة ليلة، و قال ابن سعد:

خمس عشرة ليلة، و روى ابن سعد عن علقمة بن وقاص خمسا و عشرين ليلة: و رواه ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب، و رواه الإمام أحمد و الطبرانى عن عائشة- رضى الله عنها.

السابع: اختلف فى عدد من قتل من بنى قريظة: فعند ابن إسحاق: أنهم كانوا ستمائة، و به جزم أبو عمر فى ترجمته سعد بن معاذ، و عند ابن عائد من مرسل قتادة: كانوا سبعمائة.

و قال السهيلي: المكث يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، و فى حديث جابر عند الترمذى و النسائى و ابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل فى طريق الجمع، أن يقال إن الباقيين كانوا أتباعا، و قد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة.

الثامن: فى شرح غريب القصة.

«رَجُلُ رَأْسِهِ» بفتح الراء و الجيم المشددة: سَرَّحَهُ.

المجمرة- بكسر الميم الأولى: المبخرة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١

عذيرك- بفتح العين المهملة و كسر الدال المعجمة و سكون التَّحْتِيَّة و فتح الراء أى هات من يعذرک، فعيل بمعنى فاعل.

دحية- بكسر الدال المهملة و فتحها: و هو الريش.

إثره- بكسر الهمزة و سكون التاء المثناة و يجوز فتحها، و حكى تثليث الهمزة.

الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على الرأس، و يرد طرفها على وجهه و لا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

أرى- بضم الهمزة: أظن.

الزَّحالة- بكسر الراء و تخفيف الحاء المهملة: سرج من جلود ليس فيه خشب، كانوا يتخذونه للركض الشديد، و الجمع الزَّحائل.

اللأمة- بالهمزة: الدرع، و قيل: السلاح. و لأمة الحرب آتته، و قد يترك الهمز للتخفيف.

الإستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

الديباج: فارسى معرب، و قد تكسر الدال و قد تفتح.

القطيفة: كساء له خمل الماشجون- بكسر الجيم و ضم الشين المعجمة: و معناه الورد.

الثنايا- جمع ثنية: و هى الثنى.

حمراء الأسد: تقدمت فى غزوتها.

الجهد: المشقة و التعب.

الصفاء- بالقصر: الحجارة، و يقال: الحجارة الملس.

لأضعضعنها: لأحر كنها و أزلزلنها.

ساطعا: مرتفعا.

الزَّقاق- بضم الزاى و تخفيف القاف و بعد الألف قاف أخرى.

بنى غنم- بغير معجمة مفتوحة و سكون التون: بطن من الخرج من ولد غنم بن مالك بن النجار.

كأنى أنظر إلى الغبار: أى أنه مستحضر القصة حتى كأنه ينظر إليها مشخَّصاً له بعد تلك المدَّة الطويلة.

موكب جبريل- بتثليث الباء، الفتح بتقدير انظر، و الجرّ بدل من الغبار، و الضمّ خبر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢

مبتدأ محذوف تقديره هذا موكب جبريل. و الموكب: نوع من السير، و جماعة الفرسان أو جماعة يسيرون و كان السير برفق.

يا خيل الله اركبى» فيه حذف مضاف تقديره: يا فرسان خيل الله اركبى.

شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

لواء الجيش: علمه، و هو دون الراية.

ابتدره الناس: سارعوا إليه.

المغفر- بكسر الميم: ما يلبس تحت البيضة.

القناة: الزمخ.

اللَّحيف: بالضم: يأتى الكلام عليه فى خيله- صلى الله عليه و سلم.

البهي - بفتح الباء و كسر الهاء و تشديد الياء: لقب عبد الله بن يسار لبهائه.
يعفور: يأتي الكلام عليه في حمرة - صلى الله عليه و سلم الصوران - تشبیه صور - بالفتح ثم السكون. اسم للنخل المجتمع الصغار
موضع في أقصى بقيع الغرقد مما يلي طريق بني قريظة.
يقذف الرعب: يرميه و يجعله في قلوبهم.
الصياصي: الحصون.

بثأنا - بالضم و تخفيف النون كهنا، و قيل بالفتح و بالتشديد كحتي و قيل كحتى لكن بالموحدة بدل النون، و قيل غير ذلك.
الحرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار الأخايث: جمع أخبث.
أسيد - بضم الهمزة و آخره دال مهملة.
الحضير - بضم الحاء المهملة الجحر - بضم الجيم: الثقب.
خاروا: ضعفوا و جنبوا.
«الطاغوت»: ما عبد من دون الله.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣

شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبني قريظة

«النبل»: السهام.
يتعاقبون: يتناوبون.
الحلقة - بفتح الحاء و سكون اللام: السلاح كله.
إلا أن ينزلوا على حكمه: على قضائه فيهم.

شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم

خلالا - بكسر الخاء المعجمة، و تخفيف اللام: أى خصالا، جمع خلّة بفتح المعجمة و تشديد اللام.
إسرائيل: يعقوب.
حيى - بضم الحاء المهملة و تكسر و تحتين ثانيهما مشددة.
أخطب - بفتح الهمزة فحاء معجمة ساكنة، فطاء مهملة فموحدة.
«على هذه» - بتشديد التثنية.
و هذه: اسم إشارة، محلها نصب مفعول أبيتم.
جؤاس - بجيم فواو مشددة فألف فسين مهملة.
النسل: الولد.
لعمرى - بفتح اللام و العين: أى و حياتى.
غرّة - بكسر الغين المعجمة و تشديد الزاء: الغفلة.
مصلتين - جمع مصلت بكسر اللام، و بالصاد المهملة الساكنة: أى مجردين السيوف من أغمادها.
أسيد - بفتح الهمزة و كسر المهملة، و قيل إنه بضم الهمزة و بفتح السين.
سعيه - بسين فعين ساكنة مهملتين فتحتيه مفتوحة، فتاء تأنيث.

الهيّان- بفتح الهاء و كسر التحتية المشددة بعدها موحدة.
هدل- بفتح الهاء و إسكان الدال المهملة و باللام.
الخرج- بفتح الخاء المعجمة و سكون الراء بعدها جيم و الخراج: ما يؤدى كل سنة.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤

شرح غريب ذكر طلبهم أبا لبابة - رضى الله عنه -

جهشت إليه- بفتح الجيم و الهاء: أسرع متباكية.
الأصطوانة:

العمد- بالدال و يجوز فتح العين و الميم و يكون مفردا و جمعا. و يجوز ضم العين و الميم أيضا: و المراد هنا: سوارى المسجد.
المخلقة: التى طليت بالخلوق وزن رسول، و هو ما يتخلق به من الطيب. و قيل: هو مائع فيه صفرة.
أرى- بفتح الهمزة.
حمأة: طين أسود.
أسنة: متغيرة.

ربوض- بفتح الراء و تخفيف الموحدة المضمومة و بعد الواو ضاد معجمة: أى عظمة غليظة.
قسيط: تصغير قسط.
ثار الناس: نهضوا.
بضعة منى- بفتح الموحدة و سكون الضاد المعجمة: قطعة منى.
أطأ- بهمز آخره.
أنخلع من مالى: أخرج منه لله.

شرح غريب ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه و سلم

جهدهم: اشتد عليهم.
كتفوا: بالبناء للمفعول.
الأثاث- بفتح الهمزة: متاع البيت، الواحد، أثاثه، و قيل: لا واحد له من لفظه.
الجرار- بكسر الجيم و تخفيف الراء: جمع جرّة.
السّكر- بفتح السين المهملة و الكاف: نبيذ التمر، و فى التنزيل تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا [النحل ٦٧] أهريق- بضم الهمزة و فتح الهاء و تسكن.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥
حلفاؤنا: أراد الذين حالفناهم على المناصرة.

فينقاع: تقدم ضبطها فى غزوتها.
الحاسر- بالحاء و السين المهملتين: الذى لا درع عليه.
دارع: صاحب درع.
ألحوا عليه: تبادوا على قولهم.

الشَّعْثُ: التَّفَرُّقُ و الانتشار.

الصَّائِحُ: الذى ليس له من يقوم بأمره، و فى لفظ الصَّيْعَةُ: بفتح الصاد المعجمة، و سكون التحتية، و فتح العين المهملة، و تاء تأنيث، أى ترك و ضييع، و هو أيضا: مصدر ضاع الشئ ضيعةً و ضياعاً، و أضعتهم: تركتهم.

أعرابى: منسوب إلى الأعراب، و هم سكان بالبادية.

الشَّندَةُ- بشين معجمة، فنون، فذال معجمة مفتوحات، تشبه الإكاف يجعل لمقدمته حنو و هو بالكسر واحد أحناء. السَّرج و القتب، و حنو كل شئ اعوجاجه.

الخطام- بكسر الخاء المعجمة: ما تقاد به الدَّابَّة.

آن- بالفتح و المدّ: قرب و دنا.

اللَّائم: العاذل.

التَّعى: خبر الموت.

تمنّ علينا: تنعم.

ما آلوكم جهدا: أى ما أدع جهدا و لا أقصر فى ذلك.

الجهد: الطَّاقة.

الموسى: آله الحديد التى يحلق بها.

تسبى النِّساء، السَّبى: النِّهب و أخذ الناس عبيدا و إماء.

أرقعة: أى السِّموات، قال ابن دريد: كذا جاء على لفظ التِّذكير على معنى السِّقف قال ابن الأعرابى: سمّوها «الرقيع» لأنها مرقوعة بالتَّجوم.

الملك- بكسر اللام.

وضعت الحرب أوزارها: الأوزار: هنا السلام و آله الحرب و هو كناية عن الانقضاء، و فيه حذف، أى حتى يضع أهل الحرب أثقالهم، فأسند الفعل إلى الحرب مجازا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦

شرح غريب ذكر قتلهم

فسيقوا: من السَّوق بالفتح، و هو الإسراع.

الكدم: القُص.

الحمير: الحمير.

غدا- سار غدوة، أى أول النَّهار.

الأخدود: شقّ فى الأرض مستطيل.

أحجار الرِّيت: مكان بالمدينة الشريفة.

أرسالا- بفتح الهمزة: أى طائفة بعد طائفة.

عليه أصحابه: أشرافهم.

يذهب بهم- بضم أوله و فتح ثالته.

لا ينزع: لا يرجع.

أزرى به: قَصْر في حقه.

الجاب- بحاء مهملة و موحدتين. وزن غراب.

الحلّة: إزار و رداء، و أصل تسميتهما بها إذا كان الثوبان جديدين لما يحل طيهما، فليل له حلّة بهذا الاسم، ثم استمر عليها. شقحيّة بضم الشين المعجمة، من شقح البسر إذا تلون.

فقاحيّة- بفاء مضمومة، ففاف، فحاء مهملة، فتحية مشددة، نسب إلى الفقاح، و هو الزهر إذا انشقت أكامه. عمد إليها: قصد.

الأنملة: طرف الإصبع.

التمس بمثناة فوقية فميم فسين مهملة: طلب.

قلقت: حرّكت.

من يخذل الله يخذل بفتح الهاء من الاسم الكريم قاله السهيلي. و الضم الظاهر كما في نسخ صحيحة من السيرة. الملحمة: القتال و موضعه أيضا.

جابذه: لغة في جاذبه، و قيل: مقلوب منه. إذا جره إليه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧

الإسار- بالكسر: القيد قتلوهم: من القيلولة.

تبردوا: تكسر شدة الحر.

الجزع- بفتحيتين: نقيض الصبر.

لم أنبت- بضم الهمزة و سكون النون و كسر الموحدة.

لاذ به: استجار.

سلمى بفتح السين المهملة: إحدى خالات النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، أى خالات جدّه عبد المطلب، لأن أمه من بنى عدى بن النجار من الأنصار.

الدّأب- بالسكون و التحريك: العادة و التّأني.

بنانة- بموحدة و نونين بينهما ألف، نقله التّووي في مبهماتة عن الخطيب. و قال في المورد: رأيتة بخط الحافظ السّلفى بناء مثلثة،

فموحدة، فألف، ففوقية، قلت: و كذا رأيتة في نسخة من العيون صحيحة جدا قرئت على مصنفها مرّات، و قرئت على الحافظ ابن حجر و غيره من المتقنين.

الزّبير بن باطا- بفتح الزّاي، و أبوه، بموحدة، فألف، فطاء مهملة فألف مقصورة.

شدخه: كسره.

انطلق به- بالبناء للمفعول.

شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس - رضى الله عنه -

منّ عليه- بفتح الميم و تشديد النون.

بعث- تقدّم الكلام عليه فى أبواب إسلام الأنصار.

له عندى يد: نعمة أنعمها علىّ.

جزّ- بفتح الجيم و تشديد الزّاي.

مرآة- بكسر الميم، وإسكان الراء فهزرة مفتوحة ممدودة فتاء تأنيث.

صبيئة: منسوبة إلى الصين.

العداري: جمع عذراء، سميت البكر لذلك لضيقها.

الحى: القبيلة البادية: خلاف الحاضر.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨

المحل: الجذب.

مقدمتنا- بكسر الدال المهملة المشددة، مقدمة الحرب: أوله.

عزال- بعين مهملة مفتوحة فزاي مشددة فألف فلام.

سموال- بسين مهملة مكسورة و تفتح، فميم و آخره لام.

المجلس- بكسر اللام: موضع الجلوس، و بفتح: المصدر.

فتلة دلو ناضح- قال ابن إسحاق: بالفاء و الفوقية أى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو التى خرجت من البئر فيصبها فى الحوض، ثم يفتلها

أى يردّها إلى موضعها. و قال ابن هشام: إنما هو بالقاف و الموحدة، و قابل الدلو: هو الذى يأخذها من المسقى، و لفظ الخبر عند أبى

عبيد:

فلست صابرا عنهم إفراغة دلو.

ما أبالى: ما أهتم و لا أكثرث.

شرح غريب ذكر اصطفائه - صلى الله عليه و سلم - ربحانه رضى الله عنها -

خنافة: بالخاء و النون.

وجد فى نفسه: غضب و لم يظهر ذلك.

شرح غريب قسم المغنم

قاد ثلاثة أفراس: جنبها.

محصن- بكسر الميم و سكون الحاء و فتح الصاد المهملتين ثم نون.

السهمان- بالضم و الأسهم و السهام: النصيب.

الرتة- بكسر الراء و تشديد التاء المثناة: و هى متاع البيت الدون.

أحذى بحاء مهملة فذال معجمة: أعطى.

سهمه- فعل ماض: أى غلبه.

محمية- بفتح الميم و سكون الحاء المهملة و كسر الميم الثانية و تخفيف التحتية.

جزء- بجيم مفتوحة فزاي ساكنة فهزرة.

سبرة- بفتح السين المهملة و سكون الموحدة.

شرح غريب قصيدتى حسان - رضى الله عنه -

ما أساها: أراد ما ساءها، فقلب، و العرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال، يقولون: رأى

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩

و أرى فى معنى واحد على جهة القلب.

المجنبه: التى تجنب، أى تقاد.

تعادى: تجرى و تسرع.

العبير: هنا الزعفران.

تحوم- بحاء مهملة: تستدبر.

يدان- بضم التحتية: يجزى.

العند- بفتح العين المهملة و النون و الدال المهملة: الخروج عن الحق.

الفجور: بفتح الفاء من الفجور و خفضه على الجواد و قد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء فى القوافى. و كذلك من رواه «الفخور».

نذيرى هنا مصدر. قال تعالى: كَيْفَ نَذِيرِ [الملك ١٧] أى إنذارى.

تفاقد: فقد بعضهم بعضا، و هو دعاء عليهم.

بور: ضلال، أو هلكى من البوار: و هو الهلاك.

السراة- بفتح السين المهملة: الخيار.

البويرة: موضع بنى قريظة. و تقدم الكلام عليها فى غزوة بنى النضير.

الطوائف: النواحي.

الشعير: النار الملتهبة.

التزه: بضم النون: البعد، يقال فلان ينزه نفسه عن الأقدار أى يباعد نفسه عنها.

يضير- بالصاد المعجمة: بمعنى يضرب. يقال: ضارّه بمعنى ضرّه، و من رواه بالصاد المهملة فمعناه تشقق و تقطع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠

الباب الحادى و العشرون فى غزوة بنى لحيان بنى هذيل بن مدركة بناحية عسفان

إشارة

وجد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على عاصم بن ثابت، و خبيب بن عدى و أصحابهما المقتولين بالرجع الآتى ذكره فى السرايا و البعوث. وجدا شديدا، فأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غزّة، فعسكر من ناحية الجرف، و خرج فى مائتى رجل، و معهم عشرون فرسا.

قال محمد بن عمر، و ابن سعد، و ابن هشام: و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

فخرج من المدينة فسلك على غراب ثم على محيص ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على بين ثم على صخيرات الشام، ثم استقام به الطريق على السبيل، فأغذ السير سريعا حتى نزل بطن غران و بينها و بين عسفان خمسة أميال حيث كان مصاب أصحابه فترحم عليهم، و دعا لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا فى كل ناحية، فلم يقدروا على أحد.

فلما أخطأه من غزتهم ما أراد، قال: «لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة»

فهبط فى أصحابه حتى نزلوا عسفان. قال ابن إسحاق: ثم بعث فارسين، و قال ابن عمر، و ابن سعد: بعث أبا بكر - رضى الله عنه - فى

عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً وراح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قافلاً قال جابر فيما رواه ابن سعد: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين رجع: «آثبون تائبون - إن شاء الله تعالى - لربنا حامدون»

و في رواية «لربنا عابدون، أعوذ بالله من وعثاء السيف، و كآبة المنقلب، و سوء المنظر في الأهل و المال» [(١)]. زاد محمد بن عمر: «اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ إلى خير مغفرتك و رضوانك» قالوا: و هذا أول ما قال هذا الدعاء.

و غاب صلى الله عليه وسلم عن المدينة أربع عشرة ليلة، و قال كعب بن مالك - رضى الله عنه - في هذه الغزوة: لو أن بني لحيان كانوا تناظروا القوا عصبا في دارهم ذات مصدق لقوا سرعان يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجزة فيلق و لكنهم كانوا و بارا تتبعت شعاب حجان غير ذى متنفق

تنبيهات

الأول: اختلفوا في أى شهر و فى أى سنة كانت هذه الغزوة فقال ابن سعد: كانت هذه

[(١)] أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٢٤٠)، و ابن سعد ٢ / ١ / ٥٧ و ابن أبى شيبة ١٢ / ٥١٩ و البيهقى فى السنن الكبرى ٥ / ٢٥٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١

الغزوة لهلال ربيع الأول سنة ست، و صحح شيخه محمد بن عمر: أنها فى سنة ست فى رجب، و قال ابن إسحاق فى رواية البكائى، و سلمة بن الفضل: على رأس ستة أشهر فى جمادى الأولى و قال فى رواية يونس كما ذكره الحاكم: فى شعبان، و قال ابن حزم: الصحيح أنها فى السنة الخامسة، و ذكرها بعضهم أنها فى السنة الرابعة، و جزم الذهبى فى تاريخ الإسلام و غيره من العلماء: بأنها فى السادسة، و صححه فى البداية.

الثانى: فى بيان غريب ما سبق لحيان - بكسر اللام و سكون المهملة: نسبة إلى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر.

هذيل - بضم الهاء و فتح الذال المعجمة و باللام.

عسفان - بضم العين المهملة و سكون السين المهملة و بالفاء و النون.

غزوة: غفلة.

وجد على عاصم: حزن.

خبيب - بضم الخاء المعجمة و فتح الموحدة.

الرجيع - بفتح الراء و كسر الجيم وزن رضيع: من ناحية الشام على ثلاثة أميال من المدينة.

الجرف - بضم الجيم و الراء و بالفاء: موضع قرب مكة، و آخر قرب المدينة و اليمن و اليمامة.

غراب - بلفظ الطائر المعروف: جبل شامى المدينة.

محيص بفتح الميم و كسر الحاء و بالصاد المهملتين كقليل: موضع بالمدينة. البتراء:

تأنيث أبت.

صفق - بتشديد الفاء: عدل.

يين - بتحتانيتين الأولى مفتوحة و الثانية ساكنة و آخره نون. و ضبطه الصغانى بفتحهما:

واد من أودية المدينة.

صخيرات- بضم الصاد المهملة و بالخاء المعجمة المفتوحة و سكون التحتية جمع صخرة بالتصغير.

الثمام- بئاء مثلثة مضمومة، و رواه المغاربة بالمشاء الفوقية.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢

السيالة- كسحابة: مكان على ثلاثين ميلا من المدينة.

أغذ السير يغذه إغذاذا- بغين و ذال معجمتين: أى أسرع.

غران- بضم الغين المعجمة و تخفيف الراء و آخره نون: وادى الأزرق.

يدعهمهم: يخوفهم.

قافلا: راجعا.

آثبون: راجعون و عثاء السفر- بالمثلثة: مشقته.

الكآبة: الحزن.

تناظروا: أى انتظر بعضهم بعضا.

العصب- بضم العين و فتح الصاد المهملتين: و آخره موحدة: الجماعات.

السرعان- بفتح السين و الراء المهملتين، أول القوم.

الشرب- بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة: الطريق، و بكسر السين: النفس.

الزوع: الفزع.

طحون: كثيفه تطحن كل ما تمر به.

المجرّة- هنا مجرّة السماء، و هى البياض المستطيل بين النجوم.

الفيلق: الكتيبة الشديدة. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ٣٢ تنبيهات ص : ٣٠

وبار: جمع وبر، دويبة على قدر الهزّ تشبه بها العرب الضعفاء.

الشعاب: جمع شعب و هو المنخفض بين الجبلين.

الحجان- بحاء مهملة فجيم فألف فنون: المعوج، و الأحجن: المعوج، و من رواه الحجاز بالزاي عنى أرض مكّة و ما يليها، و من رواه

حجار بالراء فهو جمع حجر.

غير ذى متفق: أى ليس له باب يخرج منه، و أصله من التأقفاء، و هو أحد أبواب جحرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الحجر خرج

عليه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣

الباب الثانى و العشرون فى غزوة الحديبية

إشارة

و السبب فى ذلك ما رواه الفريابى، و عبد بن حميد و ابن جرير، و البيهقى عن مجاهد، و عبد بن حميد، و ابن جرير عن قتادة، و ابن

جرير عن ابن زيد، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: أرى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أنه دخل مكّة هو و أصحابه آمنين

محلّقين رؤوسهم و مقصرين، و أنه دخل البيت، و أخذ مفتاحه و عزّف مع المعزّفين.

قال ابن سعد، و محمد بن عمر، و غيرهما: و استنفر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - العرب و من حوله من أهل البوادي من الأعراب، ليخرجوا معه و هو يخشى من قريش للذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت. فأبطأ عليه كثير من الأعراب. قال محمد بن عمر: و قدم عليه بسر - بضم الموحدة و سكون المهملة. و أعجمها ابن إسحاق، و كسر الموحدة - ابن سفيان بن عمرو الخزاعي في ليال بقيت من شوال مسلما، فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - «يا بسر لا تبرح حتى تخرج معنا، فإننا إن شاء الله معتمرون».

فأقام و ابتاع لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بدنا فكان يبعث بها إلى ذي الجدر حتى حضر خروجه، فأمر بها فجلبت إلى المدينة، و سلمها إلى ناجية بن جندب الأسلمي فقدمها إلى ذي الحليفة. و استخلف على المدينة - قال محمد بن عمر، و ابن سعد - ابن أم مكتوم. و قال ابن هشام: و من تبعه: نميلة - بالنون تصغير نملة - بن عبد الله الليثي، و قال البلاذري بعد أن ذكر ابن أم مكتوم و يقال: أبو رهم كلثوم بن الحصين قال: و قوم يقولون: استخلفهم جميعا و كان ابن أم مكتوم على الصلاة.

ذكر خروجه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ -

روى عبد الرزاق، و الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و البخاري و أبو داود، و النسائي، و ابن جرير، و ابن المنذر عن معمر بن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، و ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور - بكسر الميم و سكون السين المهملة - ابن مخزومة - بفتح الميم و سكون الخاء المعجمة، و مروان بن الحكم: أنهما حدثاه و محمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض - قال محمد بن عمر: دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بيته فاغتسل، و لبس ثوبين من نسج صحار، و ركب راحلته القصواء من عند بابه، و خرج بأمر سلمة معه، و أم عماره و أم منيع أسماء بنت عمرو، و أم عامر الأشهلية، و خرج بمن معه من المهاجرين و الأنصار، و من لحق به من العرب لا يشككون في الفتح للرؤيا المذكورة، و ليس معهم سلاح إلا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤

السّيوف في القرب، و ساق قوم الهدى فسار رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - يوم الاثنين لهلال ذي القعدة حتى نزل ذا الحليفة فصلى الظهر، ثم دعا بالبدن - و هي سبعون - فجللت، ثم أشعر منها عدّة و هي موجهاة إلى القبلة في الشق الأيمن، ثم أمر ناجية بن جندب فأشعر ما بقي و قلدهن نعلا نعلا، و أشعر المسلمون بدنهم و قلدوها، و كان معهم مائتا فرس، و بعث - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بسر بن سفيان عينا له، و قدم عباد بن بشر طليعة في عشرين فارسا، و يقال جعل أميرهم سعد بن زيد الأشهلي [(١)].

ذكر إحصائه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ -

ثم صلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - ركعتين، و ركب من باب المسجد بذي الحليفة، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم بالعمرة، ليأمن الناس حربه، و ليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت، و معظما له.

و لفظ تلبية «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك، و الملك لا شريك لك». و أحرم غالب أصحابه، و أم المؤمنين أم سلمة بإحصائه، و منهم من لم يحرم إلا «بالجحفه» و سلك طريق البيداء و مرّ فيما بين مكة و المدينة بالأعراب من بني بكر، و مزينة، و جهينة فاستنفرهم، فتشاغلوا بأموالهم، و قالوا فيما بينهم: يريد محمد يغزو بنا إلى قوم معدّين في الكراع و السّلاح، و إنما محمد، و أصحابه أكله جزور، لن يرجع محمد و أصحابه من سفرهم هذا أبدا، قوم لا سلاح معهم و لا عدد.

ثم قدّم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - ناجية بن جندب بالهدى مع فتيان من أسلم، و معهم هدى المسلمين، و لقي طائفة من بني

نهد فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، و أهدوا له لبنا من نعمهم، فقال: «لا أقبل هديّة مشرك»

فابتاعه المسلمون منهم، و ابتاعوا منهم ثلاثة أضب فأكل قوم أحله

و سأل المحرمون رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - عنها فقال: «كلوا فكل صيد البرّ لكم حلال في الإحرام تأكلونه إلّا ما صدتم أو صيد لكم».

و عطب من ناجية بن جندب بعير من الهدى، فجاء بالأبواء إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - و أخبره، فقال: «انحره و اصبغ قلانده في دمه، و لا تأكل أنت و لا أحد من أهل رفقتك منه، و خلّ بين الناس و بينه» [(٢)].

ذكر حديث أبي قتادة و الصعب بن جثامة و بعض من اهدى له

روى الإمام مالك و السيّئة عن أبي قتادة رضى الله عنه - قال: كنت يوما جالسا مع رجال من أصحاب النّبي - صَلَّى الله عليه و سلّم - أمامنا، و القوم محرمون و أنا غير محرم عام الحديبية، فأبصروا حمارا

[(١)] أخرجه البخارى ٥٠٩ / ٧ (٤١٥٧، ٤١٥٨).

[(٢)] أخرجه أحمد في المسند ١٨٧ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٥

وحشيا - و أنا مشغول أخصف نعلى - فلم يؤذنونى، و أحبوا لو أنى أبصرته، و فى رواية فرأيت أصحابى يتراءون شيئا، و فى رواية: يضحك بعضهم إلى بعض، فنظرت فإذا حمار وحشى فقلت إلى فرسى فأسرجته، ثم ركبت و نسيت السوط و الرّمح، فقلت لهم: ناولونى السوط و الرّمح، قالوا: و الله لا نعينك عليه، فغضبت فنزلت فأخذتهما، ثم ركبت فشددت على الحمار فعفرته، ثم جئت به و قد مات فوقوعا فيه يأكلونه، ثم إنهم شكّوا فى أكلهم إياه و هم حرم، فرحنا و خبّأت لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - العضد معى، فأدر كنا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - فسألناه عن ذلك

فقال لهم: هل منكم أحد أمره أن يحمل عليه أو أشار إليه؟ قالوا: لا، فقال: «كلوا ما بقى من لحمه إنما هى طعمة أطعمكموها الله، هو حلال، هل معكم منه شىء؟ فقلت نعم، فناولته العضد فأكلها و هو محرم» [(١)].

و روى الإمام مالك و الشيخان و الترمذى و النسائى عن الصعب بن جثامة - رضى الله عنه - أنه أهدى لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - حمارا وحشيا و هو بالأبواء أو بوذان فردّه عليه، فلما رأى ما فى وجهه قال: إننا لم نردّه عليك إلا أنا حرم» [(٢)].

و أهدى له إيماء بن رحضة الغفارى مع ابنه خفاف بن إيماء - رضى الله عنه - مائة شاء و بعيرين يحملان لبنا، فقال: «بارك الله فيكم» و فرق ذلك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - و أهدى له بعض الأعراب من ودان معيشا و عترا و ضغاييس [(٣)] فجعل يأكل الضغاييس و العتر و أعجبه، و أدخل على أم سلمة منه، و جعل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - يعجبه هذه الهدية، و يرى أصحابه أنّها طريفة.

ذكر أمره كعب بن عجرة بخلق رأسه لعذر

روى الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و الشيخان و الترمذى، و ابن جرير، و الطبرانى عن كعب بن عجرة [(٤)] - رضى الله تعالى عنه - قال: «كنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - بالحديبية و نحن محرمون - قد حصرنا المشركون، و كانت لى و قرّة فجعلت الهوام

تَسَاقَطَ عَلَيَّ وَجْهِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «أَيُّ ذِيكَ هُوَ أُمَّ رَأْسِكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ هَذَا!!» فَأَمَرَنِي أَنْ أَحْلُقَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ الْآيَةَ: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ [البقرة ١٩٦] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

[١] [البخارى ٢٩ / ٤ (١٨٢٤) و مسلم ٨٥٤ / ٢ (١١٩٦ / ٦٠)].

[٢] [أخرجه البخارى ٣١ / ٤ (١٨٢٥) (٢٥٧٣)، و مسلم ٨٥٠ / ٢ (١١٩٣ / ٥٠)].

[٣] [الضعائيب جمع ضغبوس و هو صغار القثاء، انظر ترتيب القاموس ٢٨ / ٣].

[٤] [كعب بن عجرة بن أمية بن عدى بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن عوف ابن غنم بن سواد بن مرة بن أرشع بن عامر بن عبيلة بن قسيميل بن فران بن بلي بن عمرو ابن الحارث بن قضاعة القضاعى البلوى حليف القواقل أبو محمد المدني. روى سبعة و أربعين حديثا اتفاقا على حديثين، و انفرد (م) بمثلهما. و عنه بنوه محمد، و إسحاق، و عبد الملك. قال خليفة: مات سنة إحدى و خمسين. الخلاصة ٢ / ٣٦٥، ٣٦٦].

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستته مساكين أو انسك ما تيسر لك».

و لما بلغ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الجحفة أمر بشجرة فقم ما تحتها، فخطب الناس فقال:

«إني كائن لكم فرطا، و قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا أبدا، كتاب الله و سنه نبيه» - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

[١]

ذكر بلوغ خبر خروج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المشركين

روى الخرائطى فى الهوائى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما توجه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يريد مكة عام الحديبية، قدم عليه بشر - بكسر الموحدة و المعجمة - بن سفيان العتكى، فقال له: «يا بشر هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيرى؟»

فقال بأبى أنت و أمى يا رسول الله إني لأطوف بالبيت فى ليلة كذا و قريش فى أنديتها، إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبى قبيس - ليلة أمر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمسير بصوت أسمع أهل مكة:

هيو لصاحبكم مثلى صحابته سيروا إليه و كونوا معشرا كرما

بعد الطواف و بعد السعى فى مهل و أن يحوزهم من مكة الحرما

شاهت و جوهكم من معشر تكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما فارتجت مكة، و اجتمع المشركون، و تعاقدوا ألا يدخل عليهم بمكة فى عامهم هذا، فبلغ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

فقال: «هذا الهاتف سلفع. شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله - تعالى - إن شاء الله عز و جل»

فبينما هم كذلك إذ سمعوا من أعلى الجبل صوتا و هو يقول:

شاهت و جوه رجال حالقوا صنماو خاب سعيهم ما قصر الهمما

إنى قتلت عدو الله سلفعه شيطان أو ثانكم سحقا لمن ظلما

و قد أتاكم رسول الله فى نفرو كلهم محرم لا - يسفكون دما قالوا: و لما بلغ المشركين خروج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

راعهم ذلك فاجتمعوا و تشاوروا فقالوا:

أ يريد محمد أن يدخلها علينا في جنوده معتمرا فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة، و بيننا وبينه من الحرب ما بيننا؟! و الله لا كان هذا أبدا و منا عين تطرف.

ثم قدموا خالد بن الوليد في مائتي فارس إلى كراع الغميم، و استنفروا من أطاعهم من الأحابيش، و أجلبت ثقيف معهم و خرجوا إلى بلدح، و ضربوا بها القباب و الأبنية، و معهم النساء و الصبيان، فعسكروا هناك، و أجمعوا على منع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من دخول مكة و محاربتة، و وضعوا العيون على الجبال، و هم عشرة أنفس يوحى بعضهم إلى بعض الصوت الخفى فعل

[(١)] أخرجه البخارى ١٢ / ٤ (١٨١٤، ١٨١٥)، و مسلم ٨٦١ / ٢ (٨٣ / ١٢٠١).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧

محمد كذا و كذا، حتى ينتهى إلى قريش ببلدح و رجع بشر بن سفيان [(١)] الذى بعثه عينا له من مكة و قد علم خبر مكة و القوم، فلقى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بغدير الأشطاط [(٢)] وراء عسفان فقال:

يا رسول الله!! هذه قريش سمعت بمسيرك، فخرجوا و معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود التمر، و قد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدمها إلى كراع الغميم،

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم: «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ما ذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، و إن أظهرنى الله تعالى عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة، فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله تعالى به حتى يظهره الله - تعالى - أو تنفرد هذه السالفه».

ذكر مشاورته - صلى الله عليه و سلم - و صلاته صلاة الخوف

ثم قام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى المسلمين فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

«أما بعد: يا معشر المسلمين أشيروا على أ ترون أن نميل إلى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبيهم» و قال: «فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين و إن يأتونا تكن عنقا. و فى لفظ: عينا - قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقال أبو بكر - رضى الله عنه -: الله و رسوله أعلم، يا رسول الله إنما جئنا معتمرين و لم نجئ لقتال أحد، و نرى أن نمضى لوجهنا، فمن صدنا عن البيت قاتلناه، و وافقه على ذلك أسيد بن الحضير.

و روى ابن أبى شيبه عن هشام بن عروة عن أبيه و محمد بن عمر عن شيوخه. أن المقداد بن الأسود - رضى الله عنه - قال بعد كلام أبى بكر: إنا و الله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون» انتهى.

[(١)] (بشر) بن سفيان العتكى ... ذكر الخرائطى فى الهواتف من طريق عبد الله بن العلاء عن الزهرى عن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يريد مكة فى عام الحديبية قدم عليه بشر بن سفيان العتكى فسلم عليه فقال له يا بشر هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيرى فقال بأبى أنت و أمى يا رسول الله إني لأطوف بالبيت فى ليلة كذا و سعى الليلة التى أنشئوا لها السفر و قريش فى أنديتها إذ صرخ صارخ فى أعلى أبى قبيس بصوت أسمع قاصيهم و دانيهم يقول سيروا فصاحبكم قد سار نحوكم سيروا إليه و كونوا معشرا كرما فذكر أبياتا فارتجت مكة و اجتمعوا عند الكعبة فتحالفوا و تعاهدوا أن لا تدخلها عليهم فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم هذا شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله ثم ذكر إرساله إلى مكة يتجسس أخبارهم و ذكر بقیة القصة، الإصابة ١ / ١٥٦.

[(٢)] غدير الأشتاط: اسم موضع قريب من عسفان، انظر مراصد الإطلاع ١ / ٨١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨

فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «فسيروا على اسم الله».

و دنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و أصحابه فصف خيله فيما بين رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و بين القبلة - فأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عباد بن بشر - رضى الله عنه - فتقدم فى خيله، فقام بإزائه، فصف أصحابه، و حانت صلاة الظهر، فأذن بلال، و أقام، فاستقبل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم القبلة - و صف الناس خلفه، فرجع بهم ركعة و سجد، ثم سلم، فقاموا على ما كانوا عليه من التعبئة. فقال خالد بن الوليد: قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم و لكن تأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب إليهم من أنفسهم و أبنائهم، فنزل جبريل بين الظهر و العصر بهذه الآية: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا آسِيحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ آسِيحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ آسِيحَتِكُمْ وَ آمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً، وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا آسِيحَتِكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً [النساء ١٠٢] فحانت صلاة العصر، فصلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صلاة الخوف، و ستأتى كيفيتها فى أبواب صلواته - صَلَّى الله عليه و سلم.

ذكر مسير رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى الحديبية من غير طريق خالد بن الوليد و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى البزار بسند رجاله ثقات عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - مختصراً، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: لما أمسى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: «تيامنوا فى هذا العصل و فى رواية اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحمض، فإن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة» كره رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يلقاه و كان بهم رحيماً، فقال: «تيامنوا فأيكم يعرف» ثنية ذات الحنظل؟ فقال بريدة بن الحصيب: بحاء مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين فتحته فموحدة مهملتين فتحته - الأسلمى: أنا يا رسول الله عالم بها، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -:

«اسلك أماننا»

فأخذ بريدة فى العصل - قبل جبال سراوع قبل المغرب، فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقره الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، فسلك بريدة بهم طريقاً وعراً أجرل [(١)] بين شعاب، و سار قليلاً - تنكبه الحجارة و تعلقه الشجر، و صار حتى كأنه لم يعرفهما قط. قال: فو الله إنى كنت أسلكها فى الجمعة مراراً، فنزل حمزة بن عمرو الأسلمى، فسار بهم قليلاً، ثم سقط فى خمر الشجر فلا يدرى أين يتوجه، فنزل عمرو بن عبدنهم الأسلمى فانطلق

[(١)] أجرل: الجبل الحجارة و قيل الشجر مع الحجارة، انظر لسان العرب ١ / ٦٠٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩

أمامهم

حتى نظر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى الثنية، فقال: هذه ثنية ذات الحنظل؟

فقال عمرو:

نعم يا رسول الله، فلما وقف به على رأسها تحدر به، قال عمرو: فو الله إن كان لتهمنى نفسى وحدها إنما كانت مثل الشراك فاتسعت لى حين برزت، فكانت فجاجة لاجبة و لقد كان الناس تلك الليلة يسرون جميعاً معطفين من سعتها يتحدثون، و أضاءت تلك الليلة حتى كأنها فى قمر [(١)].

و روى مسلم عن جابر مختصراً، و أبو نعيم عن أبي سعيد، و ابن إسحاق عن الزهري، و محمد بن عمر عن شيوخه. قال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان سرنا من آخر الليل حتى أقبلنا على «عقبه ذات الحنظل» قال جابر: فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من يصعد ثنية الممر فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل، فكان أول من صعد خيل من الخزرج، ثم تبادر الناس بعد.

و قال أبو سعيد فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مثل هذه الثنية الليلة كمثل الباب الذي قال الله تعالى لبني إسرائيل واذخلوا الباب سجداً و قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم» [البقرة ٥٨]

و قال ابن إسحاق: إن المسلمين لما أن خرجوا من الأرض الصعبة و أفضوا إلى أرض سهلة، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قولوا نستغفر الله و نتوب إليه». فقالوا ذلك، فقال: «و الله إنها للحطبة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها» قال أبو سعيد: ثم قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «لا يجوز هذه الثنية الليلة أحد إلا غفر له» فلما هبطنا نزلنا فقلت يا رسول الله نخشى أن ترى قريش نيراننا، فقال: لن يروكم، فلما أصبحنا صلى بنا صلاة الصبح، ثم قال: «و الذي نفسى بيده لقد غفر للركب أجمعين إلا رويكبا واحدا على جمل أحمر التقت عليه رحال القوم ليس منهم، و قال جابر: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر».

قال أبو سعيد: فطلب في العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، و الرجل من بني ضمرة من أهل سيف البحر يظن أنه من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقيل لسعيد: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: كذا و كذا، فقال له سعيد: ويحك!! اذهب إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستغفر لك [(٢)].

و قال جابر: فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: و الله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. و قال أبو سعيد: فقال بعيرى و الله أهم من أن يستغفر

[(١)] ذكره الحافظ ابن كثير في البداية و النهاية ١٦٥ / ٤.

[(٢)] مسلم في صفات المنافقين رقم (١٢) و البيهقي في دلائل النبوة ١٠٩ / ٤ و ذكر ابن كثير في التفسير ٣١٨ / ٧ و صاحب الجمل المنافق الجدين قيس.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠

لى، إذا هو قد أضل بعيرا له، فانطلق يطلب بعيره بعد أن استبرأ العسكر و طلبه فيهم، فبينما هو فى جبال سراوع إذ زلقت به نعله فتردى فمات، فما علم به حتى أكلته السباع، قال أبو سعيد:

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يومئذ: «سيأتيكم أهل اليمن كأنهم قطع السحاب. هم خير أهل الأرض».

ذكر نزول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالحديبية و ما وقع فى ذلك من الآيات

قال مسور بن مخزوم، و مروان بن الحكم: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سار فلما دنا من الحديبية وقعت يدا راحلته على ثنية تهبط فى غائط القوم، فبركت به راحلته، فقال، و فى رواية: فقال الناس «حل حل» فأبت أن تنبعث و ألحت، فقال المسلمون: خلأت القصواء،

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ما خلأت القصواء و ما ذاك لها بعادة، و فى لفظ: بخلق، و لكن حبسها حابس الفيل عن مكة» ثم قال: «و الذى نفس محمد بيده لا يسألونى اليوم حطة فيها تعظيم حرمان الله تعالى إلا أعطيتهم إياها»

ثم زجرها فقامت، فولّى راجعا عوده على بدئه. و فى رواية فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمذ [(١)] من ثماد الحديدية ظنون [(٢)] قليل الماء يتبرّض [(٣)] النَّاس ماءه تبرّضا، فلم يلبثه النَّاس حتى نزحوه، فاشتكى الناس إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَلَمَ الماء، و فى لفظ «العطش» فانترع سهما من كنانته فأمر به فغرز فى الماء فجاشت بالزّواء حتّى صدروا عنها بعطن [(٤)] قال المسور: و إنهم ليغترفون بأنيتهم جلوسا على شفير البئر.

قال محمد بن عمر: و الذى نزل بالسهم ناجية بن الأعجم - رجل من أسلم، و يقال:

ناجية بن جندب و هو سائق بدن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و قد روى أن جاريته من الأنصار قالت لناجية و هو فى القلب:

يا أيها الماتح دلوى دونكا إني رأيت النَّاس يحمدونكا

يشنون خيرا و يمجدونكا

فقال ناجية و هو فى القلب:

قد علمت جاريته يمانيه أنى أنا الماتح و اسمى ناجية

[(١)] ثمذ الماء ثمدا: قل، انظر المعجم الوسيط ١ / ١٠٠.

[(٢)] الظنون: البئر لا يدرى فيها ماء أم لا، انظر الصحاح ٦ / ٢١٦٠.

[(٣)] تبرّض: يقال: يتبرّض الماء من العين إذا خرج و هو قليل، انظر الصحاح ٣ / ١٠٦٦.

[(٤)] العطن: مبرك الإبل، انظر المعجم الوسيط ٢ / ٦١٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٤١ و طعنة ذات رشاش واهيه طعنتها تحت صدور العادية

قال محمد بن عمر: حدثنى الهيثم بن واقد عن عطاء بن مروان عن أبيه قال: حدثنى أربعة عشر رجلا ممّن أسلم من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه ناجية بن الأعجم، يقول: دعانى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين شكى إليه قَلَمَ الماء فأخرج سهما من كنانته، و دفعه إليّ، و دعا بدلو من ماء البئر فجثته به، فتوضأ فمضمض فاه، ثم مَجَّ فى الدلو - و النَّاس فى حرّ شديد - و إنما هى بئر واحدة قد سبق المشركون إلى بلدح فغلبوا على مياهه فقال: «انزل بالدلو فصبها فى البئر و أثر ماءها بالسهم» ففعلت،

فو الذى بعته بالحق ما كدت أخرج حتى يعمرنى و فارت كما تفور القدر، حتى طمّت و استوت بشفيرها، يغترفون من جانبها حتى نهلوا من آخرهم. و على الماء يومئذ نفر من المنافقين، منهم عبد الله بن أبى، فقال أوس بن خولى: ويحك يا أبا الحباب!! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شيء؟ فقال: إني قد رأيت مثل هذا. فقال أوس:

تَبْحَكُ اللهُ و قَبِحَ رَأْيِكَ فَأَقْبَلَ ابْنَ أَبِي يَرِيدَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقال «يا أبا الحباب: أنى رأيت مثلما رأيت اليوم»؟ فقال: ما رأيت مثله قط. قال: «فلم قلته»؟ فقال ابن أبى: يا رسول الله استغفر لى،

فقال ابنه عبد الله بن عبد الله - رضى الله عنه - يا رسول الله استغفر له، فاستغفر له [(١)].

و روى ابن إسحاق، و محمد بن عمر، عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال: أنا نزلت بالسهم. و الله أعلم.

قصة أخرى: روى الإمام أحمد، و البخارى، و الطبرانى، و الحاكم فى الإكليل، و أبو نعيم عن البراء بن عازب، و مسلم عن سلمة بن الأ-كوع، و أبو نعيم عن ابن عباس، و البيهقى عن عروة، قال البراء: كنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالحديبية أربع عشرة مائة، و الحديدية: بئر فقد مناها و عليها خمسون شاء ما ترويه فتبرضها فلم نترك فيها قطرة، قال ابن عباس: و كان الحرّ شديدا، فشكا النَّاس العطش، فبلغ ذلك النَّبى - عليه الصلاة و السلام - فأتاه فجلس على شفيرها، ثم دعا «بإناء» و فى لفظ «بدلو» فتوضأ فى الدلو، ثم مضمض و دعا، ثم صبّه فيها، فتر كناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن و ركابنا. قال البراء: و لقد رأيت آخرنا أخرج بثوب خشية الغرق حتى جرت نهرا [(٢)].

و قال ابن عباس و عروة ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها و هم جلوس على شفيرها.

[(١)] انظر تفسير الطبرى ١٧٧ / ٦ و ابن كثير ٣ / ١٢٥.

[(٢)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٠٥ (٤١٥٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢

قصة أخرى: روى البخارى فى المغازى و فى الأشربة، عن جابر بن عبد الله، عن سلمة ابن الأكوع- رضى الله عنهما- قال: عطش الناس يوم الحديبية و رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بين يديه ركوة،

و قال جابر فى روايته: و قد حضر العصر، و ليس معنا ماء غير فضلة، فجعل فى إناء فأتى به رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به، و لا نشرب إلا- ما فى ركوتك فأفرغتها فى قدح، و وضع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يده فى القدح، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا و توضأنا،

فقال سالم بن أبى الجعد: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كننا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. [(١)]

ذكر نزول المطر فى تلك الأيام و ما قاله رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى صبيحة المطر

روى الشيخان و أبو عوانة، و البيهقى عن زيد بن خالد- رضى الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى بنا النبى- صلى الله عليه و سلم- الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: أ تدرؤن ما ذا قال ربكم؟ قلنا: الله و رسوله أعلم: قال: قال الله عز و جل:

«أصبح من عبادى مؤمن و كافر، فأما المؤمن من قال: مطرنا برحمة الله و بفضل الله فهو مؤمن بى و كافر بالكواكب، و أما من قال مطرنا بنجم كذا- و فى روايته: بنوء كذا و كذا- فهو مؤمن بالكواكب كافر بى».

[(٢)]

قال محمد بن عمر: و كان ابن أبى بن سلول قال: هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى.

و روى ابن سعد عن أبى المليح عن أبيه قال: أصابنا يوم الحديبية مطر لم يبيل أسافل نعالنا، فنادى منادى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أن صلوا فى رحالكم.

و أهدى عمرو بن سالم و بسر بن سفيان الخزاعيان- رضى الله عنهما- بالحديبية لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- غنما و جزورا، و أهدى عمرو بن سالم لسعد بن عباد- رضى الله عنه- جزرا- و كان صديقا له- فجاء سعد بالجزر إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و أخبره أن عمرا أهداها له، فقال: «و عمرو قد أهدى لنا ما ترى، فبارك الله فى عمرو» ثم أمر بالجزر تنحر و تقسم فى أصحابه، و فرق الغنم فيهم من آخرها

و شرك فيها فدخل على أم سلمة من لحم الجزور كنعو ما دخل على رجل من القوم، و شرك رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى شاته، فدخل على أم سلمة بعضها، و أمر- صلى الله عليه و سلم- للذى جاء بالهدية بكسوة.

[(١)] أخرجه البخارى فى المصدر السابقة (٤١٥٢).

[(٢)] أخرجه البخارى ٥ / ٢٥٩ (٤١٤٧) و أخرجه مسلم فى الإيمان (١٢٥) و البيهقى فى دلائل النبوة ٤ / ١٣١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣

ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعي و رسل قريش على رسول الله صلى الله عليه و سلم

لما اطمأن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالحديبية: جاءه بديل بن ورقاء - و أسلم بعد ذلك - في رجال من خزاعة، منهم: عمرو بن سالم، و خراش بن أمية و خارجة بن كرز، و يزيد بن أمية و كانوا عيبة نصح لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - بتهامة، منهم المسلم و منهم الموادع. لا يخفون عنه بتهامة شيئا. فلما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - سلموا، فقال بديل بن ورقاء: جنناك من عند قومك، كعب بن لؤي، و عامر بن لؤي، قد استنفروا لك الأحابيش و من أطاعهم، قد نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل و النساء و الصبيان، يقسمون بالله لا يخلون بينك و بين البيت حتى تبيد خضراؤهم،

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «إنا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه، إن قريشا قد أضرت بهم الحرب و نهكتهم فإن شاءوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، و يخلون فيما بيننا و بين الناس، - و الناس أكثر منهم - فإن أصابوني فذلك الذي أرادوا و إن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا و قد جموا، و إن هم أبو فو الله لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي و لينفذن الله تعالى أمره».

فوعى بديل مقالة رسول الله و قال: سأبلغهم ما تقول، و عاد و ركبته إلى قريش، فقال ناس منهم: هذا بديل و أصحابه، و إنما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد، فلما رأى بديل أنهم لا يستخبرونه قال: إنا جئنا من عند محمد، أ تحبون أن نخبركم عنه؟ فقال عكرمة بن أبي جهل، و الحكم بن العاص - و أسلما بعد ذلك - مالنا حاجة بأن تخبرونا عنه، و لكن أخبروه عنا أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل، فأشار عليهم عروة بن مسعود الثقفي - و أسلم بعد ذلك - بأن يسمعوا كلام بديل فإن أعجبهم قبلوه و إلا تركوه، فقال صفوان ابن أمية و الحارث بن هشام - و أسلما بعد ذلك - أخبرونا بالذي رأيتم و سمعتم، فقال بديل لهم: إنكم تعجلون على محمد - صلى الله عليه و سلم - إنه لم يأت لقتال إنما جاء معتمرا و أخبرهم بمقالة النبي - عليه الصلاة و السلام - فقال عروة: يا معشر قريش أ تتهمونني؟ قالوا: لا.

قال: أ لستم بالوالد! قالوا: بلى. قال: أ لست بالولد؟ قالوا: بلى و كان عروة لسبيعة بنت عبد شمس القرشية. قال: «أ لستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ لنصركم فلما تبّلحوا على نفرت إليكم بنفسى و ولدى و من أطاعني؟ قالوا: قد فعلت، ما أنت عندنا بمتهم. قال: إني لكم ناصح، و عليكم شفيق، لا أدخر عنكم نصحا، فإن بديلا قد جاءكم خطه رشد لا يردها أحد أبدا إلا أحد شر منها. فاقبلوها منه، و ابعثوني حتى آتيكم بمصدقها من عنده، و أنظر إلى من

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤

معه، و أكون لكم عينا آتيكم بخبره، فبعثته قريش إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فجاء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: يا محمد، تركت كعب ابن لؤي و عامر بن لؤي على أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل قد استنفروا لك الأحابيش و من أطاعهم، قد لبسوا جلود الثمور، و هم يقسمون بالله لا يخلون بينك و بين البيت حتى تجتاحهم، و إنما أنت و من قاتلهم بين أحد أمرين أن تجتاح قومك و لم يسمع برجل اجتاح قومه و أهله قبلك. أو بين أن يخذلك من ترى معك، و إني و الله لا أرى معك وجوها و إني لا أرى إلا أوباشا، و فى رواية: فإني لأرى أشوبا [(١)] من الناس، لا أعرف وجوههم و لا أنسابهم، و خليقا أن يفروا و يدعوك. و فى رواية: و كآنى بهم لو قد لقيت قريشا أسلموك فتؤخذ أسيرا، فأى شيء أشد عليك من هذا؟ فغضب أبو بكر - و كان قاعدا خلف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: أمص بظر اللات، أن نحن نخذله أو نفر عنه؟! فقال عروة: من ذا؟ قالوا: أبا بكر. فقال عروة: أما و الله لو لا يد لك عندى لم أجزك بها لأجيبك.

و كان عروة قد استعان فى حمل دية فأعانه الرجل بالفريضتين و الثلاث، و أعانه أبو بكر بعشر فرائض فكانت هذه يد أبى بكر عند عروة، و طفق عروة كلما كلم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مسّ لحيه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و المغيرة ابن شعبه قائم

على رأس رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسيف، - على وجهه المغفر - لما قدم عروء لبسها، فطفق المغيرة كلما أهوى عروء بيده ليمسّ لحيه النبي - عليه الصلاة والسلام - يقرع يده بنعل السيف و يقول: أكفف يدك عن مسّ لحيه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل ألّا تصل إليك، فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه. فلما أكثر عليه غضب عروء و قال: ويحك!! ما أفضّك و أغلظك! و قال: ليت شعري!! من هذا الذي آذاني من بين أصحابك؟! و الله لا أحسب فيكم ألام منه و لا أشتر منزلة.

فتبسّم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه»

فقال عروء: و أنت بذلك يا غدر، و الله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ إلّا أمس، لقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر - و سيأتي في ترجمة المغيرة بيان هذه الغدره.

و جعل عروء يرمق أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعينه، فو الله ما ينتخم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، و إذا توضع كادوا يقتتلوا على وضوئه، و لا يسقط شيء من شعره إلّا أخذوه، و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحدّون النظر إليه، تعظيما له.

فلما فرغ عروء من كلام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ردّ عليه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثل ما قال لبدليل بن ورقاء و كما عرض عليهم من المدة. فأتى عروء قريشا، فقال: يا قوم إني وفدت إلى

[(١)] الأوشاب الأوباش، و الأخلاط من الناس، انظر المعجم الوسيط ٢ / ١٠٤٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥

الملوك: كسرى و قيصر و النجاشى و إني و الله ما رأيت ملكا قط أطوع فيما بين ظهرائيه من محمد فى أصحابه، و الله إن رأيت ملكا قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمدا، و ليس بملك و الله ما تنخم نخامة إلّا وقعت فى كفّ رجل منهم فدلّك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، و إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه أيهم يظفر منه بشيء، و لا يسقط شيء من شعره إلّا أخذوه، و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحدّون النظر إليه تعظيما له، و لا يتكلم رجل منهم حتى يستأذن، فإن هو أذن له تكلم، و إن لم يأذن له سكت، و قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، قد حرزت القوم، و اعلموا أنكم إن أردتم منهم السيف بذلوه لكم، و قد رأيت قوما لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعتهم صاحبهم، و الله لقد رأيت معه نساء ما كنّ ليسلمنه أبدا على حال، فروا رأيكم فأتوه يا قوم، و اقبلوا ما عرض عليكم، فإني لكم ناصح، مع أنى أخاف أن لا تنصروا على رجل أتى زائرا لهذا البيت معظما له، معه الهدى ينحره و ينصرف، فقالت قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، أو غيرك تكلم بهذا؟ و لكن نردّه عامنا هذا، و يرجع إلى قابل، فقال: ما أراكم تصيبكم قارعة. فانصرف هو و من تبعه إلى الطائف.

فقام الحليس و هو بمهملتين - مصرّ - ابن علقمة الكناني و كان من رؤوس الأحابيش و لا أعلم له إسلاما فقال: دعونى آتية. فقالوا: آتته. فلما أشرف على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «هذا فلان من قوم يعظّمون البدن و فى لفظ «الهدى، و يتألّهون، فابعثوها له» فبعثت له، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى عليها قلائدها، قد أكلت أوبارها من طول الحبس، ترجع الحنين، و استقبله الناس يلتون قد أقاموا نصف شهر، و قد تفلوا و شعثوا، صاح و قال: سبحان الله «ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت أبى الله أن تحجّ لحم و جذام و كنده و حمير و يمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريش و ربّ الكعبة. إن القوم إنما أتوا عمّارا، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أجل يا أبا بنى كنانة».

و ذكر ابن إسحاق و محمد بن عمر، و ابن سعد: أنه لم يصل إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما رأى ذلك إعظاما لما رأى فيحتمل أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خاطبه من بعد، فرجع إلى قريش فقال: إني رأيت ما لا يحلّ منعه، رأيت الهدى فى

قلائده قد أكل أوباره معكوكا عن محلّه و الرّجال قد تفلوا و قملوا أن يطوفوا بهذا البيت، و الله ما على هذا حالناكم، و لا عاقدناكم، على أن تصدوا عن البيت من جاءه معظما لحرمة مؤدّيا لحقه. و ساق الهدى معكوكا أن يبلغ محلّه. و الذى نفسى بيده لتخلنّ بينه و بين ما جاء له، أو لأنفرت بالأحاييش نفره رجل واحد.

فقالوا: كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، و فى لفظ اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، كلّ ما رأيت من محمد مكيدة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمقى، ج ٥، ص: ٤٦

فقام مكرز بكسر الميم، و سكون الكاف، و فتح الرءاء، بعدها زاي، ابن حفص. فقال: دعونى آته.

فلما طلع و رآه رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - قال: «هذا رجل غادر»

و فى لفظ «فاجر» فلما انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - كلمه بنحو ما كلم به بديلا و عروء، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم بما ردّ عليه رسول الله - صلى الله عليه و سلّم -

ذكر إرساله - صلى الله عليه و سلّم - خراش بن أمية و بعده عثمان بن عفان إلى قريش

قال محمد بن إسحاق و محمد بن عمر و غيرهما: بعث رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - إلى قريش خراش بن أمية على جمل لرسول الله - صلى الله عليه و سلّم - يقال له الثعلب، ليبلغ عنه أشرافهم بما جاء له، فعفر عكرمة بن أبى جهل - و أسلم بعد ذلك - الجمل، و أرادوا قتله فمنعه الأحاييش، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - و لم يكذ فأخبر رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - بما لقي.

و روى البيهقي عن عروء قال: لما نزل رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - الحديبية فرعت قريش لنزوله إليهم، فأحبّ أن يبعث إليهم رجلا - من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى قريش، فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى و قد عرفت قريش عداوتى لها، و ليس بها من بنى عدى من يمنعى، و إن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم. فلم يقل له رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - شيئا، فقال عمر: يا رسول الله و لكنى أدلك على رجل أعزّ بمكة منى، و أكثر عشيرة و أمتع، و أنه يبلغ لك ما أردت، عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - عثمان فقال: «أذهب إلى قريش و أخبرهم أنّا لم نأت لقتال و إنّما جئنا عمّارا، و ادعهم إلى الإسلام».

و أمره أن يأتى رجلا بمكة مؤمنين و نساء مؤمنات فيدخل عليهم و يبشّرههم بالفتح، و يخبرهم أنّ الله تعالى - وشيكا أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان. فانطلق عثمان إلى قريش فمرّ عليهم ببلد فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثنى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - إليكم لأدعوكم إلى الإسلام، و إلى الله جلّ ثناؤه، و تدخلون فى الدين كافة، فإن الله - تعالى - مظهر دينه و معزّ نبيّه، و أخرى: تكفون و يكون الذى يلى هذا الأمر منه غيركم، فإن ظفر برسول الله - صلى الله عليه و سلّم - فذلك ما أردتم، و إن ظفر كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا و أنتم و افرون جامون. إن الحرب قد نهكتكم و أذهبت الأمان منكم. و أخرى: إنّ رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - يخبركم أنّه لم يأت لقتال أحد، إنّما جاء معتمرا، معه الهدى، عليه القلائد ينحره و ينصرف.]

[(١)]

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، و لا كان هذا أبدا، و لا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنّه لا يصل إلينا.

[(١)] أخرجه ابن سعد ٢ / ١ / ٧٠ و البيهقي في الدلائل ٤ / ١٣٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٧

و لقيه أبان بن سعيد [(١)] - و أسلم بعد ذلك، فرحب به أبان و أجاره، و قال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه فحمل عثمان على السرج و ردف وراءه و قال:

أقبل و أدبر لا- تخف أحدابنو سعيد أعزة الحرم فدخل به مكة، فأتى عثمان أشراف قريش - رجلا رجلا- فجعلوا يردون عليه: إن محمدا لا يدخلها علينا أبدا، و دخل على قوم مؤمنين من رجال و نساء مستضعفين بمكة فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقول: قد أظلكم حتى لا يستخفى بمكة اليوم بالإيمان، ففرحوا بذلك، و قالوا: اقرأ على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - السلام.

و لمّا فرغ عثمان من رسالته رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى قريش قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أقام عثمان بمكة ثلاثا يدعو قريشا.

و قال المسلمون- و هم بالحديبية، قبل أن يرجع عثمان-: خلص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به،

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «ما أظنه طاف بالبيت و نحن محصورون»،

و قالوا:

و ما يمنعه يا رسول الله و قد خلص إليه قال: «ذلك ظنّي به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف»، و عند ابن جرير و ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع - مرفوعا - «لو مكث كذا كذا سنة ما طاف حتى أطوف» فلمّا رجع عثمان إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال المسلمون له: اشتفيت من البيت يا أبا عبد الله!! فقال عثمان: بئس ما ظننتم بى! فو الذى نفسى بيده لو مكثت مقيما بها سنة و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و لقد دعتنى قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت. فقالوا: كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أعلمنا و أحسننا ظنا.

و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يأمر أصحابه بالحراسة بالليل، فكانوا ثلاثة يتناوبون الحراسة:

أوس بن خولى - بفتح الخاء المعجمة و الواو - و عباد بن بشر، و محمد بن مسلمة - رضى الله عنهم - و كان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليلة من الليالى، و عثمان بن عفان بمكة. و قد كانت قريش بعثت ليلا خمسين رجلا، عليهم مكرز بن حفص، و أمروهم أن يطوفوا بالنبي - صلى الله عليه و سلم - رجاء أن يصيبوا منهم أحدا، أو يصيبوا منهم غزاة، فأخذهم محمد بن

[(١)] أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ... قال البخارى و أبو حاتم الرازى و ابن حبان له صحبة و كان أبوه من أكابر قريش و له أولاد نجباء أسلم منهم قديما خالد و عمرو فقال فيهما أبان الأبيات المشهورة التى أولها. ألا ليت ميتا بالظريية شاهدلما يفتري فى الدين عمرو و خالد الإصابة ١ / ١٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٨

مسلمة، فجاء بهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أفلت مكرز فخبّر أصحابه و ظهر قول النبى - صلى الله عليه و سلم - كما تقدم أنه رجل غادر، و كان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هم: كرز بن جابر الفهري، و عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، و عبد الله بن حذافة السهمى، و أبو الزّوم بن عمير العبدري، و عياش بن أبى ربيعة، و هشام ابن العاص بن وائل، و أبو حاطب بن عمرو من عبد شمس و عمير بن وهب الجمحى و حاطب بن أبى بلتعنة، و عبد الله بن أبى أمية. قد دخلوا مكة فى أمان عثمان، و قيل: سرا، فعلم بهم فأخذوا، و بلغ قريشا حبس أصحابهم الذين مسكهم محمد بن مسلمة، فجاء جمع من

قريش إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة، وأسروا المسلمون من المشركين - أيضا - اثني عشر فارسا، وقتل من المسلمين ابن زعيم - وقد أطلع الثنية من الحديدية - فرماه المشركون فقتلوه، وبعث قريش سهيل بن عمرو وحويط بن عبد العزى - وأسلما بعد ذلك، ومكرز بن حفص،

فلما جاء سهيل وراه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال لأصحابه: سهل أمركم

فقال سهيل: يا محمد إن الذي كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل كنا له كارهين حين بلغنا، ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة، والذين أسرت آخر مرة.

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي»،

فقالوا: أنصفتنا، فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشسيم - بشين معجمة مصغر - بن عبد مناف التيمي، فبعثوا بمن كان عندهم: وهم عثمان والعشرة السابق ذكرهم - رضى الله عنهم - وأرسل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصحابهم الذين أسرهم، وقبل وصول عثمان ومن معه بلغ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن عثمان ومن معه قد قتلوا، فكان ذلك حين دعا إلى البيعة.

ذكر مبايعته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ببيعة الرضوان وفضل من بايع

قالوا: لما بلغ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن عثمان قد قتل دعا الناس إلى البيعة، وقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم» وأتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منازل بنى مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من الحديدية، فجلس في رحالهم تحت شجرة خضراء ثم قال: «إن الله - تعالى - أمرني بالبيعة»

فأقبل الناس يبائعونه حتى تداكوا فما بقى لبني مازن متاع إلا وطئ، ثم لبسوا السلاح وهو معهم قليل، وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدت سكينها في وسطها وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع والبيهقي عن عروة، و ابن إسحاق عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال سلمة: بينا نحن قائلون إذ نادى منادى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله» قال

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩

سلمة: «فسرنا إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو تحت شجرة سمره فبايعناه [(١)]».

و فى صحيح مسلم عنه قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع و بايع حتى إذا كان فى وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة» قال: قلت: قد بايعتكم يا رسول الله فى أول الناس [(٢)] قال: «و أيضا» قال: ورأى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عزلا فأعطاني حشفة - أو درقة - ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال: «ألا تبايعنى يا سلمة؟» قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتكم فى أول الناس، وفى وسط الناس، قال: «و أيضا» فبايعته الثالثة، ثم قال لى: «يا سلمة أين حجفتك - أو درقتك - التى أعطيتك؟» قال: قلت: يا رسول الله، لقينى عمى عامر عزلا فأعطيته إيها، قال: فضحك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: إنك كالذى قال الأول: اللهم ابغنى حبيبا هو أحب إلى من نفسى،

و فى صحيح البخارى عنه قال:

بايعت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تحت الشجرة، قيل: على أى شىء كنتم تبايعون قال: على الموت [(٣)]. وفى صحيح البخارى عن نافع قال: إن ابن عمر أسلم قبل أبيه، وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديدية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتى به ليقاتل عليه و رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبايع عند الشجرة و عمر لا يدرى بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس فجاها به إلى عمر و عمر يستلثم للقتال فأخبره أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبايع تحت الشجرة، قال: فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر [(٤)].

وفيه أيضا عن نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الحديبية تفرّقوا في ظلال الشجر فإذا الناس محدقون بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال عمر: يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذهب فوجدهم يبايعونه فبايع، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع [(٥)].

وروى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعه الرضوان مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: نعم. قلت: فما كان عليه؟ قال: قميص من قطن، و جبة محشوة، و رداء و سيف، و رأيت النعمان بن مقرن - بميم مضمومة ففاف مفتوحة فراء مشددة مكسورة - المازني قائم على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه. و في صحيح مسلم عن جابر قال: بايعنا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و عمر أخذ بيده تحت شجرة - و هي سمرة - فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري اختفى تحت بطن بعيره. و عند ابن إسحاق

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٣٦ / ٤.

[(٢)] أخرجه مسلم في الجهاد ١٤٣٤ / ٣ (١٣٢) و أحمد ٥٤ / ٤، و البيهقي في الدلائل ١٣٨ / ٤.

[(٣)] أخرجه البخاري (٤١٦٩) و البيهقي ١٣٨ / ٤.

[(٤)] أخرجه البخاري ٥٢١ / ٧ (٤١٨٦).

[(٥)] البخاري (٤١٨٧) و احمد في المسند ٣٢٤ / ٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٠

عن جابر بن عبد الله: فكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته قد خبا إليها يستتر بها من الناس بايعناه على ألا نفرّ، و لم نبايعه على الموت [(١)].

وفيه - أيضا - عنه: لقد رأيتني يوم الشجرة و النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبايع الناس و أنا رافع غصن من أغصانها عن رأسه و لم نبايعه على الموت و لكن بايعناه على ألا نفرّ.

وروى الطبراني عن ابن عمر، و البيهقي عن الشعبي، و ابن مندة عن زر بن حبیش قالوا: لما دعا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، فقال:

ابسط يدك أبايعك، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «علام تبايعنى» قال: على ما فى نفسك. زاد ابن عمر: فقال النبي: و ما فى نفسى؟ قال: أضرب بسيفى بين يديك حتى يظهر ك الله أو أقتل.

فبايعه، و بايعه الناس على بيعة أبي سنان [(٢)].

وروى البيهقي عن أنس و ابن إسحاق عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: لما أمر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ببيعة الرضوان كان بعث عثمان - رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «اللهم إن عثمان فى حاجتك و حاجة رسولك، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم

[(٣)].

وروى البخاري و ابن مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيعة الرضوان.

فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تحت الشجرة، فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها و علمتموها أنتم، فأنتم أعلم. [(٤)]

و روى ابن سعد بسند جيد عن نافع قال: خرج قوم من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بعد ذلك بأعوام فما عرف أحد منهم الشجرة، و اختلفوا فيها. قال ابن عمر: كانت رحمة من الله.
و روى ابن أبي شيبه فى المصنف و ابن سعد عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التى ببيع تحتها فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر فقطعت.
و روى البخارى و ابن مردويه عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين

[(١)] أخرجه مسلم ٣ / ١٤٨٣ (٢٦٧، ٢٦٨ / ١٨٥٦).

[(٢)] أخرجه ابن أبي شيبه ١٤ / ٨٧، ٦٠٠ و ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٧٤.

[(٣)] أخرجه الدولابى من الكنى ١ / ١٣٣، و الطبرانى فى الكبير ١ / ٤١ و ابن أبي شيبه ١٢ / ٤٦ و الحاكم ٣ / ٩٨ و انظر الدر المنثور ٦ / ٧٤.

[(٤)] أخرجه البخارى ٧ / ٥١٢ (٤١٦٣).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥١

شهدوا ببيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قلت فإن جابر بن عبد الله قال: أربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله توهم، هو حدثنى أنهم كانوا خمس عشرة مائة [(١)].

و روى الشيخان، و ابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفا و ثلاثمائة، و كانت أسلم ثمن المهاجرين [(٢)].

أفاد الواقدي أن أسلم كانت فى الحديدية مائة رجل.

و روى سعيد بن منصور و الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: كنّا يوم الحديدية ألفا و أربعمائة فقال لنا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أنتم خير أهل الأرض» [(٣)].

و روى الإمام أحمد، و أبو داود، و الترمذى عن جابر بن عبد الله، و مسلم عن أم مبشر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» [(٤)].

و روى الإمام أحمد بسند - رجاله ثقات - عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: لما كان يوم الحديدية قال لنا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «لا توقدوا نارا بالليل» فلما كان بعد ذلك قال: «أوقدوا و اصطنعوا فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم و لا مدكم» [(٥)].

فلما نظر سهيل بن عمرو و حويطب بن عبد العزى، و مكرز بن حفص، و من كان معهم من عيون قريش من سرعه الناس إلى البيعة و تسميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم و خوفهم، و أسرعوا إلى القضية.
ثم أتى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل».

ذكر الهدنة و كيف جرى الصلح يوم الحديدية

روى ابن إسحاق و أبو عبيد و عبد الرزاق و الإمام أحمد و عبد بن حميد و البخارى و أبو داود و النسائى و ابن جرير و ابن مردويه، و محمد بن عمر عن المسور بن مخرمة و مروان بن الحكم، و الشيخان عن سهيل بن حنيف أن عثمان لما قدم من مكة هو و من معه

رجع سهيل بن عمرو و حويطب و مركز إلى قريش فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم

[(١)] أخرجه البخارى ٥٠٧ / ٧ (٤١٥٣).

[(٢)] البخارى فى المصدر السابق (٤١٥٥) و مسلم ١٤٨٥ / ٣ (١٨٥٧ / ٧٥).

[(٣)] أخرجه البخارى ٥٠٧ / ٧ (٤١٥٤)، و أخرجه مسلم ١٤٨٤ / ٣ (١٨٥٦ / ٧١).

[(٤)] أخرجه أبو داود (٤٦٥٣) و الترمذى (٣٨٦٠) و أحمد ٣ / ٣٥٠ و ابن المبارك فى الزهد (٤٩٨) و ابن سعد ٢ / ١ / ٧٣ و مسلم فى الفضائل باب ٣٧ (١٦٣).

[(٥)] أخرجه أحمد ٣ / ٢٦ و الحاكم ٣ / ٣٦ و ابن أبى شيبه ٨ / ٤٨١، ١٤ / ٤٤٣ و أبو نعيم فى تاريخ أصفهان ٢ / ١٦٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٥٢

إلى البيعة و تشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم، فقال أهل الرأى منهم: ليس خير من أن نصلح محمدا على أن ينصرف عنا عامه هذا، و لا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أننا قد صددناه، و يرجع قابلا فيقيم ثلاثا و ينحر هديه و ينصرف، و يقيم بلدنا و لا يدخل علينا، فأجمعوا على ذلك. فلما أجمعت قريش على الصلح و المودعة بعثوا سهيل بن عمرو و حويطب و مركز و قالوا لسهيل: ائت محمدا فصالحه و ليكن فى صلحك ألا يدخل عامه هذا، فو الله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة فأتى سهيل رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» و فى لفظ: فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «سهل أمركم»

و جلس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - متربعا، و كان عتياد بن بشر و سلمة بن أسلم بن حريش على رأسه - و هما مقنعان فى الحديد - فبرك سهيل على ركبته فكلم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأطال الكلام و تراجع، و ارتفعت الأصوات و انخفضت، و قال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و المسلمون حول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جلس، فجرى بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و بين سهيل القول حتى وقع الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين، و أن يأمن الناس بعضهم بعضا، و أن يرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها فخلوا بينه و بين مكة، فأقام فيها ثلاثا فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب و السيوف فى القرب لا يدخلها بغيره، و أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه - و إن كان على دين محمدا - رده إلى وليه، و أنه من أتى قريشا ممن أتبع محمدا لم يردوه عليه، و أن بينهم و بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عيبه مكفوفة، و أنه لا إسلا [(١)] و لا إغلال، و أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن فى عقد محمد و عهده، و تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن فى عقد قريش و عهدهم.

فكره المسلمون هذه الشروط و امتعضوا منها، و أبى سهيل إلا ذلك فلما اصطلحوا و لم يبق إلا الكتاب

و ثبت عمر بن الخطاب إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: يا رسول الله أ لست نبى الله حقا؟ قال: بلى. قال: ألسنا على الحق و هم على الباطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا فى الجنة و قتلهم فى النار؟ قال: بلى. قال: علام نعطي الدنية فى ديننا؟ و نرجع و لم يحكم الله بيننا و بينهم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «إنى عبد الله و رسوله و لست أعصيه و لن يضيئنى و هو ناصرى» قال: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فظوف حقا؟ قال: «بلى، أ فأخبرتكم أنك تأتية العام؟ قال: لا. قال: «فإنك آتية و مطوف به»،

فذهب عمر إلى أبى بكر متغيظا و لم يصبر،

[(١)] الإسلاال: السَّرْفَةُ، انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٤٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص٥٣:

فقال: يا أبا بكر: أليس هذا نبى الله حقا؟ قال: بلى. قال: ألسنا على الحق و هم على الباطل؟

أليس قتلنا فى الجنة و قتلهم فى النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدتية فى ديننا و نرجع و لم يحكم الله بيننا و بينهم؟ قال: أيتها الرجل إنّه رسول الله و ليس يعصى ربه، و هو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت، فو الله إنّه لعلى الحق. و فى لفظ فإنّه رسول الله. فقال عمر: و أنا أشهد أنّه رسول الله، قال: أو ليس كان يحدثنا أنّه سنأتى البيت و نطوف به؟ قال: بلى، أ فأخبرك أنّك تأتبه العام؟ قال: لا. قال: فإنّك آتبه و مطوف به. فلقى عمر من هذه الشُّروط أمرا عظيما [(١)]. و قال كما فى الصحيح: و الله ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذ، و جعل يردّ على رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - الكلام فقال أبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه -: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - يقول ما يقول، تعوذ بالله من الشيطان و اتهم رأيك، قال عمر:

فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياء فما أصابنى شيء قط مثل ذلك اليوم و عملت بذلك أعمالا - أى صالحه - لتكفر عنى ما مضى من التوقف فى امثال الأمر ابتداء كما عند ابن إسحاق و ابن عمر الأسلمى. قال عمر: فما زلت أتصدق و أصوم و أصلى و أعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا.

و روى البزار عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى أردّ أمر رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - برأى، و ما ألوت على الحق، قال: فرضى رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - و أبيت حتى قال: «يا عمر ترانى رضىت و تأبى» [(٢)].

فقال سهيل: هات، اكتب بيننا و بينك كتابا،

فدعا رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - عليا - كما فى حديث البراء عند البخارى فى كتاب الصلح و كتاب الجزية، و رواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور و مروان، و أحمد، و النسائى، و البيهقى و الحاكم - و صححه عن عبد الله بن مغفل [(٣)]، فقال له رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم -: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل - و أسلم بعد ذلك - أما الرحمن الرحيم فو الله ما أدرى ما هو، و لكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب اكتب فى قضيتنا ما نعرف. فقال المسلمون: و الله لا نكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبى - صلّى الله عليه و سلّم - «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم» فقال سهيل: و الله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن

[(١)] البخارى ٤ / ٢٦، ١٢٥، أخرجه مسلم ٣ / ١٤١٢ (٩٤ / ١٧٨٥) و الطبرانى فى الكبير ٦ / ١٠٩ و ابن سعد ١ / ٢٠، و انظر المجمع ٣ / ٣١٢، ٥ / ٦٧.

[(٢)] أخرجه الدولابى فى الكنى ٢ / ٦٩.

[(٣)] عبد الله بن مغفل: بمعجمه و فاء ثقيلة، ابن عبيد بن نهم: بفتح النون و سكون الهاء، أبو عبد الرحمن المزنى، صحابى، بايع تحت الشجرة، و نزل البصرة، مات سنة سبع و خمسين، و قيل بعد ذلك، التقريب ١ / ٤٥٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص٥٤:

البيت، و لا قاتلناك، اكتب فى قضيتنا ما نعرف، اكتب محمّد بن عبد الله. فقال رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - لعلى امحه، فقال على: ما أنا بالذى «أمحاه» و فى لفظ «أمحاك» و فى حديث محمّد بن عبد الله بن كعب القرظى: فجعل على يتلکأ، و أبى أن يكتب إلّا محمد رسول الله، فقال رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم -: اكتب فإنّ لك مثلها تعطيهها و أنت مضطهد

و ذكر محمد بن عمر أن أسيد بن الحضير و سعد بن عبادة أخذوا بيد علي و منعاه أن يكتب إلّا «محمد رسول الله»، و إلّا فالسيف بيننا و بينهم، فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - يخفضهم و يومئ بيده إليهم: اسكتوا. فقال: أرنيه، فأراه إياه فمحا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بيده و قال: اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري: و ذلك لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - لا يسألوني خطه يعظّمون بها حرّات الله إلّا أعطيتهم إياها، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - لسهيل على أن تخلّوا بيننا و بين البيت، فنطوف، فقال سهيل: لا و الله لا تحدّث العرب أنا أخذنا ضغطه، و لكن لك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منّا أحد بغير إذن وئيه - و إن كان على دينك إلّا سدّدته إلينا فقال المسلمون: سبحان الله، أ يكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين و قد جاء مسلما، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ -: نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، و من جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجا و مخرجا» [(٢)].

و في حديث عبد الله بن مغفل عند الإمام أحمد، و النسائي، و الحاكم بعد أن ذكر نحو ما تقدّم، قال فيينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السّلاح فثاروا إلى وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - فأخذ الله بأسماعهم - و لفظ الحاكم بأبصارهم - فقمنّا إليهم فأخذناهم،

فقال لهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - «هل جئتم في عهد أحد و هل جعل لكم أحد أمانا؟» فقالوا: لا. فخلّى سبيلهم فأنزل الله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ [سورة الفتح ٢٤] [(٣)].

و روى ابن أبي شيبة، و الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و مسلم، و الثلاثة عن أنس قال: لمّا كان يوم «الحديبية» هبط على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - و أصحابه ثمانون رجلا من أهل مكّة في

[(١)] أخرجه البخارى ٣٥٧ / ٥ (٢٦٩٩)، و أحمد ٣٢٨ / ٤، ٨٦ / ٤، ٥، ٢٣، ٣٣ و البيهقي ٢٢٠ / ٩، ٢٢٧ و عبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠)، و الطبرى في التفسير ٥٩ / ٢٦، ٦٣ و ابن كثير في التفسير ٣٢٤ / ٧ و انظر المجمع ١٤٥ / ٦، ١٤٦.

[(٢)] انظر التخرّيج السابق و أخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) و احمد ٣٢٩ / ٤، ٣٣٠ و السيوطى في الدر المنثور ٧٦ / ٦.

[(٣)] أخرجه أحمد ٨٧ / ٤ و البيهقي ٣١٩ / ٦ و الحاكم في المستدرک ٤٦١ / ٢ و ابن الجوزى في زاد المسير ٤٣٨ / ٧ و انظر الدر المنثور ٧٨ / ٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٥

السّلاح من قبل جبل التّعيم يريدون غزوة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - فدعا عليهم، فأخذوا فعفا عنهم [(١)].

و روى عبد بن حميد، و ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنّ رجلا من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - يقال له ابن زنيم اطلع الثنية «يوم الحديبية» فرماه المشركون فقتلوه، فبعث نبيّ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - خيلا، فأتوا باثني عشر فارسا، فقال لهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - «هل لكم عهد أو ذمّة؟» قالوا: لا. فأرسلهم [(٢)].

و روى الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و مسلم، عن سلمة بن الأكوع. رضى الله عنه قال: إنّ المشركين من أهل مكّة أرسلونا في الصّليح فلما اصطلحنا و اختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في ظلّها، فأتانى أربعة من مشركى أهل مكّة، فجعلوا يقعون في رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - فأبغضهم و تحوّلت إلى شجرة أخرى، فعلقوا سلاحهم و اضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم فاخرطت سيفى فاشتدّت على أولئك الأربعة و هم رقود، فأخذت سلاحهم، و جعلته

فى ىدى، ثم قلت: و الذى كرم وجه محمد- صلى الله عليه و سلم- لا يرفع احد منكم راسه الا ضربت الذى فى عينيه، ثم جئت بهم اسوقهم الى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و جاء عمى عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفناه على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فقال: دعوهم يكون لهم بدء الفجور و تنياه فعفا عنهم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و انزل الله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ [الفتح ٢٤] فبينما الناس على ذلك إذ أبو جندل- بالجيم و الثون وزن جعفر- بن سهيل ابن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، و كان أبوه سهيل قد أوثقه فى الحديد و سجنه، فخرج من السجن و اجتنب الطريق و ركب الجبال حتى أتى «الحديبية» فقام إليه المسلمون يرحبون به و يهتئون، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوكة و أخذ بتليبه ثم قال: «يا محمد، هذا أول ما أفاضيك عليه أن تردّه، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «إننا لم نقض الكتاب بعد» قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا. قال: «فأجزه لى» قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعل». قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز و حويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذه فأدخله فسطاطا فأجازاه و كف عنه أبوه. فقال أبو جندل أى معاشر المسلمين أرد إلى المشركين و قد جئت مسلما؟ ألا

[(١)] أخرجه مسلم ٣/ ١٤٤٢ (١٣٣/ ١٨٠٨)، و أحمد ٣/ ١٢٤ و الغرّة هى الغفلة أى يريدون أن يصادفوا منه و من أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم و الفتك بهم.

[(٢)] أخرجه الطبرى ٢٦/ ٥٩ و ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٧٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٦

ترون ما قد لقيت؟ و كان قد عذب عذابا شديدا،

فرفع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- صوته و قال: يا أبا جندل، اصبر و احتسب فإنّ الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا، إننا قد عقدنا مع القوم صلحا و أعطيناهم و أعطونا على ذلك عهدا، و إننا لا نغدر»

و مشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبى جندل، و قال له: اصبر و احتسب فإنما هم المشركون و إنّما دم أحدهم دم كلب، و جعل عمر يذنى قائم السيف منه. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال فضنّ الرّجل بأبيه. [(١)]

و قد كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قد خرجوا و هم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رسول الله- صلى الله عليه و سلم-، فلمّا رأوا ما رأوا من الصّليح و الرجوع و ما تحمل عليه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فزادهم أمر أبى جندل على ما بهم، و نفذت القضية و شهد على الصّالح رجال من المسلمين و رجال من المشركين:

أبو بكر و عمر، و عبد الرحمن ابن عوف، و عبد الله بن سهيل بن عمرو، و سعد بن أبى وقاص، و محمود بن مسلمة و على بن أبى طالب- رضى الله عنهم- و مكرز بن حفص و هو مشرك.

فلما فرغ من قضية الكتاب

قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرّات، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أمّ سلمة فقال:

«هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا و يحلقوا فلم يفعلوا». و فى رواية: «ألا ترين إلى الناس أمرهم بالأمر فلا يفعلونه- و هم يسمعون كلامى و ينظرون وجهى».

فقال: يا رسول الله، لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك و تدعو حالكك فيحلقك فجلى الله - تعالى - عن الناس بأمر سلمة - فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضطجع [(٢)] بثوبه، فخرج فأخذ الحربة و يمم هديه و أهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته «بسم الله و الله أكبر» و نحر، فتواثب المسلمون إلى الهدى و ازدحموا عليه ينحرونه حتى كاد بعضهم يقع على بعض، و أشرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه في الهدى، فنحر البدنة عن سبعة، و كان هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعين بدنة، و كان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده المشركون ردّ وجوه البدن [(٣)].

[(١)] أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٣٣٠ و البيهقي في دلائل النبوة ٥ / ٣٣١.

[(٢)] اضطجع: أخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن و يلقي طرفه على كتفه الأيسر من جهتي صدره و ظهره، انظر النهاية ٣ / ٧٣.

[(٣)] أخرجه البخاري ٣ / ٢٥٧ و ابو داود في الجهاد باب ١٦٧ و احمد ٤ / ٣٣١ و البيهقي في الدلائل ٤ / ١٠٦ و عبد الرزاق (٩٧٢٠) و الطبري ٢٦ / ٦٣ و ابن أبي شيبة ١٤ / ٤٥٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٥٧

قال ابن عباس: لما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها. رواه الإمام أحمد و البيهقي [(١)]. فنحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدنه حيث حبسوه و هي الحديدية، و شرد جمل أبي جهل من الهدى و هو يرعى و قد قلد و أشعر. و كان نجيبا مهريا في رأسه بزة من فضة، أهدها ليغيب بذلك المشركين، فمر من الحديدية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، و خرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدى الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه، قيل: و دفعوا فيه عدّة نياق، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لو لا أن سمّيناه في الهدى فعلنا»،

و نحره عن سبعة، و نحر طلحة بن عبيد الله، و عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، بدنان ساقوها.

و روى ابن سعد عن أبي سفيان عن جابر قال: نحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعين بدنة عام الحديدية، البدنة عن سبعة، و كنا يومئذ ألفا و أربعمائة، و من لم يضح أكثر ممن ضحى، و كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضطربا في الحل و إنما يصلّى في الحرم. و بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروءة» مع رجل من أسلم، فلتمّا فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نحر البدن دخل قبة له من آدم حمراء و دعا بخراش - بمعجمتين - بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه و رمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمره خضراء، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحصونه، و أخذت أمّ عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض و تسقيه فيبرأ، و جعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا. و حلق بعض المسلمين و قصر بغض،

فأخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه من قبه و هو يقول: رحم الله المحلقين، قيل: يا رسول الله و المقصرين قال: «رحم الله المحلقين ثلاثا». ثم قال و «المقصرين»

[(٢)].

و روى ابن أبي شيبة عن ابن عباس أنهم قالوا: يا رسول الله ما بال المحلقين ظهرت عليهم الترحيم؟ قال: لأنهم لم يشكوا [(٣)]. و رواه البيهقي موقوفا.

و بعث الله تعالى ريحا عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم كما رواه ابن سعد عن مجمع بن يعقوب عن أبيه، و أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «بالحديدية تسعة عشر يوما، و يقال عشرين ليلة، ذكره محمد بن عمر، و ابن سعد. قال ابن عائد: و أقام

رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غزوته هذه شهرا و نصفا.

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٥٢ / ٤.

[(٢)] أخرجه الحاكم ٢٣٠ / ٤ و البيهقي ٢٣٦ / ٥ و الدعاء للمحلفين متفق عليه من حديث ابن عمر البخاري ٣ / ٥٦١ (١٧٢٧) و مسلم ٢ / ٩٤٥ (٣١٧ / ١٣٠١).

[(٣)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٥١ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٥٨

ذكر رجوع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

روى مسلم عن سلمة بن الأ-كوع، و البيهقي عن ابن عباس، و ابن سعد، و البيهقي، و الحاكم عن أبي عمرة الأنصارى، و البزار، و الطبرانى، و البيهقي عن أبي خنيس الغفارى، و محمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض: أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما انصرف من «الحديبية» نزل بمصر «الظهران» ثم نزل «بعسفان» و أرموا من الزاد، فشكا الناس إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنهم قد بلغوا من الجوع الجهد، و فى الناس ظهرا، فقالوا: ننحره يا رسول الله، و ندهن من شحومه و نتخذ من جلوده أحذية فأذن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبر بذلك عمر ابن الخطاب فجاء إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإن يكن فى الناس بقيّة ظهر يكن أمثل، كيف بنا إذا نحن لقينا العدوّ غدا جياعا رجالا؟! و لكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم فتجمعها ثم تدعو فيها بالبركة فإنّ الله سيبلغنا بدعوتك، و دعا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الناس ببقايا أزوادهم بسط نطعا فجعل الناس يجيئون بالحفنة من الطعام و فوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع تمر، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال سلمة: فتناولت لأحرّركم هو فحررتة كربضة عز و نحن أربع عشرة مائة، فقام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فدعا بما شاء الله أن يدعو، فأكلوا حتّى شعوا، ثم حشوا أوعيتهم، و بقى مثله،

فضحك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتّى بدت نواجذه، و قال: «أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّى رسول الله، و الله لا يلقى الله - تعالى - عبد مؤمن بهما إلاّ حجب من النار».

ثم أذن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فى الرّحيل، فلما ارتحلوا أمطروا ما شاءوا و هم صائفون، فنزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و نزلوا، فشربوا من ماء السماء.

ثم قام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخطبهم، فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ذهب واحد معرضا،

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ألا أخبركم عن الثلاثة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه، و أما الآخر فتاب فتاب الله عليه، أما الثالث فأعرض. فأعرض الله عنه».

و روى البيهقي عن عروة قال: قفل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - راجعا فقال رجل من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت و صدّ هدينا. و ردّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «بسّ الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضى المشركون أن يدفعوك بالراح عن بلادهم. و يسألوكم القضية، و يرغبون إليكم فى الأمان، و لقد رأوا منكم ما كرهوا، و أظفركم الله - تعالى - عليهم و ردّكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد؟ إذ تصعدون و لا تلوون على أحد، و أنا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٥٩

أدعوكم في أحراركم!! أنسيتم يوم الأحزاب؟ إذ جاءوكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا

!! فقال المسلمون: صدق الله و رسوله، فهو أعظم الفتح، و الله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، و لأنت أعلم بالله و بالأمور منا.

ذكر نزول سورة الفتح و مرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و ما ظهر في ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد، و البخارى، و الترمذى، و النسائى، و ابن حبان و ابن مردويه عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى سفر يعنى «الحديبية» فسألته عن شىء ثلاث مرّات، فلم يردّ عليّ، فقلت فى نفسى: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نزلت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثلاث مرّات فلم يردّ عليك، فحركت بعيرى، ثم تقدّمت أمام الناس، و خشيت أن ينزل فى القرآن، فما نشيت أن سمعت صارخا يصرخ بى، فرجعت و أنا أظنّ أنه نزل فى شىء، فقال النبى - صلى الله عليه و سلم - «لقد أنزلت علىّ الليلة سورة هى أحبّ إلىّ من الدنيا و ما فيها إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغيرّ لكّ الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر [الفتح ١، ٢].»

و روى ابن أبى شيبه و الإمام أحمد، و ابن سعد، و أبو داود، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم - و صححه - و ابن مردويه، و البيهقى فى الدلائل، عن مجّمع بن جارية الأنصارى - رضى الله عنه - قال: شهدنا «الحديبية» مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فلما انصرفنا عنها إلى كراع الغميم إذا الناس يوجفون الأباغر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على راحلته عند «كراع الغميم» فاجتمع الناس إليه فقرأ عليهم إنا فتحنا لكّ فتحاً مبيناً [١] فقال رجل من أصحاب النبى - صلى الله عليه و سلم - أو هو فتح؟ فقال: «أى و الذى نفسى بيده إنه فتح»

زاد ابن سعد: فلما نزل بها جبريل قال: ليهنئك يا رسول الله، فلما هتأه جبريل هتأه الناس [١].

و روى عبد الرازق و الإمام أحمد، و ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و الشيخان و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم عن أنس - رضى الله عنه - قال: لما رجعنا من «الحديبية» قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أنزلت علىّ ضحى آية هى أحبّ إلىّ من الدنيا جميعاً»

[١] أخرجه احمد فى المسند ٣/ ٤٢٠ و أخرجه ابو داود فى الجهاد باب فيمن أسهم له سهماً و ذكره الحافظ بن كثير فى التفسير ٧/ ٣٠٨ و البيهقى فى الدلائل ٤/ ١٥٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٦٠

ثلاثاً - قلنا - و فى لفظ قالوا - هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ما ذا يفعل بك، فما ذا يفعل بنا؟ فنزلت، و فى لفظ فنزلت عليه: ليدخل المؤمنىن و المؤمنات جنّات تجرى من تحتها الأنهار [الفتح ٥] حتى بلغ فوزاً عظيماً [١].

و روى ابن أبى شيبه، و الإمام أحمد، و البخارى فى تاريخه، و أبو داود و النسائى، و ابن جرير، و غيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: «أقبلنا من الحديبية» مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحى، و كان إذا أتاه اشتدّ عليه، فسرى عنه و به من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه إنا فتحنا لكّ فتحاً مبيناً [٢].

و روى البيهقى من طريق المسعودى عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبى علقمة عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: لما أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من «الحديبية» جعلت ناقته تثقل فأنزل الله تعالى إنا فتحنا لكّ فتحاً مبيناً فأدر كنا رسول الله - صلى

اللّه عليه و سلم - من السّرور ما شاء، فأخبرنا أنها أنزلت عليه،

فبينما نحن ذات ليلة إذ عرّس بنا، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «من يحرسنا»؟ فقلت أنا يا رسول الله، فقال: «إنك تمام» ثم قال: «من يحرسنا» فقلت:

أنا. فقال: أنت، فحرستهم، حتّى إذا كان وجه الصبح أدركنى قول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إنك تمام، فما استيقظت إلّا بالشمس، فلما استيقظنا قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «إنّ الله لو شاء أن لا تناموا عنها لا تناموا، ولكنّه أراد أن يكون ذلك لمن بعدكم»، ثم قام فصنع كما كان يصنع، ثم قال: «هكذا لمن نام أو نسي من أمّتي» ثم ذهب القوم فى طلبهم رواحلهم فجاءوا بهن غير راحلة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: فقال لى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «اذهب هاهنا» و وجهنى وجها فذهبت حيث وجهنى فوجدت زمامها قد التوى بشجرة ما كانت تحلها الأيدي.

قال البيهقى:

كذا قال المسعودى عن جامع بن شدّاد: إن ذلك كان حين أقبلوا من الحديبية [(٣)]، ثم روى من طريق شعبه - و ناهيك به عن جامع بن شدّاد عن عبد الرحمن بن أبى علقمة عن ابن مسعود قال: أقبلنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من غزوة تبوك قال البيهقى: يحتمل أن يكون مراد المسعودى بذكر الحديبية تاريخ نزول السّورة حين أقبلوا من الحديبية فقط، ثم ذكر معه حديث التّوم عن الصّيلة، و حديث الراحلة، و كانا فى غزوة تبوك قلت لم ينفرد المسعودى بذلك، قال ابن أبى شيبه فى المصنّف: حدثنا منذر عن شعبه عن جامع بن شدّاد به، و لا مانع من التعدد.

[(١)] أخرجه ابن حبان ذكره الهيثمى فى الموارد ص (٤٣٦) (١٧٦٠)، و البيهقى ٢١٧/٥ و أحمد ١٥٢/٤، و الحاكم ٤/٤٦٠ و ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٧١/٦ و الخطيب فى التاريخ ٣/٣١٩، البيهقى فى الدلائل ٤/١٥٥.

[(٢)] أخرجه البخارى فى التفسير ٨/٥٨٢ (٤٨٣٣)، و البيهقى فى الدلائل ٤/١٥٥.

[(٣)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/١٥٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٦١

ذكر قدوم أبى بصير على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و رده إليهم و ما حصل له و لأصحابه من الفرج

روى عبد الرزاق و الإمام أحمد و عبد بن حميد و البخارى و أبو داود و النسائى عن المسور بن مخرمة، و البيهقى عن ابن شهاب الزّهريّ [(١)]. أنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لما قدم المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير عتبه - بضم العين المهملة - ابن أسيد - بوزن أمير - بن جارية - بجيم - الثقفى، حليف بنى زهرة - مسلما قد أفلت من قومه - فسار على قدميه سعيا، فكتب الأخنس بن شريق، و أزهر بن عبد عوف الزّهريّ إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - كتابا و بعثا خنيس - بمعجمة و نون و آخره مهملة - مصغّر - ابن جابر من بنى عامر بن لؤى، استأجراه ب بكر بن لبون، و حملاه على بعير، و كتبوا يذكران الصّليح الذى بينهم، و أن يردّوا إليهم أبا بصير، فخرج العامرىّ و معه مولى له يقال له كوثر دليلا، فقد ما بعد أبى بصير بثلاثة أيام فقرأ أبى بن كعب الكتاب على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فإذا فيه: قد عرفت ما شارطناك عليه، و أشهدنا بينك و بيننا من ردّ من قدم عليك من أصحابنا فابعث إلينا بصاحبنا.

فأمّر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أبا بصير أن يرجع معهما، و دفعه إليهما فقال: يا رسول الله تردّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ فقال: «يا أبا بصير إنّنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، و لا يصلح لنا فى ديننا الغدر و إنّ الله - تعالى جاعل لك و لمن معك من المسلمين فرجا و مخرجا»، فقال: يا رسول الله تردّنى إلى المشركين؟! قال: «انطلق يا أبا بصير، فإنّ الله سيجعل لك فرجا و مخرجا» فخرج معهما،

و جعل المسلمون يَسْرُونَ إلى أبي بصير: يا أبا بصير أبشر فإن الله جاعل لك فرجا و مخرجا، و الزجل يكون خيرا من ألف رجل، فافعل و افعل: يأمرونه بقتل اللذين معه، و قال له عمر: أنت رجل، و معك السيف، فانتهيا به عند صلاة الظهر بذى الحليفة، فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين، صلاة المسافر، و معه زاد له من تمر يحمله، يأكل منه. و دعا العامري و صاحبه ليأكلا معه فقد ما سفره فيها كسر فأكلوا جميعا و قد علق العامري سيفه في الجدار و تحادثا. و لفظ عروة: فسَلَّ العامري سيفه ثم هزّه فقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس و الخزرج يوما إلى الليل. فقال له أبو بصير: أ صارم سيفك هذا؟ قال: نعم، قال: ناولنيه أنظر إليه إن شئت، فناوله إيّاه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد. قال ابن عقبة: و يقال بل تناول أبو بصير السيف بفيه و صاحبه نائم، فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد، و طلب الآخر فجمز مدعورا مستخفيا، و في لفظ: و خرج كوثر هاربا يعدو نحو المدينة و هو عاص على أسفل ثوبه قد بدا طرف ذكره،

[(١)] أخرجه البخارى ٣٢٩ / ٥ فى الشروط و أبو داود فى الجهاد باب ١٦٧ و أحمد ٣٣١ / ٤ و البيهقى فى الدلائل ١٠٧ / ٤ و فى السنن ٢٢١ / ٩ و عبد الرزاق فى المصنف (٩٧٢٠) و انظر البداية و النهاية ١٧٦ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٦٢

و الحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، و أبو بصير فى أثره، فأعجزه

و أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو جالس فى أصحابه بعد العصر، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «ويحك مالك» قال: قتل و الله صاحبكم صاحبى و أفلت منه و لم أكد، و إنى لمقتول. و استغاث برسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأمنته، و أقبل أبو بصير فأناخ بغير العامري. و دخل متوشحاً سيفه. فقال: يا رسول الله قد وفّت ذمتك و أدّى الله عنك، و قد أسلمتني بيد العدو، و قد امتنعت بديني من أن أفتن، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «ويل أمّه مسعر حرب [(١)]» و فى لفظ «محشّ حرب، لو كان معه رجال» و فى لفظ له أحد قال عروة و محمد بن عمر: و قدّم سلب العامري لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليخمسه، فقال: «إنى إذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه، و لكن شأنك بسلب صاحبك، و اذهب حيث شئت» و فى الصحيح أن أبا بصير لما سمع قول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «ويل أمّه مشعر حرب لو كان معه أحد»

عرف أنه سيرده، فخرج أبو بصير و معه خمسة كانوا قدموا معه مسلمين من مكة حين قدم على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فلم يكن طلبهم أحد حتى قدموا سيف البحر، و لما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبو بصير العامري اشتد عليه و قال: ما صالحنا محمدا على هذا. فقالت قريش: قد برئ محمد منه قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق، فما على محمد فى هذا؟ فأسند سهيل ظهره إلى الكعبة و قال: و الله لا أوخر ظهري حتى يودى هذا الرجل، قال أبو سفيان بن حرب: إن هذا لهو السيف، و الله لا يودى ثلاثا - و أتى قريش تديه و إنما بعثته بنو زهرة؟ فقال الأحنس بن شريق: و الله ما نديه، ما قتلناه و لا أمرنا بقتله، قتله رجل مخالف فأرسلوا إلى محمد يديه. فقال أبو سفيان بن حرب: لا، ما على محمد دية و لا غرم قد برئ محمد. ما كان على محمد أكثر مما صنع، فلم تخرج له دية فأقام أبو بصير و أصحابه بسيف البحر، و قال ابن شهاب: بين العيص و ذى المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش.

قال محمد بن عمر: لما خرج أبو بصير لم يكن معه إلا كفّ تمر فأكله ثلاثة أيام، و أصاب حيتانا قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها، و بلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبر أبى بصير، فتسللوا إليه.

قال محمد بن عمر: كان عمر بن الخطاب هو الذى كتب إليهم بقول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «لأبى بصير» «ويل أمّه محشّ حرب لو كان له رجال» و أخبرهم أنه بالساحل، و انفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى المشركين بالحديبية، فخرج هو و سبعون راكبا ممن أسلموا فلحقوا بأبى بصير، و كرهوا أن يقدموا على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى

و سلم - فى

[(١)] مشعر حرب أى موقدها، انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٣٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٦٣

هدنة المشركين، و كرهوا الثواء بين ظهرانى قومهم، فزلوا مع أبى بصير، و لما قدم أبو جندل على أبى بصير سلم له الأمر، لكونه قرشيا فكان أبو جندل يؤمهم، و اجتمع إلى أبى جندل - حين سمع بقدمه - ناس من بنى غفار و أسلم و جهينة، و طوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل - كما عند البيهقى عن ابن شهاب - لا تمرّ بهم غير لقريش إلا أخذوها و قتلوا من فيها، و ضيقوا على قريش، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه.

و مما قاله أبو جندل بن سهيل فى تلك الأيام:

أبلغ قريشا عن أبى جندل أنا بذى المروءة فى الساحل

فى معشر تخفق راياتهم بالبيض فيها و القنا الذابل

يأبون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجاو الحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامه و يقتل المرء و لم يأتل فأرسلت قريش إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أبا سفيان بن حرب يسألونه و يتضرعون إليه أن يبعث إلى أبى بصير و أبى جندل و من معهم، و قالوا من خرج منا إليك فأمسكه فهو لك حلال غير حرج أنت فيه. و قال: فإن هؤلاء الزكّ قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره، فكتب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى أبى بصير و أبى جندل يأمرهما أن يقدما عليه، و يأمر من معهما ممن أتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم و أهليهم فلا يتعرضوا لأحد مرّ بهم من قريش و عيراتها، فقدم كتاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على أبى بصير و هو يموت. فجعل يقرؤه، و مات و هو فى يديه، فدفنه أبو جندل مكانه، و جعل عند قبره مسجدا.

و قدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه ناس من أصحابه و رجع سائرهم إلى أهليهم، و أمنت بعد ذلك عيرات قريش.

قال عروة: فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خير لهم فيما أحبوا و فيما كرهوا من رأى من ظن أن له قوة هى أفضل مما خصّ الله تعالى به رسوله من الفوز و الكرامة - صلى الله عليه و سلم -

و لما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عام القضية و حلق رأسه قال: «هذا الذى وعدتكم».

و لما كان يوم الفتح أخذ المفتاح

و قال: «ادعوا لى عمر بن الخطاب. فقال: «هذا الذى قلت لكم».

و لما كان فى حجة الوداع وقف بعرفة و قال: «أى عمر هذا الذى قلت لكم إني رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و الله ما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية، و كان الناس قصر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٦٤

رأيهم عما كان،

و كان أبو بكر - رضى الله عنه - يقول: ما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية، و كان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و بين ربه، و العباد يعجلون، و الله - تعالى - لا يعجل لعجلة العبد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - بدنه و رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

ينحرها بيده، و دعا الحلاق فحلق رأسه فانظر إلى سهيل يلقط من شعره، و أراه يضعه على عينيه، و أذكر امتناعه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» فحمدت الله - تعالى - الذي هداه للإسلام.

ذكر ما أنزل الله سبحانه و تعالى في شأن غزوة الحديبية: قال الله سبحانه و تعالى «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»

بيننا و ظاهرا، و هذا إخبار عن صلح الحديبية، و سَمَّاهُ فَتْحًا لِأَنَّهُ كَانَ بَعْدَ ظَهْرِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى سَأَلُوهُ الصَّلَاحَ، وَ تَسَبَّبَ عَنْهُ فَتْحُ مَكَّةَ، وَ فَرَّغَ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - لَسَائِرَ الْعَرَبِ فغزاهم، و فتح مواضع. و روى البخاري عن أنس - رضی اللہ عنہ - في الآية قال: الفتح صلح الحديبية [(١)]. و روى أيضا عن البراء رضی اللہ عنہ - قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، و قد كان فتح مكة فتحا، و نحن نعدّ الفتح بيعه الرضوان يوم الحديبية.

قال الحافظ رحمه الله يعنى قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا و هذا موضع وقع فيه اختلاف قديم: و التحقيق: أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات. فقوله - تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا المراد بالفتح هنا الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين لما ترتب على الصلح الذي وقع من الأمن و رفع الحرب و تمكّن من كان يخشى الدخول في الإسلام و الوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد، و عمرو بن العاص و غيرهما، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضا، إلى أن كمل الفتح. قال الزهري: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه إنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم، كَلَّم بعضهم بعضا، و تفاوضوا في الحديث و المنازعة، و لم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلّا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

[(١)] البخارى ٨ / ٤٤٧ (٤٨٣٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٦٥

قال ابن هشام: و يدل عليه أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - خرج في الحديبية في ألف و أربعمائة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف انتهى.

و أما قوله - تعالى - في هذه السورة: وَ أَنَابَهُمْ فَتَحْنَا قَرِيبًا فَالمراد به فتح خيبر على الصحيح، لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة، و قسمت خيبر على أهل الحديبية، و أما قوله - تعالى: فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا فَالمراد به الحديبية، و أما قوله - تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «لا هجرة بعد الفتح» [(١)] فالمراد به فتح مكة باتفاق، فبهذا يرتفع الإشكال و تجتمع الأقوال بعون الله.

و قال في موضع آخر: و مما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكره الزهري، أنه كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله أفواجا» فكانت الهدنة معناها كذلك، و لما كانت قصة الحديبية مقدمة للفتح سميت فتحا، لأنّ الفتح في اللغة فتح مغلق، و الصلح كان مغلقا حتى فتحه الله - تعالى. و كان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت، فكان في الصورة الظاهرة ضيماً للمسلمين، و في الصورة الباطنة عزاً لهم، فإن الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير، و أسمع المسلمون المشركين القرآن و ناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، و كانوا قبل لا يتكلمون عندهم بذلك إلّا خفية.

و ظهر من كان يخفى إسلامه، فذلّ المشركون من حيث أرادوا العزة، و قهروا من حيث أرادوا الغلبة، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر اللام للعلّة الغائبة، جعل الغفران علة للفتح من حيث أنه سبب عن جهاد الكفار و السعي في إعلاء الدين، و إزاحة الشرك و تكميل النفوس الناقصة قهرا، ليصير ذلك بالتدريج اختيارا، و تخليص الضعفة من أيدي الظلمة، و تقدّم الكلام على هذه

الآية في أواخر تنبيهات المعراج، و يأتي له تتمه في الخصائص و يَتِمُّ بالفتح المذكور نِعْمَتُهُ إِنْعامه بإِعلاء الدين و ضم الملك إلى الثبوتِ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ في تبليغ الرسالة و إقامة مراسيم الديانة صراطاً طريقاً مُسْتَقِيماً يَثْبُتُكَ عليه، و هو دين الإسلام وَ يَنْصُرُكَ اللَّهُ به نَصِيراً عَزِيزاً ذا عز لا ذلّ معه هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ الثَّبات و الطَّمَأِينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ حتى يَثْبُتُوا، حتى لا تَقْلُقَ النفوس و تدحض الأقدام لِيزدادوا إيماناً يقيناً مَعَ إيمانِهِمْ يقينهم برسوخ العقيدة و اطمئنان النفس عليها، أو أنزل فيه السَّكون إلى ما جاء به رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ لِيزدادوا إيماناً بالشرائع مَعَ إيمانِهِمْ بالله و اليوم الآخر وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فلو أراد نصر دينه بغيركم لَفَعَلَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً بِخَلْقِهِ حَكِيماً في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك، ثم ذكر - تعالى - القصة في

[(١)] أخرجه من حديث ابن عباس البخارى ٣ / ٦ (٢٧٨٣) و مسلم ٩٨٦ / ٢ (١٣٥٣ / ٤٤٥).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٦٦

رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - و فى أصحابه حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال عزّ و جلّ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ بِيَعَةِ الرِّضْوَانِ بِالْحَدِيثِ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ أى ما يبائعون أحداً إلّا الله، أى ليست تلك المبايعه مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - بل مع الله - تعالى - و كما روعيت المشاكلة بين قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ و بين قوله إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ بنى عليها قوله يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ على سبيل الاستعارة التخيلية تميماً لمعنى المشاكلة، و هو كالترشيح للاستعارة، أى إذا كان الله - تعالى - مبيعاً، و لا بدّ للمبايع - كما تقرّر و اشتهر - من الصّفة لليد فتخيل اليد لتأكيد المشاكلة، و إلّا، فجّل جنباه الأقدس عن الجارحة، و المعنى أَنَّ اللَّهَ تعالى - مطّلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها فَمَنْ نَكَتْ نَقَضَ البيعة فَإِنَّمَا يَنْكُتُ يرجع وبال نقضه على نفسه و مَنْ أَوْفَى ثبت بما عاهدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فى مبايعته فَسَيُؤْتِيهِ بالفوقية و النون أجراً عظيماً و هو الجنة، ثم ذكر تعالى ما المنافقون يعتلون به إذا لقوا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - فقال تبارك و تعالى: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ - تعالى - عن صحبتك لَمَّا طَلَبْتَهُمْ ليخرجوا معك إلى مكة، خوفاً من تعرّض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها شغلنا أموالنا و أهلونا عن الخروج معك فَاسْتَغْفِرْ لَنَا اللَّهُ - تعالى - من ترك الخروج معك، قال سبحانه و تعالى مكذبا لهم يَقُولُونَ بِاللَّسَةِ بِيَتِّهِمْ أى من طلب الاستغفار و الاعتذار ما لَيْسَ فى قُلُوبِهِمْ فهم كاذبون فى اعتذارهم قُلْ فَمَنْ استفهام بمعنى النفى، أى لا أحد يَفْلِكُكُمْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً بِفَتْحِ الضَّادِ - ما يضركم قتل، و خلل فى المال و الأهل و عقوبه عن التخلف - و بضمها - أى [الهزال و سوء الحال] أو أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ما يضاد ذلك، لأنهم ظنوا أَنَّ تخلفهم عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - يدفع عنهم الضّرر، و يعجل لهم النّفع بالسلامة فى أنفسهم و أموالهم، فأخبرهم تبارك و تعالى أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه بلّ هنا و فيما يأتي للانتقال من غرض إلى آخر كان الله بما تَعْمَلُونَ خَبيراً فيعلم تخلفكم و قصدكم فيه بلّ ظننتم أن لَنْ يَتَّقِلَبَ الرُّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إلى أهلبيهم أَيْدِياً أى ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا- يرجعون، وَ زَيْنَ ذَلِكَ عدم الانقلاب فى قُلُوبِكُمْ فتمكّن فيها وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ هذا و غيره وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُوراً و وراء جمع بائر أى هالكين عند الله - تعالى - بهذا الظنّ وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا أَعْدَانًا وَ هَيْئًا لِلْكَافِرِينَ سَجِيراً ناراً شديدة وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يديره كيف يشاء يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَعْذِّبُ مَنْ يَشَاءُ إذ لا و جوب عليه وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً و لم يزل متصفاً بذلك، ثم ذكر أن النبى - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - و أصحابه إذا انطلقوا إلى مغانم ليأخذوها التمس المخلفون الخروج لعرض من الدنيا، فقال تبارك و تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ المذكورون إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمِ

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٦٧

لِتَأْخُذُوهَا هى مغانم خبير، فإنه - صَلَّى اللَّهُ عليه و سَلَّمَ - لَمَّا رَجَعَ من الحديبية أقام بالمدينة مدة ثم غزا خبير بمن شهد الحديبية ففتحها، و غنم أموالاً كثيرة فخصّ بها بهم ذرّونا اتركونا نَتَّبِعْكُمْ لناخذ منها يريدون بذلك أَنْ يُيَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ و قرأ حمزة و الكسائى بكسر الكاف، و هو جمع كلام - أى مواعيده بغنائم خبير أهل الحديبية خاصة قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا نَفَى بمعنى النهى كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ

أى من قبل عودنا فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا أَنْ نَصِيبَ مَعَكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ فَقُلْتُمْ ذَلِكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ يَعْلَمُونَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ الْمَذْكُورِينَ اخْتِيَارًا سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلَى بِأَسْ أَصْحَابِ شَدِيدٍ تَقَاتُلُونَهُمْ حَالٍ مَقْدَرَةٍ - هِيَ الْمَدْعُو إِلَيْهَا فِي الْمَعْنَى أَوْ هُمْ يُشَلِّمُونَ فَلَا يِقَاتُلُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا إِلَى قِتَالِهِمْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا هُوَ الْغَنِيمَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ عَنِ الْحَدِيثِ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مَوْلَا لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ إِثْمَ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ بِالْيَأْسِ وَالنُّونِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَضَّلَ الْوَعْدَ وَأَجْمَلَ الْوَعِيدَ مَبَالِغَةً فِي الْوَعْدِ لِسَبْقِ رَحْمَتِهِ ثُمَّ جَمَلَ ذَلِكَ بِالتَّكْرَارِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْمِيمِ فَقَالَ: وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ كَذَلِكَ عَذَابًا أَلِيمًا إِذِ التَّرْهيبُ هُنَا أَنْفَعُ مِنَ التَّرْغِيبِ.

ثم ذكر - تعالى - من بايع تحت الشجرة فقال عز وجل لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ بِالْحَدِيثِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ هِيَ سَمْرَةٌ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَلْمَةَ، أَوْ سَدْرَةَ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ فَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ الطَّمَأْنِينَةَ وَسَكُونَ النَّفْسِ بِالتَّشْجِيعِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَثَابَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَأَثَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا هُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ، وَكَانَتْ خَيْبَرَ ذَاتَ عَقَارٍ وَأَمْوَالٍ، فَفَسَّحَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا غَالِبًا حَكِيمًا أَيْ لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا مِنَ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي تَفْتَحُ لَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ غَنِيمَةَ خَيْبَرَ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِكَفِّ أَيْدِي الْعَدُوِّ عَنْهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ فِي عِيَالِكُمْ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَهَمَّتْ بِهِمُ الْيَهُودُ، فَقَذَفَ اللَّهُ - عز وجل - فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَقِيلَ:

كَفَّ أَيْدِيَ أَهْلِ مَكَّةَ بِالصَّلْحِ وَلِتَكُونَ هَذِهِ الْكَفَّةُ أَوْ الْغَنِيمَةُ الْمَعْجَلَةُ - عَطْفًا عَلَى مَقْدَرِ أَيْ لِتَشْكُرُوهُ آيَةً عَلامَةً لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْرِفُونَ بِهَا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - بِمَكَانٍ، أَوْ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَعْدِهِمْ فَتَحَ خَيْبَرَ حِينَ رَجُوعِهِ مِنَ الْحَدِيثِ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أَيْ طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ - تَعَالَى - وَأُخْرَى صَفَهُ مَغَانِمَ،

سَبِيلِ الْهُدَى وَالرِّشَادِ، الصَّالِحِ الدَّمَشْقِيِّ، ج ٥، ص ٦٨

فَيَقْدَرُ مَبْتَدَأُ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا بَعْدَ، لَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْجَوْلَةِ، وَالْمَرَادُ: فَارِسُ وَالرُّومُ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا عِلْمًا أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا لِأَنَّ قُدْرَتَهُ دَائِمَةٌ لَا تَخْتَصُّ بِشَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ وَ لَوْ قَاتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَدِيثِ وَ لَمْ يَصَالِحُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ لِانْهَزَمُوا ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يَحْرَسُهُمْ وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ بِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ مِنْ هَزِيمَةِ الْكَافِرِينَ وَنَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ سَنَّ اللَّهُ - تَعَالَى - ذَلِكَ سُنَّةَ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مُضَتْ فِي الْأُمَمِ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي [المجادلة ٢١] مِنْ قَبْلِ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا تَغْيِيرًا مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ أَيْ كَفَّرَ مَكَّةَ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ بِالْحَدِيثِ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ كُمْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ ثَمَانِينَ طَافُوا بِعَسْكَرِكُمْ لِيَصِيبُوا مِنْكُمْ غَزَّةً فَأَخَذُوا، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الصَّلْحِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ مَقَاتِلِهِمْ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالتَّحْتِيَةِ بَصِيرًا فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَنِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ وَالْهُدَى مَعْكُوفًا عَلَيْكُمْ، مَعْكُوفًا: مَحْبُوسًا، حَالٌ أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّةَ الَّذِي يَنْحَرُ فِيهِ عَادَةً وَهُوَ الْحَرَمُ بَدَلِ اشْتِمَالِ وَ لَوْ لَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ مَوْجُودُونَ بِمَكَّةَ مَعَ الْكُفَّارِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ بِصَفَةِ الْإِيمَانِ أَنْ تَطَّوَّهُمْ تَقْتُلُوهُمْ مَعَ الْكُفَّارِ لَوْ أذِنَ لَكُمْ فِي الْفَتْحِ، بَدَلِ اشْتِمَالِ فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مِنْ جِهَتِهِمْ مَعْرَّةٌ مَكْرُوهَةٌ، بِوَجُوبِ الدِّيَةِ، أَوْ الْكُفَّارَةَ بِقَتْلِهِمْ، أَوْ التَّأْسِفَ عَلَيْهِمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْكُمْ بِهِ، وَضَمَائِرُ الْغَيْبِ بِهِ لِلصَّنْفَيْنِ بِتَغْلِيبِ الذَّكُورِ، وَجَوَابٌ لَوْ لَا مَحذُوفٌ أَيْ لِأَذْنِ لَكُمْ فِي الْفَتْحِ لَكِنْ لَمْ يُؤْذَنَ فِيهِ حِينَئِذٍ لِإِدْخَالِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ كَالْمُؤْمِنِينَ الْمَذْكُورِينَ لَوْ تَزَيَّلُوا تَمَيَّزُوا عَنِ الْكُفَّارِ لَعَدَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَئِذٍ بِأَنْ نَأْذَنَ لَكُمْ فِي فَتْحِهَا عَذَابًا أَلِيمًا مَوْلَا إِذْ جَعَلَ مُتَعَلِّقًا بِعَدْبِنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعِلٌ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْأَنْفُسَ مِنَ الشَّيْءِ حَمِيَّةَ الْأَجَاهِلِيَّةِ بَدَلِ مِنْ حَمِيَّةِ، وَهِيَ صَدَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَصَالِحِهِمْ، عَلَى أَنْ هَذَا يَعُودُ مِنْ قَابِلٍ، وَ لَمْ يَلْحَقْهُمْ مِنَ الْحَمِيَّةِ مَا لَحِقَ الْكُفَّارَ حَتَّى يَقَاتِلُوهُمْ وَ الزَّمَهُمْ

كَلِمَةَ التَّقْوَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأُضِيفَتْ إِلَى التَّقْوَى لِأَنَّهَا سَبَبُهَا وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ وَأَهْلَهَا عَطْفٌ تَفْسِيرٌ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا أَيْ لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ، وَ مِنْ مَعْلُومِهِ تَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَهَا لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُولَهُ الرَّؤْيَا بِالْحَقِّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّوْمِ عَامَ الْحَدِيثِ قَبْلَ خُرُوجِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ آمِنِينَ وَيَحْلِقُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقْصُرُونَ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا، فَلَمَّا خَرَجُوا مَعَهُ وَصَدَّاهُمُ الْكُفَّارُ بِالْحَدِيثِ وَرَجَعُوا، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَرَأَى بَعْضَ الْمُنَافِقِينَ سَبِيلَ الْهُدَى وَالرِّشَادِ، الصَّالِحِي الدَّمَشْقِي، ج ٥، ص: ٦٩

نَزَلَتْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: بِالْحَقِّ مُتَعَلِّقٌ بِصَدَقَ، أَوْ حَالٌ مِنَ الرَّؤْيَا، وَمَا بَعْدَهَا تَفْسِيرٌ لَهَا لِتَدْخُلَنَّ الْمَسِيحَ الْجَدَّ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ أَيْ جَمِيعَ شَعُورِهَا وَمُقَصِّرِينَ شَعُورِهَا، وَهُمَا حَالَانِ مُقَدَّرَتَانِ لَا تَخَافُونَ حَالَ مُؤَكَّدَةٍ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ: أَيْ لَا تَخَافُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلِمَ فِي الصَّلَاحِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا مِنَ الصَّلَاحِ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَيْ الدَّخُولَ فَتَحًا قَرِيبًا هُوَ فَتَحٌ خَيْرٌ، وَتَحَقَّقَتْ الرَّؤْيَا فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، وَ يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ بَقِيَّةِ السُّورَةِ فِي الْخِصَائِصِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تنبيهات

الأول: الحديث: بحاء مهملة مضمومة، فذال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحية مفتوحة. قال الإمام الشافعي - رحمه الله - وأهل اللغة وبعض أهل الحديث - رحمهم الله - التحية مخففة. وقال أكثر أهل الحديث مشددة. قال النووي - رحمه الله - فهما وجهان مشهوران.

وقال في المطالع: ضبطنا التخفيف عن المتقين وأما عامة الفقهاء والمحدثين فيشددونها. وقال البكري - رحمه الله - أهل العراق يشددون، وأهل الحجاز يخففون.

وقال النحاس - رحمه الله - سألت كل من لقيت ممن أثق بعلمه عن «الحديث» فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة. قال أحمد بن يحيى [(١)] - رحمه الله - لا يجوز فيها غيره، ونص في البارع على التخفيف. وحكى التشنيد ابن سيده - رحمه الله - في المحكم، قال في تهذيب المطالع: ولم أره لغيره، وأشار بعضهم إلى أن التثقيل لم يسمع حتى يصح، ووجه أن التثقيل إنما يكون في المنسوب، نحو الإسكندرية فإنها منسوبة إلى الإسكندر وأما الحديث فلا تعقل فيها النسبة، ويا النسبة في غير منسوب قليلة، ومع قلته موقوف على السماع. والقياس أن يكون أصلها حذباء بزيادة «ألف» للإلحاق ببنات الأربعة، فلما صغرت انقلبت الألف ياء، وقيل: حديثه، وشهد لصحة هذا أقوالهم ليلته بالتصغير، ولم يرد لها مكبر فقدّره الأئمة ليله لأن المصغّر فرع المكبر، ويمتنع وجود فرع بدون أصله.

قال المحب الطبري - رحمه الله -: هي قريبة من مكة أكثرها في الحرم.

وفي صحيح البخاري عن البراء «الحديث» بئر. قال الحافظ - رحمه الله - يشير إلى أن

[(١)] أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر سنة ٢٩١ هـ من كتبه «الفصيح» و«قواعد الشعر» و«شرح ديوان زهير»، انظر الأعلام ١/ ٢٦٧.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٠

المكان المعروف بالحديث سمي ببئر كانت هنالك، هذا اسمها، ثم عرف المكان كله بذلك، وبينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة، وبين المدينة تسع مراحل الثاني: قالوا: كانت سنة ست، قاله الجمهور، في ذي القعدة، وقال هشام ابن عروة عن أبيه - رحمهما الله - في شوال، وشدّ بذلك هشام عن الجمهور. وقد وافق أبو الأسود عن عروة الجمهور. وفي البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما

اعتمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلّا في ذى القعدة، وفيه عن أنس - رضى الله عنه - اعتمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أربع عمر كلهن في ذى القعدة، فذكر منها عمرة الحديبية [(١)].

الثالث: اختلفت الروايات في عدّة من كان مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فيها، ففي رواية عبد العزيز الأفاقي عن الزهري في حديث المسور، و مروان: ألف و ثمانمائة.

و في رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء: كُنّا أربع عشرة مائة.

و في رواية زهير بن معاوية عن أبي إسحاق كانوا ألفا و أربعمئة أو أكثر.

و في رواية لسالم بن أبي الجعد عن جابر: أنهم كانوا خمس عشرة مائة، و كذلك رواية سعيد بن المسيّب عنه، و كذلك رواية ابن أبي شيبّة عن مجمّع بن جارية.

قال الحافظ - رحمه الله - و الجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف و أربعمئة، فمن قال ألف و خمسمئة جبر الكسر، و من قال ألف و أربعمئة ألغاه. و يؤيده قول البراء في رواية عنه: كُنّا ألفا و أربعمئة أو أكثر، و اعتمد على هذا الجمع النووي - رحمه الله.

و أما البيهقي - رحمه الله - فمال إلى الترجيح، و قال: إن رواية من قال ألفا و أربعمئة أرجح، ثم روى من طريق أبي الزبير و من طريق سفيان بن عمر بن دينار، كلاهما عن جابر كذلك.

و من رواية معقل بن يسار عن سلمة بن الأكوع، و البراء بن عازب و من طريق قتادة عن سعيد بن المسيّب عن أبيه، و معظم هذه الطرق عن مسلم.

و وقع عند ابن سعد - رحمه الله - في حديث معقل بن يسار: زهاء ألف و أربعمئة، و هو أيضا في عدم التحديد.

و أما قول عبد الله بن أبي أوفى - رحمه الله -: كُنّا ألفا و ثلاثمئة كما رواه البخاري، فيمكن حمله على ما اطلع عليه، و اطلع غيره على زيادة أناس لم يطلع هو عليهم، و الزيادة من الثقة مقبولة. أو العدد الذي ذكره عدد المقاتلة. و الزيادة عليها من الأتباع و من الخدم و النساء و الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم.

[(١)] أخرجه البخاري ٧ / ٤٣٩ (٤١٤٨) و مسلم ٢ / ٩١٦ (١٢٥٣ / ٢١٧) و سيأتي في هديه - صَلَّى الله عليه و سلم - في الحج.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧١

و أمّا قول ابن إسحاق - رحمه الله - إنهم كانوا سبعمئة فلم يوافق أحد عليه، لأنه قاله استنباطا من قول جابر - رضى الله عنه -: نحرنّا البدنة عن عشرة، و كانوا نحروا سبعين بدنة.

و هذا لا يدلّ على أنهم لم ينحروا غير البدن، مع أنّ بعضهم لم يكن أحرم أصلا. و قال ابن القيم: ما ذكره ابن إسحاق غلط بين، و استدللّ به من أنهم نحروا سبعين بدنة، و البدنة جاء إجزاؤها عن سبعة و عن عشرة، و هذا لا يدلّ على ما قاله فإنه قد صرح أنّ البدنة في هذه العمرة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم كانوا أربعمئة و تسعين رجلا، و قد قال في تمام الحديث بعينه: إنهم كانوا ألفا و أربعمئة.

و أمّا ما وقع في حديث المسور و مروان عن البخاري أنهم خرجوا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بضع عشرة مائة، فيجمع أيضا بأنّ الذين بايعوا كانوا كما تقدم. و أمّا الذين زادوا على ذلك فكانوا غائبين عنها، كمن توجه مع عثمان - رضى الله عنه - إلى مكة، على أنّ لفظ البضع يصدق على الخمس و الأربع، فلا تخالف.

و جزم ابن عقبة بأنهم كانوا ألفا و ستمئة، و في حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبّة ألفا و سبعمئة. و حكى ابن سعد: أنهم كانوا ألفا و خمسمئة و خمسة و عشرين. و هذا إن ثبت تحرير بالغ.

و زاد ابن مردويه عن ابن عباس، و فيه ردّ على ابن دحية، حيث زعم أنّ سبب الاختلاف في عددهم، أنّ الذي ذكر عددهم لم يقصد التّحديد، و إنما ذكره بالحدس و التّخمين.

الرابع: في أخذه- صَلَّى الله عليه و سلّم- ذات اليمين عن خالد و جيشه، جواز الاستتار عن طلائع المشركين و مفاجأتهم بالجيش طلباً لغزّتهم.

الخامس: في استشارته- صَلَّى الله عليه و سلّم- أصحابه، استحباب مشورة الإمام رعيته و جيشه استخراجاً لوجه الرأى، و استطباً لنفوسهم، و أنّ يخصّص به بعضهم دون البعض.

السادس:

في قوله- صَلَّى الله عليه و سلّم-: ما خلأت و ما ذاك لها بخلق،

جواز الحكم على الشّيء بما عرف من عادته، و إن جاز أن يطرأ عليه، و إذا وقع من شخص هفوة لا يعهد مثلها منه لا تنسب إليه و يردّ على من نسبه إليها ممّن، لا يعرف صورة حاله، لأنّ خلأ القصواء لو لا خارق العادة لكان ما ظنّه الصّحابة جميعاً صحيحاً، و لم يعاتبهم النبيّ- صَلَّى الله عليه و سلّم- بعدرهم في ظنّهم.

السابع:

قوله- صَلَّى الله عليه و سلّم- حبسها حابس الفيل:

أى حبسها الله عزّ و جلّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، و قصة الفيل مشهورة، و تقدّمت الإشارة إليها. و مناسبة ذكرها أنّ الصّحابة لو دخلوا مكة على تلك الصّورة و صدّتهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضى إلى سفك الدّماء و نهب الأموال، كما لو قدر دخول الفيل و أصحابه مكة، لكن سبق في علم

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٢

الله- تعالى- في الموضوعين أنّه سيدخل في الإسلام خلق منهم، و سيخرج من أصلابهم ناس يسلمون و يجاهدون. و كان بمكة في الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرّجال و النّساء و الولدان، فلو طرق الصّحابة مكة لما أمن أن يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار إلى ذلك تبارك و تعالى- في قوله: وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ [الفتح ٢٥] الآية.

الثامن: استبعد المهلب جواز إطلاق حابس الفيل على الله عزّ و جلّ، و قال: المراد حبسها أمر الله سبحانه و تعالى. و تعقّب بأنه يجوز إطلاق ذلك في حقّ الله- تعالى- فيقال:

حبسها الله حابس الفيل، و إنما الذى يمكن أن يمنع تسميته- تعالى- حابس الفيل و نحوه، كما أجاب به بن المنير، و هو مبنى على الصّحيح من أنّ الأسماء توقيفية.

و قد توسّط الغزاليّ و طائفة فقالوا: محلّ المنع ما لم يرد نص بما يشتقّ منه بشرط ألا يكون ذلك الاسم المشتقّ منه مشعراً بنقص، فيجوز تسميته بالواقى و ممّن تقى السّيئات يؤمّده فقد رحّمته [غافر ٩] و لا- يجوز تسميته البناء و إن ورد في قوله تعالى: وَ السّمَاءَ بَيْنَناها بِأَيْدٍ [الذاريات ٤٧] التاسع:

في قوله- صَلَّى الله عليه و سلّم-: «حبسها حابس الفيل»

جواز التشبيه من الجهة العامّة، و إن اختلفت الجهة الخاصّة، لأنّ أصحاب الفيل كانوا على باطل محض، و أصحاب هذه النّاقة كانوا على حقّ محض، و لكن جاز التشبيه من جهة إرادة الله- تعالى- منع الحرم مطلقاً، أما من أهل الباطل فواضح، و أمّا من أهل الحقّ فللمعنى الذى تقدّم ذكره فى الرابع.

العاشر:

قوله- صَلَّى الله عليه و سلّم-: «و الذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم خطّة ..

. إلى آخره». قال السَّهيلي رحمه الله: لم يقع في شيء من طرق الحديث، أنه قال إن شاء الله - تعالى - مع أنه مأمور في ذلك في كل حال.

قال: و الجواب عن ذلك أنه كان أمرا واجبا حتما، فلا يحتاج معه للاستثناء، و تعقب بأنه - تعالى - قال في هذه القصَّة لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ فقال: إن شاء الله، مع تحقيق وقوع ذلك تعليما و إرشادا، فالأولى أن يحمل على أن الاستثناء سقط من الراوى، أو كانت القصَّة قبل نزول الأمر بذلك، و لا يعارضه كون الكهف مكِّيَّة، إذ لا مانع من أن يتأخر نزول بعض السُّورَة، و في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «و الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» إلخ تأكيد القول باليمين ليكون أدعى إلى القبول. و قد حفظ عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الحلف في أكثر من ثمانين موضعا، كما سيأتي بسط ذلك في بابه.

الحادى عشر: في حديث البراء في شفير بئر الحديبية أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوْضَأُ فمضمض سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٣

و دعا ثم صبَّه فيها، و في حديث المسور، و مروان أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، و يمكن الجمع بأن الأمرين وقعا معا، و يؤيد ذلك ما رواه محمَّد بن عمر من طريق أوس بن خولى أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوْضَأُ فِي الدَّلُوِّ ثُمَّ أَفْرَغَهُ فِيهَا و انتزع السَّهْمَ ثُمَّ وَضَعَهُ فِيهَا، و هكذا ذكر أبو الأسود عن عروَة أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تمضمض في الدَّلُوِّ و صبَّه في البئر، و نزع سهما من كنانته فألقاه فيها ففارت.

الثانى عشر: اختلف في التَّأْزِلِ بِالسَّهْمِ، فعند ابن إسحاق عن رجال من أسلم: أنه ناجية بن جندب. قال ابن إسحاق: و زعم بعض أهل العلم أنه البراء بن عازب.

و روى محمَّد بن عمر عن خالد بن عباد الغفارى قال: أنا الذى نزلت بالسَّهْمِ، و يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك. الثالث عشر: في حديث جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان بين يديه بالحديبية ركوة فتوضأ فيها ثم أقبل النَّاسَ نحوه فقال «ما لكم؟ فقالوا: يا رسول الله: ليس عندنا ما نتوضأ و لا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال: فوضع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يده فى الرُّكُوةِ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا و توضأنا.

و جمع ابن حبان بين حديث جابر هذا و بين ما تقدم بأن ذلك وقع مرَّتين فى وقتين، و قال ما تقدّم فى حديث البراء و المسور و مروان غير ما فى حديث جابر، و كان حديثه قبل قصَّة البئر، و قال فى موضع آخر فى حديث جابر فى الأشربة من كتاب البخارى أن نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، و حديث البراء كان لإرادة ما هو أعمّ من ذلك، و يحتمل أن الماء انفجر من أصابعه و يده فى الرُّكُوةِ و توضأ كلَّهم و شربوا، و أمر حينئذ بصب الماء الذى فى الرُّكُوةِ فى البئر فتكاثر الماء فيها.

الرابع عشر: اقتصر بديل بن ورقاء على قوله: تركت كعب بن لؤى، و عامر بن لؤى، لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما، و بقى من قريش بنو سامة بن لؤى، و لم يكن بمكة منهم أحد، و كذلك قريش الطَّواهر، و تقدّم بيانهم فى من اسمه القريشى.

قال هشام بن الكلبي: بنو عامر بن لؤى و كعب بن لؤى هما الصريحان لا شكَّ فيهما، بخلاف سامة و عوف، أى فبيهما خلاف، قال: و هم قريش البطاح، بخلاف قريش الطَّواهر و فى موالاته رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

الخامس عشر:

قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنْ أَظْهَرَ فَإِنْ شَاءَ وَ»

إلخ إنما ردّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الأمر مع أنه جازم بأن الله سينصره و يظهره، لوعده - تعالى - له بذلك على طريق التَّنَزُّلِ مع الخصم و فرض الأمر على ما زعم الخصم، و لهذه النكتة حذف القسم الأوّل و هو التصريح بظهور غيره،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٤

- صَلَّى الله عليه و سلم - بعد ذلك «و لينفذن الله أمره»

- بضم أوله و كسر الفاء، أى ليمضين الله - تعالى - أمره فى نصر دينه، و حسن الإتيان بهذا الجزم بعد ذلك التردد للتنبيه على أنه لم يورده إلّا على سبيل الفرض، و وقع التصريح بذكر القسم الأول فى رواية ابن إسحاق كما فى القصة، فالظاهر أن الحذف وقع من بعض الزوارة.

السادس عشر: قول عروة لقريش أستم بالوالد و أ لست بالولد هو الصواب، و وقع لبعض رواة الصّحيح عكس ذلك، و زعم أن كلّ واحد منكم كالولد، و قيل: معناه أنتم حى قد ولدنى، لكون أمى منكم، و هذا هو الصحيح، لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس.

السابع عشر: فى قيام المغيرة على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالسيف، جواز القيام على رأس الأمين له بقصد الحراسة، و نحوها من ترهيب العدوّ و لا يعارضه النهى عن القيام على رأس الجالس، لأن محلّه إذا كان على وجه العظمة و الكبير.

الثامن عشر: كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحيه من يكلمه و لا سيّما عند الملاطفة، و فى الغالب إنّما يفعل ذلك النظير، بالنظير لكن كان الرسول - صَلَّى الله عليه و سلم - يغمى لعروة عن ذلك استماله له و تأليفه له، و المغيرة يمنعه إجلالا لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و تعظيما.

التاسع عشر: فى تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم - رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ما ذكره يعد إشارة منهم إلى الردّ على ما خشيته عروة من فرارهم، و كأنهم قالوا بلسان حالهم: من يحبّ إمامه هذه المحبة و يعظّمه هذا التعظيم كيف يظنّ به أنّه يفتر عنه و يسلمه لعدوّه بل هم أشدّ اغتباطا به و بدينه و نصره من القبائل التى يراعى بعضها بعضا بمجرد الرحم.

العشرون: استشكل قوله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى مكرز هذا رجل فاجر أو غادر مع أنّه لم يقع منه فى قصّة الحديدية فجور ظاهر، بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سبق فى القصّة، و فى إجازته أبا جندل لأجل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لما امتنع سهيل بن عمرو - رضى الله عنه - قبل إسلامه، و أجيب: قال محمد بن عمر فى مغازيه فى غزوة «بدر» إنّ عتبة بن ربيعة قال لقريش:

كيف نخرج من مكة و بنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا؟ قال: و ذلك أنّ حفص بن الأخياف - بخاء معجمة فتحية و بالفاء - والد مكرز كان له ولد وضىء فقتله رجل من بنى بكر ابن عبد مناة بدم لهم، كان فى قريش، فتكلّمت قريش فى ذلك، ثم اصطلحوا، فعدا مكرز بن حفص بعد ذلك على عامر بن يزيد، سيّد بنى بكر غزّة فقتله، فنفرت من ذلك كنانة، فجاءت وقعة بدر فى أثناء ذلك، و كان مكرز معروفا بالعدو و تقدّم فى القصّة أنه أراد أن يبيّت للمسلمين بالحديبية، فكأته - صَلَّى الله عليه و سلم - أشار إلى هذا.

الحادى و العشرون: فى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه: أنّه أول من بايع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٥

و روى الطبرانى و غيره كما فى القصّة عن الشعبي [و رواه] ابن مندة عن ذر بن حبيش - رحمهما الله - أن أول من بايع أبو سنان الأسدى، و الجمع [ممكن] بينهما.

الثانى و العشرون: فى حديث سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - أنهم بايعوا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - على الموت، و فى حديث جابر و غيره: على أنّهم لا يفروا، و قال الحافظ:

لا - تنافى بينهما، لأن المراد بالمبايعه على الموت ألا يفروا و لو ماتوا، و ليس المراد أن يقع الموت و لا بدّ، و هو الذى أنكره نافع و عدل إلى قولهم، بل بايعهم على النصر، أى على الثبات، و عدم الفرار، سواء أفضى ذلك إلى الموت أم لا. و قال فى موضع آخر: من أطلق أن بيعته كانت على الموت أراد لازمها لأنّه إذا بايع على ألا يفروا لزم من ذلك أن يثبت، و الذى يثبت إمّا أن يغلب و إمّا أن يؤسر، و الذى يؤسر إمّا أن ينجو و إمّا أن يموت، و لما كان الموت لا يؤمن فى مثل ذلك أطلقه الزاوى، و حاصله أنّ أحدهما حكى

صورة البيعة و الآخر حكى ما تؤول إليه.

الثالث و العشرون: من الصحابة رضى الله عنهم من بايع مرتين، و هو عبد الله بن عمر، و قد اختلف فى سبب مبايعته قبل ابيه رضى الله عنهما، كما تقدم فى القصة عن نافع عنه.

و جمع بأنه بعته يحضر الفرس و رأى الناس مجتمعين فقال أنظر ما شأنهم فغدا يكشف حالهم فوجدهم يبايعون فبايع و توجه إلى الفرس فأحضرها، و أعاد حينئذ الجواب على ابيه فخرج و خرج معه فبايع عمر و بايع ابن عمر مرة أخرى.

الرابع و العشرون: من الصحابة رضى الله عنهم من بايع ثلاث مرات، و هو سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه- طلب ذلك منه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مع علمه بأنه بايع قبل.

قال المهلب: أراد صلى الله عليه و سلم أن يؤكد بيعته لسلمة لعلمه بشجاعته و غنائه فى الإسلام و شهرته بالثبات، فلذلك أمره بتكرير المبايعه ليكون له فى ذلك فضيله.

قال الحافظ: و يحتمل أن يكون سلمة لما بدر إلى المبايعه ثم قعد قريبا، و استمر الناس يبايعون إلى أن خفوا، أراد صلى الله عليه و سلم منه أن يبايع لتتوالى المبايعه معه و لا يقع فيها تخلل، لأن العاده فى مبدإ كل أمر أن يكتر من يباشره فيتوالى، فإذا تناهى قد يقع بين من سيجىء آخرا تخلل و لا يلزم من ذلك اختصاص سلمة بما ذكره، و الواقع أن الذى أشار إليه المهلب من حال سلمة فى الشجاعه و غيرها لم يكن ظهر بعد» لأنه إنما وقع منه بعد ذلك فى غزوه ذى قرد كما سيأتى، حيث استعاد الصرح الذى كان المشركون أغاروا عليه، فاستلب ثيابهم، و كان آخر أمره أن أسهم له رسول الله- صلى الله عليه و سلم- سهم الفارس و الزاجل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٦

فالأولى أن يقال تفرس فيه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ذلك فبايعه مرتين، و أشار إلى أنه سيقوم فى الحرب مقام رجلين فكان كذلك.

قلت: و لم يستحضر الحافظ ما وقع عند مسلم: أنه- صلى الله عليه و سلم- بايعه ثلاث مرات، و لو استحضره لوجهه.

الخامس و العشرون: الحكمة فى قطع عمر الشجرة فى إخفاء مكانها أنه لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن من تعظيم الجهال لها حتى ربما أفضى بهم أن لها قوة نفع و ضرر كما نراه الآن شاهدا فيما دونها، و إلى ذلك أشار عمر بقوله: «كانت رحمه من الله»، أى كان إخفاؤها بعد ذلك رحمه من الله تعالى، و يحتمل أن يكون معنى قوله «رحمة من الله» أى كانت الشجرة موضع رحمته و محل رضوانه لانزاله الرضى على المؤمنين عندها. و قول المسيب والد سعيد أنسيناها، و فى لفظ نسيناها، أى نسينا موضعها بدليل قوله:

فلم نقدر عليها.

و فى رواية عند الإسماعيلى فعمى علينا مكانها. و قول المسيب و ابن عمر: أنهما لم يعلما مكانها، لا يدل على عدم معرفتها أصلا، فقد قال جابر كما فى الصحيح: لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة، فهذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه، و إذا كان فى آخر عمره بعد الزمان الطويل يضبط موضعها، ففيه دلالة على أنه كان يعرفها بعينها، قبل أن يقطعها عمر- رضى الله عنه.

السادس و العشرون: جزم ابن إسحاق و ابن سعد و الجمهور بأن مدّة الصلح عشر سنين، و رواه الحاكم عن على- رضى الله عنه- و وقع فى مغازى ابن عائذ فى حديث ابن عباس و غيره أنها كانت سنتين، و كذا وقع عند ابن عقبه، و يجمع بأن الذى قاله ابن إسحاق هى المدّة التى وقع الصلح فيها حتى وقع نقضه على يد قريش كما سيأتى بيانه فى غزوة الفتح.

و أما ما وقع فى كامل ابن عدى و مستدرک الحاكم، و الأوسط للطبرانى من حديث ابن عمر أن مدّة الصلح كانت أربع سنين، فهو مع ضعف إسناده منكر مخالف للصحيح.

السابع و العشرون: الذى كتب كتاب الصلح بين رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و بين سهيل، على بن أبى طالب- رضى الله عنه-

كما رواه البخارى فى كتاب الصلح عن البراء بن عازب- رضى الله عنهما-، و عمر بن شبة من حديث سلمة بن الأكوع، و إسحاق بن راهويه عن الزهيري. و روى عمر بن شبة عن عمرو بن سهيل بن عمرو عن أبيه قال: الكتاب عندنا كتبه محمد بن مسلمة، و يجمع بأن أصل كتاب الصلح، بخط على- رضى الله عنه- كما فى الصحيح، و نسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو، و قال الحافظ: و من الأوهام ما ذكره

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٧

عمر بن شبة بعد أن روى أن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين و قريش على بن أبى طالب من طرق، ثم روى من طريق آخر أن اسم الكاتب محمد بن مسلمة، ثم قال: حدثنا يزيد بن عائشة يزيد بن عبيد الله بن محمد التيمي قال: كان اسم هشام بن عكرمة بغيضا، و هو الذى كتب الصحيفة فشلت يده فسماه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- هشاما.

قال الحافظ: و هو غلط فاحش، فإن الصحيفة التى كتبها هشام بن عكرمة هى التى اتفقت عليها قريش لما حصروا بنى هاشم و بنى عبد المطلب فى الشعب، و ذلك بمكة قبل الهجرة- أى كما سبق، فتوهم عمر بن شبة أن المراد بالصحيفة كتاب القصة التى وقعت بالحديب، و ليست كذلك، بل بينهما نحو عشر سنين.

الثامن و العشرون: وقع فى بعض طرق حديث البراء بعد أن ذكر امتناع على- رضى الله عنه- من محو «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله- صلى الله عليه و سلم» فأخذ رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الكتاب و ليس يحسن يكتب فكتب «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله» إلى آخره، و سيأتى الكلام على ذلك فى الخصائص إن شاء الله تعالى.

التاسع و العشرون: امتناع على- رضى الله عنه- من محو لفظ «رسول الله صلى الله عليه و سلم» من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبى- صلى الله عليه و سلم- تحميم محو على نفسه، و لهذا لم ينكر عليه، و لو تحتم محوه بنفسه لم يجز لعلى تركه، و لما أقره النبى- صلى الله عليه و سلم- على المخالفة. و فى قوله- صلى الله عليه و سلم- «فإن لك مثلها- تعظيما- و أنت مضطهد»: أى مقهور، معجزة ظاهرة لما وقع لعلى- رضى الله عنه- فى التحكيم كما سيأتى فى ترجمته.

الثلاثون: قال الخطابى- رحمه الله- تعالى: تأول العلماء ما وقع فى قصة أبى جندل على وجهين.

أحدهما: أن الله- تعالى- قد أباح «التقية» إذا خاف الهلاك، و رخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن [كان] يمكنه التورية، فلم يكن ردّه إليهم إسلاما لأبى جندل إلى الهلاك مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

و الوجه الثانى: أنه إنما ردّه إلى أبيه، و الغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك، و إن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضا، و أما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله- تعالى- يبتلى به صبر عباده المؤمنين.

الحادى و الثلاثون: اختلف العلماء رحمهم الله، هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلما من عندهم إلى بلاد المسلمين أم لا؟ فقيل: نعم، على ما دلت عليه قصة أبى جندل و أبى بصير. و قيل: لا. و إن الذى وقع فى القصة: منسوخ، و إن ناسخه «أنا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٨

برىء من مسلم بين المشركين» و هو قول الحنفية، و عند الشافعية ضابط جواز الرد أن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب الثانى و الثلاثون: قال التوى- رحمه الله- وافق النبى- صلى الله عليه و سلم- فى ردّ من جاء من المشركين فى ترك كتابته بسم الله الرحمن الرحيم و كتب باسمك اللهم، و فى ترك كتابه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و فى ردّ من جاء منهم إلى المسلمين دون من جاء من المسلمين إليهم و إنما وافقهم فى هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة فى هذه الأمور، أما البسمة و باسمك اللهم فمعناها واحد، و كذلك قوله: «محمد بن عبد الله» هو أيضا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و ليس فى ترك وصف الله تعالى فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفى ذلك و لا فى ترك وصفه- صلى الله عليه و سلم- هنا

بالرسالة لا ينفيتها، ولا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتبوا ما لا يحل من تعظيم آلهم ونحو ذلك، وإنما شرط رد من جاءنا منهم و منع من ذهب إليهم فقد بين النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في هذا الحديث الحكمة فيه بقوله: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله، و من جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا و مخرجا». ثم كان كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجعل الله للذين جاءونا منهم و ردّهم إليهم فرجا و مخرجا. ثم كان كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

الثالث و الثلاثون: في إتيان عمر أبا بكر رضى الله عنهما و إجابة أبي بكر لعمر بمثل ما أجاب به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دلالة على أنه أكمل الصحابة و أعرفهم بأحوال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و أعلمهم بأمر الدين و أشدهم موافقة لأمر الله - تعالى - و سبق في باب إرادة الصديق الهجره قبل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ردّ ابن الدغنة له، و قوله لقريش، إن مثله لا يخرج، و وصفه بنظير ما وصفت به خديجة - رضى الله عنها - رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من كونه يصل الرحم و يحمل الكل و يعين على نوائب الحق و غير ذلك. فلما كانت صفاتهما متشابهة من الابتداء، استمر ذلك إلى الانتهاء، و لم يذكر عمر أنه راجع أحدا بعد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غير أبي بكر، و ذلك لجلالة قدره و سعة علمه عنده.

الرابع و الثلاثون: قول عمر - رضى الله عنه - فعملت لذلك أعمالا، قال بعض الشراح - رحمهم الله: أى من الذهاب و المجيء و السؤال و الجواب، لم يكن ذلك شكّا من عمر، بل طلبا من كشف ما خفى عليه، و حثا على إزاله الكفار، لما عرف من قوته في نصره الدين.

انتهى.

قال الحافظ: و تفسير الأعمال بما ذكر مردود، بل المراد الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء. و قد ورد عن عمر التصريح بمراده بقوله: «أعمالا»

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٧٩

لأنقى»، و رواية ابن إسحاق: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق و أصوم و أصلى و أعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به. و عند الواقدى من حديث ابن عباس: قال عمر:

لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا و صمت دهرا، و أما قوله: و لم يكن شكّ، فإن أراد نفى الشكّ فواضح، و قد وقع في رواية ابن إسحاق أن أبا بكر لما قال له الزم غزوه فإنه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال عمر: أنا أشهد أنه رسول الله، و إن أراد نفى الشكّ في وجود المصلحة و عدمها فمردود، و قد قال السهيلي - رحمه الله - هذا الشكّ ما لا يستمر صاحبه عليه، و إنما هو من باب الوسوسة، كذا قال الحافظ. و الذى يظهر أنه توقّف معه ليقف على الحكمة في القصة، و تنكشف عنه الشبهة، و نظيره قصته في الصلاة على عبد الله بن أبيّ، و إن كان في الأول لم يطابق اجتهاده الحكم، بخلاف الثانية، و هى هذه القصة، و إنما عمل الأعمال المذكورة لهذه، و إلا فجميع ما صدر منه كان معذورا فيه، بل هو مأجور، لأنه مجتهد فيه.

الخامس و الثلاثون: إنّما توقّف المسلمون في النحر و الحلق بعد الأمر بهما، لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للنّدب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، و تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، و يسوغ لهم ذلك، لأنه كان زمان وقوع التشريع. و يحتمل أن يكونوا أبهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الدّل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم و اقتدارهم - في اعتقادهم - على بلوغ غرضهم و قضاء نسكهم بالقهر و الغلبة، و آخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقضى الفور، و يحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم كما سبق في القصة من كلام أم سلمة - رضى الله عنها - في قولها «لا تلمهم» إلخ.

السادس و الثلاثون: في كلامه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأم سلمة في توقف الناس عن امتثال أمره، جواز مشاوره المرأة الفاضلة، و فضل أم سلمة و وفور عقلها، حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة، كذا قال و قد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب في أمر موسى.

السابع و الثلاثون: لا يعدّ ما وقع من أبى بصير من قتله الرّجل الذى جاء فى طلبه غدرا لأنه لم يكن فى جملة من دخل فى المعاقدة التى بين النّبى - صلّى الله عليه و سلّم - و بين قريش، إلا- أنه إذ ذاك كان محبوبا بمكة، لكنه لما خشى أنّ المشرك يعيده إلى المشركين درأ عن نفسه بقتله، و دافع عن دينه بذلك، و لم ينكر عليه رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - ذلك.

الثامن و الثلاثون: فى حديث المسور، و مروان بعد ذكر قصة أبى بصير، فأنزل الله - تعالى: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ [الفتح ٢٤] ظاهره أنها نزلت فى

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨٠

شأن أبى بصير، و فيه نظر، و المشهور فى سبب نزولها ما رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، و من حديث أنس بن مالك، و أحمد، و النسائى بسند صحيح من حديث عبد الله بن مغفل أنها أنزلت بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غزّة فظفر المسلمون بهم، فعفا عنهم رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - و قيل فى سبب نزولها غير ذلك.

التاسع و الثلاثون: قال البلاذرى - رحمه الله - قال العلماء: و المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة و فوائده الظاهرة التى كانت عاقبتها فتح مكّة و إسلام أهلها كلهم و دخول التّياس فى دين الله أفواجا، و ذلك أنهم قبل الصّيلح لم يكونوا يختلطون، و لا يتظاهر عندهم أمر رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - كما، هو و لا يخلون بمن يعلمهم بها مفضّله، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين و جاءوا إلى المدينة، و ذهب المسلمون إلى مكّة و خلوا بأهلهم و أصدقائهم و غيرهم ممن يستنصحوهم، و سمعوا منهم أقوال النّبى - صلّى الله عليه و سلّم - مفصلة بجزئياتها، و معجزاته الظّاهرة، و أعلام نبوته المتظاهرة، و حسن سيرته، و جميل طريقتة، و عاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بدر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكّة فأسلموا بين صلح الحديبية و فتح مكّة، و ازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلّهم لما كان تمهّد لهم من الميل، و كانت العرب فى البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلمت قريش أسلمت العرب فى البوادي.

الأربعون: فى بيان غريب ما سبق المعرفين: الواقفين بعرفة.

استنفروا: استنجدوا و استنصروا.

يعرضوا له بحرب - بفتح التّحتية و كسر الزّاء.

فأبطأ عليه: بفتح الهمزة أوله و آخره.

ذو الجدر: فتح الجيم و سكون الدال المهملة: سرح على سته أميال من المدينة. بناحية فيها كانت فيه لقاح رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم.

ذو الحليفة - بضمّ الحاء المهملة، و فتح اللام، و سكون التّحتية بعدها فاء.

صحار - بصاد مضمومة فحاء مهملتين فألف: قرية باليمن.

قلّد بدنه: علق فى عنقها قطعة من حبل ليعلم أنه هدى فيكفّ الناس عنها.

أشعرها - بالشين المعجمة: و خز سنامها حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدى.

البيداء: الشرف الذى قدّام ذى الحليفة فى طريق مكّة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨١

الأبواء: بفتح الهمزة و سكون الموحدة و بالمد: قرية من عمل الفرع.

القلائد: جمع قلادة.

جئامة: بفتح الجيم و تشديد الثاء المثناة.

إيماء: بكسر أوله و سكون التّحتية و بالمد.

رحضة: براء مفتوحة فحاء مهملة تفتح و تسكن فضاء معجمة مفتوحة.

خفاف- بحاء معجمة مضمومة و فاءين الأولى مخففة.

العتر: بكسر العين المهملة و سكون الفوقية و بالراء: نبت ينبت متفرقا فإذا قطع أصله خرج منه شيء شبه اللبن، و هو المرزجوش.

الصّغاييس- بضاء فغين معجمة فألف فموحدة: و هو صغار القثاء و قيل: هو نبت ينبت في أصول الثمام يصلق بالخل و الزيت و يؤكل. و الثمام: بالثاء المثناة.

الهوام: جمع هامة بالتشديد، يطلق على ما يدب من الحيوان كالقمل و نحوه.

الجحفة- بجيم مضمومة، فحاء مهملة، ففاء، فتاء تأنيث: تقدم الكلام عليها في غزوة [بدر] قمّ بالبناء للمفعول، أي كنس.

الفرط- بفتحيتين، المتقدم في طلب الماء.

شاهت و جوههم: قبحت نكل- بضم الفوقية و فتح الكاف: أي يتكل بعضكم على بعض.

ارتجت مكة: اضطربت.

راعهم: أفرعهم.

عنوة- بفتح العين المهملة، و سكون النون، و فتح الواو: أخذ الشيء قهرا و كذا إذا أخذ صلحا فهو من الأضداد، و المراد هنا الأول.

عين تطرف: تنظر و تتحرك.

كراع- بكاف مضمومة فراء مخففة فألف فعين مهملة: و هو طرف الغميم بغين معجمة مفتوحة، و هو واد بين رابغ و الجحفة، و كراع كل شيء طرفه.

الأحاييش: بحاء مهملة، فألف، فموحدة مكسورة ففتحية فشين معجمة: واحدا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٨٢

أحبوش بضميتين، و هم: بنو الهون بن خزيمه بن مدركة، و بنو الحرث و بنو عبد مناة ابن كنانة، و بنو المصطلق من خزاعة، و تقدم الكلام على ذلك مبسوطا في غزوة بدر.

أجلبت: استحشثت الناس لطلب العدو.

بلدح- بموحدة مفتوحة، فلام ساكنة، فذال مفتوحة، فحاء مهملتين: و هو واد في طريق التنعيم إلى مكة.

غدير: بغين معجمة مفتوحة، فذال مهملة مكسورة.

الأشطاط- بشين معجمة، و طاءين مهملتين: جمع شط و هو جانب الوادى، و وقع في بعض نسخ الصحيح لأبى ذر الهروى بإعجام الطاءين.

عسفان- بعين مضمومة، فسين ساكنة مهملتين، ففاء: قرية بينها و بين مكة ثلاثة مراحل.

العوذ- بعين مهملة مضمومة فواو ساكنة، فذال معجمة: جمع عائذ: و هى الناقة ذات اللبن.

المطافيل: الأمهات اللّاتى معهن أطفالهن، يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان ليتزودوا ألبانها، و لا يرجعوا حتى يمنعه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، و المراد خرجوا معهم نساؤهم و أولادهم لإرادة طول المقام، و ليكون أدعى إلى عدم الفرار.

قال ابن فارس- رحمه الله:- كل أنثى وضعت فهى إلى سبعة أيام عائذ، و الجمع عوذ، كأنها سميت بذلك لأنها تعوذ ولدها و تلتزم الشغل به، و قال السهيلي: سميت بذلك و إن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة و الحنو، كما قالوا تجارة رابحة و إن كانت مربوحا فيها.

لبسوا جلود النمر: كناية على شدة الحقد و الغضب، تشبيها بأخلاق النمر، و قيل:

هو مثل يكنى به عن إظهار العداوة و التنكير، و يقال للرجل الذى يظهر العداوة لبس لى جلد نمر.

ذى طوى - بتثليث الطاء المهملة و الفتح: أشهر واد بمكة.

ويح: كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

وافرين: كاملين.

تنفرد هذه السالفه - بسين مهملة، و لام مكسورة بعدها فاء: صفحة العنق، كنى بذلك عن القتل، لأن القتل تنفرد مقدمه عنقه. و قال الداودي الشارح: المراد الموت، أى حتى أموت و يحتمل أن يكون أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨٣

و قال ابن المنير - رحمه الله - لعله - صلى الله عليه و سلم - تبه بالأدنى على الأعلى، أى أن لى من القوة بالله - تعالى - و الحول به ما يقتضى أنى أقاتل عن دينه، لو انفردت فكيف لا أقاتل عن دينه مع وجود المسلمين و كثرتهم؟

شرح غريب ذكر مشاورته - صلى الله عليه و سلم

موتورين - بالفوقية: اسم مفعول، جمع موتور، و هو الذى قتل له قتيلا فلم يدرك بدمه.

محروبين - بحاء مهملة، فراء فواو فموحدة: مسلوبين منهوين، يقال حربه إذا أخذ ماله و تركه بلا شىء نؤم - بنون فهمزة: نقصد.

تكن عنقا - بضم العين المهملة و النون، و فى لفظ «عينا قطعها الله». قال فى المطالع: سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥، ص ٨٣

شرح غريب ذكر مشاورته - صلى الله عليه و سلم ص : ٨٣

كلاهما صحيح، و العنق أوجه لذكر القطع معه، أى أهلك الله - تعالى - جماعة منهم. و العنق:

الشىء الكثير، و لقوله: «عينا» وجه أيضا، أى كفى الله - تعالى - منهم من كان يرصدنا و يتجسس على أخبارنا. و العين: الجاسوس، و تبعه على ذلك فى التّريب - و ما ذكرناه هو الوجه، بخلاف ما قدّره الكرمانى و تبعه شيخنا أبو الفضل ابن الخطيب القسطلانى - رحمهما الله - و قد ذكر فى القصه أن العين الذى أرسله رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كان مسلما و هو بسر - بضم الموحدة و سكون المهملة - ابن سفيان الخزاعى.

الغرة - بكسر الغين المعجمة: الغفلة.

حانت الصلاة: دخل وقتها.

شرح غريب ذكر مسيرته - صلى الله عليه و سلم - إلى الحديبية

العصل - بفتح العين و الصاد المهملتين: جمع عصلة، و هى شجرة إذا أكل منها البعير سلحته.

ظهري كذا: بينه و وسطه.

الحمض - بفتح الحاء المهملة و سكون الميم و بالضاد المعجمة: ما ملح و أمرّ من النبات كالأثل و الطرفاء، و ذكر فى الإملاء أنه هنا اسم موضع، فالله أعلم.

الطليعة: القوم يبعثون أمام الجيش يتعرفون طلع العدو، و بالكسر، أى خبره، و الجمع طلائع.

أجرل - بفتح الهمزة و سكون الجيم و فتح الراء و آخره لام: أى كثير الحجارة. و الجرل:

- بفتح الجيم و الراء: الحجارة. و يروى بدال مهملة عوضا عن اللام، أى ليس به نبات.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨٤

الشّباب - بكسر الشين المعجمة: جمع شعب بكسرها أيضا: ما انفرج بين جبلين.

تنكبه الحجارة: تصيبه.

حار- بحاء مهملة: لم يدر وجه الصواب.
 ثنية ذات الحنظل: ثنية في شعب ما بين مكة وجدة.
 سراوع: جمع سروعة- بفتح السين المهملة، و سكون الراء، و فتح العين المهملة- و هي الراية من الرمل كذا في النهاية. و في مصنف ابن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه فأخذ بهم بين سروعتين، أي بين شجرتين، هذا لفظه، فالله أعلم.
 قبل المغرب: بكسر القاف: ناحيته.
 ما شعر: ما علم.
 قتره الجيش: بفتح القاف و الفوقية: الغبار الأسود الذي تثيره حوافر الدواب.
 وعر- بكسر العين: أي غليظ حزن يصعب الصعود إليه.
 الشراك للنعل: سيرها الذي على ظهر القدم.
 الفجاج: بكسر الفاء: جمع فجّ: الطريق الواضح الواسع.
 لاجبة- بالحاء المهملة و الموحدة واضحة.
 ثنية المرار: بضم الميم على المشهور، و بعضهم يكسرها، و تخفيف الراء: طريق في الجبل يشرف على الحديدية، و ليست الثنية التي أسفل مكة.
 قولوا حطة- بكسر الحاء و فتح الطاء المشددة المهملتين، أي حطّ عنّا ذنوبنا، و يروى بإعجام الحاء و ضمها، أي الخصلة و الفضيلة.
 سيف البحر- بكسر السين: ساحله.
 استبرأ العسكر: تأمله و فتشه.

شرح غريب ذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية

الغائط: هنا المطمئن الواسع من الأرض، و الجمع غيطان و أغواط و غوط.
 حل حل- بفتح الحاء المهملة و سكون اللام: كلمة تقال للناقء إذا تركت السير. قال الخطابي- رحمه الله- إن قلت «حل» واحدة فبالسكون و إن أعدتها نونت الأولى و سكنت الثانية. و حكى غيره السكون فيهما و التنوين كنظيره في نخ نخ، يقال: حلحلت فلانا إذا أزعجته عن موضعه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٨٥

ألحّت- بتشديد الحاء المهملة: تمادت على عدم القيام، و هو من الإلحاح، و هو الإصرار على الشيء.
 خلألت: الخلأ- بحاء معجمة و المد، للإبل كالحران للخيل. قال ابن قتيبة: لا يكون الخلأ إلّا للتوق خاصة. و قال ابن فارس: لا يقال للجمل خلأ و لكن ألحّ.

القصواء: بقاف مفتوحة فصاد مهملة و بالمد، و بعض رواه الصحيح كحبلى و غلط.

بخلق- بضم الخاء المعجمة، و اللام و القاف: أي بعادة.

خطّة: بضم الخاء المعجمة: أي خصلة يعظمون فيها حرّات الله تعالى. و معنى قوله يعظم حرّات الله تعالى في هذه القصّة ترك القتال في الحرم و الجنوح إلى المسالمة و الكف عن إراقة الدماء.

أعطيتهم إياها: أجبتهم إليها.

و ثبت- بالمثلثة: قامت.

عوده على بدئه: أي لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه.

الثمد- بناءً مثلاً فميم مفتوحتين فдал مهملة: حفيرة فيها ماء قليل، يقال ماء مثمود قليل الماء.
الظنون: الذى تتوهمه، و لست منه على ثقة فعيل بمعنى مفعول. و قيل: هو البئر التى يظن أن فيها ماء و قوله قليل الماء تأكيد لرفع توهم
أن يراد لغة من يقول: إن الثمد: الماء الكثير. و قيل: الثمد ما يظهر فى الشتاء، و يذهب فى الصيف.
يتبرّضه الناس - بالموحدة المشددة و الضاد المعجمة: يأخذونه قليلاً- قليلاً- و البرض - بالفتح و السكون: اليسير من العطاء. و قال
صاحب العين: هو جمع الماء بالكفّين.
لم يلبثه الناس - بتحيتيه مضمومة فلام ساكنة فمثلة: من الإلباث. و قال ابن التين: بفتح اللام و كسر الموحدة المثقلة، أى لم يتركوه أن
يقيم.

نزحوه- بنون فزاي فحاء مهملة، و فى لفظ نزفوه بالفاء بدل الحاء: و معناهما واحد، و هو أخذ الماء شيئاً بعد شىء.
صدروا: رجعوا.

بعطن: أى رووا و رويت إبلهم حتى بركت، و عطن الإبل: مباركها حول الماء لتعاد للشرب، و قد يكون عند غير الماء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٨٦

القليب- بفتح القاف و كسر اللام- عند العرب: البئر العادية القديمة مطوية كانت أو غير مطوية.
شفير البئر: حرفها.

تجيش- بفتح الفوقية و كسر الجيم و آخره شين معجمة: تفور.
الزى: بكسر الراء و فتحها.

المائح- بالتحية، و الحاء المهملة: الذى انحدر فى الركية يملأ- الدلو و ذلك حين يقلّ ماؤها، و لا يمكن أن يستسقى منها إلا
بالاغتراف باليد.

و من كلامهم المائح أعرف باست المائح: و هو الذى يستسقى بالدلو، فالنقط من أسفل لمن يكون أسفل و من فوق لمن يكون فوق.
يمجد كونك: يشرفونك، و التمجيد: التشریف.

الرشاش- براء مفتوحة فشينين معجمتين.

واهية: مسترخية واسعة الشق.

العادية: القوم الذين يعدون و يسرعون الجرى.

طمت: بفتح الطاء المهملة: ارتفع ماؤها.

نهلوا: رووا.

الركائب: المطى، الواحدة راحلة من غير لفظها.

ان الشىء- بالمد: قرب.

الركوة- بفتح الراء: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، و الجمع ركاء و ركوات بالتحريك.

شرح غريب نزول المطر فى تلك الأيام

التوء: سقوط نجم من المنازل فى الغرب مع الفجر. و طلوع رقيه من الشرق، كانوا يعتقدون أنه لا بد عند ذلك من مطر، أو ريح،
فمنهم من يجعله للطالع لأنه ناء، و منهم من ينسبه للغارب، فنفى النبى - صلى الله عليه و سلم - ذلك عنه، و كفر من اعتقد أن النجم
فاعل ذلك، و من جعله دليلاً فهو جاهل بمعنى الدلالة، قال فى النهاية: فمن أسند ذلك إلى العادة التى يجوز انخرامها فقد كرهه قوم
و جوزه آخرون.

الخريف- بالخاء المعجمة: الفصل الذى تخترف فيه الثمار، أى تقطع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج، ٥، ص: ٨٧

الشّعري- بكسر الشين المعجمة و سكون العين المهملة: كوكب معروف ليس فى السماء كوكب يقطعها عرضا غيره.
الجزور: بفتح الجيم من الإبل خاصّة، يقع على الذكر و الأنثى، و الجمع جزر

شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء و رسل قريش

بديل: بضم الموحدة و فتح المهملة و التصغير.

ورقاء: بفتح الواو و بالقاف.

خزاعة: بضم الخاء المعجمة و بالزاي.

عيبة- بفتح العين المهملة و سكون التحتية بعدها موحده: ما يوضع فيه الثياب لحفظها، أى أنهم موضع النصح له و الأمانة على سرّه، كأنه شبه الصّدر الذى هو مستودع السرّ بالعيبة التى هى مستودع الثياب.

نصح- بضم النون، و حكى ابن التين فتحها.

تهامة- بكسر الفوقية: و هى مكّة و ما حولها، و أصلها من التهم، و هو شدة الحرّ و ركود الرّيح.

الأعداد- بالفتح جمع عدّ بالكسر و التشديد و هو الماء الذى لا انقطاع له.

تبيد: تهلك خضراؤهم بخاء فضاء معجمتين: معظم قريش أو جماعتهم.

نهكتهم الحرب- بفتح النون و كسر الهاء: أى بلغت بهم حتى أضعفتهم، إما أضعفت قواهم، و إما أضعفت أموالهم.

ماددتهم جعلت بينى و بينهم مدّة بترك الحرب بينى و بينهم. قوله: فإن ظهر أمرى، و قوله فإن شاءوا شرط بعد شرط، و التقدير: فإن ظهر غيرهم من الكفار علىّ كفاهم المؤونه، و إن أظهر أنا على غيرهم فإن شاءوا أطاعونى و إلّا فقد جمّوا- بفتح الجيم و تشديد الميم المضمومة، أى قوا و استراحوا.

لينفذن- بضم التحتية و سكون النون و كسر الفاء و بالذال المعجمة: فعل مضارع مؤكّد بالنون، استنفرت أهل عكاظ: دعوتهم إلى نصركم، و عكاظ بعين مهملة مضمومة فكاف مخففة فألف فطاء معجمة مشالة: سوق بقرب عرفات.

بلّحوا: بموحدة فلام مشددة مفتوحين فمهملة مضمومة: امتنعوا من الإجابة، و انبلح:

امتنع من الإجابة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج، ٥، ص: ٨٨

أسيتمكم- بهمزة مفتوحة: يقال أسيه بمالى مؤاساء، أى جعلته أسوتى فيه.

تجتاحهم- بجيم و حاء مهملة: تهلكهم بالكلية.

أوباش: بتقديم الواو: الأخلاط من السفلة، و هم أخصّ من قوله فى رواية أشواب بتقديم الشين المعجمة على الواو، و هم الأخلاط من أنواع شتى.

خليقا- بالخاء المعجمة و القاف: حقيقا وزنا و معنى، و يقال خليق للواحد و الجمع.

يدعوك: يتركوك.

اممصص- بألف وصل و مهملتين، الأولى مفتوحة، زاد فى التقريب و يجوز ضمها: فعل أمر.

البظر- بفتح الموحدة و سكون الطاء المعجمة المشالة: قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة.

و اللات: اسم أحد الأصنام التى كانت قريش و ثقيف يعبدونها، و كانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأمر، فأراد أبو بكر

المبالغة في سب عروءة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، و حمله على ذلك ما أغضبه من نسبة المسلمين إلى الفرار، و فيه جواز النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحقّ به ذلك.

أما- بفتح الهمزة و تخفيف الميم: حرف استفتاح.

المغفر: بكسر الميم، و سكون الغين المعجمة.

الفظّ- بالفاء و تشديد الطاء المعجمة المشالة: الشديد الخلق بضميتين.

الغليظ: السّيء القول.

اليد: النعمة و الإحسان.

لم أجزك بها: لم أكافئك بها.

طفق- بفتح الطاء، و كسر الفاء: جعل.

أهوى بيده: مدها.

نعل السيف: ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها.

غدر- بغين معجمة- وزن عمر، و معدول عن غادر: مبالغة في وصفه بالغدر، و هو ترك الوفاء.

يرمق- بضم الميم: يلحظ.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٨٩

يحدون بضم أوله و كسر المهملة: يدعون.

وضوءه- هنا بالفتح: الماء.

كسرى: بكسر الكاف و بفتحها.

يتألّهون: يعظّمون أمر الإله، و قيل التأله: التعبد.

ابعثوها له: أثيروها دفعة واحدة.

عرض الوادى- بضمّ العين المهملة و سكون الراء، و بالضاد المعجمة: جانبه و ناحيته، و قيل: عرض كلّ شىء: وسطه، و ليس المراد ضدّ الطول، ذاك بفتح العين.

تفلوا- بالمشثاء الفوقية و كسر الفاء: تغيّرت رائحتهم.

الشعث- بالشين المعجمة، و العين المهملة المفتوحتين و بالثاء المثلثة: الانتشار و التفرق للشعر.

لخم: بفتح اللام و سكون الخاء المعجمة.

و جذام: بجيم مضمومة، فذال معجمة.

كنده: بكسر الكاف حمير- بكسر الحاء المهملة و سكون الميم و فتح التحتية و بالراء: أسماء قبائل.

أجل- كنعم وزنا و معنى.

معكوف: محبوس.

شرح غريب ذكر إرساله - صلى الله عليه و سلم - خراش بن أمية، و بعده عثمان، و مبايعته - صلى الله عليه و سلم - بيعه الرضوان، و ذكر الهدنة، و كيف جرى الصلح

التعلب- بلفظ اسم الحيوان المعروف.

عقر الدابة: ضرب قوائمها.

وشيكاً- بالشين المعجمة و التحيته: قريبا.

كافة: جميعا.

الأماثل: الخيار من قومهم.

وافرون: كثيرون.

جامون- بتشديد الميم: مستريحون كثيرون

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٠

المناجزة فى الحرب: المبادرة و المقاتلة.

مازن- بكسر الزاى: أبو قبيلة.

البيعة البيعة: بنصبها على الإغراء.

روح القدس: جبريل- صلى الله عليه و سلم- و تقدم الكلام على ذلك فى ترجمته فى أبواب المعراج.

ثرنا- بالمثلثة: نهضنا.

سمره- بفتح المهملة و ضم الميم: من شجر الطلح، و هو نوع من العضاء الحجفة- بحاء فجيم ففاء مفتوحات: الترس الصغير يطارق بين

جلدين الدرقة: الحجفة.

عزلا- بكر الزاى مع فتح العين، و بضمها: أى لا سلاح معه يقاتل به فيعتزل الحرب.

أبغنى: أعطنى.

محدقون به: محيطون ناظرون إليه بأحداقهم.

الجد بن قيس: بفتح الجيم و تشديد الدال المهملة.

ضبا إليها- بفتح الضاد المعجمة و الموحدة مهموز: اختبا بها.

اصطنعوا- بصاد ساكنة فطاء مفتوحة مهملتين، فنون مكسورة، فعين مهملة: اتخذوا صنيعا، يعنى اتخذوا طعاما تنفقونه فى سبيل الله.

لن يدرك قوم بعدكم صاعكم و لا مدكم، الصاع: أربعة أمداد، و المد: ربع صاع و هو رطل و ثلث بالعراقى عند الشافعى و أهل

الحجاز، و رطلان عند أبى حنيفة و أهل العراق، أى ما يبلغ ثواب صاع أحدكم و لا مده فى الثواب إذا تصدق به.

تشميرهم إلى الحرب: إسرعهم إليه.

القضية [(١)] ...

الهدنة- بضم أوله و سكون ثانيه و بضمه أيضا: الصلح و المودعة بين المتحاربين.

مقتعان فى الحديد- بتشديد النون: عليهما بيضه.

العنوة- بفتح العين المهملة و سكون النون: أخذ الشيء قهرا.

عيبة مكفوفة- بفتح العين المهملة و سكون التحيته: أى أمر مطوى فى صدور سليمة، و هو إشارة إلى ترك المؤاخذه بما تقدم بينهم

من أسباب الحرب و غيرها، و المحافظة على العهد الذى وقع بينهم.

[(١)] بياض فى الأصول بمقدار كلمتين، و لعل المراد «الصلح» أو «المودعة».

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩١

لا إغلال- بغير معجمة: لا خيانه، تقول أغل الرجل إذا خان، و أما فى الغنيمه فيقال غل بغير ألف.

و لا إسلال: لا سرقة، من السلء و هى السرقة، و المراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم سرا و جهرا، و قيل: الإسلال

من سلّ السيوف، و الإغلال من لبس الدرع.

و وهّاه أبو عبيد.

امتعضوا- بميم مشددة فعين مهملة فضاء معجمة، و لبعض رواة الصحيح امتعضوا- بإظهار الفوقية: أى شقّ عليهم.

الديئة- بدال مهملة مفتوحة فنون مكسورة فتحتية مشددة: الخصلة المذمومة، و الأصل فيه الهمز و قد يخفف.

أو لسناء- بفتح الواو، و الاستفهام للإنكار، و كذا ما بعده.

الغرز- بفتح الغين المعجمة فراء ساكنة فزاي: ركاب كور البعير إذا كان من جلد أو خشب.

يتلكأ: يبطئ.

هات: فعل أمر من باب رامى يرامى.

مضطهد: بميم مضمومة فضاء معجمة ساكنة فطاء مهملة.

لا تحدّث العرب- بفتح الفوقية، و تشديد الدال المهملة المفتوحة حذف منه إحدى التائين. ضغطة- بضم الضاد، و سكون الغين

المعجمتين، فطاء مهملة: مقهور.

التنعيم- على لفظ المصدر، من نعمته تنعيما: مكان على ثلاثة أميال من مكّة من جهة المدينة.

الغرة- بالكسر: الغفلة.

زنيم: بضم الزاي و فتح النون.

اخترط السيف: استلّه.

العبلات- بفتح المهملة و الموحدة: و هم من قريش أمية الصغرى، نسبوا إلى أمهم عبلة بنت عبيد.

بدء الفجور- بفتح الموحدة، و سكون الدال المهملة و بالهمز: ابتداؤه و أوله و سكون النون فتحتية، أى عودة ثانية، و فى رواية ثناه

بكسر المثلثة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٢

ثناه- بضم الثاء المثلثة و إسقاط التحتية.

أبو جندل- بالجيم: وزن جعفر.

يرسف فى قيوده- بفتح التحتية و ضم السين المهملة و بالفاء: يمشى مشيا بطيئا بسبب القيد.

لم نقض الكتاب بعد: لم نفرغ من كتابته.

أجزه لى- بالجيم و الزاي: امض لى فعلى و لا أردّه عليك أو استثنه من القضية، و وقع فى الجمع للحميدى بالراء، و رجيح أبو الفرج

الزاي.

ضنّ بأبيه- بالضاد المعجمة، و التّون المشددة: بخل، أى لم يسمح بقتله.

التأم- بهمزة مفتوحة: انسد.

يّم هديه: قصده.

شرد جمل: ندّ و نفر.

التّجيب: الفاضل من كل حيوان.

المهرى- بفتح الميم و سكون الهاء: نسبة إلى بنى مهرة كتمرّة: قبيلة من قضاة سمّوا باسم أبيهم مهرة بن حيدان، و بلد بعمان، و الإبل

المهرية تنسب إلى أحدهما.

البرة- بضم الموحدة و تخفيف الراء المخففة: حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل، و أكثر ما تكون من صغر، فإن كانت من شعر فهى

خزامة، و إن كانت من خشب خشاش بخاء و شينين معجمات.
مضطربا في الحل، أي كانت قبتة مضروبة في الحل، و كانت صلته في الحرم لقرب الحديدية من الحرم.
اضطبع بثوبه: أدخله تحت إبطه اليمنى و ألقاه على عاتقه الأيسر.

شرح غريب ذكر رجوعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و نزول سورة الفتح

مرّ - بفتح الميم و تشديد الرّاء، مضاف إلى الظهران، بالطاء المعجمة المشالة المفتوحة، و بين مرّ و البيت الشريف ستّة عشر ميلا.
أرملوا من الرّاد - بالرّاء: نفذ زادهم.
النتع: المتخذ من الأديم معروف، و فيه أربع لغات. فتح النون و كسرهما و مع كل واحد فتح الطاء و سكونها.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٣
ربضة عزز: قدرها رابضة، أي باركة.
التّواجد - بالنون و الجيم المكسورة و بالذال المعجمة: جمع ناجذ، و هو السنّ بين الضّرس و الناب، و أواخر الأضراس. و المراد هنا الأنياب.
الجهد: المشقة.
يدفعوكم بالرّاح - بالحاء المهملة و الرّاء: جمع راحة و هى الكفّ.
لا يلوون على أحد: لا يلتفتون إليه، و لا يعطفون عليه.
ثكلته أمه: كلمة تقولها العرب للإنكار، و لا يريدون حقيقتها.
نزرت - بنون فزاي مشددة فراء: ألححت.
نشب - بنون فشين معجمة فموحدة: لبث.
يرجفون الأباغر: يحثونها على الإسراع فى السير.
هنيئا: طيبا.
مريا: سائغا.
عزّسنا - بعين فراء مشددة فسين مهملات فنون: نزلنا ليلا، أو آخر الليل.

شرح غريب ذكر قدوم أبى بصير - رضى الله عنه - على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أبو بصير - بفتح الموحدة و كسر المهملة و سكون التحتية فراء.
البكر من الإبل - بالفتح: و هو الفتى من الدّواب خلاف المسنّ، كالشّاب من الناس.
حتى برد - بموحدة فراء مفتوحتين فذال مهملة: خمدت حواسّه، و هى كناية على الموت، لأنّ الميّت تسكن حرّته. و أصل البرد السكون.
الإسار: وزن كتاب: القيد بفتح القاف.
جمز - بالجيم و الزاي - أسرع.
الدّعز - بضم الذال المعجمة و سكون المهملة: الخوف.

ويل أمه - بضم اللّام و وصل الهمزة و كسر الميم المشددة: و هى كلمة ذمّ تقولها العرب فى المدح و لا يقصدون معنى ما فيها من الذّم، لأنّ الويل الهلاك، فهو كقولهم: لامة الويل قال الفراء: أصل ويل وى لفلان، أى حزن له: فكثرت الاستعمال، فألحقوا بها اللّام،

فصارت كأنها منها، و أعربوها، و تبعه ابن مالك، إلا أنه قال تبعاً للخليل إن وى كلمة تعجب، و هى من أسماء الأفعال، و اللام بعدها مكسورة، و يجوز ضمها إبتاعاً للهمزة، و حذفت الهمزة تخفيفاً.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٤

مسعر حرب- بكسر الميم، و سكون السين، و فتح العين المهملتين و بالتّصّب على التمييز، و أصله من مسعر حرب. أى مسعرها، قال الخطابى: كأنه يصفه بالإقدام فى الحرب، و التسعير لنارها.

محشّ- بحاء مهملة و شين معجمة: و هو بمعنى مسعر حرب.: و هو العود الذى تحرّك به النّار.

العيص- بكسر العين المهملة، و سكون التّحتية، و بالصاد المهملة: موضع قرب المدينة على ساحل البحر.

ذو المروة: موضع فى أرض جهينة مما يلى سيف البحر بين مكة و المدينة.

الثواء- بئاء مثلثة مفتوحة و بالمد: الإقامة.

صناديد قريش: عظماؤها.

المعشر- واحد المعاشر: و هى الجماعات من الناس.

تخفق- بخاء معجمة ساكنة ففاء مكسورة و بالقاف: تضرب.

أيمانهم- بفتح الهمزة.

القنا- بفتح القاف و بالقصر: جمع قناة: الرمح.

الذّابل- بذال معجمة، فألف فموحدة، أشار إلى أن رماحهم رقاق.

لم يأتل: لم يحلف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٥

الباب الثالث و العشرون فى غزوة ذى قرد- و هى الغابة

إشارة

و السّبب فيها إغارة عينه بن حصن بن حذيفة الفزارى فى خيل غطفان على لقاح رسول الله- صلى الله عليه و سلّم.

روى الشيخان، و البيهقى عن يزيد بن أبى عبيد، و مسلم و ابن سعد، و البيهقى عن إياس بن سلمة بن الأكوع كلاهما عن سلمة-

رضى الله عنه. و ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، و عبد الله بن أبى بكر و من لا- يتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك، و

محمد بن عمر عن شيوخه، و ابن سعد عن رجاله، أن لقاح رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- كانت عشرين لقحة و كانت ترعى

البيضاء و دون البيضاء إلى الجبل، و هو طريق خيبر، فأجدب ما هنالك فقرّبوها إلى الغابة تصيب من أثلها و طرفائها و تغدو فى

الشجر، و كان الرّاعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب [(١)].

قال محمد بن عمر: و كان أبو ذرّ قد استأذن رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- إلى لقاحه، فقال له رسول الله- صلى الله عليه و سلّم-

«إنى أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك». و نحن لا نأمن من عينه بن حصن و ذويه و هى فى طرف من أطرافهم، فألح

عليه، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلّم:-

«لكأنى بك قد قتل ابنك و أخذت امرأتك، و جئت تتوكأ على عصاك» فكان أبو ذرّ يقول:

عجبا لى، إن رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- يقول: «لكأنى بك» و أنا ألح عليه،

فكان- و الله- ما قال رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- قال أبو ذرّ: و الله إننى لفى منزلنا، و لقاح رسول الله- صلى الله عليه و سلّم-

قد رُوحت و عطفت و حلبت عتمتها، و نمنا، فلما كان الليل أحرق بنا عيينه بن حصن في أربعين فارسا، فصاحوا بنا و هم قيام فأشرف لهم ابني فقتلوه، و كانت معه امرأته و ثلاثة نفر فنجوا، و تنحيت عنهم، و شغلهم عنى إطلاق عقل اللقاح، ثم صاحوا في أدبارها، فكان آخر العهد بها، و لما قدمت على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أخبرته تبسم.

و قال سلمة بن الأكوع: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، و كانت لقاح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بنى قرد، فبعث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بظهره مع رباح - بفتح الراء و بالموحدة - غلام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أنا معه، و خرجت بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلقيت غلاما لعبد الرحمن بن عوف كان في إبل لعبد الرحمن بن عوف فأخطئوا مكانها، و اهتدوا للقاح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأخبرني أن لقاح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد أغار عليها عيينه بن حصن في أربعين فارسا من غطفان.

[(١)] أخرجه البخارى ٥٢٦ / ٧ (٤١٩٤) و مسلم ١٤٣٢ / ٣ (١٨٠٦ / ١٣١) و البيهقى فى الدلائل ١٨٠ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٦

قال محمد بن عمر و ابن سعد: ليلة الأربعاء، قال سلمة: فقلت: يا رباح اقعد على هذا الفرس، فالحق بطلحة، و أخبر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن قد أغير على سرحه، و قمت على تل بناحية سلع، فجعلت وجهى من قبل المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه أسمع ما بين لابتيها ثم انبعث القوم و معى سيفى و نبلى، فجعلت أردهم، و فى لفظ: أرميهم، و أعقر بهم، و ذلك حين يكثُر الشجر، فإذا رجع إلى فارس جلست له فى أصل شجرة، ثم رميت، فلا يقبل على فارس إلا عقرت به، فجعلت أرميهم و أنا أقول:

أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع فألحق رجلا فأرميه و هو على رحله فيقع سهمى فى الرحل حتى انتظمت كتفه فقلت:

خذها و أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع فإذا كنت بالشجر أحرقتهم بالنبل، و إذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة، فما زال ذلك شأنى و شأنهم أتبعهم و أرتجز حتى ما خلق الله - تعالى - شيئا من ظهر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلا خلفته وراء ظهرى و استنقذته من أيديهم.

قال ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا، و أكثر من ثلاثين برده يستخفون منها، و لا يلقون من ذلك شيئا إلا جعلت عليه الحجارة، و جمعته على طريق رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى إذا اشتد الضحى أتاهم عيينه بن بدر الفزارى ممدا لهم. و هم فى ثنية ضيقه، ثم علوت الجبل، فأنا فوقهم. فقال عيينه: ما هذا الذى أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح [(١)] ما فارقنا بسحر حتى الآن، و أخذ كل شىء فى أيدينا و جعله وراء ظهره، فقال عيينه: لو لا أن هذا يرى أن وراءه طلبا لقد ترككم، و قال: ليقم إليه نفر منكم، فقام إلى أربعة منهم فصعدوا فى الجبل، فلما أسمعتهم الصوت قلت لهم: أ تعرفوننى؟ فقالوا: و من أنت، قلت: أنا ابن الأكوع، و الذى أكرم وجه محمد - صلى الله عليه و سلم - لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى، و لا أطلبه فيفوتنى. فقال رجل منهم: إنى أظن فرجعوا.

ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى طلب العدو و تقديمه جماعة أمامه

قال ابن إسحاق: و بلغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - صياح ابن الأكوع يصرخ بالمدينة «الفرع الفرع». فترامت الخيول إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فكان أول من انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من الفرسان المقداد بن عمرو، و هو الذى يقال له ابن الأسود حليف بنى زهرة، زاد محمد بن عمر - نقلا عن عمارة بن غزيرة، و ابن سعد - فنودى «يا خيل الله اركبى»، و كان أول ما نودى

[(١)] البرج: الشدة والأذى، انظر المعجم الوسيط ١/ ٤٧.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٧

بها- كذا قال، وزاد ابن عائد عن قتادة: أن أول ما نودى «يا خيل الله اركبي» فى غزوة بنى قريظة، وهى قبل هذه عندهم.

قال محمد بن عمر: وكان المقداد يقول: لما كانت ليلة السير جعلت فرسى سبعة لا تقرب ضربا ضربا بيدها، و صهيلا، فأقول: والله إن لها لشأنا، فأنظر إلى آريها [(١)] فإذا هو مملوء علفا، فأقول: عطشى فأعرض عليها الماء فما تريده. فلما طلع الفجر أسرجتها ولبست سلاحى، ثم خرجت حتى أصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصبح، فلم أر شيئا، ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته، ورجعت إلى بيتى، والفرس لا- تقرب، فوضعت سرجها والسيلاح واضطجعت، فأتاني آت فقال: إن الخيل قد صيح بها، فخرجت.

قال ابن إسحاق: ثم كان أول فارس وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد المقداد من الأنصار عباد بتشديد الموحدة ابن بشر- بكسر الموحدة و سكون الشين المعجمة، وسعد بسكون العين- بن زيد، وأسيد- بضم أوله وفتح ثانيه- ابن ظهير- وهن- تصغير ظهير- بطاء معجمة مشالة، و محرز [(٢)] بضم الميم و سكون الحاء المهملة فراء مكسورة فزاي ابن نضلة بالنون و سكون الضاد المعجمة، و ربيعة بن أكثم بالثاء المثناة، و عكاشة بتشديد الكاف و تخفيفها ابن محصن بكسر الميم و سكون الحاء المهملة و أبو عياش بالتحية و الشين المعجمة الزرقى، و أبو قتادة فلما اجتمعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عليهم سعد بن زيد، ثم قال: «أخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس».

و قال محمد بن عمر، و ابن سعد: عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمقداد لواء فى رمحه، و قال: «أمض حتى تلحقك الخيول، و أنا على أترك»

قالا: و الثبت عندنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر على هذه السرية سعد ابن زيد الأشهلى، و لكن الناس نسبوها للمقداد، لقول حسان .. غداة فوارس المقداد. فعاتبه سعد بن زيد فقال: اضطرني الوزن إلى المقداد.

قال ابن إسحاق: و قد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى عن رجل من بنى زريق- لأبى عياش: «يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم» [(٣)]، قال أبو عياش فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس، و ضربت الفرس، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحتنى، فعجبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لو أعطيته أفرس منك» و أنا أقول: أنا أفرس

[(١)] آريها: الأرى الجبل الذى تشد به الدابة إلى محبسها، انظر الصحاح ٦/ ٢٢٦٧.

[(٢)] محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه الاسدى أبو نضلة و يعرف بالأخرم ..

ذكره موسى بن عقبه و ابن اسحق و غيرهما فيمن شهد بدرا. انظر الإصابة ٦/ ٤٨.

[(٣)] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧/ ٣٢ و انظر المعجم ٦/ ١٤٣.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٨

الناس،

فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أعطى فرس أبى عياش معاذ بن معاص و كان ثامنا، أو عائذ- بالتحية و المعجمة ابن معاص بعين مكسورة فصاد مهملتين.

و ذكر الطبرى أن معاذ بن معاص و أخاه قتلا يوم بئر معونة شهيدين كما سيأتى فى السرايا، و بعض الناس يعد سلمه بن الأكوع أحد الثمانية و يسقط أسيد بن ظهير- و الله أعلم أى ذلك كان، فخرج الفرسان حتى تلاحقوا، و كان أول من لحق بالقوم محرز بن نضلة،

و كان يقال له الأخرم بخاء معجمة ساكنة وراء، و يقال له قمير- بضم القاف و فتح الميم.

و إن الفرع لما كان جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل و كان فرسا صنيعا جامحا، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل- حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخل هو مربوط به: يا قمير هل لك في أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و بالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطيته إياه، فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل بجماحة حتى أدرك القوم، فوقف بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين و الأنصار، فحمل عليه رجل منهم فقتله، و جال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريته في بني عبد الأشهل.

قال سلمة بن الأكوع: فما برحت من مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتخللون الشجر، فإذا أولهم الأخرم الأسدي، و على أثره أبو قتادة، و على أثره المقداد بن الأسود الكندي، فولى المشركون مدبرين، قال سلمة: فنزلت من الجبل، و أخذت بعنان فرس الأخرم، و قلت: يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و أصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر، و تعلم أن الجنة حق و النار حق، فلا- تحل بيني و بين الشهادة. فخلتني هو و عبد الرحمن بن عيينة فعثر بعبد الرحمن فرسه، و طعنه عبد الرحمن فقتله. و تحوّل على فرسه، و لحق أبو قتادة فارس رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعبد الرحمن فاختلغا طعنتين، فعقر بأبي قتادة، و قتله أبو قتادة، و تحوّل أبو قتادة إلى الفرس.

و روى محمد بن عمر عن صالح بن كيسان، قال محرز بن نضلة قبل أن يلقي العدو بيوم: رأيت السماء فرجت لي حتى دخلت في السماء الدنيا، حتى انتهت إلى السماء السابعة، ثم انتهت إلى سدره المنتهى، فقيل لي: هذا منزلك، فعرضتها على أبي بكر الصديق- و كان من أعب الناس- فقال: أبشر بالشهادة. فقتل بعد ذلك بيوم.

قال سلمة: ثم خرجت أعدو في أثر القوم فو الذي أكرم وجهه حتى ما أرى من ورائي من أصحاب رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و لا غبارهم شيئا، و يعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه، و أسندوا في

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٩٩

الثنية «ثنية ذى بئر» و غربت الشمس، و ألحق رجلا فأرميه و قلت:

خذها و أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع قال: فقال يا ثكل أم الأكوع بكرة فقلت: نعم أي عدو نفسه.

و كان الذي رميته بكرة، فأتبعته بسهم آخر فعلق به سهمان، و خلفوا فرسين، فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقلت: نعم أي عدو نفسه.

قال ابن إسحاق: و لما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن و غشاه ببرده، ثم لحق بالناس، و قال محمد بن عمر، و ابن سعد: و قتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن. و قرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر، فالله أعلم. و أدرك عكاشة بن حصن أوبارا، و ابنه عمرو بن أوبار و هما على بعير واحد فانتظهما بالرمح فقتلتهما جميعا، و استنقذوا بعض اللقاح.

و روى البيهقي عن عبد الله بن أبي قتادة: أن أبا قتادة اشترى فرسه من دواب دخلت المدينة. فلقبه مسعدة الفزاري فقال: يا أبا قتادة، ما هذا الفرس؟ فقال أبو قتادة: فرس أردت أن أربطها مع رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال ما أهون قتلكم و أشد حربكم، قال أبو قتادة: أما إنى أسأل الله- تعالى- أن يلقينيك و أنا عليها فقال أمين و كان أبو قتادة ذات يوم يعلف فرسه تمرا في طرف برده إذ رفعت رأسها و أصرت أذنيها؟ فقال: أحلف بالله لقد أحست بريح خيل: فقالت له أمه: و الله يا بني ما كنا نرام في الجاهلية، فكيف حين جاء الله بمحمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم رفعت الفرس أيضا رأسها، و أصرت أذنيها، فقال: أحلف بالله لقد أحست بريح خيل. فوضع سرجها فأسرجها، و أخذ بسلاحه، ثم نهض حتى أتى مكانا يقال له الزوراء فلقبه رجل من أصحابه، فقال له: يا أبا قتادة، تشوّط دابتك، و قد أخذت اللقاح. و قد ذهب النبي في طلبها و أصحابه؟! فقال: أين؟ فأشار إليه نحو الثنية. فإذا بالنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليه

و سلم - في نفر من أصحابه جلوس عند ذباب، فقمع دابته، ثم خلاها،
فمرّ بالنبي - صلى الله عليه و سلم - فقال له: «امض يا أبا قتادة صحبك الله»

قال أبو قتادة: فخرجت فإذا بإنسان يحاكيني فلم ننشب أن هجمنا على العسكر، فقال لي: يا أبا قتادة ما تقول؟ أما القوم فلا طاقة لنا بهم، فقال له أبو قتادة: تقول: إنني واقف حتى يأتي رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أريد أن تشد في ناحيه و أشد في ناحيه، فوثب أبو قتادة فشق القوم. فرموه بسهم، فوقع في جبهته، قال أبو قتادة: فنزعت قدحي، و أظن أني قد نزعت الحديد. و مضيت على وجهي فلم أنشب أن طلع عليّ فارس على فرس فار و عليه مغفر له فأثبتني و لم أثبته. قال: لقد ألقانيك الله يا أبا قتادة و كشف عن وجهه و أداة كليله. علي وجهه فإذا هو مسعدة الفزاري، فقال: أيما أحب إليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة؟ قال: فقلت: ذاك

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٠

إليك، قال فقال: صراع، فأجال رجله على دابته، و أجلت رجلى على دابتي، و عقلت دابتي و سلاحى إلى شجرة، و عقل دابته و سلاحه إلى شجرة، ثم توثبنا، فلم أنشب أن رزقنى الله - تعالى - الظفر عليه، فإذا أنا على صدره، فو الله إنى لمن أهتم الناس من رجل متأبط قد هممت أن أقوم فأخذ سيفى، و يقوم فيأخذ سيفه، و إننا بين عسكرين لا آمن أن يهجم على أحدهما، إذا بشيء مس رأسى، فإذا نحن قد تعالجتنا، حتى بلغنا سلاح مسعدة فضربت يدي إلى سيفه، فلما رأى أن السيف وقع بيدي قال: يا أبا قتادة، استحينى، قلت: لا، و الله أو ترد أمك الهاوية.

قال: فمن للصبية؟ قلت: النار. قال: ثم قتلتها و أدرجته فى بردى، ثم أخذت ثيابه فلبستها، ثم أخذت سلاحه، ثم استويت على فرسه، و كانت فرسى نفرت حين تعالجتنا فرجعت إلى العسكر، قال: فعرقبواها.

قال: ثم مضيت على وجهي فلم أنشب أنا حتى أشرفت على ابن أخيه و هو فى سبعة عشر فارساً، قال فألحت إليهم فوقفوا، فلما أن دنوت منهم حملت عليهم حملة و طعنت ابن أخيه طعنة دقت عنقه، و انكشف من كان معه. و حبست اللقاح برمحي [(١)].

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لطلب العدو

قال محمد بن عمر، و ابن سعد:

خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - غداة الأربعاء راكباً مقنعا فى الحديد.

قال ابن هشام: و استعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال: و خلف سعد بن عباد - رضى الله عنه - فى ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة.

قال ابن إسحاق: و لما مر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و المسلمون بحبيب مسجى ببرد أبى قتادة استرجعوا، و قالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «ليس بأبى قتادة، و لكنّه قتيل لأبى قتادة، وضع عليه برده لتعرفوا أنّه صاحبه» [(٢)].

قال ابن سعد قال سلمة لحقنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و الخيول عشاء قال أبو قتادة - رضى الله عنه - فى حديثه السابق: و أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و من معه من أصحابه، فلما نظر إليهم العسكر فروا قال: فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أبى قتادة قد عرقت

فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله!! قد عرقت فرس أبى قتادة، قال: فوقف عليها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال:

«ويح أمك، ربّ عدو لك فى الحرب» مرتين. ثم أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه حتى إذا

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ١٩١ / ٤.

[(٢)] أخرجه الطبراني في الكبير ٣١ / ٧ و انظر المجمع ١٤٣ / ٦ و البداية و النهاية ١٥١ / ٤ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠١

انتهوا إلى الموضع الذى تعالجننا فيه إذا هم بأبى قتادة- فيما يرون مسجى فى ثيابه، فقال رجل من الصّحابة: يا رسول الله، قد استشهد أبو قتادة، قال، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم: «رحم الله أبا قتادة، و الذى أكرمنى بما أكرمنى به إن أبا قتادة على آثار القوم يرتجز». فدخلهم الشيطان أنهم ينظرون إلى فرسى قد عرقت، و ينظرون إليه مسجى عليه ثيابه [(١)] .

قال: فخرج عمر بن الخطّاب و أبو بكر- رضى الله عنهما- يسعيان حتى كشف الثوب، فإذا وجه مسعدة، فقالا: الله أكبر، صدق الله و رسوله، مسعدة يا رسول الله. فكبر الناس، و لم ينشب أن طلع عليهم أبو قتادة يحوش اللقّاح،

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «أفلح وجهك يا أبا قتادة، أبو قتادة سيد الفرسان، بارك الله فيك يا أبا قتادة» [(٢)] .

قال: قلت: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، سهم أصابنى، و ألمذى أكرمك بما أكرمك، و فى ولدك و فى ولد ولدك- و أحسب عكرمة قال و فى ولد ولد ولدك. ما هذا بوجهك يا أبا قتادة؟ قد ظننت أنّى قد نزعته، قال: «ادن منى يا أبا قتادة» قال: فدنوت منه. قال: فنزع النّصل نزعا رفيقا، ثم بزق فيه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و وضع راحته عليه، فو الذى أكرم محمدا- صلى الله عليه و سلم- بالنبوة ما ضرب على ساعة قط، و لا قرح قط علىّ.

و روى محمد بن عمر و ابن سعد عن أبى قتادة قال: لما أدركنى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال: اللهم بارك له فى شعره و بشره، و قال: أفلح وجهك، قلت: و وجهك يا رسول الله، قال:

«قتلت مسعدة؟» قلت: نعم، و ذكر نحو ما تقدّم قال: فمات أبو قتادة و هو ابن سبعين سنة و كأنه ابن خمس عشرة سنة.

و ذهب الصّريح إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الإمداد، فلم تزل الخيل تأتي و الرجال على أقدامهم و الإبل، و القوم يعتقبون البعير و الحمار حتى انتهوا إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بنى قرد قال ابن إسحاق: و استنقذوا عشر لقاح زاد- فيها جمل لأبى جهل، و أفلت القوم بعشر.

و كانت راية رسول الله- صلى الله عليه و سلم- العقاب، يحملها سعد بن زيد، و كان شعارهم أمت أمت.

و صلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يومئذ صلاة الخوف، و سيأتى بيانها فى أبواب صلاته- صلى الله عليه و سلم صلاة الخوف.

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ١٩٣ / ٤ .

[(٢)] انظر الشفاء ١ / ٦٢٨ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٢

و قال سلمة: و لحقنى عمى بسطيحة فيها مذقة من لبن، و سطيحة فيها ماء فتوضأت و شربت.

و روى ابن سعد عنه قال: لحقنا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و الخيول عشاء انتهى.

قال سلمة: فأتيت رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و هو على الماء الذى أجليتهم عنه، فإذا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قد أخذ تلك الإبل، و كلّ ما قد استنقذته من المشركين، و كل رمح و برده، و إذا بلال نحر ناقه من الإبل التى استنقذت من القوم، و شوى لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- من سنامها و كبدها فقلت: يا رسول الله!! قد حميت القوم الماء، و هم عطاش خلفى، فانخب من القوم مائة رجل فأتابع القوم فلا يبقى مخبر إلا قتله. فضحك رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حتى بدت نواجذه فى ضوء النار، و قال: «يا سلمة أتراك كنت فاعلا؟» قلت: نعم. و الذى أكرمك. فقال: «ملكك فأسجج، إنهم ليغبقون» [(١)] و فى لفظ ليقرّون فى أرض غطفان،

فجاء رجل من غطفان و قال:

نحر لهم فلان جزورا، فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا، قالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين.
قال ابن إسحاق: وقسم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - في أصحابه في كل مائة جزورا.
و أقام - صَلَّى الله عليه و سلم - بذي قرد يوما و ليلة يتحسب الخبر.
و في حديث سلمة أنهم كانوا خمسمائة.

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و يقال سبعمائة، و بعث سعد بن عبادة - رضى الله عنه - بأحمال تمر، و بعشر جزائر فوافت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بذي قرد،
قال سلمة: فلما أصبحنا قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «خير فرساننا اليوم أبو قتادة، و خير رجالنا سلمة» [٢].

ثم أعطاني رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - سهم الفارس و الراجل فجمعهما لى جميعا، ثم أردفنى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، فلما كان بينها و بينه قريب من ضحوة، و فى القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق، فجعل ينادى: هل من يسابق؟ إلى رجل يسابق إلى المدينة، فعل ذلك مرارا،
و أنا وراء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مردفى، قلت له: أما تكرم كريما، و لا تهاب شريفا؟ قال: لا، إلا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قلت: يا رسول الله، بأبى أنت و أمى خلنى فلاسابق الرجل، قال: «إن شئت» قلت: أذهب، فظفر عن راحلته، و ثنيت رجلى، فظفرت عن الناقة، ثم ارتبطت عليه شرفا أو شرفين، يعنى استبقيت نفسى، ثم عدوت حتى ألحقه، فأصك بين كتفيه بيدي، و قلت: سبقتك و الله، فضحك و قال: و الله إن أظن، فسبقته حتى قدمنا المدينة، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خير.

[١] الغبوق ما يشرب بالعشى، انظر المعجم الوسيط ٢ / ٦٤٩.

[٢] ذكره ابن عساكر فى تهذيب دمشق ٦٠ / ٢٣٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٣

قال محمد بن عمر و ابن سعد: و رجع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى المدينة يوم الاثنين، و قد غاب خمس ليال.
و روى الزبير بن بكار عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى قال: مر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان، فسأل عنه، فقيل: اسمه يا رسول الله بيسان - و هو مالح - فقال: «بل هو نعمان و هو طيب» فغيّر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الاسم - و غير الله عز و جل الماء، فاشتراه طلحة، فتصدق به

ذكر قدوم امرأة أبي ذر على ناقة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

روى الإمام أحمد، و مسلم و أبو داود عن عمران بن حصين - رضى الله عنهما - فذكر الحديث، و فيه «فكانت المرأة فى الوثاق، و كان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم.

فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأأت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ، قال: و هى ناقة مدربة، فقعدت فى عجزها، ثم زجرتها فانطلقت، و قد رأوها فطلبوها فأعجزتهم، قال: و نذرت إن نجاها الله - عز و جل - لتحنرها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

فقال: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتحنرها، فأتوا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فذكروا ذلك له فقال: «سبحان الله، بس ما جزتها نذرت إن نجاها الله لتحنرها، لا وفاء لنذر فى معصية و لا فيما لا يملك ابن آدم». زاد ابن إسحاق من مرسل الحسن «إنما هى

ناقة من إبلى، ارجعي إلى أهلك على بركة الله»

[(١)] .

وقدم ابن أخي عيينة بلقحة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - السمراء فبشرته بها سلمى، فخرج - صَلَّى الله عليه و سلم - مستبشراً، وإذا رأسها بيد ابن أخي عيينة، فلما رآها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عرفها، ثم قال: أيم بربك فقال: يا رسول الله أهديت لك هذه اللقحة، فتبسّم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - وقبضها منه، ثم أقام عنده يوماً أو يومين، ثم أمر له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بثلاث أواق من فضة، فجعل يتسخط، قالت سلمى: فقلت: يا رسول الله أتثيبه على ناقة من إبلك؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: نعم وهو يتسخط عليّ». ثم صَلَّى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الظهر، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنّ الرجل ليهدى إلى الناقة من إبلى أعرفها كما أعرف بعض أهلي، ثم أثيبه عليها فيظل يتسخط

[(١)] أبو داود ٣/ ٨٠٧ (٣٥٣٧) و الترمذى ٥/ ٧٣٠ (٣٩٤٥)، وأخرجه الطبراني فى الكبير ١١/ ١٨ و انظر المجمع ٤/ ١٤٨ و الحميدى (١٠٥١، ١٠٥٣) و عبد الرزاق فى المصنف (١٩٩٢٠) و أحمد ٢/ ٢٩٢ و ابن حبان ذكره الهيثمى فى الموارد (١١٤٥، ١١٤٦) و النسائى ٦/ ٢٨٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٤

عليّ، لقد هممت أن لا أقبل هديّة إلّا من قرشّى أو أنصارى أو ثقفى أو دوسى».

ذكر من قتل فى هذه الغزوة

فمن المسلمين محرز بن نضلة، أحد بنى أسد بن خزيمه، و ابن وقاص بن مجرّز - بميم مضمومة فجيّم فزايين معجمتين، الأولى مشددة مكسورة المدلجى - فيما نقل ابن هشام عن غير واحد من أهل العلم. و من الكفار مسعدة بن حكمة - بفتحيتين، و أوثار - بضم الهمزة و بالثاء المثناة عند محمد بن عمر، و ابن سعد، و بالموحدة عند ابن إسحاق، و قال ابن عقبة: أوبار - بفتح الهمزة و سكون الواو فموحدة و الله أعلم. و ابنه عمرو بن أوبار، و حبيب بن عيينه، و قرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر، و وقع عند ابن عقبة: و قرفة امرأة مسعدة.

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة ذى قرد

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

لو لا الذى لاقت و مسّ نسورها بجنوب سايه أمس فى التّقواد

للقينكم يحملن كلّ مدجج حامى الحقيقة ماجد الأجداد

و لسرّ أولاد اللقيطة أناسلم غداة فوارس المقداد

كنا ثمانية و كانوا جحفلالجبّا فشكّوا بالزّماح بداد

كنا من القوم الذين يلونهم و يقدمون عنان كلّ جواد

كلّا و ربّ الرّاقصات إلى منى يقطن عرض مخارم الأطواد

حتّى نبيل الخيل فى عرصاتكم و نؤوب بالملكات و الأولاد

رھوا بكلّ مقلّص و طمرّة فى كلّ معترك عطفن و واد

أفنى دوابرها و لاح متونها يوم تقاد به و يوم طراد
و كذا الرعان جيانا ملبونءو الحرب مشعلة بريح غواد
و سيوفنا بيض الحدائد تجتلى جنن الحديد و هامة المرثاد
أخذ الإله عليهم بحرامه أيام ذى قرد و جوه عباد فلما قالها حسان بن ثابت غضب عليه سعد بن زيد، و حلف أن لا يكلمه أبدا، ثم قال:
انطلق إلى خيلي و فوارسي فجعلها للمقداد، فاعتذر إليه حسان، و قال: ما ذاك أردت و لكن الزوى وافق اسم المقداد، و قال أبياتا
يرضى بها سعدا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٥ إذا أردتم الأشد الجلدا أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهد هدا

فلم يقبل منه سعد و لم يغن شيئا.

و قال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد للفوارس:

أ تحسب أولاد اللقيطة أتنا على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس

و إنا أناس لا نرى القتل سبءو لا ننشى عند الزماح المداعس

و إنا لنقرى الضيف من قمع الذرى و نضرب رأس الأبلج المتشاوس

نرد كماء المعلمين إذا انتخوابضرب يسلى نخوة المتقاعس

بكل فتى حامى الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضاة محالس

يدودون عن أحسابهم و تلامدهم بيض تقد الهام تحت القوانس

فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس

إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم و لا تكتنوا أخباركم فى المجالس

و قولوا زلنا عن مخالبا خادربه و حر فى الصدر ما لم يمارس قال ابن إسحاق:

و قال شداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد، يعنى لعينته بن حصن، و كان عينته يكنى بأبى مالك:

فهلا كررت أبا مالك و خيلك مدبرة تقتل

ذكرت الإياب إلى عسجدو هيهات قد بعد المقفل

و طمنت نفسك ذا ميعه مسح النضال إذا يرسل

إذا قبضته إليك الشمال جاش كما اضطرم الرجل

فلما عرفتم عباد الإله لم ينظر الآخر الأول

عرفتم فوارس قد عودوا طراد الكماء إذا أسهلوا

إذا طردوا الخيل تشقى بهم فضاحا و إن يطردوا ينزلوا

فيعتصموا فى سواء المقام بالبيض أخلصها الصيقل

تنبیيات

الأول: ذو قرد- بفتح القاف و الراء، و حكى الضم فيها، و حكى ضم أوله و فتح ثانيه.

قال الحازمى- رحمه الله:- الأول ضبط أصحاب الحديث، و الضم عن أهل اللغة، و قال

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٦

البلاذريّ - رحمه الله - الصّواب الأوّل: و هي على نحو بريد مما يلي بلاد غطفان، و قيل على مسافة يوم، قال السهيلي: و القرد في اللغة الصّوف.

الثاني: قال البخاريّ في صحيحه في غزوة ذي قرد: كانت قبل خيبر بثلاث، و ذكرها بعد الحديبية قبل خيبر.

قال الحافظ: و يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد و مسلم من حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر قصة الحديبية، ثم قصة ذي قرد، و قال في آخرها: فرجعنا - أي من الغزوة - إلى المدينة، فو الله ما لبثنا بالمدينة إلّا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر.

و أما ابن إسحاق، و محمد بن عمر و ابن سعد فقالوا: كانت غزوة ذي قرد في سنة ست قبل الحديبية.

قال محمد بن عمر و ابن سعد في ربيع الأوّل.

و قيل في جمادى الأولى.

و قال ابن إسحاق في شعبان فيها، فإنه قال: كانت غزوة بني لحيان في شعبان سنة ست، فلمّا رجع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - إلى المدينة لم يقم إلّا ليالي حتى أغار عيينة بن حصن على لقاحه - صَلَّى الله عليه و سلّم - قال ابن كثير: و ما ذكره البخاريّ أشبه بما ذكره ابن إسحاق.

و قال أبو العباس القرطبي - و هو شيخ صاحب التذكرة و التفسير - تبعاً لأبي عمر - رحمهم الله: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية، يكون ما وقع في حديث سلمة و هم من بعض الرّواة.

قال: و يحتمل أن يجمع بأن يقال يحتمل أن يكون - صَلَّى الله عليه و سلّم - أغزى سريةً فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها، فأخبر سلمة عن نفسه و عمّن خرج معه، يعني حيث قال: خرجنا إلى خيبر قال: و يؤيده أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - أغزى إليها عبد الله بن رواحة قبل فتحها مرّتين. انتهى.

قال الحافظ - رحمه الله - تعالى: و سياق الحديث يأبى هذا الجمع، فإن فيه بعد قوله:

خرجنا إلى خيبر مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - فجعل عمّي يرتجز بالقوم، و فيه قول النبي - صَلَّى الله عليه و سلّم - من السائق و فيه مبارزة عمه لمرحب و قتل عامر، و غير ذلك ممّا وقع في غزوة خيبر حيث خرج إليها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - فعلى هذا ما في الصحيح أصحّ مما ذكره أهل السير.

قال الحافظ: و يحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح وقعت مرّتين، الأولى التي ذكرها ابن إسحاق و هي قبل الحديبية، و الثانية بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٧

و كان رأس الذين أغاروا عبد الرحمن بن عيينة كما في سياق سلمة عند مسلم، و يؤيده أن الحاكم ذكر في الإكليل أن الخروج إلى ذي قرد تكرر، ففي الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد، و في الثانية خرج إليها النبي - صَلَّى الله عليه و سلّم - في ربيع الآخر سنة خمس، و الثالثة هذه المختلف فيها - انتهى. فإذا ثبت هذا قوى الجمع، الذي ذكرته، و الله أعلم.

الثالث: في حديث سلمة عند مسلم: أن عبد الرحمن بن عيينة بن حصن أغار على اللقاح، و في حديثه عند الطبراني أنه عيينة بن حصن، و لفظ ابن عقبة: أنه عيينة بن بدر، و يقال إن مسعدة كان رئيساً للقوم في هذه الغزوة، و لا منافاة بين ما ذكر، فإن كلا منهما كان رئيساً فيهم، و كان حاضراً.

الرابع: حديث سلمة - رضى الله عنه - أنه استنقذ جميع ظهر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - و عبارة ابن عقبة: استنقذوا السرح. و الذى ذكره ابن إسحاق، و ابن عمر، و ابن سعد و غيرهم أنه استنقذ من اللقاح عشرة فقط، و ما في حديث سلمة - رضى الله عنه - هو المعتمد، لصحة سنده.

الخامس: في حديث سلمة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - ركب في رجوعه إلى المدينة العضاء، و أردف

سلمة وراهه، و في حديث عمران بن حصين السابق: إن امرأة أبي ذر أخذتها من العدو و ركبتها.

السادس: في بيان غريب ما سبق:

حصن - بكسر الحاء الفزاري - بفاء مفتوحة فزاي فألف فراء: قبيلة من غطفان.

غطفان: بفتح الغين المعجمة و الطاء المهملة المشالة، و بالفاء.

اللّقاح - بكسر اللام، و تخفيف القاف فمهملة: ذوات اللبن من الإبل، واحدها لقحة - بكسر اللام و فتحها، و اللّقوح: الحلوب.

عيّنة - بضم العين المهملة و كسر ها.

البيضاء - تأنيث أبيض: اسم موضع عند الجبل.

الغابة - بالغين المعجمة، و الموحدة: مال من أموال عوالي المدينة.

الأثل: شجر عظيم لا ثمر له، الواحدة أثلة.

الطّرفاء: شجر من شجر البادية و شطوط الأنهار، واحدها طرفه بفتح الطاء و الزّاء مثل قصبه و قصباء.

يثوب: يرجع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٨

الضاحية: الناحية البارزة.

ذويه: أصحابه.

أحدق به - بهمزة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فдал مهملة ففاف: أطاف.

قبل أن يؤذّن بالأولى: يعنى صلاة الصّبح.

الظّهر: الرّكاب التى تحمل الأثقال فى السّفر.

أنديّة - بضم أوله و بالتّون و تشديد الدّال المهملة، و التّندية أن يورد الماء ساعة، ثم يرد إلى المراعى ساعة ثم الماء، كذا قال أبو عبيد

و الأصمعى و قال ابن قتيبة: إنما هو أبدية - بالموحدة، أى أخرجه إلى البدو، و أنكر الأوّل. و قال: و لا يكون إلا للإبل خاصة و قال

الأصمعى التّندية تكون للإبل و الخيل، أو هو الصحيح و هذا الحديث يشهد له. و خطّ الأزهري ابن قتيبة و صوّب الأوّل.

السرّح - بفتح السين و سكون الرّاء و بالحاء المهملات: المال السّائم المرسل فى المرعى.

سلع بفتح السّين المهملة، و سكون اللّام، و بالعين المهملة: جبل بالمدينة يا صباحاه: كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوّه،

لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصّباح، و يسمّون يوم الغارة يوم الصّباح.

اللّبّتان: تشبيه لآبنة: و هى الحرّة، و هى الأرض ذات الحجارة السّود.

أردّيهم - بضم الهمزة، و فتح الرّاء، و تشديد الدّال المهملة: يرميهم.

أعقر بهم: أقتل دوابهم.

الأكوع - بهمزة مفتوحة، فكاف ساكنة، فواو مفتوحة، فعين مهملة العظيمة الكاع:

الكوع، و هو طرف الزند ممّا يلى الرّسع، و الكوع طرفه الذى يلى الإبهام، و الكاع طرفه الذى يلى الخنصر و هو الكرسوع و الكوع

أخفاهما و أشدهما، درمة، و الدّرم أن لا يظهر للعظم حجم.

اليوم يوم الرّضع - بالرفع فيهما، و ينصب الأول و يرفع الثانى على جعل الأوّل ظرفا.

قال: و هو جائز إذا كان الظرف واسعا و لم يضق عن الثانى.

الرّضع - بضمّ الرّاء كركع، و رضاع: و هو اللّثيم. قال السّيهيلى: قال أهل اللّغة: يقال فى اللّؤم - رضع - بالفتح - يرضع بالضمّ رضاعة لا

غير. و رضع الصّبى ثدى أمّه يرضع بالفتح - رضاعا مثل سمع. يسمع سماعا، و المعنى اليوم يوم هلاك اللّثام، و الأصل فيه أن شخصا

كان

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٠٩

شديد البخل، فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لثلا يحلبها، فيسمع جيرانه و من يمرّ به صوت الحلب فيطلبون منه اللبن. و قيل: بل صنع ذلك لثلا يتبدد من اللبن شيئا إذا حلب فى الإناء، و يبقى فى الإناء شىء إذا شربه، فقالوا فى المثل: «الأم من راضع». و قيل غير ذلك.

الثنايا: جمع ثنية، و هى العقبة المسلوكة.

البرح - بفتح الموحدة و سكون الراء: المشدة و الأذى.

ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى طلب العدو، و شرح غريبه

الفرع الفزع: منصوبان بفعل محذوف.

يا خيل الله اركبى: على حذف مضاف، أى يا فرسان خيل الله.

الأرى - بفتح الهمزة و سكون الراء، و تشديد التحتية: مربوط الدابة، و قيل: معلقها. قال فى العين: و قال الأصمعى: هو جبل مربوط فى الأرض و يبرز طرفه يربط به الدابة، و أصله من الحبس و الإقامة، من قولهم: تأرى بالمكان: أقام به. الحائط: البستان المحوط عليه.

فرسا صنيعا - بفتح الصاد المهملة و كسر النون فتحتية ساكنة فعين مهملة، فعيل بمعنى مفعول، يقال منه صنعت فرسى صنعا، و صنعة: إذا أحسنت القيام عليه، فهو صنيع.

جاما - بجيم و ميم مشددة: مرتاحا له مدة لم يركب.

بذ الخيل - بفتح الموحدة و تشديد الدال المعجمة: سبقها. بجماحه: بفتح الجيم.

اللكيعة - بفتح اللام، و كسر الكاف، فتحتية ساكنة، فعين مهملة مفتوحة، اللثيمة.

من أذباركم: من ورائكم.

جال الفرس - بالجيم: نفر من مكانه يقتطعوك: يحول بيننا و بينك.

ثكلته أمه: فقدته.

أكوعه، و فى لفظ: أكوعى، برفع العين فى الأول لفظا، و فى الثانى تقديرا، أى أنت الأكوع الذى كنت بكره هذا النهار، و لهذا قال: نعم. لأنه كان أول ما لحق بهم صاح بهم: أنا ابن الأ-كوع، فلما لحق بهم آخر النهار - و قال هذا القول قالوا: أنت الذى كنت معنا بكره؟

قال: نعم.

انتظمهما: نفذ رمحه أو سهمه فيهما.

الجرء - بضم الجيم، و سكون الراء، و بالهمزة و الجرأة. بفتحتين، و بالمد - على

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٠

الشىء: الهجوم، و الإسراع بالهجوم عليه من غير توقف.

أصرت أذنيها: جمعتهما.

الزّوراء: بفتح الزّاي و بالمد: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد.

الشّوط - بالشين المعجمة و الطاء المهملة: مسافة يعدوها الفرس كالميدان و نحوه.

ذباب- بذال معجمه تضم و تكسر و موحدتين: جبل بالمدينه.

قمع دابته: ذلها.

يحاكيني: يساويني في المشي.

فنشب- بنون فشين معجمه فموحدة: لبث.

القدح: بكسر القاف و سكون الدال و بالحاء المهملتين: السهم.

الفاره- بفاء وراء مكسورة: الخفيف النشط.

كليلة: محيطه من جميع جوانبه.

المغفر- بكسر الميم، و سكون الغين المعجمه، و فتح الفاء و بالراء: زرد ينسج من الدرّوع على قدر الرأس يجعل تحت القلنسوة.

أثبتني: عرفني.

المجالدة: المضاربة بالسيوف.

المطاعنة: المضاربة بالرمح.

متأبط: أخذ شيئاً تحت إبطه.

ألحت- بتخفيف الحاء المهملة: أشرت.

شرح غريب ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لطلب العدو

المقنع - بضم الميم، و فتح القاف، و فتح النون المشددة، و بالعين المهملة: الذي لبس بيضة.

عدو: جرى.

يجوس: أصل الجوس شدة الاختلاط و مداركة الضرب.

الصريخ: بالمهملة، و بالخاء المعجمه: الاستغاثة.

الأمداد- جمع مدد، و هم الأعوان و الأنصار.

الشعار- بكسر الشين المعجمه: العلامة في الحرب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١١

أمت أمت: أمر بالإماتة، و تقدم بيانه في غزوتي بدر و أحد.

السطيحة: المزادة التي تكون من أديمين، قوبل أحدهما بالآخر فسطح عليه، و هي من أواني المياه.

المدقة- بفتح الميم، و سكون الذال المعجمه القليل من لبن ممزوج بماء (أجلبتهم عنه) بفتح الهمزة و سكون الجيم طردتهم (حميت

القوم الماء) منعته من الشرب (النواجذ) جمع ناجذ بالذال المعجمه. السن بين الأضراس، و المراد هنا الأنياب.

العضباء: ناقة النبي - صلى الله عليه و سلم.

عدا: عدوا على الرجلين.

أسجح- بقطع الهمزة، و سكون السين المهملة، و كسر الجيم، و بالحاء المهملة: أرفق و سهّل و اعف و اسمح، و الإسجاح: حسن

العفو.

يغبقون- بتحتية مضمومة، فغين معجمه ساكنه، فموحدة مفتوحة، الغبوق: الشرب بالعشى، أى يسقون اللبن بالعشى.

يقرون- بضم التحتية، و سكون القاف، و فتح الراء يضيقون.

يتحسب- بفتح الحاء و السين المشددة المهملتين فموحدة يتعرف و يستخبر.

طفرت - بالطاء و الراء المهملتين بينهما فاء: و ثبت و نفرت.

ربطت نفسى: حبستها عن الجرى.

الشرف: ما ارتفع عن الأرض.

أصكّ بين كتفيه: أضرب.

شرح غريب شعر حسان - رضى الله عنه -

النسور - بنون، فسين مهملة: جمع نسر، و هو هنا ما يكون فى بطن حافر الدابة كأنها نواة أو حصاة، و أضمر ذكر الخيل و إن لم يتقدم

لها ذكر، لأن الكلام يدل عليها، و فى الفرس عشرون عضوا كل عضو منهما، سمي باسم طائر.

ساية - بسين مهملة، فألف فتحتية، اسم قرية جامعة من عمل الفرع بها أكثر من سبعين عينا.

التقواد - بفوقية مفتوحة مشددة، فقف ساكنة، و آخره دال مهملة، أى جرّها بالمقود من أمام. و السوق: من خلف.

المدجج - بضم الميم، و فتح الدال، و فتح الجيم الأولى و تشديدها و تكسر: الكامل السلاح.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٢

الحامى: المانع.

الحقيقة: بحاء مهملة، و قافين بينهما تحتية: ما يحقّ على الرجل أن يحميه.

الماجد: الشريف.

بنو اللقيطة: هم الملتقطون الذين لا يعرف آباؤهم.

السلم - بفتح السين المهملة، و كسرهما: الصلح.

الجحفل - بجيم مفتوحة، فحاء مهملة ساكنة، ففاء مفتوحة، فلام، الجيش الكثير.

اللّجب - بفتح الهمزة و اللام الثانية: و كسر الجيم، و بالموحدة: الكثير الأصوات.

شكوا: بشين معجمة، فكاف مشددة، و الشك - بالفتح هنا الطعن، و روى باللّام، و هو الطرد.

بداد - بموحدة مفتوحة فداالين مهملتين من التبدد، و هو التفرق، بنى على الكسر، و هو فى موضع نصب، كانتصاب المصدر فى

قولك: مشيت القهقرى، و قعدت القرفصاء، كأنه قال: طعنوا الطعنة التى يقال لها بداد.

الجواد: من الخيل السريع.

الرّقصات. هنا الإبل، و الرّقص و الرّقصان، ضرب من مشيها.

المخارم - بالخاء المعجمة جمع مخرم: و هو ما بين الجبلين.

الأطواد: الجبال المرتفعة.

نبيل الخيل، من لفظ التبول، أى نجعلها تبول.

نؤوب: بفتح الفوقية، و بالهمزة: نرجع.

الملكات: النساء اللّاتى أملكن.

الرّهو: بفتح الراء المشى فى سكون.

المقلّص: المشمر.

طمرّة فرس: وثابة سريعة.

المعترك: موضع الحرب.

رواد: من رواه بفتح الراء فمعناه: سرعات، من ردى الفرس يردى: أسرع، أى تردى بفرسانها، أى تسرع. و من رواه بكسر الراء فهو من المشى الزويد، و هو الذى فيه فتور.
دوابرها: أواخرها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٣

لاح: غير و أضعف.

متونها: ظهورها.

الطراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضا.

الجياذ: جمع جواد، تقدم.

مليونة: تسقى اللبن.

مشعلة: موقدة.

غواد- جمع غادية.

تجتلى- بفوقية مفتوحة، فجيم معجمة ساكنة، فموحدة، فلام مكسورة، تقطع.

الجن- بضم الجيم، و نونين جمع جنة كذلك السلاح.

الهامة: الرأس.

المرتاد: الطالب للحرب هنا.

الأسداد: جمع سد، بفتح السين: ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه.

عباد- بكسر المهملة: أحد جمع عبد.

شرح غريب قصيدة كعب بن مالك - رضى الله عنه -

نشئ: نرجع.

المداعس: المطاعن، واحدها مدعس، يقال دعسه بالرمح إذا طعنه.

القمع - بقاف، فميم مضمومتين فعين مهملة جمع قمعة، و هى أعلى سنام البعير.

الذرى - بضم الذال المعجمة، و فتح الراء: الأسمه.

الأبلخ - بفتح الهمزة، و سكون الموحدة، و بالخاء المعجمة: المتكبر.

المتشاورس - بفوقية فشين معجمة، و آخره سين مهملة: الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر.

المعلمين - بسكون العين، و كسر اللام.

الكماة - بضم الكاف: الشجعان.

انتخوا: تكبروا.

يسلى - بضم أوله، و فتح ثانيه، و تشديد اللام.

التخوة - بفتح النون، و سكون الخاء المعجمة: العظمة و التكبر.

المتقاعس: الذى لا يلين و لا ينقاد.

الشرحان: الذئب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٤

الغضاء: شجرة، و جمعها غضى: و يقال: أخبث الذئاب ذئاب الغضى.

المخالس: الذى يخطف الشئء سرعاً على غفلة.

يدودون: يمنعون و يدفعون.

الأحساب: جمع حسب بفتحتين: ما يعدّ من الماثر.

التلاد: بكسر الفوقية: المال القديم.

تقدّ: تقطع.

القوانس - بالقاف: أعالي بيض الحديد، واحدها قونس.

التّمارس: المضاربة فى الحرب و المقاربة المخالب - بميم فحاء معجمة مفتوحتين: جمع مخلب - بكسر الميم، ظفر كل سبع من الماشى

و الطائر، أو هو لما يصيد من الطير، و الظفر لما لا يصيد.

الخادر: الأسد فى خدره، و هى الأجمة.

الوحر: بالحاء و الراء المهملتين: الحقد.

شرح غريب قصيدة شداد بن عارض الحشمى - رضى الله عنه -

الإياب: الرجوع.

عسجد: بلفظ اسم الذهب: اسم موضع.

و هيهات: اسم فعل بمعنى بعد.

المقفل: الرجوع.

ذو ميعه: فرس ذو نشاط.

المسح - بكسر الميم، و فتح السين، و الحاء المشددة، المهملتين، الكثير الجرى.

الفضاء - بالفاء المعجمة: المتسع من الأرض.

جاش - بالجيم، و الشين المعجمة: تحرك و غلى.

اضطرم: و يروى بالباء، أى فى جريه، و بالموحدة، أى تحرك.

المرجل: بكسر الميم: القدر.

لم ينظر: لم ينتظر.

أسهلوا: أخذوا فى سهل الأرض.

الفضاح: الفاضحة - بالفاء، و الضاد المعجمة و المهملة.

الصيقل: الذى يزيل ما على السلاح من الصدأ.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٥

الباب الرابع و العشرون فى غزوة خيبر

إشارة

قال ابن عقبه، و ابن إسحاق: و لما قدم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المدينة من الحديبية - زاد ابن إسحاق فى ذى الحجة -

مكث بها عشرين ليلة أو قريبا منها، ثم خرج غاديا إلى خيبر - زاد ابن إسحاق في المحرم - وكان الله - عز وجل - وعده إياها وهو بالحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله - تعالى - فيها خيبر: وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [الفتح ٢٠] - خيبر.

قال محمد بن عمر: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالخروج فجدوا في ذلك، واستنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه، وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمه، فقال: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمه فلا».

قال أنس - رضي الله عنه -: وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طلحة - رضي الله عنه - حين أراد الخروج إلى خيبر: «التمسوا إلي غلاما من غلمانكم يخدمني» فخرج أبو طلحة مردفي وأنا غلام، قد راهقت، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل خدمته - فسمعته كثيرا ما يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضيع الدين وغلبة الرجال» رواه سعيد بن منصور.

[(١)]

واستخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة. قال ابن هشام: نائلة أي بضم النون، وفتح الميم، وسكون التحتية، ابن عبد الله الليثي - كذا قال والصحيح سباع - بكسر السين بن عرفطة - بعين مهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة، فطاء مهملة كما رواه الإمام أحمد، والبخاري في التاريخ الصغير، وابن خزيمة، والطحاوي، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنهم [(٢)] .

وأخرج معه أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها. سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ١١٥ الباب الرابع والعشرون في غزوة خيبر ص : ١١٥
لما تجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس شق على يهود المدينة الذين هم موادعو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرفوا أنه إن دخل خيبر أهلكت أهل خيبر، كما أهلكت بنى قينقاع، والنضير وقريظة. ولم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه.

وروى محمد بن عمر عن شيوخه، وأحمد، والطبراني عن ابن أبي حدرد بمهمات

[(١)] أخرجه البخارى ١١٧ / ١١ (٦٣٦٣)، وأحمد فى المسند ٣ / ١٥٩ والنسائى ٨ / ٢٧٤، والبيهقى ٩ / ١٢٥.

[(٢)] أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١ / ٤٣، والبيهقى فى الدلائل ٤ / ١٩٨.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٦

وزن جعفر - بسند صحيح أنه كان لأبى الشحم اليهودى خمسة دراهم، ولفظ الطبرانى: أربعة دراهم فى شعير أخذه لأهله فلزمه. فقال: أجلنى فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حَقَّك إن شاء الله، قد وعد الله - تعالى - نبيه أن يغنمه خيبر، فقال أبو الشحم حسدا وبغيا: أ تحسبون أن قتال خيبر مثل ما تلقون من الأعراب، فيها - والتوراة - عشرة آلاف مقاتل، و ترفعا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أعطه حقه» قال عبد الله: والذى بعثك بالحق ما أقدر عليها قال: أعطه حقه. قال وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قال ثلاثا لم يراجع.

قال عبد الله: فخرجت فبعت أحدا ثوبى بثلاثة دراهم، وطلبت ببقية حقه فدفعت إليه ولبست ثوبى الآخر. وأعطانى ابن أسلم بن حريش بفتح الحاء وكسر الراء وبالشين المعجمة ثوبا آخر [(١)] .

ولفظ الطبرانى: فخرج به ابن أبى حدرد إلى السوق وعلى رأسه عصابة وهو يأتزر بمتزر، فنزع العمامة عن رأسه فأتزر بها، ونزع

البردة فقال: اشترى منى هذه، فباعها منه بالدرهم فمرت عجوز فقالت: مالك يا صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرها، فقالت: هادونك هذا البرد، فطرحته عليه، فخرجت في ثوبين مع المسلمين، و نفلني الله - تعالى - من خير، و غنمت امرأة بينها وبين أبي الشحم قرابة، فبعثها منه.

و جاء أبو عبس - بموحدة - ابن جبر - بفتح الجيم و سكون الموحدة، فقال يا رسول الله ما عندى نفقة و لا زاد و لا ثوب أخرج فيه، فأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شقة سنبلانية: جنس من الغليظ شبيه بالكرباس.

قال سلمة: خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك و كان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا وألقين سكينه علينا

و ثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صبح بنا أتينا

و بالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع قال: «يرحمه الله» و فى روايه «غفر لك ربك».

قال: و ما استغفر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لإنسان يخصه إلا استشهد.

فقال عمر - و هو على جمل: و جبت يا رسول الله: لو لا أمتعتنا بعامر [(٢)].

[(١)] أخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٤٢٣ و الطبرانى فى الصغير (٢٣٤) و انظر المجمع ٤ / ١٢٩ و قال رجاله ثقات إلا أن محمد بن أبى يحيى لم أجد له رواية عن الصحابة فيكون مرسلا صحيحا.

[(٢)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٣٠ (٤١٩٦) و أخرجه مسلم ٣ / ١٤٢٧ (١٢٣) / ١٨٠٢، و البيهقى فى الدلائل ٤ / ٢٠١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٧

روى الحارث بن أبى أسامة عن أبى أمامة، و البيهقى عن ثوبان - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال فى غزوة خيبر: «من كان مضعفا أو مصعبا فليرجع». و أمر بلالا فنادى بذلك، فرجع ناس، و فى القوم رجل على صعب، فمر من الليل على سواد فنفر به فصرعه فلما جاءوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما شأن صاحبكم؟» فأخبروه، فقال: «يا بلال، ما كنت أذنت فى الناس، من كان مضعفا أو مصعبا فليرجع؟» قال: نعم. فأبى أن يصلى عليه. زاد البيهقى، و أمر بلالا فنادى فى الناس «الجنة لا تحل لعاص» ثلاثا

[(١)].

قال محمد بن عمر: و بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الطريق فى ليلة مقمرة إذ أبصر رجلا يسير أمامه عليه شىء يبرق فى القمر كأنه فى شمس و عليه بيضة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«من هذا؟ فقيل: أبو عبس بن جبر فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أدركوه قال: فأدركونى فحبسونى، فأخذنى ما تقدم و ما

تأخر، فظننت أنه قد أنزل فى أمر من السماء، فجعلت أتذكر ما فعلت حتى لحقنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ما لك

تقدم الناس لا - تسير معهم؟» قلت: يا رسول الله: إن ناقتي نجيبه، قال: فأين الشقيقة التى كسوتك؟ قلت يا رسول الله: بعثها بثمانية

دراهم، فتزودت بدرهمين و تركت لأهلى درهمين، و ابتعت هذه البردة بأربعة دراهم. فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم

قال: «أنت و الله يا أبا عبس و أصحابك من الفقراء و الذى نفسى بيده، لئن سلمتم و عثتم قليلا ليكثرن زادكم، و ليكثرن ما تتركون

لأهليكم و لتكثرن دراهمكم و عبيدكم و ما ذلك لكم بخير».

قال أبو عبيس: فكان والله كما قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم -.

قال سويد بن التعمان - رضي الله عنه -: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - لما وصل إلى الصَّهْبَاء - وهي أدنى خيبر - صَلَّى العَصْر، ثم دعا بالأزواد، فلم يئوت إلّا بالسويق، فأمر به فثرى فأكل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - و أكلنا معه، ثم قام إلى المغرب فمضمض و مضمضنا ثم صَلَّى و لم يتوضأ.
رواه البخارى، [(٢)] و البيهقي.

زاد محمد بن عمر: ثم صَلَّى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلاء فجاء حسيل بن خارجة و عبد الله بن نعيم الأشجعي فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - لحسيل: يا حسيل:

امض أماننا حتى تأخذ بنا صدور الأودية حتى تأتي خيبر من بينها و بين الشام، فأحول بينهم و بين الشام و بين حلفائهم من غطفان» فقال حسيل: أنا أسلك بك، فأنتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله إن لها طرقا تؤتى منها كلها. فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - «سمها لي» و كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يحب الفأل الحسن و الاسم الحسن، و يكره الطيرة، و الاسم القبيح، فقال: لها طريق يقال لها حزن، و طريق يقال لها: شاش، و طريق يقال لها حاطب، فقال

[(١)] الطبراني في الكبير ٢٢٧ / ٧.

[(٢)] أخرجه البخارى ٥٢٩ / ٧ (٤١٩٥).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١١٨

رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - «لا تسلكها». قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحب، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - «أسلكها».

ذكر دعاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - لما أشرف على خيبر

روى ابن إسحاق عن أبي مغيث بن عمرو - رضي الله عنه - و هو بغيث معجمه، و ثاء مثلثه عند ابن إسحاق، و بعين مهملة مفتوحة ففوقية مشددة فموحدة عند الأمير، و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - لما أشرف على خيبر، قال لأصحابه: «قفوا» فوقفوا.

فقال: اللهم رب السموات السبع و ما أظللن و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرين فإننا نسألك من خير هذه القرية و خير أهلها، و نعوذ بك من شرها و شر ما فيها، أقدموا بسم الله». و كان يقولها لكل قرية يريد دخولها. و رواه النسائي و ابن حبان عن صهيب [(١)].

ذكر وصول رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - إلى خيبر

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - حتى انتهى إلى المنزلة، و هي سوق لخبيبر، صارت في سهم زيد بن ثابت - رضي الله عنه - فعزس رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - بها ساعة من الليل، و كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يغزوهم لمنعتهم و سلاحهم و عددهم، فلما أحسوا بخروج رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - إليهم قاموا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا، ثم يقولون: محمّد يغزونا هيهات هيهات!! و كان ذلك شأنهم، فلما نزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة و لم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، فأصبحوا و أفندتهم تخفق و فتحوا

حصونهم غادين معهم المساحي، و الكرازين و المكاتل، فلتما نظروا إلى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و لآوا هاربين إلى حصونهم.

و روى الإمام الشافعي، و ابن إسحاق، و الشيخان من طرق عن أنس- رضى الله عنه- قال: سار رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى خيبر، فانتهى إليها ليلاً، و كان رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إذا طرق قوماً بليل لم يغر عليهم حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، و إن لم يسمع أذاناً أغار عليهم حتى يصبح، فصلينا الصبح عند خيبر بغلس، فلم نسمع أذاناً، فلما أصبح ركب رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و ركب معه المسلمون و أنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فانحسر عن فخذ رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فإني لأرى بياض فخذ رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و إن قدمي لتمس قدم رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- سلم-

[(١)] أخرجه ابن خزيمة (٢٥٦٥) و البخارى فى التاريخ الكبير ٦/ ٤٧٢ و الطبرانى فى الكبير ٨/ ٣٩، و البيهقى فى الدلائل ٤/ ٢٠٤ و ابن السنى (٥١٨).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١١٩
و خرج أهل القرية إلى مزارعهم بمكاتلهم و مساحيهم، فلما رأوا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- قالوا: محمّد و الخميس. فأدبروا هرباً.

فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و رفع يديه: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» [(١)].

و روى الترمذى و ابن ماجه و البيهقى، بسند ضعيف عن أنس- رضى الله عنه- قال: كان رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- يوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف، و تحته إكاف من ليف [(٢)].

قال ابن كثير: الذى ثبت فى الصحيح، أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- جرى فى زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذة فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا- على حمار، قال: و لعل هذا الحديث- إن كان صحيحاً- محمول على أنه ركبته فى بعض الأيام، و هو محاصرهما.

قال محمد بن عمر- رحمه الله- و جاء الحباب- بضم الحاء المهملة، و موحدتين ابن المنذر- رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان من أمر أمرت به فلا تتكلم، و إن كان رأى تكلمنا. فقال- صَلَّى الله عليه و سلم- «هو الرأى» فقال: يا رسول الله. دنوت من الحصون، و نزلت بين ظهري النخل، و التزم مع أن أهل التظاء لى بهم معرفة، لى قوم أبعد مدى سهم منهم، و لا أعدل رمية منهم، و هم مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، و لا نأمن من يياتهم، يدخلون فى خمر النخل فتحوّل يا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى موضع برىء من التزم و من الوباء نجعل الحرّة بيننا و بينهم حتى لا- تنالنا نبالهم و نأمن من يياتهم و نرتفع من التزم، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- «أشرت بالرأى، و لكن نقاتلهم هذا اليوم»

[(٣)].

و دعا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- محمد بن مسلمة- رضى الله عنه- فقال: انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً من الوباء، نأمن فيه من يياتهم، فطاف محمد حتى أتى الرجيع، ثم رجع إلى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فقال: يا رسول الله وجدت لك منزلاً، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-: «على بركة الله»

[(٤)].

صف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه و وعظهم و أنهاهم عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من أشجع فحمل على يهودى و حمل عليه اليهودى فقتله، فقال الناس: استشهد فلان،

[(١)] أخرجه البخارى ٢ / ٨٩ (٦١٠، ٢٩٩١)، و مسلم ٣ / ١٤٢٦ (١٢٠ / ١٣٦٥).

[(٢)] أخرجه الترمذى ٣ / ٣٣٧ (١٠١٧) و ابن ماجه (٤١٧٨)، الحاكم فى المستدرک ٢ / ٤٦٦ و البيهقى فى الدلائل ٤ / ٢٠٤، و انظر الدر المنثور ٦ / ١١١.

[(٣)] أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ٢ / ١٠٩.

[(٤)] أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٢٩١).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٠

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أبعد ما نهيت عن القتال؟. قالوا: نعم. فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مناديا فنادى فى الناس «لا تحل الجنة لعاص».

و روى الطبرانى فى الصغير عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ: «لا تتموا لقاء العدو، و أسألوا الله تعالى العافية، فإنكم لا تدرون ما يتلون به منهم، فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا و ربهم، و نواصينا و نواصيهم بيدك، و إنما تقتلهم أنت، ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم فانفضوا، و كبروا»،

و ذكر الحديث [(١)].

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و فرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرايات، و لم تكن الرايات إلّا يوم خيبر، و إنما كانت الألوية.

و كانت راية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سوداء من برد لعائشة - رضى الله عنها - تدعى العقاب، و لواؤه أبيض، دفعه إلى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - و دفع راية إلى الحباب بن المنذر، و راية إلى سعد بن عباد، و كان شعارهم «يا منصور أمت» [(٢)].

و أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القتال، و حثهم على الصبر، و أول حصن حاصره ناعم بالثون، و العين المهملة، و قاتل - صلى الله عليه وسلم - يومه ذلك أشد القتال، و قاتله أهل النطاة أشد القتال، و ترس جماعة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ، و عليه - كما قال محمد بن عمر - درعان و بيضة و مغفر، و هو على فرس يقال له الطرب، و فى يده قنأه و ترس.

و تقدّم فى حديث أنس: أنه كان على حمار فيحتمل أنه كان عليه فى الطريق، ثم ركب الفرس حال القتال. و الله أعلم.

فقال الحباب: يا رسول الله لو تحولت؟ فقال: «إذا أمسينا - إن شاء الله - تحولنا».

و جعلت نبل يهود تخالط العسكر و تجاوزه، و المسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم - فلما أمسى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحول إلى الرجيع و أمر الناس فتحولوا، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغدو بالمسلمين على آياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم.

ذكر أخذ الحمى المسلمين و رفعها عنهم ببركته - صلى الله عليه وسلم -

و روى البيهقى عن طريق عاصم الأحول عن أبى عثمان النهرى و عن أبى قلابه و أبى نعيم، و البيهقى عن عبد الرحمن بن المرقع - رضى الله عنه - و محمد بن عمر عن شيوخه

[(١)] بنحوه أخرجه مسلم في الجهاد باب ٦ رقم (٢٠)، و هو عند البخارى بنحوه أيضا في الصحيح حديث (٧٢٣٧)، و الدارمى ٢ / ٢١٦ و عبد الرزاق (٩٥١٣) (٩٥١٨) و أبو داود في الجهاد باب ٩٧.

[(٢)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٤ / ٤٨ و ذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٠٢) و الواقدي في المغازى ١ / ٤٠٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٢١

- رحمهم الله تعالى - أن المسلمين لما قدموا خبير أكلوا الثمرة الخضراء و هى وبيئته و خيمته، فأكلوا من تلك الثمرة. فأهدتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: «قرسوا الماء فى الشنان، فإذا كان بين الأذنين فاحدروا الماء عليكم حدرا، و اذكروا اسم الله - تعالى» ففعلوا فكأنما نشطوا من العقل [(١)].

ذكر فتحه - صلى الله عليه و سلم - حصن الصعب بن معاذ بن النطاة و ما وقع فى ذلك من الآيات

لم يكن بخبير حصن أكثر طعاما و ودكا و ماشية و متاعا منه، و كان فيه خمسمائة مقاتل، و كان الناس قد أقاموا أياما يقاتلون ليس عندهم طعام إلا العلق.

و روى محمد بن عمر عن أبى اليسر كعب بن عمر - رضى الله عنه -: أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، و كان حصنا منيعا، و أقيمت غنم لرجل من يهود تترع وراء حصنهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟» فقلت: أنا يا رسول الله فخرجت أسعى مثل الطيبى، و فى لفظ: مثل الظليم، فلما نظر إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مولىا قال: «اللهم متعنا به» فأدرت الغنم

- و قد دخل أولها الحصن - فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي، ثم أقيمت أعدو كأن ليس معى شىء، حتى انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأمر بهما فذبحتا، ثم قسى مهما، فما بقى أحد من العسكر الذين معه محاصرين الحصن إلا أكل منهما، فقيل لأبى اليسر: كم كانوا؟ قال: كانوا عددا كثيرا.

و روى ابن إسحاق عن بعض من أسلم، و محمد بن عمر - رحمه الله - عن معتب - بكسر الفوقية المشددة - الأسلمى - رضى الله عنه - و اللفظ له، قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خبير، و أقمنا عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح شيئا فيه طعام، فأجمعت أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة - بالحاء المهملة و التاء المثناة، فقالوا ات رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقل له: إن أسلم يقرئونك السلام، و يقولون: إنا قد جهدنا من الجوع و الضعف، فقال بريدة بن الحصيبي - بضم الحاء، و فتح الصاد المهملتين: و الله إن رأيت كالسيوم قط من بين العرب يصنعون هذا، فقال زيد بن حارثة أخو أسماء: و الله إنى لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مفتاح الخير

فجاءه أسماء فقال: يا رسول الله إن أسلم تقرأ عليك السلام، و تقول إنا قد جهدنا من الجوع و الضعف، فادع الله لنا فدعا لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثم قال:

[(١)] أخرجه ابن أبى شيبه ٧ / ٤٥٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٢٢

«و الله ما بيدى ما أقوىهم به، قد علمت حالهم، و أنهم ليست لهم قوة، ثم قال: «اللهم فافتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاما، و أكثرها ودكا».

و دفع اللواء إلى الحباب بن المنذر - رضى الله عنه - و ندب الناس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حصن الصعب بن معاذ.

قالت أم مطاع الأسلمية- رضى الله عنها- لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما شكوا من شدة الحال، فندب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الناس فنهضوا، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصيعب بن معاذ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتح الله- تعالى- و ما بخبير حصن أكثر طعاما و ودكا منه، و كان عليه قتال شديد.

برز رجل من يهود يقال به يوشع، يدعو إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاختلفا ضربات فقتله الحباب، و برز له آخر يقال له الزيال، فبرز له عمارة بن عقبه الغفاري، فبادره الغفاري فضربه ضربة على هامته و هو يقول: خذها و أنا الغلام الغفاري، فقال الناس «بطل جهاده»، فبلغ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك فقال: ما بأس به يؤجر و يحمد».

و روى محمد بن عمر عن محمد بن مسلمة- رضى الله عنه- قال: رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رمى بسهم فما أخطأ رجلا منهم، و تبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلي، و انفرجوا و دخلوا الحصن.

و روى محمد بن عمر عن جابر- رضى الله عنه- أنهم وجدوا في حصن الصعب من الطعام ما لم يكونوا يظنون أنه هناك من الشعير و التمر و السمن و العسل و الزيت و الودك.

و نادى منادى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: كلوا و اعلفوا و لا تحملوا، يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

ذكر محاصرته- صلى الله عليه وسلم- حصن الزبير بن العوام- رضى الله عنه- الذى صار فى سهمه بعد

روى البيهقي عن محمد بن عمر قال: لما تحولت يهود من حصن ناعم و حصن الصيعب بن معاذ إلى قلة الزبير حاصرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- و هو حصن فى رأس قلة، فأقام محاصرهم ثلاثة أيام، فجاء يهودى يدعى غزال فقال: يا أبا القاسم تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاوة و تخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك؟ فأمنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على أهله و ماله، فقال اليهودى: إنك لو أقمت شهرا ما بالوا، لهم دبول

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٣

تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإن قطعت عنهم شربهم أصحروا لك، فسار رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى دبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا و قاتلوا أشد قتال [(١)].

و قتل من المسلمين يومئذ نفر، و أصيب من اليهود فى ذلك اليوم عشرة، و افتتحه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- و كان هذا آخر حصون النطاوة.

فلما فرغ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من النطاوة تحوّل إلى الشق.

ذكر انتقاله- صلى الله عليه وسلم- إلى محاصرة حصون الشق و فتحها

روى البيهقي عن محمد بن عمر- رحمه الله- عن شيوخه- رحمهم الله- قالوا: لما تحوّل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى الشق و به حصون ذوات عدد، فكان أول حصن بدأ به حصن أبى، فقام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أهل الحصن، قتالا- شديدا، و خرج رجل من يهود يقال له غزول، فدعا إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاقتتلا فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعا منهزما إلى الحصن، فتبعه الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع فذف عليه، فخرج آخر، فصاح: من يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشى، و قام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانة، و قد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال فى مشيته، فبدره أبو دجانة- رضى الله عنه- فضربه فقطع رجله ثم ذف عليه، و أخذ سلبه، درعه و سيفه، فجاء به إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنقله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك، و أحجم اليهود عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو

دجانه، فوجدوا فيه أثاثا و متاعا و غنما و طعاما، و هرب من كان فيه من المقاتلة، و تقحّموا الجدر كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن التّزال بالشّق، و جعل يأتي من بقي من فلّ النّطاء إلى حصن التّزال، فغلّقوه، و امتنعوا فيه أشدّ الامتناع، و زحف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - إليهم في أصحابه، فقاتلهم، فكانوا أشدّ أهل الشّق رميا للمسلمين بالنّبل و الحجارة، و رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - معهم حتى أصابت النّبل ثياب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - و علقته به، فأخذ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - النّبل فجمعها، ثم أخذ لهم كفا من حصى فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض، حتّى جاء المسلمون فأخذوا أهله أخذًا [(٢)].

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٢٤ / ٤ و الواقدي في المغازي ١٢ / ٦٤٦.

[(٢)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٢٤ / ٤ و الواقدي ١٢ / ٦٦٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٤

ذكر انتقاله - صَلَّى الله عليه و سلّم - إلى حصون الكتيبة و بعثه السرايا لوجع رأسه و ما وقع في ذلك من الآيات

لما فتح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - حصون النّطاء، و الشّق انهزم من سلم منهم إلى حصون الكتيبة، و أعظم حصونها القموص، و كان حصنا منيعا.

ذكر موسى بن عقبة: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - حاصره قريبا من عشرين ليلة، و كانت أرضا و خمة.

و روى الشّيخان عن سهل بن سعد، و البخارى و ابن أبى أسامة، و أبو نعيم عن سلمة بن الأكوع، و أبو نعيم، و البيهقى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه. و أبو نعيم عن ابن عمر، و سعد بن أبى وقاص، و أبى سعيد الخدرى، و عمران بن حصين، و جابر بن عبد الله، و أبو ليلي، و مسلم، و البيهقى عن أبى هريرة، و الإمام أحمد و أبو يعلى و البيهقى عن على - رضى الله عنهم - قال بريدة - رضى الله عنه -: كان رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - تأخذه الشّق فيمكث اليوم و اليومين لا يخرج، فلما نزل خير أخذته الشّق فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبابكر - رضى الله عنه - فأخذ راية رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم -، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع، و لم يكن فتح. و قد جهد، ثم أرسل عمر - رضى الله عنه - فأخذ راية رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، و لم يكن فتح. و فى حديث عن على عند البيهقى: أن الغلبة كانت لليهود فى اليومين [(١)]. انتهى.

فأخبر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - بذلك فقال: «لأعطينّ الزّاية غدا رجلا - يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحبّ الله و رسوله، يأخذها عنوة» و فى لفظ «يفتح الله على يديه»

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غدا، و بات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - كلهم يرجو أن يعطاها، قال أبو هريرة قال عمر: فما أحببت الإمارة قطّ حتى كان يومئذ [(٢)].

قال بريدة: فما ممّا رجل له من رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - منزلة إلا و هو يرجو أن يكون ذلك الرّجل، حتى تناولت أنالها، و رفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه، و ليس منه.

و فى حديث سلمة، و جابر: و كان على تخلف عن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم -!! فخرج

[(١)] البيهقى فى الدلائل ٢٠٩ / ٤.

[(٢)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٤٤ (٤٢٠٩) (٤٢١٠) و البيهقى فى الدلائل ٤ / ٢٠٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٥

فلحق برسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال بريدة: و جاء على - رضى الله عنه - حتى أناخ قريبا، و هو رمد، قد عصب عينيه بشق برد قطرى، قال بريدة: فما أصبح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صلى الغداة، ثم دعا باللواء، و قام قائما. قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أين على؟» قالوا: يشتكى عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأتى به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «مالك؟» قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامى. قال: «ادن منى» و فى حديث على عند الحاكم: فوضع رأسى عند حجره، ثم بزق فى أليه يده فدلكت بها عيني، قالوا: فبرأ كأن لم يكن به وجع قط، فما وجعهما على حتى مضى لسبيله، و دعا له و أعطاه الراية، قال سهل فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى - و حق رسوله. فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» و قال أبو هريرة: إن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال لعلى: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك و لا تلتفت» قال: علام أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم و أموالهم إلما بحقها، و حسابهم على الله» فخرجوا، فخرج بها و الله يؤج يهرول هرولة. حتى ركزها تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: على، فقال اليهودى غلبتهم و الذى أنزل التوراة على موسى، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه.

قال أبو نعيم: فيه دلالة على أن فتح على لحصنهم مقدم فى كتبهم بتوجيه من الله وجهه إليهم، و يكون فتح الله - تعالى - على يديه.

ذكر قتل على - رضى الله عنه - الحارث و أخاه مرحبا، و عامرا و ياسرا فرسان يهود و سبعانها

روى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - قال: أول من خرج من حصون خيبر - مبارزا - الحارث أخو مرحب فى عاديته فقتله على - رضى الله عنه - و رجع أصحاب الحارث إلى الحصن، و برز عامر، و كان رجلا جسيما طويلا، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حين برز و طلع عامر «أترونه خمسة أذرع؟» و هو يدعو إلى البراز، فخرج إليه على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقه فبرك، ثم ذفف عليه، و أخذ سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برز ياسر و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى ياسر شاكى السلاح بطل مغاور

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٦ إذا الليوث أقبلت تبادرو أحجمت عن صولة المساور

إن حسامى فيه موت حاضر

قال محمد بن عمر: و كان من أشدائهم، و كان معه حربى يحوس الناس بها حوسا، فبرز له على بن أبى طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت ألا خلّيت بينى و بينه، ففعل،

فقال صفيّة لما خرج إليه الزبير - رضى الله عنها -: يا رسول الله يقتل ابنى؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «بل ابنك يقتله - إن شاء الله»

فخرج إليه الزبير و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى زبارقرم لقرم غير نكس فزار

ابن حماة المجد، ابن الأختيار ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير، قال ابن إسحاق: و ذكر أن عليا هو الذى قتل ياسرا.

قال محمد بن عمر: وقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - للزبير لما قتل ياسرا فداك عم و خال ثم قال: «لكل نبي حوارى و حوارى الزبير ابن عمى».

حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، و البيهقى أن مرحبا - و هو بفتح الميم، و الحاء المهملة، و سكون الراء - بينهما - و بالموحدة - خرج و هو يخطر بسيفه، و فى حديث ابن بريده عن أبيه: خرج مرحب و عليه مغفر معصفر يمانى و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، و هو يرتجز و يقول:

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب

قال سلمة: فبرز له عامر و هو يقول:

قد علمت خبير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر قال: فاختلغا ضربتين، فوق سيف مرحب فى ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، و كان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، و فى رواية عين ركبته، و كانت فيها نفسه، قال بريده: فبرز مرحب و هو يقول:

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب و أحجمت عن صولة المغلب فبرز له على بن أبى طالب - رضى الله عنه - و عليه جبّة أرجوان حمراء قد أخرج حملها، و هو يقول:

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمقى، ج ٥، ص: ١٢٧ أنا الذى سمّنى أمى حيدر كليل غابات كرى المنظره

أو فيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحبا ففلق رأسه، و كان الفتح.

و فى حديث بريده، فاختلغا ضربتين، فبدره على - رضى الله عنه - بضربه فقد الحجر و المغفر و رأسه و وقع فى الأحرش و سمع أهل العسكر صوت ضربته و قام الناس مع على حتى أخذ المدينة.

و روى الإمام أحمد عن على - رضى الله عنه - قال: لما قتلت مرحبا، جئت برأسه إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

ذكر من زعم من أهل المغازى و غيرهم أن محمد بن مسلمة - رضى الله عنه - هو الذى قتل مرحبا

روى البيهقى عن عروة، و عن موسى بن عقبه، و عن الزهرى، و عن ابن إسحاق، و عن محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: و اللفظ لابن إسحاق قال: حدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: خرج

مرحب اليهودى من حصن خبير، و قد جمع سلاحه يقول من يبارز و يرتجز

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا و حيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب

إن حماى للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك فقال:

قد علمت خبير أنى كعب مفرج الغمى جرى صلب

إذا شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق غضب

نطأكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يفىء النهب

بكفّ ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام: و أنشدني أبو زيد- رحمه الله:

قد علمت خبير أني كعب و أننى متى تشب الحرب

ماض على الهول جرىء صلب معى حسام كالعقيق غضب

بكف ماض ليس فيه عتب ندككم حتى يذل الصعب قال: و مرحب بن عميرة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٨

قال جابر: فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «من لهذا؟» قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا و الله الموتور الثائر، قتل

أخى بالأمس، قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه»

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها

اقتطع صاحبه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، و صارت بينهما كالزجل القائم، ما فيها فن، ثم حمل مرحب على

محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعصت به فأمسكته، و ضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. و الله أعلم.

قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازى: بأن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحبا.

و لكن ثبت فى صحيح مسلم كما تقدم عن سلمة بن الأكوع أن عليا- رضى الله عنه- هو الذى قتل مرحبا.

و ورد ذلك فى حديث بريدة بن الحصيب، و أبى نافع مولى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و على تقدير صحة ما ذكره جابر، و

جزم به جماعة، فما فى صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:

أحدهما أنه أصح إسنادا، الثانى. أن جابرا لم يشهد خبير كما ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غيرهما، و قد شهدها سلمة و

بريدة، و أبو رافع- رضى الله عنهم- و هم أعلم ممن لم يشهدا، و ما قيل من أن محمد بن مسلمة ضرب ساقى مرحب فقطعهما و لم

يجهز عليه، و مر به على فأجهز عليه، ياباه حديث سلمة و أبى رافع، و الله أعلم. و صحح أبو عمر- رحمه الله- أن عليا- رضى الله

عنه- هو الذى قتل مرحبا، و قال ابن الأثير: إنه الصحيح.

ذكر قلع على - رضى الله عنه - باب خبير

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن حسن عن بعض أهله، عن أبى رافع مولى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال: خرجنا مع على

بن أبى طالب- رضى الله عنه- حين بعثه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه

رجل من يهود، فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل، حتى فتح الله-

تعالى- عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقله.

و روى البيهقى من طريقين عن المطلب بن زياد، عن ليث بن أبى سليم، عن أبى جعفر محمد بن على- رضى الله عنه- عن آباءه، قال:

حدثني جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما-: أن عليا- رضى الله عنه- حمل الباب يوم خبير، حتى صعد عليه المسلمون

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٢٩

فافتتحوها، و أنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا- رجاله ثقات إلا ليث بن أبى سليم- و هو ضعيف [(١)].

قال البيهقى: و روى من وجه آخر ضعيف عن جابر قال: اجتمع عليه سبعون رجلا و كان أجهدهم أن أعادوا الباب، قلت: رواه

الحاكم.

ذكر إسلام العبد الأسود و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى البيهقى عن جابر بن عبد الله، و البيهقى عن أنس- رضى الله عنهم- و البيهقى عن عروة، و عن موسى بن عقبة: أن عبدا حبشيا

لرجل من أهل خيبر كان يرعى غنما لهم، لما رأهم قد أخذوا السِّلاح و استعدوا لقتال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي. فوقع في نفسه ذكر النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - فخرج بغنمه ليرعاها، فأخذه المسلمون، فجاءوا به لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و في لفظ ابن عقبة: أنه عمد بغنمه إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فكلمه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ما شاء الله أن يكلمه،

فقال الرجل: ما ذا تقول، و ما ذا تدعو إليه؟ قال: «أدعوك إلى الإسلام و أن تشهد أن لا إله إلا الله، و أني رسول الله، و أن لا تعبد إلا الله». قال العبد: و ما ذا يكون لي إن شهدت بذلك، و آمنت بالله تعالى؟ قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «لك الجنة إن آمنت على ذلك» فأسلم العبد، و قال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟ قال:

«نعم». قال: يا رسول الله إن هذه الغنم عندي أمانة فكيف بها؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أخرجها من العسكر، و ارمها بالحصباء فإن الله - عز و جل - سيؤدى عنك أمانتك» ففعل، و أعجب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - كلمته، فخرجت الغنم تشتد مجتمعته كأن سائقا يسوقها حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم، ثم تقدم العبد الأسود إلى الصف، فقاتل فأصابه سهم فقتله، و لم يصل لله - تعالى - سجدة قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أدخلوه الفسباط»، و في لفظ «الخباء» فأدخلوه خباء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حتى إذا فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - دخل عليه، ثم خرج فقال «لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه، و إن عنده لزوجتين له من الحور العين» [(٢)].

و في حديث أنس: فأتى عليه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو مقتول، فقال: «لقد حسن الله وجهك، و طيب ريحك، و كثر مالك، لقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبته يدخلان فيما بين جلده و جبته».

[(١)] البيهقي في الدلائل ٢١٢ / ٤ و ابن هشام ٢٩٠ / ٣ و ابن كثير ١٨٩ / ٤، و فيه جهالة و انقطاع ظاهر.

[(٢)] البيهقي في الدلائل ٢٢ / ٤ و ابن كثير ١٩٠ / ٤ و ابن هشام ٣٤٤ / ٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٠

و عند ابن إسحاق «ينفضان التراب عن وجهه، و يقولان: «ترب الله وجه من تربك و قتل من قتلك».

ذكر نهيه - صَلَّى الله عليه و سلم - عن أكل لحوم الحمر الإنسية و غيرها مما يذكر

روى الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى - رضى الله عنه - قال: أصابتنا مجاعة ليالى خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الإنسية، فانتحرناها، فلما غلت القدور، و نادى منادى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «أن أكفثوا القدور، و لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئا» [(١)].

و عن أنس - رضى الله عنه - قال: لَمَّا كان يوم خيبر، جاء فقال: يا رسول الله، فبيت الحمر، فأمر أبا طلحة فنادى «إن الله و رسوله ينهاكم عن لحوم الحمر» رواه عثمان بن سعيد الدارمى بسند صحيح. [(٢)]

و عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: نهى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم خيبر عن بيع الغنائم حتى تقسم، و عن الجبالى أن توطأ حتى يضعن ما فى بطونهن، قال: «لا تسق زرع غيرك»، و عن لحوم الحمر الأهلية، و عن كل ذى ناب من السباع - رواه الدار قطنى

و عن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال: غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيبر، و الناس جياع، فأصبنا بها حمرا إنسيّة فذبحناها، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمر عبد الرحمن بن عوف فنأدى في الناس (إنّ لحوم الحمير لا تحل لمن يشهد أنى رسول الله) رواه الإمام أحمد، و الشيخان [(٤)].

و عن سلمة - رضي الله عنه - قال: أتينا خيبر فحاصرناها حتى أصابتنا مخصمته شديدة:

يعنى الجوع الشديد، ثم إنّ الله - تعالى - فتحها علينا. فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم، أوقدوا نيرانا كثيرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ما هذه النيران؟ على أى شىء توقدون؟» قالوا: على لحم، قال: «على أى لحم؟» قالوا: لحم حمر إنسيّة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أهرقوها، و اكسروا الدنان» فقال رجل: أو نهريقوها و نغسلها؟ قال «أو ذاك» رواه الشيخان و البيهقي

[(٥)].

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٥٠ (٤٢٢١، ٤٢٢٣، ٤٢٢٥، ٤٢٢٦، ٥٥٢٥).

[(٢)] أخرجه عبد الرزاق (٨٧٢٥) و الطبراني فى الكبير ٥ / ٣١٦ و انظر التمهيد لابن عبد البر ١٠ / ١٢٧.

[(٣)] و أخرجه الحاكم فى المستدرک ٢ / ٥٦ و انظر التلخيص الكبير ٣ / ٧.

[(٤)] أخرجه البخارى ٩ / ٦٥٣ (٥٥٢٧) و مسلم ٣ / ١٥٣٨ (٢٣ / ١٩٣٦).

[(٥)] أخرجه البخارى (٦٣٣١) و مسلم ٣ / ١٥٤٠ (٣٣ / ١٨٠٢)، و احمد ٤ / ٣٨٣ و البيهقي فى الدلائل ٤ / ٢٠٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٣١

و روى محمد بن عمر - رحمه الله - تعالى - عن شيوخه: أن عدة الحمير التى ذبحوها، كانت عشرين أو ثلاثين، كذا رواه على الشك.

ذكر فتحه - صلى الله عليه وسلم - الوطيح و السلام و كانا آخر حصون خيبر فتحا

قال ابن إسحاق: و تدنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأموال يأخذها مالا مالا، و يفتحها حصنا حصنا، حتى انتهوا إلى ذينك الحصنين، و جعلوا لا- يطلعون من حصنهم حتى هم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ينصب عليهم المنجنيق، لما رأى من تغليقهم، و أنه لا يبرز منهم أحد، فلما أيقنوا بالهلكة - و قد حصرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعة عشر يوما - سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلح،

فأرسل كنانة بن أبى الحقيق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا من اليهود يقال له شماخ يقول (أنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نعم» فنزل كنانة بن أبى الحقيق، فصالح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتلة، و ترك الذرية لهم، و يخرجون من خيبر و أرضها بذرايرهم، و يخلون بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و بين ما كان لهم من مال و أرض، و على الصّيفاء و البيضاء و الكراع و الحلقة، و على البرّ إلا ثوبا على ظهر إنسان، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «و برئت منكم ذمة الله و ذمة رسوله إن كنتمونى شيئا»

فصالحوه على ذلك، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الأموال فقبضها الأول فالأول، و وجد فى ذينك الحصنين مائة درع و أربعمائة سيف، و ألف رمح، و خمسمائة قوس عربيّة بجعابها [(١)].

ذكر سؤال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلى حبي بن أخطب و ماله اللذين حملهما لما أجلي عن المدينة، و ما وقع فى ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر: كان الحلبي في أول الأمر في مسك حمل، فلما كثر، جعلوه في مسك ثور، ثم في مسك جمل، و كان ذلك الحلبي يكون عند الأكبر من آل أبي الحقيق و كانوا يعيرونه العرب.

و روى ابن سعد و البيهقي عن ابن عمر، و ابن سعد- بسند رجاله ثقات- عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى- و هو صدوق سيء الحفظ- عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس- رضى الله عنهما:- أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لما ظهر على أهل خيبر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم و أهلهم، و للنبي- صلى الله عليه و سلم- الصفراء و البيضاء و الحلقة و السّلاح، و يخرجهم، و شرطوا للنبي- صلى الله عليه و سلم- أن لا يكتموه شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمّة لهم [(٢)].

[(١)] البيهقي في الدلائل ٢٠٤ / ٤

[(٢)] البيهقي في الدلائل ٢٢٩ / ٤

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى المشقى، ج ٥، ص: ١٣٢

قال ابن عباس: فأتى بكنانة، و الربيع، و كان كنانة زوج صفيّة، و الربيع أخوه أو ابن عمه، فقال لهما رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «أين آنتكما التي كتتم تعيرونها أهل مكة؟».

و قال ابن عمر: قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لعم حبي «ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير؟»

فقال: و قال ابن عباس: قالوا: «هربنا، فلم نزل تضعنا أرض و ترفعنا أخرى، فذهب في نفقتنا كل شيء».

و قال ابن عمر: أذهبته الثفقات و الحروب، فقال «العهد قريب، و المال أكثر من ذلك».

و قال ابن عباس: فقال لهما رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «إنكما إن تكتمانى شيئاً فاطلعت عليه استحلتت به دماء كما و ذراريكما». فقالا: نعم.

و قال عروة و محمد بن عمر فيما رواه البيهقي عنهما: فأخبر الله عزّ و جلّ رسوله- صلى الله عليه و سلم- بموضع الكنز، فقال لكنانة «إنك لمغتر بأمر السماء».

قال ابن عباس: فدعا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- رجلاً من الأنصار فقال: «أذهب إلى قراح كذا و كذا، ثم ائت النخل فانظر نخله عن يمينك، أو عن يسارك مرفوعة فأنتى بما فيها»

فجاءه بالآنية و الأموال، فقومت بعشرة آلاف دينار، فضرب أعناقهما، و سبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه.

و قال ابن إسحاق: أتى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بكنانة بن الربيع، و كان عنده كنز بنى النضير، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- برجل من يهود، قال ابن عقبة: اسمه ثعلبة و كان في عقله شيء، فقال لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كلّ غداة،

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لكنانة: «أ رأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟» قال: نعم، فأمر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بالخربة فحفرت، و أخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى، فأبى أن يؤدّيه، فأمر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الزبير بن العوام، فقال: «عذبه حتى تستأصل ما عنده»

فكان الزبير- رضى الله عنه- يقده بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

ذكر إرادته- صلى الله عليه و سلم- إجلاء يهود خيبر عنها كما وقع شرطهم، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله و إخراج عمر ابن الخطاب لهم لما نكثوا العهد

روى البخارىّ و البيهقى عن ابن عمر، و البيهقى عن عروة و عن موسى بن عقبه: أنّ خير لَمَّا فتحها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - سألت يهود رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يقرّهم فيها على نصف ما سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٣

خرج منها من التمر، و قالوا: دعنا يا محمد نكون فى هذه الأرض. نصلحها، و نقوم عليها، و لم يكن لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و لا لأصحابه غلمان يقومون عليها، و كانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - خبير على أن لهم الشطر من كلّ زرع و نخل و شىء ما بدا لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -، و فى لفظ، قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «نقركم فيها على ذلك ما شئنا، و فى لفظ «ما أقركم الله» [١].

و كان عبد الله بن رواحه يأتيهم كلّ عام فيخرصها عليهم، ثم يضمّنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - شدة حرص ابن رواحه، و أرادوا أن يرشوا ابن رواحه، فقال: يا أعداء الله، تطعمونى السّحت؟ و الله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إلىّ، و لأنتم أبغض إليّ من عدّتكم من القرده و الخنازير و لا يحملنى بغضى إياكم و حبّى إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا: بهذا قامت السموات و الأرض، فأقاموا بأرضهم على ذلك.

فلَمَّا كان زمان عمر، غشّوا المسلمين، و أقوا عبد الله بن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه، و يقال بل سحروه بالليل و هو نائم على فراشه، فكوع حتى أصبح كأنه فى وثاق، و جاء أصحابه، فأصلحوا من يديه، فقام عمر خطيباً فى الناس، فقال: إنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عامل يهود خبير على أموالها، و قال: نقركم ما أقركم الله، و إن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل، ففدعت يده، و ليس لنا هناك عدو غيرهم، و هم تهمتنا، و قد رأيت إجلاءهم. فمن كان له سهم بخبير فليحضر حتى نقسمها، فلما أجمع على ذلك، قال رئيسهم، و هو أحد بنى الحقيق: لا - تخرجنا و دعنا نكون فيها كما أقرنا أبو القاسم و أبو بكر، فقال عمر لرئيسهم: أترانى سقط عنيّ

قول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «كيف بك، إذا ارفضت بك راحلتك تؤم الشّام يوماً، ثم يوماً؟»

و فى رواية: أظننت أنّى نسيت

قول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «كيف بك إذا خرجت من خبير يعدو بك قلو صك ليلة بعد ليلة»

فقال: تلك هزيلة من أبى القاسم، قال: كذبت، و أجلاهم عمر، و أعطاهم قيمة مالهم من التمر: مالا، و إبلا، و عروضاً من أقتاب و جبال، و غير ذلك، و سيأتى فى أبواب الوفاة النبوية

قوله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»

[٢].

ذكر قصة الشاة المسمومة و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى الشيخان عن أنس، و الإمام أحمد، و ابن سعد، و أبو نعيم عن ابن عباس، و الدارمى، و البيهقى عن جابر، و البيهقى بسند صحيح - عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك، و الطبرانىّ

[١] أخرجه البخارى ٣٢٧ / ٥ (٢٧٣٠)، و البيهقى فى الدلائل ٢٣٤ / ٤.

[٢] أخرجه البخارى ١٧٠ / ٦ (٣٠٥٣)، (٣١٦٨)، (٤٤٣١) و مسلم ١٢٥٧ / ٣ (١٦٣٧ / ٢٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٤

عنه عن أبيه، و البزار و الحاكم، و أبو نعيم عن أبي سعيد، و البيهقي عن أبي هريرة- رضى الله عنهم- و البيهقي عن ابن شهاب- رحمه الله تعالى:- أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لما افتتح خيبر، و قتل من قتل، و اطمأن الناس، أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم، و هي ابنة أخي مرحب- لصفية امرأته شاء مصليته، و قد سألت: أى عضو الشاة أحب إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم-؟

فقيل لها الذراع، فأكثر فيها من السّم، ثم سمّت سائر الشاة، فدخل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- على صفية و معه بشر بن البراء بن معرور- بمهمات- فقدّمت إليه الشاة المصليّة، فتناول رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الكتف، و فى لفظ: الذراع، و انتهس منها فلاكها رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و تناول بشر ابن البراء عظما، فانتهس منه [(١)].

قال ابن إسحاق، فأما بشر فأساغها، و أما رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فلفظها، و قال ابن شهاب:

فلما استرط رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لقمته استرط بشر بن البراء ما فى فيه

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ارفعوا ما فى أيديكم، فإنّ كتف هذه الشاة تخبرنى أنى نعت فيها.

قال ابن شهاب: فقال بشر بن البراء: و الذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما معنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك طعامك، فلما سغت ما فى فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك و رجوت ألا تكون استرطتها، و فيها نعى. فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطليسان، و ما طله و جعه حتى كان لا يتحول إلا أن حوّل. قال الزهرى قال جابر: و احتجم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- على كاهله يومئذ، حجمه أبو هند مولى بنى بياضة بالقرن و الشفرة، و بقى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بعد ثلاث سنين حتى كان و جعه الذى توفى فيه.

فقال: «ما زلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عوادا حتى كان هذا و انقطع أبهرى»

فتوفى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- شهيدا بلفظ ابن شهاب.

و ذكر محمد بن عمر: أنه ألقى من لحم تلك الشاة لكلب فما تبعت يده رجله حتى مات.

و قال الصحابة السابق ذكرهم- رضى الله عنهم- إنّ رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أرسل إلى اليهودية، فقال: «أسممت هذه الشاة؟» فقالت: من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التى فى يديّ و هى الذراع، قالت: نعم، قال: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: بلغت من قومي ما لم

[(١)] أخرجه البخارى ٢٧٢ / ٥ (٢٦١٧) و مسلم ١٧٢١ / ٤ (٢١٩٠ / ٤٥)، و أحمد ٤٥١ / ٢، و أخرجه البيهقي فى الدلائل ٢٥٩ / ٤، و أخرجه البخارى من حديث أبي هريرة (٣١٦٩، ٤٢٤٩، ٥٧٧٧) و أبو داود فى الديات (٦)، و ابن ماجه فى الطبرانى (٤٥) و الدارمى فى المقدمة ١١، و انظر المغازى للواقدي ٦٧٧ / ٢ و السيرة لابن هشام ٢٩٣ / ٣ و شرح المواهب ٢٣٩ / ٢ و ابن كثير فى البداية ٢٠٨ / ٤ و السيرة ٣٩٤ / ٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٥

يخف عليك. فقلت: إن كان ملكا استرحنا منه، و إن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز- و فى لفظ- فعفا عنها رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و مات بشر من أكلته التى أكل و لم يعاقبها.

و ذكر محمد بن عمر: أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال لها: «ما حملك على هذا؟» قالت:

قتلت أبى و عمى و زوجى و أخى- فأبوها الحارث و عمها يسار و أخوها رحب و زوجها سلام بن مشكم.

و عن أبى سلمة عن جابر- رضى الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لما مات بشر بن البراء أمر باليهودية فقتلت. رواه أبو داود، و وقع عند البزار من حديث أبى سعيد الخدرى: أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بعد سؤاله للمرأة اليهودية و اعترافها-

بسط يده إلى الشاة

و قال لأصحابه:

«كلوا باسم الله» قال: فأكلنا و ذكرنا اسم الله، فلم يضر أحد منا.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: وفيه نكارة و غرابة شديدة. قلت: و ذكر محمد بن عمر: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمر بلحم الشاة فأحرق.

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب - رضى الله عنه - و من معه من الأشعريين من أرض الحبشة

روى الشيخان، و الإسماعيلي، و ابن سعد، و ابن حبان، و ابن مندة عن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال: لما بلغنا مخرج النبي - صلى الله عليه و سلم - و نحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا و إخوان لي، أنا أصغرهم، أحدهم أبو رهم - بضم الراء، و سكون الهاء - و الآخر أبو بردة، إما قال: فى بضع، و إما قال: فى ثلاثة أو اثنين و خمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة - قال ابن مندة: حتى جئنا مكة - ثم خرجنا فى برّ حتى أتينا المدينة - فألقنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة: فوافقنا جعفر بن أبي طالب و أصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعثنا، و أمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين فتح خيبر قال: فأسهم لنا، و ما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئا إلا من شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر و أصحابه، قسم لهم معنا، و ذكر البيهقي - رحمه الله - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - سأل الصحابة أن يشركوهم ففعلوا ذلك [(١)]، انتهى.

قال: فكان أناس يقولون لنا: «يعنى أصحاب» السفينة: سبقناكم بالهجرة.

و دخلت أسماء - بنت عميس - بعين و سين مهملتين، و بالتصغير - و هى ممن قدم معنا

[(١)] أخرجه البخارى ٥٥٣ / ٧ (٤٢٣٠)، أخرجه مسلم ١٩٤٦ / ٣، ١٩٤٧ حديث (٢٥٠٢ / ١٦٩)، و البيهقي فى الدلائل ٢٤٤ / ٤، و انظر السيرة لابن هشام ٣٥٩ / ٢ و المغازى للواقدي ٦٨٣ / ٢، و البداية ٢٠٥ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٦

يومئذ - على حفصة زوج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - زائرة، و قد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة، و أسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء - رضى الله عنهم - من هذه؟ فقالت: أسماء بنت عميس فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، نحن أحقّ برسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: فغضبت و قالت: كلاً و الله يا عمر، كنتم مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يطعم جياعكم، و يعلم جاهلكم، و كنا فى دار، أو أرض البعداء بغضاء بالحبشة، و ذلك فى الله و فى رسوله، و أيم الله لا أطعم طعاما، و لا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أسأله، و الله لا أكذب و لا أزيغ و لا أزيد على ذلك،

فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قالت: يا نبي الله!! إن رجلا يفخرون علينا، و يزعمون أننا لسنا من المهاجرين الأولين، فقال: «من يقول ذلك؟» قلت: إن عمر قال كذا و كذا، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم: «ما قلت له؟» قالت: قلت له كذا و كذا، قال: «ليس بأحقّ لى منكم، له و لأصحابه هجرة واحدة، و لكم أنتم أهل السفينة - هجرتان»

قالت: فلقد رأيت أبا موسى و أصحابه يأتونى أرسالا يسألونى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم أفرح، و لا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال أبو بريدة: قالت أسماء: و لقد رأيت أبا موسى و إنه ليستعيد هذا الحديث منى، و قال لكم الهجرة مرتين.

و روى البيهقي عن جابر - رضى الله عنه - قال: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر، و قدم جعفر من الحبشة، تلقاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبل جبهته، ثم قال: «و الله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر، أم بقدم جعفر [(١)]». و روى البيهقي، بسند فيه من لا يعرف حاله - عن جابر - رضى الله عنه - قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب تلقاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما نظر جعفر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أحد رواته: يعنى مشى على رجل واحدة إعظاما منه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين عينيه [(٢)] .

ذكر قدوم أبي هريرة و طائفة من أوس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو بخيبر

روى الإمام أحمد، و البخارى فى التاريخ، و فى مجمع الزوائد للهيثمى فى أول خيبر عن خزيمه، و الطحاوى، و الحاكم، و البيهقي عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قدمنا المدينة، و نحن ثمانون بيتا من أوس، فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى، فقرأ فى الركعة الأولى بسورة: «مريم»، و فى الآخرة «ويل للمطففين» فلما قرأ إذا أكتالوا على الناس يستوفون

[(١)] أخرجه البيهقي فى الدلائل ٢٤٦ / ٤ و ابن كثير فى البداية ٣٠٦ / ٤ .

[(٢)] انظر المصدرين السابقين .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٧

[المطففين ٢] قلت: تركت عمى بالسراة له مكيلان، إذا اکتال بالأوفى، و إذا كال كال بالناقص، فلما فرغنا من صلاتنا، قال قائل: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر، و هو قادم عليكم، فقلت: لا أسمع به فى مكان أبدا إلا جتته، فزودنا سباع بن عرفطة، و حملنا حتى جئنا خيبر فنجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد فتح النطا، و هو محاصر الكتيبة، فأقمنا حتى فتح الله علينا [(١)] . و فى رواية فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و قد فتح خيبر، و كلم المسلمين فأشركنا فى سهامهم . و روى البخارى، و أبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قدمت المدينة و رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر حين افتتحها، فسألته أن يسهم لى، قال: فتكلم بعض ولد سعيد بن العاص فقال: لا تسهم له يا رسول الله، قال: فقلت: هذا و الله هو قاتل ابن قوطل، فقال: و أظنه أبان بن سعيد بن العاص سميا عجا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن يعيرنى بقتل امرئ مسلم أكرمه الله على يدى . و لم يهنى على يديه [(٢)] .

و روى البخارى، و أبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبانا على سريه من المدينة، قبل نجد، قال أبو هريرة:

فقدم أبان و أصحابه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر بعد ما افتتحها، و إن حزم خيلهم لليف، فقال: يا رسول الله أترضخ لنا فقال أبو هريرة: يا رسول الله لا تقسم لهم، فقال أبان و أنت بهذا يا و بر تحدر من رأس خال - و فى لفظ - فان، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «يا أبان اجلس» فلم يقسم لهم

[(٣)] .

ذكر قدوم عيينه بن حصن و بنى فزاره على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيبر بعد فتحها و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى البيهقي عن موسى بن عقبه عن الزهرى - رحمهما الله - تعالى: - أن بنى فزاره ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم فراسلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يعينوهم و سألهم أن يخرجوا عنهم و لكم من خيبر كذا و كذا، فأبوا عليه، فلما أن فتح الله خيبر أتاه من كان هناك من بنى فزاره، فقالوا: حظنا و الذى وعدتنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «حظكم - أو قال «لكم ذو الرقيبه»

جبل من جبال خيبر - فقالوا: إذا نقاتلك، فقال: «معدكم جنفا». فلما أن سمعوا ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرجوا هارين [(٤)].

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٧ / ٤، وذكره الهيثمي في المجمع ١٥٨ / ٦

[(٢)] أخرجه البخاري ٥٦١ / ٧ (٤٢٣٧)، و البيهقي في الدلائل ٢٤٧ / ٤ و انظر البداية و النهاية ٢٠٨ / ٤.

[(٣)] البخاري ٥٦١ / ٧ (٤٢٣٨).

[(٤)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٨ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٣٨

و روى البيهقي عن محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: كان أبو شبيب المزني - رضى الله عنه قد أسلم فحسن إسلامه يحدث و يقول: لما نفرنا إلى أهلنا مع عيينة بن حصن فرجع بنا عيينة، فلما كان دون خيبر عرسنا من الليل، ففزعنا، فقال عيينة: أبشروا، إنى رأيت الليلة فى النوم أنى أعطيت ذو الرقيبة - جبلا بخير - قد و الله أخذت برقبته محمد - صلى الله عليه وسلم - فلما أن قدمنا خيبر - قدم عيينة، فوجدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد فتح خيبر، فقال عيينة: يا محمد! أعطنى مما غنمت من حلفائى، فإنى قد خرجت عنك و عن قتالك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كذبت و لكن الصييح الذى سمعت أنفرك إلى أهلك قال: أحذنى يا محمد؟ قال: «لك ذو الرقيبة» قال عيينة: و ما ذو الرقيبة؟ قال «الجبل الذى رأيت فى منامك أنك أخذته»

فانصرف عيينة، فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف، و قال: ألم أقل لك توضع فى غير شىء، فالله، ليظهرن محمد على ما بين المشرق و المغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن مشكم يقول: إننا لنحسد محمدا على النبوة، حيث خرجت من بنى هارون، و هو نبي مرسل، و يهود لا تطاوعنى على هذا، و لنا منه ذبحان واحد يثرب و آخر بخيبر [(١)].

ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

لما أقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر فدنا منها بعث محيصة بن مسعود الحارثي إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام و يخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر. و يحل بساحتهم، قال محيصة فجتهم فأقمت عندهم يومين، فجعلوا يتربصون و يقولون بالنطاة عامر و ياسر و الحارث، و سيد اليهود مرحب، ما نرى محمدا يقرب حراهم، إن بها عشرة آلاف مقاتل، قال محيصة: فلما رأيت خبتهم أردت أن أرجع، فقالوا: نحن نرسل معك رجلا منا يأخذون لنا الصييح، و يظنون أن يهود تمتنع، فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتل أهل حصن ناعم، و أهل النجدة منهم، ففت ذلك أعضادهم، فقدم رجل من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع فى نفر من يهود، فصالحوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يحقن دماءهم و يجليهم، و يخلوا بينه و بين الأموال، ففعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و يقال: عرضوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخرجوا من بلادهم، و لا يكون للنبي - صلى الله عليه وسلم - عليه و سلم - عليهم من الأموال شىء، فإذا كان أوان جذاذها جاءوا فجدوها، فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقبل ذلك، و قال لهم محيصة: ما لكم منعة و لا حصون و لا رجال، و لو بعث إليكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مائة رجل لساقوكم إليه، فوقع الصييح بينهم بأن لهم نصف الأرضين بتربتها، و لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصفها، فقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك، يقول محمد بن عمر:

و هذا أثبت القولين، و أقرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك، و لم يأتهم، فلما كان عمر بن

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٩ / ٤ و المغازي للواقدي ٢ / ٦٧٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٣٩

الخطاب و أجلى يهود خبير بعث إليهم من يقوم أرضهم، فبعث أبا الهيثم مالك بن التيهان - بفتح الفوقية و كسر التحتية المشددة، و بالنون، و فروة بن عمرو بن جبار - بتشديد الموحدة بن صخر، و زيد بن ثابت، فقوموها لهم، النخل و الأرض، فأخذها عمر، و دفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد، و كان ذلك المال جاء من العراق، و أجلاهم إلى الشام.

ذكر المراهنة التي كانت بين قريش في أن أهل خبير يغلبون رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

روى البيهقي عن عروة، و عن موسى بن عقبة، و عن محمد بن عمر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم - رحمهم الله تعالى - قالوا: - واللفظ لمحمد بن عمر - : كان حويطب - بضم الحاء المهملة، و سكون التحتية، و كسر الطاء المهملة - ابن عبد العزى - رضى الله عنه - يقول: انصرفت من صلح الحديبية، و أنا مستيقن أن محمدا - صلى الله عليه و سلم - سيظهر على الخلق، و تأبى حمية الشيطان إلا لزوم ديني، فقدم علينا عباس - بالموحدة المشددة - ابن مرداس - بكسر الميم - السلمى يخبرنا أن محمدا - صلى الله عليه و سلم - قد سار إلى خيبر، و أن خيبر قد جمعت لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - فمحمدا لا يفلت إلى أن قال عباس بن مرداس: من شاء بايعته إن محمدا لا - يفلت قلت: أنا أخطر، فقال صفوان بن أمية: أنا معك يا عباس، و قال نوفل بن معاوية الديلمي أنا معك يا عباس، و ضوى إلى نفر من قريش فتخاطرنا مائة بغير أخماسا إلى مائة بغير، أقول أنا و حزبي: يظهر محمد - صلى الله عليه و سلم - و يقول عباس و حزبه: تظهر غطفان، و جاء الخبر بظهور رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأخذ حويطب و حزبه الزهن.

ذكر استئذان الحجاج بن علاط - رضى الله عنه - من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعد فتح خبير أن يذهب إلى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر إليها

روى الإمام أحمد عن أنس - رضى الله عنه - و البيهقي عن ابن إسحاق، و محمد ابن عمر عن شيوخه، قالوا: كان الحجاج بن علاط بكسر العين المهملة، و تخفيف اللام، السلمى بضم السين، خرج يغير فى بعض غاراته، فذكر له أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بخبير، فأسلم، و حضر مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و كانت أم شيبه ابنة عمير بن هاشم - أخت مصعب بن عمير العبدري - امرأته،

و كان الحجاج مكثرا، له مال كثير، و له معادن الذهب التي بأرض بنى سليم - بضم السين، فقال: يا رسول الله، ائذن لى، فأذهب فأخذ مالى عند امرأتى، فإن علمت بإسلامى لم أخذ منه شيئا، و مال لى متفرق فى تجار أهل مكة، فأذن له رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: يا رسول

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٠

الله، إنه لا بد لى من أن أقول، قال «قل»

قال الحجاج: فخرجت فلما انتهيت إلى الحرم، هبطت فوجدتهم بالثنية البيضاء، و إذا بها رجال من قريش يتسمعون الأخبار قد بلغهم أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد سار إلى خبير، و عرفوا أنها قرية الحجاز أنفة و منعة و ريفا و رجالا و سلاحا، فهم يتحسبون الأخبار، مع ما كان بينهم من الزهان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده - و الله - الخبر - و لم يكونوا علموا بإسلامى - يا حجاج، إنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خبير بلد يهود، و ريف الحجاز، فقلت: بلغنى أنه قد سار إليها و عندى من الخبر ما يسرركم فالتبطوا بجانبى راحلتى، يقولون: إيه يا حجاج؟! فقلت: لم يلق محمد و أصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيبر، كانوا قد ساروا

فى العرب يجمعون له الجموع، و جمعوا له عشرة آلاف فهزم هزيمة لم يسمع بمثها قط، و أسر محمد أسرا، فقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فنقتله بين أظهرهم بمن قتل منا منهم، و لهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبون الأمان فى عشائهم، و يرجعون إلى ما كانوا عليه، فلا تقبلوا منهم، و قد صنعوا بكم ما صنعوا، قال: فصاحوا بمكة، و قالوا: قد جاءكم الخبر، هذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم، و قلت: أعينوني على جمع مالى على غمائي فإني أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد و أصحابه، قبل أن تسبقني التجار إلى ما هناك، فقاموا فجمعوا إلى مالى كأحث جمع سمعت به، و جئت صاحبتى فقلت لها: مالى، لعلنى ألحق بخبير فأصيب من البيع قبل أن يسبقنى التجار.

و فشا ذلك بمكة، و أظهر المشركون الفرح و السرور، و انكسر من كان بمكة من المسلمون، و سمع بذلك العباس بن عبد المطلب، فقعد و جعل لا يستطيع أن يقوم فأشفق أن يدخل داره فيؤذى و علم أنه يؤذى عند ذلك فأمر بباب داره أن يفتح و هو مستلق فدعا بقتم، فجعل يرتجز و يرفع صوته لثلاث يشمت به الأعداء، و حضر باب العباس بين مغيظ و محزون، و بين شامت، و بين مسلم و مسلمة مهوورين بظهور الكفر، و البغى، فلما رأى المسلمون العباس طيبة نفسه، طابت أنفسهم، و اشتدت منتهم [(١)]، فدعا غلاما له يقال له أبو زبيبة، بلفظ واحدة زيب العنب، و لم أجد له ذكرا فى الإصباة، فقال: اذهب إلى الحجاج فقل له: يقول لك العباس: الله أعلى و أجل من أن يكون الذى جئت به حقا، فقال له الحجاج: اقرأ على أبى الفضل السّلام، و قل له: ليخل لى فى بعض بيوته، لآتيه بالخبر على ما يسره، و اكنم عنى، و أقبل أبو زبيبة يبشر العباس، فقال: أبشر يا أبا الفضل، فوثب العباس فرحا كأن لم يمسه شىء، و دخل عليه أبو زبيبة، و اعتنقه العباس، و أعتقه، و أخبره بالذى قاله.

[(١)] المنة: القوة، انظر المعجم الوسيط ٢ / ٨٩٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤١

فقال العباس: لله على عتق عشر رقاب، فلما كان ظهرا، جاءه الحجاج، فناشده الله:

لتكنمن على ثلاثة أيام، و يقال: يوما و ليلة، فوافقه العباس على ذلك، فقال: إني قد أسلمت، ولى مال عند امرأتى، و دين على الناس، و لو علموا بإسلامى لم يدفعوه إلى و تركت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قد فتح خيبر، و جرت سهام الله - تعالى - و رسوله - صلى الله عليه و سلم - فيها و انتشل ما فيها، و تركته عروسا بانبئة مليكهم حبي بن أخطب، و قتل ابن أبى الحقيق فلما أمسى الحجاج من يومه خرج و طالت على العباس تلك الليالى، و يقال: إنما انتظره العباس يوما و ليلة، فلما كان بعد ثلاث، و الناس يمججون فى شأن ما تبايعوا عليه، عمد العباس إلى حلة فلبسها، و تخلق بخلوق، و أخذ بيده قضييا، ثم أقبل يخطر، حتى وقف على باب الحجاج بن علاط فقرعه، فقالت زوجته: ألا تدخل يا أبا الفضل؟ قال: فأين زوجك؟ قالت: ذهب يوم كذا و كذا، و قالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذى بلغك، قال: أجل، لا يحزننى الله، لم يكن بحمد الله إلّا ما أحببنا، فتح الله على رسوله خيبر، و جرت فيها سهام الله و رسوله، و اصطفى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - صفية لنفسه، فإن كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به، قالت: أظنك و الله صادقا.

ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش و هم يقولون إذا مرّ بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل!! هذا و الله التجلد لحرّ المصيبة، قال: كلاً و الله الذى حلفت به، لم يصبنى إلا خير بحمد الله، أخبرنى الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله، و جرى فيها سهام الله و سهام رسوله، فردّ الله - تعالى - الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين، و خرج المسلمون من كان دخل فى بيته مكتئبا حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر، فسّر المسلمون.

و قال المشركون [يا لعباد الله] انفلت عدو الله، - يعنى الحجاج أما و الله لو علمنا لكان لنا و له شأن، و لم ينشبو أن جاءهم الخبر بذلك.

عن أبي هريرة- رضى الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- عام خيبر، فلم يغنم ذهباً ولا فضةً إلا الإبل و البقر و المتاع و الحوائط. و فى رواية إلا الأموال و الثياب و المتاع. رواه مالك و الشيخان، و أبو داود، و النسائي [(١)]. و قال ابن إسحاق: و كانت المقاسم على أموال خيبر على الشق و نظاة و الكتبية، و كانت الشق، و نظاة فى سهمان المسلمين، و كانت الكتبية خمس الله، و سهم النبى- صلى الله عليه و سلم- و سهم ذوى القربى و اليتامى و المساكين، و طعم أزواج

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٥٧ (٤٢٣٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٤٢

النبى- صلى الله عليه و سلم- و طعم رجال مشوا بين رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و بين أهل فدك بالصّلىح، منهم محيصة بن مسعود، أعطاه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- منها ثلاثين وسقا من شعير، و ثلاثين وسقا من تمر، و قسّمت خيبر على أهل الحديبية، من شهد خيبر و من غاب عنها، و لم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام- رضى الله عنهما- فقسم له رسول الله- صلى الله عليه و سلم- كسهم من حضرها، و كان وادياها- وادى الشريعة، و وادى خاص، و هما اللذان قسّمت عليهما خيبر. و كانت نظاة و الشق ثمانية عشر سهماً، نظاة من ذلك خمسة أسهم، و الشق ثلاثة عشر سهماً، و قسّمت الشق و نظاة على ألف سهم و ثمانمائة سهم، و كانت عدّة الذين قسّمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ألف سهم و ثمانمائة سهم برجالهم و خيلهم، للرجال أربع عشرة مائة، و الخيل مائتا فرس، فكان لكل فرس سهمان، و لفارسه سهم، و كان لكل راجل سهم، و كان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سهماً، جمع.

فكان على بن أبى طالب- رضى الله عنه- رأساً، و الزبير بن العوّام رأساً، و سرد ذكر ذلك ابن إسحاق. ثم قال: ثم قسّم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الكتبية، و هى وادى خاص بين قرابته و بين نسائه و بين رجال المسلمين و نساء أعطاهم منها، ثم ذكر كيفية القسمة.

و روى أبو داود عن سهل بن أبى خيثمة- بخاء معجمة، فثاء مثله ساكنة- رضى الله عنه- قال: قسم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- خيبر نصفين، نصفاً لنوائبه و خاصّته، و نصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً [(١)].

روى أيضاً عن بشير- بضم الموحدة- بن يسار- رحمه الله- تعالى عن رجال من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- رضى الله عنهم: أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لما ظهر على خيبر قسّمها على ستّة و ثلاثين سهماً، جمع كلّ سهم مائة سهم، فكان لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- و للمسلمين النصف من ذلك، و عزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود و الأمور و نواب الناس، زاد فى رواية أخرى عنه مرسله بين فيها نصف النوائب: الوطيح و الكتبية و ما حيز معهما زاد فى رواية و السلالم، و عزل النصف الآخر الشق و النظاة و ما حيز معهما، و كان سهم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فيما حيز معهما كسهم أحدهم [(٢)].

قال ابن إسحاق- رحمه الله- تعالى:- و كان المتولّى للقسمة بخيبر جبار- بفتح الجيم، و تشديد الموحدة و بالراء المهملة- ابن صخر الأنصارى من بنى سلمة- بكسر اللام،

[(١)] أخرجه أبو داود (٣٠١٠)، و التمهيد لابن عبد البر ٦ / ٤٥٠.

[(٢)] أخرجه أبو داود (٣٠١٢).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٤٣

و زيد بن ثابت من بنى النَّجَّار، و كانا حاسبين قاسمين.

و قال ابن سعد- رحمه الله- تعالى- أمر رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- بالغنائم فجمعت، و استعمل عليها فروة بن عمرو البياضى، ثم أمر بذلك فجزئ خمسة أجزاء، و كتب فى سهم منها، الله، و سائر السَّهْمَانِ أَغْفَال، و كان أوَّل ما خرج سهم رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- لم يتخيز فى الأخماس، فأمر ببيع الأربعة الأخماس فيمن يريد، فباعها فروة، و قَسَم ذلك بين أصحابه و كان الذى ولى إحصاء الناس، زيد ابن ثابت فأحصاهم ألفا و أربعمائة، و الخيل مائتى فرس، و كانت السَّهْمَانِ على ثمانية عشر سهما، لكل مائة سهم، و للخيل أربعمائة سهم، و كان الخمس الذى صار لرسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- يعطى منه ما أراه الله من السلاح و الكسوة، و أعطى منه أهل بيته، و رجالا من بنى المطلب، و نساء، و اليتيم و السائل.

ثم ذكر قدوم الدوسيين و الأشعريين و اصحاب السفينتين، و أخذهم من غنائم خيبر، و لم يبين كيف أخذوا.

قال فى العيون: و إذا كانت القسمة على ألف و ثمانمائة سهم و أهل الحديدية ألف و أربعمائة، و الخيل مائتى فرس بأربعمائة سهم، فما الذى أخذه هؤلاء المذكورون؟

و ما ذكره ابن إسحاق من أن المقاسم كانت على الشق، و النطأة و الكتيبة أشبه، فإن هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عنوة من غير صلح، و أما الوطيح و السلالم فقد يكون ذلك هو الذى اصطفاه رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- لما ينوب المسلمين، و يرجح حينئذ قول موسى بن عقبة و من قال بقوله: إن بعض خيبر كان صلحا، و يكون أخذ الأشعريين و من ذكر معهم من ذلك، و يكون مشاورة رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- أهل الحديدية فى إعطائهم ليست استنزالا لهم عن شىء من حقهم، و إنما هى المشورة العامة، و شاورهم فى الأمر [آل عمران ١٥٩].

روى الشيخان عن عبد الله بن مغفل- بضم الميم، و فتح الغين المعجمة، و الفاء المشددة، و باللام- رضى الله عنه- قال أصبت جرابا، و فى لفظ: دلى جراب من شحم يوم خيبر فالترتمته، و قلت: لا أعطى أحدا منه شيئا، فالتفت فإذا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- فاستحييت منه، و حملته على عنقى إلى رحلى و أصحابى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها، فأخذ بناحيته و قال: هلتم حتى نقسمه بين المسلمين، قلت: لا و الله لا أعطيك، فجعل يجاذبنى الجراب، فرآنا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- نصنع ذلك، فتبسم ضاحكا، ثم قال لصاحب المغانم: «لا أبالك، خل بينه و بينه» فأرسله، فانطلقت به إلى رحلى و أصحابى، فأكلناه [١].

[١] أخرجه البخارى ٢٥٥ / ٦ (٣١٥٣) و مسلم ١٣٩٣ / ٣ (١٧٧٢ / ٧٢).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٤

قال ابن إسحاق: و أعطى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- ابن لقيم- بضم اللام، قال الحاكم: و اسمه عيسى العيسى- بموحدة- حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة و داجن.

ذكر إهداء رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- النساء و العبيد من المغانم

قال ابن إسحاق: و شهد خيبر مع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- من نساء المسلمين فرضخ لهن [١] من الفىء، و لم يضرب لهن بسهم.

روى ابن إسحاق، و الإمام أحمد، و أبو داود، كلاهما من طريقه عن امرأة من غفار قالت: أتيت رسول الله- صَلَّى الله عليه و سَلَّم- فى نسوة من بنى غفار- بكسر الغين المعجمة- فقلن: يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا- و هو يسير إلى خيبر- فنداوى الجرحى، و نعين المسلمين ما استطعنا، فقال: «على بركة الله تعالى». قالت: فخرجنا معه، و ذكرت الحديث [٢].

قالت: فلما فتح رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خيبر رضخ لنا من الفىء.

و عن عبد الله بن أنيس [(٣)] - رضى الله عنه - قال: خرجت مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى خيبر و معى زوجتى - و هى حبلى، فنفست فى الطريق، فأخبرت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: انقع لها تمرا، فإذا أنعم بَّه فامرته لتشربه». ففعلت فما رأت شيئا تكرهه، فلما فتحنا خيبر أخذى النساء و لم يسهم لهن، فأخذى زوجتى و ولدى الذى ولد. رواه محمد بن عمر [(٤)].

و روى أبو داود عن عمير مولى أبى اللّخم - بالموحدة بلفظ اسم الفاعل - رضى الله عنه - قال شهدت خيبر مع سادتى فكلموا فى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأمر بى فقلدت سيفا - فإذا أنا أجزه، فأخبر أنى مملوك، فأمر لى بشىء من خرثى المتاع [(٥)].

ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين

أسلم الحبشى الراعى، ذكره أبو عمر و اعترضه ابن الأثير بأنه ليس فى شىء من السياقات أن اسمه أسلم، قال الحافظ: و هو اعتراض متجه، قلت: قد جزم ابن إسحاق فى السيرة برواية ابن هشام بأن اسمه أسلم الأسود الزاعى، تقدم أن اسمه أسلم. و قال محمد بن عمر: اسمه يسار.

[(١)] الرضخ: العطية القليلة، انظر النهاية ٢ / ٢٢٨.

[(٢)] أحمد ٦ / ٣٨٠ و البيهقى ٢ / ٤٠٧ و ابن سعد ٨ / ٢١٤ و انظر البداية و النهاية ٤ / ٢٠٤.

[(٣)] عبد الله بن أنيس الجهنى، أبو يحيى المدنى، حليف الأنصار، صحابى، شهد العقبة و أحدا، و مات بالشام فى خلافة معاوية، سنة أربع و خمسين، و وهم من قال سنة ثمانين. بخ م ع التقريب ١ / ٤٠٢.

[(٤)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤ / ٢٤٣ و ابن كثير فى البداية ٤ / ٢٠٥.

[(٥)] أخرجه أبو داود ٣ / ٧٥ (٢٧٣٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٥

أنيف - تصغير أنف - بن حبيب بن عمرو بن عوف.

أنيف - كالذى قبله بن وائله بالمثلثة، أو التحتىه.

أوس بن جبير - بالجيم - الأنصارى من بنى عمرو بن عوف، قتل على حصن ناعم، أورده ابن شاهين، و تبعه أبو موسى: أوس بن حبيب الأنصارى. ذكره أبو عمر، و قيل هو الذى قبله.

أوس بن فايد - بالتحتيه و الدال المعجمة الأنصارى، ذكره أبو عمر: أوس بن فايد - بالفاء و الدال المهملة، أو ابن فاتك أو الفاكه من بنى عمرو بن عوف.

أوس بن قتادة الأنصارى.

بشر - بكسر الموحدة و سكون المعجمة ابن البراء بتخفيف الراء - ابن معرور، بفتح الميم، و سكون العين المهملة، و ضم الراء الأولى.

ثابت بن إئله - بكسر الهمزة، و سكون التاء المثلثة، و زاد أبو عمر واوا فى أوله، و لم يوافقوه.

ثقف - بناء مثلثة - مفتوحة، فقف ساكنه ففاء، و قال محمد بن عمر ثقف بن عمرو بن سميط الأسدى.

الحارث بن حاطب، ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد، و قالوا: شهد بدر، و لم يتعرض له أبو عمر، و لا الذهبى، و لا الحافظ: لكونه استشهد بخيبر. و هو أخو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد الأنصارى الأوسى.

ربيعه بن أكرم بن سخبرة - بفتح السين المهملة، و سكون الخاء المعجمة، و بالموحدة ابن عمرو الأسدى، قتل بالنطاة، قتله الحارث

اليهودى.

رفاعة بن مسروح - بمهملات - الأسدى حليف بنى عبد شمس، قتله الحارث اليهودى.

سليم بن ثابت بن وقش الأنصارى الأشهللى، ذكره ابن الكلبي، و أبو جعفر بن جرير الطبرى.

طلحة: ذكره ابن إسحاق، و لم ينسبه، و لم يقف كثير من الحفاظ على نسبه، و لم يذكره محمد بن عمر و لا ابن سعد، و قال أبو ذر فى الإملاء: هو طلحة بن يحيى بن إسحاق بن مليل.

قال أبو على الغسانى - رحمه الله - لم يخبر ابن إسحاق باسم طلحة هذا، قلت: و لم أر لطلحة بن يحيى بن إسحاق هذا ذكرا فى الإصابة للحافظ، و لا فى الكاشف للذهبي.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٦

عامر بن الأكوع، و اسم الأكوع: سنان بن عبد الله بن قشير الأسلمى المعروف بابن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، روى الشيخان، و البيهقى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال: لما تصافى القوم يوم خيبر، و كان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق يهودى ليضربه فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبه فمات منه، فلما قفلوا سمعت نفرا من أصحاب محمد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أنا أبكى فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: لئما رآنى شاحبا: مالك؟ قلت: فداك أبى و أمى، زعموا أن عامرا حبط عمله. قال: «من قال؟» قلت: فلان و فلان، و أسيد بن الحضير الأنصارى فقال: «كذب من قاله، إن له لأجرين» و جمع بين أصبعيه «إنه لجاهد مجاهد، قل عربى مشى - و فى لفظ نشأ بها مثله»

و وقع فى حديث، أنه عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، و فى حديث آخر أنه أخوه، و لا تنافى بينهما، لأنه عمه و أخوه فى الرضاعة.

عبد الله بن أبى أمية بن وهب الأسدى بالحلف، قتل بالطاءة، و ذكره محمد بن عمر، و ابن سعد و لم يذكره ابن إسحاق.

عبد الله بن هيب - بموحدتين - مصغر - ابن أهيب، و يقال: وهيب بن سحيم اللبى حليف بنى أسد، ذكره ابن إسحاق فى رواية البكائى، و جرير بن حازم، و يونس بن بكير، لكن عنده عبد الله بن فلان بن وهب، و كذا سماه أبو عمر و جماعة و ذكر محمد بن عمر: أنه استشهد هو و أخوه عبد الرحمن بأحد قال الحافظ: و الأول أولى.

عدى بن مرة بن سراقه البلوى بفتح الموحدة و اللام - حليف الأنصار طعن بين ثدييه بحربة فمات منها - ذكره محمد بن عمر، و ابن سعد، و أبو عمر.

عروة بن مرة بن سراقه الأوسى: ذكره أبو عمر.

عمارة بن عقبه بن حارثة الغفارى، روى بسهم ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد، و أبو عمر، و تعقبه الحافظ فى كونه استشهد بخيبر بكلام يدل على أنه لم يراجع السيرة فى هذا المحل، و لا شك فى صحة ما ذكره أبو عمر.

فضيل بن النعمان الأنصارى السلمي - بفتح السين، ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس و ابن سلمة و زياد، و جزم بذلك محمد بن عمر، و ابن سعد هنا، و قال ابن سعد فى موضع آخر:

كذا وجدناه فى غزوة خيبر، و طلبناه فى نسب بنى سلمة فلم نجده، و لا أحسبه إلّا و هما، و إنما أراد الطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان، و الطفيل ذكره ابن عقبه فيمن شهد خيبر.

بشر بن المنذر بن زبير - بزاي، و نون موحدة وزن جعفر - بن زيد بن أمية الأنصارى، ذكره ابن إسحاق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٧

محمود بن مسلمة [(١)]: قتل عند حصن ناعم، ألقيت عليه صخرة، قيل ألقاها عليه مرحب، و قيل: كنانة بن الزبيح، و لعلهما اشتركا فى الفعل.

و مدعم الأسود [(٢)] مولى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قتل بخيبر - وهو الذى غلَّ الشملة يومئذ، و جاء الحديث أنها تشتعل عليه نارا.

مرة بن سراقه الأنصارى [(٣)]، ذكره أبو عمر، و تعقبه ابن الأثير بأن الذى ذكروا أنه شهد خيبر ابنه عروة بن مرة. قال الحافظ: و لا مانع من الجمع، قلت: و يؤيد كلام ابن الأثير أن أبا عمر لم يذكره فى الدر، بل ذكر ابنه عروة.

مسعود بن ربيعة [(٤)] - و يقال: ربيع بن عمرو القارى بالتشديد ممن استشهد بخيبر.

مسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزرقى: ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد، و نقل أبو نعيم عن ابن عماره أنه ذكره فيهم، و خالفه الواقدي - اه. نقله الحافظ و أقره.

و الذى فى مغازى الواقدي أنه استشهد بخيبر، و أن مرحبا قتله، فالله أعلم.

يسار: اسم الأسود الراعى، ذكره محمد بن عمر، و ابن سعد و سماء ابن إسحاق، أسلم.

أبو سفيان بن الحارث، كذا فى نسخة سقيمة عن الزهرى نقلا عن رواية يونس عن ابن إسحاق، و لم أره فى الإصابة.

أبو ضياع - بضاد مفتوحة، و فتحية مشددة، فألف، فحاء مهمل - الأنصارى، اسمه التعمان، و تقدم فى البدرين رجل من أشجع ذكره محمد بن عمر، و ابن سعد.

و روى النسائي و البيهقي عن شداد بن الهاد - رضى الله عنه - أن رجلا من الأعراب جاء إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فآمن و أتبعه، فقال: أهاجر معك، فأوصى به النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - شيئا قسّمه لهم، و قسم له، فأعطى أصحابه ما قسم

[(١)] محمود بن مسلمة بن سلمة الأنصارى ذكروه فى الصحابة و استشهد فى حياة النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - و ذكر ذلك موسى بن عقبه فى المغازى و قال: ابن سعد شهد محمود أحدا و الخندق و الحديبية و خيبر و قتل يومئذ شهيدا أدلى عليه مرحب رحي فأصابت رأسه فهشمت البيضة رأسه، الإصابة ٦٧ / ٦.

[(٢)] مدعم الأسود مولى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم .. كان مولدا من حسمى أهداه رفاعه بن زيد الجذامى لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم. الإصابة ٧٤ / ٦.

[(٣)] مرة بن سراقه الأنصارى .. ذكر أبو عمر انه استشهد بحنين و تعقبه ابن الأثير بأن الذى ذكروا أنه شهد حيننا عروة بن مرة قلت و لا مانع من الجمع، قال الحافظ انظر الإصابة ٨١ / ٦.

[(٤)] مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن عائدة بن نثيع بن مليح بن الهون و هو القارة بن خزيمه بن مدركة القارى .. و يقال مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمير بن سعد ابن مخلد بن غالب و هذا قول ابن الكلبي و أفاد ان من ذريته محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، الإصابة ٨٩ / ٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٨

له، و كان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا قسم قسمه لك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فخذ، فجاء به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال: ما هذا؟ قال: «قسم قسمته لك» قال: ما على هذا أتبعك، و لكن أتبعك على أن أرمى ههنا، و أشار إلى حلقة - بسهم - فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «إن تصدق الله يصدقك» ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأتى به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يحمل و قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي - صَلَّى الله عليه و سلم -: «هو هو» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه» فكفنه النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - فى جبته، ثم قدمه. فصلّى عليه، و كان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك و ابن عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك، قتل شهيدا، أنا عليه شهيد».

وقتل من يهود ثلاثة و تسعون رجلا.

ذكر انصراف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عن خيبر و توجهه إلى وادي القرى

قال أبو هريرة: نزلناها أصيلا مع مغرب الشمس، رواه ابن إسحاق.

قال البلاذري: قالوا: أتى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - منصرفه من خيبر وادي القرى فدعا أهلها إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك و قاتلوا، ففتحها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عنوة، و غنمه الله أموال أهلها، و أصاب المسلمون منهم أثاثا و متاعا، فخمس رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ذلك، و تركت الأرض، و النخل في أيدي يهود، و عاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر.

قال محمد بن عمر: لما انصرف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عن خيبر، و أتى الصّيهباء سلك على برمّة، حتى انتهى إلى وادي القرى، يريد من بها من يهود، و كان أبو هريرة - رضى الله عنه - يحدث فيقول، - خرجنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من خيبر إلى وادي القرى، و كان رفاعه بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عبدا أسود يقال له مدعم - بميم مكسورة فдал ساكنة فعين مفتوحة مهملتين، و كان يرحل لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود، و قد ضوى إليها ناس من العرب، فبينما مدعم يحطّ رحل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و قد استقبلتنا يهود بالزّمي حيث نزلنا، و لم نكن على تعبته، و هي يصيحون في أطامهم،

فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنّة، فقال: رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - كلاً و الذي نفسى بيده إنّ الشّملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم يصبها المقسم تشتعل عليه نارا. فلما سمع الناس بذلك جاء رجل إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بشراك أو شراكين، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «شراك من نار أو شراكان من نار» [١].

[١] أخرجه البخارى ١١ / ٥٩٢ (٦٧٠٧) و مسلم ١ / ١٠٨ (١٨٣ / ١١٥).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٤٩

و عبأ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أصحابه للقتال، و صفّهم، و دفع لواءه إلى سعد بن عبادة، و رايه إلى الحباب بن المنذر، و رايه إلى سهل بن حنيف - بضم الحاء المهملة و فتح النون، و سكون التحيّة، و رايه إلى عباد - بتشديد الموحدة، و بالدال المهملة - ابن بشر.

ثم دعاهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى الإسلام و أخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، و حقنوا دماءهم، و حسابهم على الله - تعالى.

فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أحد عشر رجلا كلّما قتل رجل دعا من بقى إلى الإسلام.

و لقد كانت الصّيلة تحضر يومئذ فيصلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله و رسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، و غدا عليهم فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا بأيديهم، و فتحها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عنوة، و غنمه الله - تعالى أموالهم، و أصابوا أثاثا و متاعا كثيرا، و أقام رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بوادي القرى أربعة أيام، و قسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، و ترك الأرض و النخيل بأيدي يهود، و عاملهم عليها.

قال البلاذري: و ولّاه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عمرو بن سعيد بن العاص، و أقطع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

جمرة - بالجيم - ابن هودّة - بفتح الهاء، و الدّال المعجمة - العذرى رمية بسوطه من وادى القرى.

ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر و ما ظهر فى ذلك الطريق من الآيات

روى مسلم، و أبو داود عن أبى هريرة. و أبو داود عن ابن مسعود، و ابن إسحاق عن سعيد بن المسيب، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: انصرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من وادى القرى راجعا بعد أن فرغ من خيبر و وادى القرى، فلما كان قريبا من المدينة سرى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليلته حتى إذا كان قبيل الصبح بقليل نزل و عرس، و قال: ألا رجل صالح حافظ لعينه يحفظ علينا الفجر لعنا نام؟ قال بلال: يا رسول الله أنا أحفظه عليك، فنزل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قام بلال يصلّى ما شاء الله أن يصلّى. ثم استند إلى بعيره، و استقبل الفجر يرقبه، فغلبته عينه، فنام، فلم يستيقظ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و لا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس [(١)].

[(١)] أخرجه مسلم ١ / ٤٧١ (٣٠٩ / ٦٨٠)، و أبو داود فى الصلاة باب (١١) و الترمذى فى التفسير، و ابن ماجه فى الصلاة (١٠) و مالك فى الموطأ (٢٥).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٠
و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أول أصحابه هب، فقال: «ما صنعت بنا يا بلال؟» قال: يا رسول الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، قال: «صدقت» ثم اقتاد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعيره غير كثير، ثم أناخ و أناخ الناس فتوضأ، و توضأ الناس، و أمر بلالا فأقام الصلاة، فلما فرغ، قال:
إِذَا نَسَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوْهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدِكْرِي
[طه ١٤].

ذكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى المدينة مؤيدا منصورا

روى الأئمة السيئة عن أبى موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال: أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله»
فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم و لا غائبا، إنكم تدعون سميعة قريبا، و هو معكم» و أنا خلف دابة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فسمعتنى و أنا أقول لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، فقال: «يا عبد الله بن قيس» قلت: لبيك يا رسول الله فداك أبى و أمى، قال: «ألا أدلك على كلمة من كثر الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبى و أمى، قال: «لا حول و لا قوة إلا بالله»
[(١)].

و لما انتهى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى الجرف ليلا، نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا، فذهب رجل فطرق أهله، فرأى ما يكره فخلى سبيله و لم يهجر، و ضمن بزوجه أن يفارقها، و كان له منها أولاد، و كان يحبها، فعصى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و رأى ما يكره.

و لما نظر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى جبل أحد، قال: هذا جبل يحبنا و نحبه، اللهم إني أحرم ما بين لابتي المدينة»
[(٢)].

ذكر رد رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - على الأنصار ما منحوه للمهاجرين

روى الشيخان، والحافظ، ويعقوب بن سفيان عن أنس - رضى الله عنه - قال: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا و ليس بأيديهم شيء، و كان الأنصار أهل أرض و عقار، فقامهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام، و يكفوهم العمل و المؤن، و كانت أم أنس أعطت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أعذاقا لها، فأعطاهن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد، فلما فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من أهل خيبر، و انصرف إلى المدينة، ردّ

[(١)] أخرجه البخارى (٤٢٠٥)، و أخرجه مسلم فى الذكور و الدعاء (٤٤) و أحمد ٤ / ٤٠٢، و البيهقى ٢ / ١٨٤ و ابن أبى عاصم ١ / ٢٧٤، و الطبرى ٨ / ١٤٧ و ابن السنى (٥١٢) و عبد الرزاق (٩٢٤٤) و انظر البداية ٤ / ٢١٣.

[(٢)] أخرجه البخارى ٦ / ٨٣ (٢٨٨٩) (٢٨٩٣) (٤٠٨٤) (٧٣٣٣) و مسلم ٢ / ٩٩٣ (١٣٦٥ / ٤٦٢).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمققى، ج ٥، ص: ١٥١

المهاجرون إلى الأنصار مئنتهم التى كانوا قد منحوهم من ثمارهم، و ردّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى أمى أعذاقها. و فى رواية: فسألت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأعطينهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى، و جعلت تقول: كلا و الله الذى لا إله إلا هو لا يعطيكهن و قد أعطينهن، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «يا أم أيمن اتركى و لك كذا و كذا» و هى تقول: كلا- و الله الذى لا إله إلا هو، فجعل يقول: لك كذا و كذا، و لك كذا» و هى تقول: كلا و الله الذى لا إله إلا هو حتى أعطها عشرة أمثالها أو قريبا من عشرة أمثالها [(١)].

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة خيبر

قال كعب بن مالك - رضى الله عنه:

و نحن وردنا خيبرا و فروضه بكلّ فتى عارى الأشاجع مذود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرىء على الأعداء فى كلّ مشهد
عظيم رماد القدر فى كلّ شتوة ضروب بنصل المشرفى المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها و فوزا بأحمد
يدود و يحمى عن ذمار محمّدو يدفع عنه باللّسان و باليد
و ينصره من كلّ أمر يريبه وجود بنفس دون نفس محمّد
يصدّق بالأنباء بالغيب مخلصا يريد بذاك العزّ و الفوز فى غد و قال حسان - رضى الله تعالى - عنه:

بئس ما قاتلت خيابر عمّا جمّعوا من مزارع و نخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم و أقرّوا فعل اللّثيم الذليل
أمن الموت تهربون فإنّ الموت موت الهزال غير جميل

تنبهات

الأول: خيبر - بقاء معجمه، فتحتيه، فموحده، وزن جعفر: و هى اسم ولاية تشتمل على حصون و مزارع، و نخل كثير، على ثلاثة أيام

من المدينة على يسار حاج الشام. والخير بلسان اليهود، الحصن، ولذا سميت خيبر أيضا- بفتح الخاء، قاله ابن القيم مما ذكر ابن إسحاق، وقال ابن عقبة و محمد بن عمر و أبو سعد النيسابوري في الشرف: أنها بجبله- بفتح الجيم و الموحدة ابن جوال بفتح الجيم و تشديد الواو، بعدها ألف و لام، و قيل: سميت بأول

[(١)] أخرجه البخارى ٧/ ٤٧٤ (٤١٢٠)، مسلم ٣/ ١٣٩١ (٧٠/ ١٧٧١) (٧١)، و البيهقى الدلائل ٤/ ٢٨٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٥٢

من نزلها، و هو خير أخو يثرب ابنا قانية بن مهلايل بن آدم بن عييل، و هو أخو عاد.

و ذكر جماعة من الأئمة: أن بعضها فتح صلحا، و بعضها فتح عنوة. و به يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك.

و روى عن الإمام مالك- رحمه الله تعالى- أن الكتيبة أربعون ألف عذق. و لابن زبالة حديث «ميلان في ميل من خير مقدس، و حديث «خير مقدسه، و السوارقية [(١)] مؤتفكة، و حديث «نعم القرية في سيات الدجال خير» و توصف خير بكثرة التمر. قال حسان بن ثابت- رضى الله عنه:

و إنا و من يهدى القوائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أهل خير و روى البخارى عن عائشة- رضى الله عنها- قال: لما فتحت خير: قلنا: الآن نشبع من التمر. و عن ابن عمر- رضى الله عنهما- قال: ما شبعنا من التمر حتى فتحت خير، و توصف خير بكثرة الحمى، قدم خير أعرابي بعياله فقال:

قلت لحمى خير استقرى هاك عيالى فاجهدى و جدى

و باكرى بصالد و ورد أعانك الله على ذا الجند فحمّ و مات، و بقى عياله.

قال أبو عبيد البكرى- رحمه الله- فى معجمه و فى الشق عين تسمى الحمية، و هى التى سماها رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قسمة الملائكة، يذهب ثلثا مائها فى فلج و الثلث الآخر فى «فلج» و المسلك واحد و قد اعتبرت منذ زمان رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات فتذهب اثنتان فى الفلج الذى له ثلثا مائها، و واحدة فى الفلج الثانى، و لا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث، و من قام فى الفلج الذى يأخذ الثلثين ليرد الماء إلى الفلج الثانى غلبه الماء و فاض، و لم يرجع إلى الفلج الثانى شىء يزيد على قدر الثلث و تشتمل خير على حصون كثيرة، ذكر منها فى القصة كثير.

الثانى: اختلف فى أى سنة كانت غزوتها: قال ابن إسحاق: خرج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى بقية المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر.

و قال يونس بن بكير فى المغازى عن ابن إسحاق من حديث المسور و مروان، قال:

«انصرف رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من الحديبية، فزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة و المدينة»

[(١)] السوارقية بفتح أوله و ضممه، و بعد الراء قاف، و ياء النسبة. و يقال: السورقية بلفظ التصغير: قرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه، بين مكة و المدينة، و هى نجدية بها مزارع و نخل كثير. مرصد الاطلاع ٢/ ٧٥١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٥٣

فأعطاه الله فيها خير بقوله: وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [الفتح ٢٠] و يعنى خير، فقدم المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خير فى المحرم.

و ذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أنه- صلى الله عليه و سلم- أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خير.

و عند ابن عائد عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال.

و عند سليمان التيمي خمسة عشر يوما.

قال الإمام مالك رحمه الله - تعالى -: كان فتح خيبر سنة ست.

و الجمهور - كما في زاد المعاد: أنها في السابعة، و قال الحافظ: إنه الراجح قالاً:

و يمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي، و هو ربيع الأول.

و ابن حزم - رحمه الله - يرى أنه من شهر ربيع الأول.

الثالث: قال الحافظ: نقل الحاكم عن الواقدي، و كذا ذكره ابن سعد أنها كانت في جمادى الأولى. فالذي رأيته في مغازي الواقدي: أنها كانت في صفر، و قيل: في ربيع الأول، و أغرب من ذلك ما رواه ابن سعد، و ابن أبي شيبه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: خرجنا إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، الحديث. و إسناده حسن، إلا أنه خطأ، و لعلها كانت إلى حنين فتصحفت، و توجيهه بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، و غزوة الفتح خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فيها في رمضان جزماً، و ذكر الشيخ أبو حامد - رحمه الله - تعالى، في التعليق: أنها كانت سنة خمس، و هو وهم، و لعله انتقل من الخندق إلى خيبر، و أجاب بعضهم بأنه أسقط سنة المقدم أي و قطع النظر عن سنة الغزوة.

الرابع: قول عامر: اللهم لو لا - أنت ما اهتدينا، قال الحافظ في هذا: القسم زحاف الخزم بالمعجمتين، و هو زيادة سبب خفيف، و في الصحيح في الجهاد عن البراء بن عازب: أنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو و عامر تواردا على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر و استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

الخامس: استشكل قول عامر: «فداء» بأنه لا يقال في حق الله - تعالى، إذ معنى «فداء» نفديك بأنفسنا، فحذف متعلق الفعل للشبهة، و إنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء، و أجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد ظاهرها، بل المراد بها المحبة و التعظيم، مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ، و قيل: المخاطب بهذا الشعر النبي - صلى الله عليه و سلم - و المعنى، لا تؤاخذنا بتقصيرنا في

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٤

حقك و نصرك، و على هذا فقوله: «اللهم» لم يقصد به الدعاء، و إنما افتتح بها الكلام، و المخاطب بقوله: لو لا أنت النبي - صلى الله عليه و سلم - و يعكر عليه قوله بعد ذلك: فأنزلن سكينه علينا:

و ثبت الأقدام إن لاقينا، فإنه دعاء لله، و يحتمل أن يكون المعنى، فاسأل ربك أن ينزل و يثبت.

السادس: في بيان الروايات التي وردت في هذا الرجز و معانيها.

و ما اتقينا بتشديد الفوقية بعدها قاف، أي، ما تركنا من الأوامر، «و ما» ظرفية، و للأصلي و النسفي من رواية الصحيح بهمزة قطع، فموحدة ساكنة، أي ما خلفنا و راءنا مما كسبناه من الآثام، أو ما أبقينا و راءنا من الذنوب، فلم نتب منه و للقباسي: ما لقينا بلام و كسر القاف، أي ما وجدنا من المناهي. و وقع في الأدب ما اقتفينا بقاف ساكنة، ففوقية، و فاء مفتوحتين، فتحته ساكنة، أي أتبعنا من الخطايا، من قفوت الأثر إذا تبعته، و كذا عند مسلم، و هو أشهر الروايات في هذا الرجز.

ألقين سكينه علينا. و في رواية النسفي و «ألقى» بحذف النون، و بزيادة ألف و لام في السكينه بغير تنوين، و ليس بموزون السكينه: الوقار، و التثبت.

أتينا: بفوقية: أي جننا إذا دعينا إلى القتال أو الحق، و روى بالموحدة أي إذا دعينا إلى غير الحق امتنعنا و بالصياح عولوا علينا: أي قصدونا بالدعاء و الصوت العالي، و استعانوا علينا، يقال:

عولت على فلان و عولت بفلان.

السابع: اختلف في فتح خيبر، هل كان عنوة أو صلحاً، و في حديث عبد العزيز بن صهيب عند البخاري في الصلاة: التصريح بأنه كان عنوة، و به جزم أبو عمر، و ردّ على من قال فتحت صلحاً، قال: و إنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحاً، بالحصنين اللذين

أسلمهما أهلها لحقن دمائهم، وهو ضرب من الصلح، لكنه لم يقع ذلك إلّا بحصار، و قتال، قال الحافظ - رحمه الله تعالى: و الذى يظهر أنّ الشبهة فى ذلك قول ابن عمر: إن النبى - صلى الله عليه و سلم - قاتل أهل خيبر، فغلب على النخل فصالحوه على أن يجلوها منها و له الصفراء و البيضاء و الحلقة، و لهم ما حملت ركابهم، على ألا يكتموا و لا يغيبوا الحديث. و فى آخره:

فسبى نساءهم و ذراريهم، و قسّم أموالهم للنكث الذى نكثوا، و أراد أن يجليهم، فقالوا: دعنا فى هذه الأرض نصلحها .. الحديث، و رواه أبو داود و البيهقى و غيرهما، و كذلك أخرجه أبو الأسود فى المغازى عن عروة. فعلى هذا كان وقع الصلح، ثم حصل النقص منهم فزال أمر الصلح، ثم منّ عليهم بترك القتل و إبقائهم عمّالا بالأرض، ليس لهم فيها ملك، و لذلك

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٥

أجلاهم عمر، فلو كانوا صولحوا على أرضهم لم يجلوها منها.

و جنح غير واحد من العلماء إلى أن بعضها فتح عنوة، و بعضها فتح صلحا، و ليس بنا ضرورة إلى بسط الكلام على ذلك.

الثامن: زعم الأصيلي - رحمه الله تعالى - أنّ حديث نومهم عن الصلاة إنّما كان بحنين لا بخيبر، و أن ذكر خيبر خطأ، ورد عليه أبو الوليد الباجى، و أبو عمر فأجادا.

التاسع: اختلف فى إسلام زينب بنت الحارث التى أهدت الشاة المسمومة و فى قتلها، أما إسلامها، فروى عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر عن الزهرى أنها أسلمت، و أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تركها. قال معمر: و الناس يقولون قتلها. و جزم بإسلامها سليمان التيمى فى مغازيه و لفظه بعد قولها: «و إن كنت كاذبا أرحت الناس منك، و قد استبان لى أنّك صادق، و أنا أشهدك و من حضرك أنّى على دينك، و أن لا إله إلّا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، قال: و انصرف عنها حين أسلمت.

و أما قتلها و تركها، فروى البيهقى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه - صلى الله عليه و سلم - ما عرض لها، و عن جابر قال: فلم يعاقبها رسول الله - صلى الله عليه و سلم -، و روى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأسانيد له متعدّدة هذه القصة، و فى آخرها فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلواها قال محمد بن عمر: و هو أثبت و روى أبو داود من طريق الزهرى عن جابر نحو رواية معمر عنه، و الزهرى لم يسمع من جابر، و رواه أيضا عن أبى هريرة.

قال البيهقى - رحمه الله - يحتمل أن يكون تركها أولا، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها، و بذلك أجاب السهيلي - رحمه الله تعالى - و زاد: أنه تركها، لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصا.

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: يحتمل أن يكون تركها أولا، ثم لما مات بشر لكونها أسلمت، و إنما أخر قتلها حتى مات بشر لأنّ بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه.

و روى أبو سعد النيسابورى: أنه - صلى الله عليه و سلم - قتلها و صلبها، فالله أعلم العاشر: وقع فى سنن أبى داود أنها أخت مرحب، و به جزم السهيلي، و عند البيهقى فى الدلائل: بنت أخى مرحب، و به جزم الزهرى كما فى مغازى موسى بن عقبة الحادى عشر: إن قيل ما الجمع بين قوله - تعالى: وَ اللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة ٦٧] و بين حديث الشاة المسمومة المصلية بالسّم الصادر من اليهودية؟ و الجواب:

أن الآية نزلت عام تبوك، و السّم كان بخيبر، قبل ذلك.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٦

الثانى عشر: اختلف فى مدّة إقامته - صلى الله عليه و سلم - بأرض خيبر، فروى الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أقام بخيبر ستّة أشهر، يجمع بين الصّلاتين. و روى البيهقى عنه: أربعين يوما، و سنده ضعيف.

و قال ابن إسحاق

الثالث عشر: فى بيان غريب ما سبق.

استنفر: استنجد و استنصر.

عسكر: جمع عسكره: أى جيشه.

ثنية الوداع: تقدّم الكلام عليها مبسوطا فى دخوله- صلى الله عليه و سلم- المدينة. فى أبواب الهجرة.

الرّغابة- بالزاي و الغين المعجمتين و بالموحدة كسحابة، و ضبطه أبو عبيد البكرى- رحمه الله تعالى- بالضم: مجتمع السيول بأرض

العقيق، غربى مشهد حمزة، و هو أعلى إضم، و وهم من قال إنه لا يعرف، و إنما المعروف الغابة.

نقى- بنون ففاف فميم مفتوحات فألف تأنيث: اسم واد بالمدينة كجمزى و نسكى، و يروى- بضم أوله و ثانيه: اسم واد بها.

المشّل- بضم الميم، و فتح الشين المعجمة، و اللام الأولى و تشديدها: ثنية تشرف على قديد.

الوطاة: الأرض السهلة.

راهق- بالراء و القاف: قارب.

الجبن- بضم الجيم، و سكون الموحدة، و تضم أيضا: صفة الجبان.

ضلع الدّين، قال القاضى- بفتح الضاد المعجمة، و اللام. شدته، و ثقل حملة.

قينقاع، و النضير، و قريظة: تقدم الكلام عنها فى غزوتها.

سنبلائية- بضم السين المهملة، و الموحدة بينهما نون، أى سابعة من الطول، يقال ثوب سنبلانى، و سنبل ثوبه إذا أسبله من خلفه، أو

أمامه، و قال اليعمرى: منسوبة إلى موضع من المواضع. قلت: سنبلانى محلة، بأصبهان، و المراد هنا الأول.

الكرباس- بالكسر: الثوب الخشن.

عصر- بمهمات فالكسر: فالسكون، أو بفتحتين: جبل بقرب المدينة من جهة خير، و من الغرائب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك أنه بين

المدينة و وادى الفرع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٧

حدو الإبل: سوقها بالشعر.

الصّهباء- بفتح الضاد المهملة و سكون الهاء و بالمد: موضع قرب المدينة.

أدنى خير: أسفلها.

هنيها تك- جمع هينه، و هى تصغير هنة كما قالوا فى تصغير سنه سنيه، و الهنة: كناية عن كل شىء لا يعرف اسمه، أو يعرف فيكنى

عنه، كذا فى الصحيح بالتصغير، و فى أخرى هتيا تك، و فى السيرة: هنتك جمع هنة، أى من أخبارك و أشعارك، فكنتى عن ذلك

كله، و المراد هنا الحداء للإبل.

وجبت: أى الجنة.

لولا: حرف عرض بمعنى هلا.

أمتعتنا- بفتح أوله: أبقيته لنا لستمتع: أى بشجاعته، و التمتع: الترفه إلى مدة.

على بكر- بفتح الموحدة: الفتى من الإبل.

السويق- بفتح السين، و كسر الواو، قمح أو شعير يقلى ثم يطحن.

ثرى السويق: بله.

الرجيع- بالجيم كأمير، واد قرب خير.

غطفان- بغير معجمة، فطاء مهملة، ففاء مفتوحات.

الفأل. و الطيرة: يأتى بيانها فى باب محبته- صلى الله عليه و سلم- الفأل الحسن.

شرح غريب ذكر إرادة غطفان مساعدة يهود، و دعاء رسول الله صلى الله عليه و سلم – لما أشرف على خيبر

قوله: مظاهرين: معاونين.

المنقلة- بميم مفتوحة، فنون ساكنة، فقف مفتوحة، فلام: المرحلة من مراحل السفر.

خالفوا إليهم: جاءوا إلى أهلهم بعد خروج قومهم.

تبلون- بضم الفوقية، و سكون الموحدة، و فتح اللام.

غشوكم- بفتح الغين، و ضمّ الشين المعجمة.

النبأ: الخبر.

أظللن- بطاء معجمة مشالة، من الظل.

أقللن: حملن.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٨

أضللن- بضاد معجمة ساقطة: من الإضلال، ضد الإرشاد.

ذرين- بذال معجمة: حملن، و قال: أزرين لمزوجه أضللن.

شرح غريب ذكر دعاء رسول الله – صلى الله عليه و سلم – لما اشرف على خيبر

قوله: عزّس: بعين، فراء مشددة، فسين مهملات مفتوحات، نزل ليلا، أو آخره.

منعتهم: قوتهم و عددهم، بفتح العين.

هيهات: اسم فعل ماضى بمعنى بعد.

الساحة: الموضوع المتسع أمام الدار، و قال الأزهري: هو فضاء بين دور الحى.

الأفئدة: جمع فؤاد، و هو القلب.

غدا إلى كذا: سار إليه صباحا.

المساحى بمهملتين، جمع مسحاء: و هى من آلة الحرث، و الميم زائدة، لأنه من السحو، و هو الكشف و الإزالة.

الكرازن: جمع كرز- بفتح الكاف و الزاى و بكسرهما و بالنون و يقال بالميم عوضا عن النون: و هو الفأس.

المكاتل- جمع مكتل، بكسر الميم، و فتح الفوقية: القفة الكبيرة التى يحمل فيها التراب و غيره، سميت بذلك لتكتل الشىء فيها، و هو

تلاصق بعضه ببعض.

لم يغر- بضم التحتية، و كسر الغين المعجمة: أى لم يسرع فى الهجوم عليهم.

انحسر- انكشف.

محمد- صلى الله عليه و سلم- خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو أو هذا محمد.

الخميس- بلفظ اسم أحد الأيام يروى- بضم السين و بفتحها على أنه مفعول معه، و سَمَى الجيش خميسا لأنه ينقسم خمسة أقسام، لأنّ

له ساقه، و مقدمة، و جناحين، و قلبا، لا من أجل تخميس الغنيمه لأن فى تخميسها سنة الإسلام، و قد كان الجيش يسمّى خميسا فى

الجاهلية.

التّزّ- بفتح النون، و تشديد الزاى: السائل من المائع.

التّطاء- بنون فطاء مهملة بوزن: حصاء.

الخمير - بخاء معجمة - فميم مفتوحين فراء، ما واراك من شجر أو بناء أو غيره.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٥٩

البرىء - بفتح الموحدة، و كسر الراء المنخفة، و بالمد: السالم.

الرجيع - بالراء، و الجيم و العين المهملتين وزن أمير، واد قرب خير، و هو غير الذى توجه إليه عاصم حمى الدبر.

شرح غريب ذكر ابتداء القتال و أخذ الحمى المسلمين

قوله: من أشجع - بشين معجمة، فميم، فعين مهملة.

الشعار - بكسر الشين المعجمة، و بالعين المهملة: العلامة التى كانوا يتعارفون بها فى الحرب يا منصور أمت: أمر بالموت، و المراد به

التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض. بالشعار، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل.

ترس - بفوقية، فراء مشددة فسين مهملة.

ناعم - بالنون، و العين المهملة كصاحب: حصن من حصون خير.

أهمدتهم: أذهبت قوتهم.

قرسوا - بفتح القاف و كسر الزاء المشددة، و ضم السين المهملة فعل أمر، أى: برّدوا، يوم قارس البرد.

شنان - بكسر الشين المعجمة: الأسقيء.

أحدروا - بالحاء، و الدال المهملتين: صبوا الماء.

نشطوا - بنون مضمومة: خلصوا، و ليس إسقاط الهمزة من أوله بلحن بل لغة صرح بها فى البارع:

العقل - بضميتين: جمع عقال.

شرح غريب ذكر فتحه - صلى الله عليه و سلم - حصن الصعب

الصعب: ضد السهل.

الودك - بفتح الواو، و الدال المهملة: دسم اللحم و دهنه العلقه من العيش - بضم العين المهملة: القليل منه.

الظبى - جمع ظبى: حيوان معروف.

الظليم - بفتح الظاء المعجمة المشالة، و كسر اللام: الذكر من النعام.

احتضن الشىء: جعله تحت حضنه، و هو ما تحت الإبط إلى الخاصرة.

المعشر: جماعة الرجل، دون النساء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٠

جهدنا - بالبناء للمفعول: حصل لنا جهد و مشقة.

غناء - بفتح الغين المعجمة، و تخفيف النون، و بالمد: الكفاية.

البراز - بفتح الموحدة، و الراء، الأرض الواسعة الفضاء.

الغفارى - بكسر الغين المعجمة.

الزّيال: بزاي معجمة و ياء و ألف ثم لام.

بادره: سارع إلى قتله.

على هامته: رأسه.

ذباب التّيف - بضم الذال المعجمة و بالموحدتين: طرفه. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ١٦٠ شرح غريب ذكر فتحه - صلى الله عليه و سلم - حصن الصعب ص : ١٥٩
دَعْمُوص - بضمّ الدال، و سكون العين و آخره ضاد: دويبة تغوص فى الماء.

شرح غريب ذكر محاصرته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حصن الزبير بن العوام و حصون الشق

الشق - بفتح الشين المعجمة، أعرف من كسرهما، و بالقاف المشددة عند أهل اللغة.
قوله قلة الزبير: هى القلعة التى صارت إليه من قسمة الغنائم.
الرّعب: الخوف.
الدّبُول: جمع دبل، نهيرات و قنوات و جداول.
أصحروا: خرجوا إلى الصحراء.
أبى بضم الهمزة و فتح الباء مصغر سموان.
ذفف عليه - بدال، روى إعجامها و إهمالها: أى أجهز عليه، و حرّ رقبتة.
أبو دجانه - بضم الدال المهملة: و تخفيف الجيم و بالنون سماك بن خرشئ يختال: يمشى مشية المتكبر.
الأثاث - بناء بين مثلثين: المتاع.
الجدرد: جمع جدار، و هو الحائط.
ساخ فى الأرض - بالخاء المعجمة: انخسف فيها.

شرح غريب انتقاله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى حصون الكتيبة

قوله: الكتيبة: بكاف مفتوحة، ففوقية، و قال أبو عبيدة: بناء مثلثة مكسورة فتحتيه ساكنة فموحدة، و قيل: إنها بالتصغير.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥، ص: ١٦١
القموص بالقاف و الصاد المهملة كصبور. و قيل: بغين فصاد معجمتين.
الوخم - بفتح الواو، و الخاء المعجمة: الوباء.
الشّقيقة: و جع يأخذ نصف الرأس و الوجه.
نهض: تحرك.
الفتح: النصر.
قد جهد: أصابه جهد، و هو المشقة.
الأرمد: الذى أصابه الرّمذ فى عينيه، و هو وجع فيها.
الفرّار - بفتح الفاء و الرّاء المشددة: الهزّاب.
تفل: بصق.
العنوة - بفتح العين المهملة: أخذ الشىء قهرا.
بات الناس يدوكون - بتحتية، فдал مهملة مضمومة، أى باتوا فى اختلاط و اختلاف، و الدوكة: الاختلاط.
غدوا عليه - بالمعجمة: أتوا صباحا.
تطاوت لها: رفعت عنقى كى يرانى.

ثم: بفتح المثلثة.

أناخ: برك براحلته.

شق برد- بكسر الشين المعجمة: قطعة منه.

قطرى- بكسر القاف، و سكون الطاء المهملة: نوع من البرود فيه حمرة، و لها أعلام، فيها بعض الخشونة، و قيل: هي حبل تحمل من قبل البحرين، قال الأزهرى: فى أعراض البحرين قرية يقال لها قطر، و أحسب الثياب القطرية تنسب إليها، فكسروا القاف للنسبة، و خففوا.

برأ- بفتح الراء، و الهمزة، بوزن ضرب، و يجوز كسر الراء، بوزن علم: خلص من وجعه.

مضى لسبيله: مات.

أنفذ- بضم الهمزة، و الفاء، بينهما نون ساكنة، و إعجام الذال: امض. على رسلك- بكسر الراء: على هيئتك.

حمر- بضم الحاء المهملة، و سكون الميم: التعم بفتح النون، و العين المهملة، الحمر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٢

من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها، و قيل: بل تقنتيها و تملكها، و كانت مما يتفاخر به علام، «على» حرف الجر، دخل على «ما» الاستفهامية فحذفت ألفها لدخوله.

يأنح- بتحتية، فألف، فنون مكسورة، فحاء مهملة: أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو.

يهرول: يسرع، و الهرولة: فوق المشى و دون الجرى.

غلبتم- بالبناء للمفعول.

الرّضم- بفتح الراء، و سكون الضاد المعجمة، و يجوز تحريكها: الحجارة المجتمعمة

شرح غريب ذكر قتل على رضى الله عنه - الحارث و أخاه مرجبا و عامرا و ياسرا إلخ

قوله فى عاديته ...

جسيما: عظيم الجسم.

شاك السلاح- بشين معجمة، و أصله شائك بحذف الهمزة، و من رواه شاك أو شاكى فإنه أخذ الهمزة إلى آخر الكلمة و قلبها ياء.

الحمى- بكسر الحاء، و فتح الميم المخففة: كل ما حميته و منعته.

المساور: المعاجل خصمه.

يحوس الناس بحاء و سين مهملتين يجهضهم عن أثقالهم، أى يبلغ فى النكايه فيهم، و أصل الحوس شدة الاختلاط، و مداركة الضرب.

زبار: أراد زبير.

القرم- بفتح القاف: السيد، و أصله الفحل من الإبل الذى أقرم، أى ترك من الركوب و العمل و وضع للفحله.

التكس- بكسر النون: الرجل الضعيف.

الحوارى: الناصر و المعين.

الليوث: جمع ليث، الأسد.

تلهب أصله: تتلهب.

مغامر: يقتحم المهالك.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٣

يسفل له- بفتح التحتية، و سكون السين المهملة، و ضم الفاء، أى يضربه فى أسافله.

الأكحل: عرق.

عين الركبة: طرفهما الأعلى.

الأرجوان- بضم الهمزة، و الجيم: اللون الأحمر.

و قول على- رضى الله عنه:-

* أنا الذى سمّنتى أمى حيدرته* قال ثابت بن قاسم- رحمهما الله- تعالى- فى تسميته بذلك ثلاثة أقوال، أحدها أن اسمه فى الكتب

المتقدمة أسد، و الأسد هو الحيدرة، الثانى أن أمه فاطمة بنت أسد- رضى الله عنها- حين ولدته، كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها،

فقدم أبوه فسماه علياً، الثالث: أنه كان لقب فى صغره بحيدرة، لأن الحيدرة الممتلى لحمًا مع عظم بطن، و كذلك كان على- رضى

الله عنه- و ذكره الشيخ كمال الدين الدميرى- رحمه الله- تعالى- فى شرح المنهاج.

مجرّب- بفتح الراء: اسم مفعول.

أكيلهم: أجزيمهم بالياء.

السندرة: شجرة يصنع منها مكابيل عظيمة.

الخمل- بفتح الخاء المعجمة، و سكون اللام: الهدب.

أقبلت تحرّب: تغضب، يقال حرّب الرجل إذا غضب، و حربته: إذا أغضبت.

الغمى: الكرب.

جرىء- بالجيم، و الهمزة: شجاع مقدام.

صلب: شديد.

شبت الحرب: أوقدت، و هيجت.

العقيق- هنا جمع عقيقة، و هى شعاع البرق، شبه السيف به.

عضب- بعين مهملة، فضاء معجمة: قاطع.

الجزا- بالقصر و المد: الجزية التى تؤخذ.

يفىء: يرجع.

النهب: ما انتهب من الأموال.

ليس فيه عتب: ليس فيه ما يلام عليه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٤

ندككم: نظويكم و نلصقكم بالأرض.

حمير- بكسر الحاء المهملة، و سكون الميم، و فتح التحتية.

الموتور- بالفوقية: الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ تأره.

الثائر- بالثاء المثناة: الطالب بالثأر، و هو طلب الدم.

عمرية- بعين مهملة مضمومة، فميم ساكنة، فراء مكسورة: أى قديمة، التى أتى عليها عمر طويل.

العشر- بعين مهملة مضمومة فشين معجمة مفتوحة: شجر له صمغ، و هو من العضاء، و ثمرته نفاخة كنفاخة القثاء الأصفر، الواحدة

عشيرة، و الجمع عشر، و عشرات- بضم العين، و فتح الشين.

يلوذ: يستتر.

الفنن - بفتح الفاء، و النون الأولى: الغصن.

و رأيتنى - بضم التاء: رأيت نفسى.

شرح غريب ذكر إسلام العبد الأسود ونبيه - صلى الله عليه وسلم - عن لحوم الحمر الإنسية

قوله عمد إليه: قصد.

حفنة - بفتح الحاء المهملة، و سكون الفاء: ملء الكفين.

خرجت تشتد: تعدو.

سجى - بسين مهملة، و الجيم، بالبناء للمفعول: غطى:

الحمر - بضم الحاء، و الميم: الحمير الأهلية.

الإنسية - بكسر الهمزة، و سكون النون و فتحها: و هى التى تألف البيوت، الإنسية منسوبة إلى الإنس.

أكفنت القدور، قال ابن التين: صوابه فكفت، قال الأصمعى: كفأت الإناء قلبته، و لا يقال أكفأته، و يحتمل أن يكون المراد أميلت

حتى أمال ما فيها، قال الكسائى: أكفأت الإناء:

أملته.

الخشنى - بضم الخاء، و فتح الشين المعجمتين.

المخمصة: المجاعة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٥

أهريقوها، يقال هراق الماء يهريقه - بفتح الهاء: صبّه، و الأصل الإراقه، و أهرق يهرق ساكنا، و أهرق يهريق كاسطاع يسطيع، كأن

الهاء عوض من حركة الياء.

الدنان - بكسر الدال المهملة الخوايى، جمع دنّ - بفتحها.

شرح غريب فتحه - صلى الله عليه وسلم - الوطيح و السلالم

قوله. حاز ماله: ضمه إلى ملكه.

الوطيح - بواو مفتوحة، فطاء مكسورة، فتحية ساكنة، فحاء مهملة السلالم - بسين مهملة مضمومة، و قيل بفتحها، و كسر اللام التى قبل

الميم، و يقال فيه السلاليم.

تدنى - بفوقية، فдал مهملة، فنون مشددة مفتوحات معتل: أى أخذه مالا مالا و حصنا حصنا.

الأدنى فالأدنى: أى الأقرب.

المنجنيق - بفتح الميم، و تكسر: آله من آلات الحصار يرمى بها.

كنانة بكسر الكاف، و نونين.

حى - بحاء مضمومة، فتحية مفتوحة، فأخرى مشددة.

أخطب: بالخاء المعجمة فالطاء المهملة و بالموحدة.

الحقيق - بضم الحاء المهملة، و فتح القاف الاولى، و سكون التحتية.

حقن دمه: امتنع من قتله و إراقته، أى جمعه له و حبسه عليه.

الصفراء: الذهب.

البيضاء: الفضة.

الكراع- بضم الكاف: اسم لجماعة الخيل خاصة.

الحلقة- بسكون اللام: السلاح أجمع، أو الدروع خاصة.

البز- بفتح الموحدة، و بالزاي: نوع من الثياب.

ذمة الله- بكسر المعجمة: عهده و ميثاقه.

المسك- بفتح الميم، و سكون السين المهملة: الجلد.

خربة: أى مكان خرب ضد العامرة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٦

شرح غريب ذكر إرادته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إجلاء يهود

قوله: الجلاء- بفتح الجيم، و بالمد: الخروج من البلد.

بدا- غير مهموز: ظهر.

الشطر هنا- التّصف كما فى الرواية الأخرى.

الخرص- بفتح الخاء المعجمة، و بكسرها هنا: حزر ما على النخل من الرطب تمرا.

السّحت- بضمّتين و يسكن: المال الحرام، لا يحل لبسه، و لا أكله.

القدح- بفتح الفاء، و الدال، و بالعين المهملتين، أى اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف، أو القدم إلى الجانب الآخر، و ذلك الموضع.

انفدعت- بفتححات، قال فى التقريب: فدح اليهود يد عبد الله، ففدح: غير معروف فى اللغّة، و يحتمل أن يكون بغين معجمة. قال الأزهرى: الفدغ: كسر شيء أجوف كالنقع، قلت:

و فيه نظر، لأن الوارد أن يد عبد الله اعوجت فقط لا أنها كسرت. و الله تعالى أعلم.

و الإنسى- قال أبو زيد: الأيسر من كل شيء، و قال الأصمعى هو الأيمن، و قال كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين و الزندين، و القدمين، فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسى، و ما أدبر عنه فهو وحشى.

الكوع- بالتحريك: أن تعوج اليد من قبل الكوع، و هو رأس اليد مما يلي الإبهام، و الكرسوع رأسه مما يلي الخنصر. عدى عليه بالبناء للمفعول.

ارفضت: سال عرقها.

تؤم: تقصد.

القلوص- بفتح القاف، و ضم اللام من الإبل: بمنزلة الجارية من النساء، و هى الشابة، الجمع قلص بضمّتين، و قلاص- بالكسر، و قلائص.

هزيلة- بفتح الهاء و سكون الزاي: و هى المرة من الهزل ضد الجدّ.

شرح غريب قصة الشاة المسمومة

قوله سلام: وزن كلام.

مشكم: بكسر الميم، و سكون الشين المعجمة.
 مصلية- بفتح الميم، و سكون الصاد المهملة، أى المشوية.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٧
 انتهس اللحم: أخذه بمقدم الأسنان للأكل.
 لاك: مضغ.
 ساغ اللقمة: بلعها.
 لفظها: طرحها.
 استرط: ابتلع.
 الأكلة- بضمتين: المأكل.
 الطيلسان- بفتح الطاء، و اللام، و تكسر.
 ماطله وجعه: طالت مدته.
 الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.
 لهوات- بثلاث فتحات، جمع لهاة، و هى اللحم المعلقة فى أقصى الفم.
 العداد- بعين مكسورة، فдал مهملتين: احتياج وجع اللديغ، فإنه إذا تم له سنه من حين لدغ عاوده هياج الألم.
 يعاودنى- بضم أوله، و رابعه، و تشديده، أى يراجعنى ألم سَمَّها.
 قال الداودى: الألم الذى حصل له- صلى الله عليه و سلم- من الأكلة هو نقص لذة ذوقه. قال ابن الأثير: و ليس بين لأن نقص الذوق ليس بألم.
 الأبهـر- بفتح الهمزة، و سكون الموحدة: عرق يكتنف الصلب إذا انقطع مات صاحبه.
 تجاوز عنها: عفا.

شرح غريب ذكر قدوم جعفر و أبى هريرة- رضى الله عنهما-

كلا- هنا: حرف ردع و زجر.
 الحيشية و البحرية- بهمزة الاستفهام و التصغير لبعض رواة الصحيح، و الباقيين بعدمها، فنسبها عمر للحبشة لسكانها بها، و إلى البحر لركوبها إياه.
 البعداء عن الدين: البغضاء له، و هما جمع بعيد، و بغيض.
 و ايم الله: أى يمين الله، قسم، و فيه اثنا عشر لغة.
 أهل السفينة- بالنصب على الاختصاص، و على النداء بحذف أدواته، و يجوز الجر على البدل من الضمير.
 أرسالا- بفتح الهمزة: أفواجا، يتبع بعضهم بعضا.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٨
 الحجل- بحاء مهملة مفتوحة، فجيم ساكنة، فلام، أى يرفع رجلا و يقفز على الأخرى من الفرح، و قد يكون بالرجلين.
 التطفيف: نقص المكيال.
 اكتال منه و عليه: أخذ يتولى الكيل بنفسه، و يقال: كال الدافع، و اكتال الآخذ.
 السراة- بفتح السين المهملة: أعظم جبال العرب.

السهمان- بالضم، و الأسم، و السهام، جمع سهم: و هو النصيب.

الحزم- بضم الحاء المهملة، و الزاي، جمع حزام.

لييف: بلام التأكيد، و هو معروف.

ابن قوقل- بقافين بينهما واو- وزن جعفر، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أصرم- بصاد مهملة، وزن أحمد- ابن فهم بن ثعلبة بن غنم- بفتح الغين المعجمة و سكون النون، بعدها ميم- ابن عمر بن عوف الأنصاري، الأوسى. و قوقل: لقب ثعلبة، و قيل أصرم، قتله أبان فى أحد- رضى الله تعالى عنهما-.

أكرمه الله على يدي: أى استشهد بأن قتل فأكرمه الله- تعالى- بالشهادة.

و لم يهنى على يديه- بتشديد النون- أصله يهيننى فأدغمت إحدى النونين فى الأخرى.

يا عجا لوبر: الوبر- بفتح الواو، و سكون الموحدة- دابة كالتسور وحشية، و نقل أبو على القالى- بالقاف- عن أبى حاتم: أن بعض العرب تسمى كل دابة من حشرات الجبال وبرا، قال الخطابى: أراد بأن يحقر أبا هريرة، و أنه ليس فى قدر من يشير بعاء و لا منع، و أنه قليل القدرة على القتال، قال الكرماني- رحمه الله تعالى- و فيه تعريض بكنية أبى هريرة.

تدلى: تحدر- و فى رواية: تدأداً بدلين مهملتين بينهما همزة ساكنة- قيل: أصله تدهده، فأبدلت الهاء همزة، و قيل: الدأداة: صوت الحجارة فى السيل: أى هجم علينا بغتة.

قدوم- بقاف مفتوحة للأكثر، فдал مهملة مشددة، و ضم بعضهم القاف: اسم ثنية ببلاد دوس.

ضأل- باللام المخففة: فسره البخارى فى رواية المستملى، بالسدر، و كذا قال أهل اللغة: إنه السدر البرى، و توهيم صاحب المطالع للبخارى ليس بشيء.

ضان: بغير همزة- قيل هو رأس الجبل، إلا أنه فى الغالب موضع مرعى الغنم، و قيل: هو جبل الدوس: قوم أبى هريرة.

ينعى- بفتح التحتية و سكون النون، و فتح العين المهملة: أى يعيب على، و فى رواية يعيرنى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٦٩

و أنت بهذا: أى أنت تقول بهذا، أو قائل بهذا، أو أنت بهذا المكان و المنزلة من رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مع كونك لست من أهله، و لا من قومه و لا من بلاده.

قبل- بكسر القاف، و فتح الموحدة.

نجد- بفتح النون، و سكون الجيم.

شرح غريب ذكر قدوم عيينة بن حصن و بنى فزارة و مصالحة أهل فدك

قوله: عيينة: تصغير عين.

فزارة- بفتح الفاء، و الزاي المخففة.

ذو الرقبة- تصغير رقبة، و قيل: كسفينه: جبل مطلق على خبير.

جنفا- بفتح الجيم و النون، و الفاء، و المد و القصر، و قد يضم أوله فى الحالين: ماء من مياه بنى فزارة بين خبير و فدك.

أحذاه- بالحاء المهملة، و الذال المعجمة: أعطاه.

توضع: تسرع.

محيصة- بميم فحاء مهملة مفتوحة، فتحية مشددة مكسورة، فصاد مهملة.

فدك- بفتح الفاء، و الدال المهملة، و بالكاف: بينها و بين المدينة كما قال ابن سعد:

سته أميال.

التَّجْدَةُ: القوَّة.

نرى - بنون، فراء مهملة مبني للمفعول: نظن.

حراهم - جمع حرّة - بالحاء المهملة، و الراء المشدّدة: و هي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. فتّ أعضادهم: كسر قوتهم، و العضد: الناصر و المعين.

شرح غريب ذكر المراهنة و خبر الحجاج بن علاط - رضى الله تعالى عنه -

يفلت - بضم التحتية، و سكون الفاء، و بالفوقية بعد اللام: يخلص نجاه.

خاطره - بالخاء المعجمة، و الطاء المهملة: راهنه.

ضوى إليه - بالضاد المعجمة الساقطة: أى مال.

يغير - بغير معجمة: من الإغارة و هي كبس العدو.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٠

الثنية البيضاء: عقبه تهبطك إلى فخ - بالخاء المعجمة - و أنت مقبل من المدينة تريد أسفل مكة قبل ذى طوى.

الريف - بالكسر: الخصب و السعة فى المطعم، و حيث تكون الخضرة و الحياة.

يتحسبون الأخبار - بفتح التحتية و الفوقية و الحاء، و السين المشدّدة المهملتين و ضم الموحدة، أى يتطلبونها.

التبطوا لجنب ناقتي: مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها.

الحجاز: ما بين نجد و السّراء.

الأنفة - بفتح الهمزة، و النون: الحمية.

المنعة - بالتحريك: جمع مانع، ككاتب و كتبه، و يسكن على معنى منعه واحدة، و هي العشيّة فالحماة.

الزّيع - بكسر الراء، و التحتية و سكون: المكان المرتفع.

الفل - بفتح الفاء: القوم المنهزمون.

يقدم - بضم أوله، و فتح الدال.

أحت - بالثاء المثناة: أسرع.

الشامت: الذى يفرح ببلاء ينزل على غيره.

و بين مسلم و مسلمة: أى و مؤمن و مؤمنة.

المؤنة - بضم الميم: القوَّة.

ليخل لى فى بعض بيوته: أى لينفرد فيه.

ناشده الله: ذكره به.

انتل ما فيها - بهمزة، فنون ساكنة ففوقية فثاء مثناة: استخرج.

العروس: وصف يستوى فيه الذكر و الأنثى.

الخلوق: نوع من الطيب.

خطر فى مشيته: أقبل بيده و أدبر كثيرا.

التجلد: التصبر.

الكآبة: الحزن.

أولى له: كلمة معناها الوعيد من ولي الأمر أى تداوله شر.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧١

ينشبوأ: يلبثوا.

شرح غريب ذكر غنائم خبير و مقاسمها

قوله: أحدى النساء: أعطاهن.

الحوائط- جمع حائط: و هو هنا البستان.

شريق- بالشين المعجمة، و القاف.

و ادى خاص- بالخاء المعجمة، فألف، فصاد مهملة، كذا عند ابن إسحاق، و جرى عليه ياقوت و السيد و غيرهما، و قال أبو الوليد

الوقشى: إنما هو و ادى خلص باللام. قال البكرى: و هو بضم أوله، و إسكان ثانيه، و بالصاد المهملة.

الجرب- بكسر الجيم، و يجوز فتحها فى لغة نادرة.

لا أبالك: هو أكثر ما يستعمل فى المدح: أى لا كافى لك غير نفسك، و قد يذكر فى معرض الدم، و قد يكون بمعنى جد فى أمرك

و شمّر، لأن من له أب اتكل عليه فى بعض شأنه.

رضخ- بالخاء- و الضاد المعجمتين: أعطى.

خرثى المتاع- بخاء معجمة، مضمومة، فراء ساكنة فثاء مثلثة مكسورة فتحية مشددة:

هو أثاث البيت و متاعه، فالإضافة بيانية.

الدجاج- بتثليث الدال: الطائر المعروف.

الداجن: ما ألفت الناس فى بيوتهم كالشاة التى تعلق، و الدجاج، و الحمام، و سمى داجنا لإقامته مع الناس، يقال: دجن بالمكان إذا

أقام به.

شرح غريب من استشهد بخبير

قوله: قفلوا: رجعوا.

شاجبا- بشين معجمة فحاء مهملة، فموحدة: أى متغير اللون.

كذب من قاله: أخطأ.

إنه لجاهد مجاهد- كذا للأكثر باسم الفاعل فيهما، و كسر الهاء، و بالتونين، و الأول مرفوع على الخبر و الثانى إتباع، و لأبى ذر عن

الجمحى و المستملى- بفتح الهاء و الدال، قال القاضى- رحمه الله- تعالى: و الأول هو الوجه، قال ابن دريد- رحمه الله تعالى:- رجل

جاهد، أى مجد فى أموره، و قال ابن التيه- رحمه الله تعالى: الجاهد: من يرتكب المشقة لأعداء الله تعالى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٢

مشى- بشين معجمة- كذا فى رواية بالميم و القصر من المشى. و الضمير فى بها للأرض أو للمدينة أو للحرب أو للخصلة، و فى رواية

نشأ- بنون و همزة، و حكى السهيلي: أنه وقع فى رواية مشابهة- بضم الميم، اسم فاعل من الشبه: أى ليس مشابهة فى صفات الكمال

فى القتال، و هو منصوب بفعل محذوف تقديره رأيت مشابهة أو على الحال، من قوله عربى، قال السهيلي: و الحال من النكرة يجوز إذا

كان فى تصحيح معنى.

شرح غريب ذكر انصراف رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و مصالحة أهل تيماء

قوله: أصلا- بضم أوله و ثانيه: جمع أصيل و هو العشى.
 وادى القرى- بضم القاف [(١)].
 العنوة- بفتح العين المهملة: القهر.
 الجذامى- بضم الجيم، و ذال معجمة.
 الشملة: كساء غليظ يلتحف به.
 ضوى- بفتح الضاد المعجمة، و الواو: مال.
 الآطام- جمع أطم: الحصن.
 مدغم- بكسر الميم، و سكون الدال، و فتح العين المهملتين.
 يرحل- بضم التحتية، و فتح الراء، و كسر الحاء المهملة المشددة: أى يضع الرّحل على الدابة و يشده.
 سهم عائر- بعين مهملة فألف فهمزة مكسورة: لا يدرى من رمى به.
 سهم غرب بفتح الغين المعجمة، و سكون الزّاء، و تحرّك، يضاف و لا يضاف: أى لا يدرى من رماه.
 هنيئا له الشهادة: أى جاءته بلا مشقة.
 الشراك- بكسر الشين المعجمة: أحد سيور النعل التى تكون على وجهها.
 تيماء- بفتح الفوقية- و سكون التحتية: بلد بين المدينة و الشام.

شرح غريب نومهم عن الصلاة و رجوعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المدينة

قوله: سرى ليلته: سار فيها.
 عرس- بفتح العين، و الزّاء المشددة و السين المهملات: نزل آخر الليل.

[(١)] وادى القرى واد بين المدينة و الشام، من أعمال المدينة كثير القرى. مراصد الاطلاع ٣/ ١٤١٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٣

هبّ- بفتح الهاء، و الموحدة المشددة: استيقظ.

اقتاد بعيره: قاده.

من كثر الجنة، أى أجرها يدخر لقائلها كما يدخر الكنز.

الجرف- بضم الجيم، و الراء و بالفاء: موضع بينه و بين المدينة ثلاثة أميال إلى جهة الشام.

طرق أهله: أتاهم ليلا.

ضنّ بكذا- بضاد معجمة ساقطة، فنون مشددة، مفتوحتين: بخل.

لابتا المدينة: حرّتاها، و هما جانبها.

شرح غريب ذكر رد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الأنصار ما منحوه للمهاجرين، و غريب شعر كعب بن مالك - رضى الله عنه

فروضه- بضم الفاء و الراء و بالواو و الضاد المعجمة: المواضع التى فيها الأنهار.

الأشاجع: عروق ظهر الكفّ.

مذود- بميم مكسورة، فذال معجمة ساكنة، فواو مفتوحة، فذال مهملة: مانع الواهن قال في الإملاء الواهن: الضعيف.

المشرفى: السيف.

يدود: يمنع و يحمى.

الذّمار- بذال معجمة مكسورة، وراء: ما تجب حمايته.

الأنباء- بفتح الهمزة: الأخبار.

الغيب: هنا بالياء و يروى بالميم من الغنيمة.

شرح غريب أبيات ابن القيم - رضى الله تعالى عنه

رमित نطأة من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب و فقار
و استيقنت بالذل لما شيعت و رجال أسلم و سطها و غفار
صبحت بنى عمرو بن زرعه غدوة و الشق أظلم أهله بنهار
جرت بأبطحها الذيول فلم تدع إلا الدجاج تصيح بالأسحار
و لكل حصن شاغل من خيلهم من عبد الأشهل أو بنى النجار
و مهاجرين قد اعلموا سيماهم فوق المغافر لم ينو القرار

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٤ و لقد علمت ليغلبن محمدا و ليثوين بها إلى أصفار
فرت يهود عند ذلك فى الوغى تحت العجاج غمائم الأبصار الفيلق - بفتح الفاء، و سكون التحتية، و فتح اللام، و بالقاف شهباء: كثيرة
السلح.

المناكب - جمع منكب كمسجد: مجتمع رأس العضد و الكتف.

الفقار - بالفتح: مفاصل عظم الصلّب. جعل لها مناكب و فقارا: يريد بذلك شدتها.
شيعت: فرقت.

أسلم، و غفار - بكسر الغين المعجمة: قبيلتان.

الأبطح: المكان السهل.

عبد الأشهل - بالشين المعجمة، و بنو النجار، من الأنصار.

سيماهم: علائهم.

المغافر - جمع مغفر: و هو الذى يجعل على الرأس.

لم ينو - بتحتية، فنون: لم يضعفوا أو لم يفتروا.

يثوين - بالياء المثلثة: يقمن.

أصفار: جمع صفر، و هو الشهر.

فرت يهود: هربت.

الوغى - بفتح الواو، و بالغين المعجمة: الحرب.

العجاج: الغبار.

الغمائم - بالغين المعجمة: جفون العيون.

الأبصار- بالموحدة. قال ابن سراج: ويصح أن تكون عمائم بالمهملة، جمع عمامة، ويكون الأنصار بالنون، وقال السهيلي: قوله فرت يهود «هو بيت مشكل، غير أن بعض النسخ، و هي قليلة عند ابن هشام، أنه قال: فرت: فتحت، من قولك: فرت الدابة إذا فتحت فاهها و عمائم الأبصار، مفعول فرت، و هي جفون أعينهم، قال السهيلي: هذا قول. و قد يصح أن يكون فرت من الفرار. و عمائم الأبصار من صفة العجاج، و هو الغبار، و نصبه على الحال من العجاج، و إن كان لفظه لفظ المعرفة عنده، و ليس بشاذ في النحو، و لا مانع في العربية، و أمّا عند أهل التحقيق فهو نكرة لأنه لم يرد الغمام، حقيقة، و إنما أراد مثل الغمام، استدلال السهيلي على ذلك بأشياء ذكرها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٥

الباب الخامس والعشرون في غزوة ذات الرقاع

إشارة

و هي غزوة محارب، و بنى ثعلبة، و سببها أنّ قادمًا قدم بجلب إلى المدينة، فاشتره منه أهلها، فقال للمسلمين: إن بنى أنمار بن بغيض، و بنى سعد بن ثعلبة قد جمعوا لكم جموعا، و أراكم هادئين عنهم، فبلغ ذلك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فاستخلف على المدينة - قال ابن إسحاق:

أبا ذرّ الغفاري، و قال محمد بن عمر و ابن سعد و ابن هشام: عثمان بن عفان، و خرج رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من المدينة ليلة السبت لعشر خلون من المحرم. في أربعمائة أو سبعمائة، أو ثمانمائة، و سلك على المضيق، ثم أفضى إلى وادى الشقرة، فأقام فيها يوما، و بتّ السيرايا، فرجعوا منها مع الليل و خبروه أنهم لم يروا أحدا، و وطئوا آثارا حديثه، فسار رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - في أصحابه حتى أتى نخلا، و أتى مجالسهم، فلم يجد فيها أحدا إلا نسوة، فأخذهن و فيهن جارية و ضيئة، و قد هربت الأعراب في رؤوس الجبال، و هم مطلّون على المسلمين.

قال ابن إسحاق: فلقى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - جمعا من غطفان، فتقارب الناس، و لم يكن بينهم قتال، فخاف الفريقان بعضهم من بعض، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم، و هم غازون، و خاف المشركون أن لا يبرح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حتى يستأصلهم.

و لما حانت الصلاة - صَلَّى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بأصحابه صلاة الخوف.

و روى البيهقي عن جابر - رضى الله عنه - قال: صلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الظهر، فهمّ به المشركون، فقالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أحبّ إليهم من أبنائهم، فنزل جبريل على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأخبره، فصلى العصر صلاة الخوف. قال ابن سعد: و كان ذلك أول ما صلاها، ثم انصرف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - راجعا إلى المدينة.

و بعث بجعال - بضم الجيم، و بالعين المهملة، و اللام، ابن سراقه - رضى الله عنه - بشيرا إلى أهل المدينة بسلامة المسلمين.

و غاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - خمس عشرة ليلة.

و قد وقع في هذه الغزوة آيات كثيرة: روى أكثرها جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنه -.

روى البزار و الطبراني في الأوسط عنه، قال: كانت غزوة ذات الرقاع تسمى غزوة الأعاجيب - انتهى. منها ما وقع عند إرادة غوث بن الحرث الفتك برسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٦

روى الشيخان و غيرهما من طرق عن جابر - رضى الله عنه - قال: غزونا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قبل نجد - و في رواية

ذات الرقاع، فلما قفل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أدركته القائلة يوماً بواد كثير العضاء فنزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و تفرق الناس يستظلون بالشجر، و نزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه، فمنا نومه، فإذا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعوننا فجتناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال: «إن هذا اخترط سيفي و أنا نائم، فاستيقظت و هو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله. قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله - ثلاث مرات، فشام السيف و جلس، و لم يعاقبه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - [(١)] .

و لهذه القصة طرق تأتي مع بعض ما يتعلق بها من الفوائد في أبواب عصمته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ممن أراد الفتك به و منها قصة الصبي الذي به جنون،

روى البزار و الطبراني في الأوسط، و أبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة ذات الرقاع حتى إذا أتى حرّة و أقم، حضرت امرأة بدويّة بابت لها، فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه، فقال: «أخسأ عدو الله أنا رسول الله ثلاثاً، ثم قال: «شأنك بابتك لن يعود الله بشيء، مما كان يصيبه» [(٢)] و منها قصة البيضات الثلاث:

روى محمد بن عمر، و أبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال في غزوة ذات الرقاع: جاء علبه بن زيد الحارثي - رضى الله عنه - بثلاث بيضات أداحي، فقال يا رسول الله: وجدت البيضات هذه في مفحص نعام، فقال: دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات فعملتهن، ثم جئت بهن في قصعة فجعلت أطلب خبزاً فلا أجده، فجعل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و أصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى إلى حاجته و البيض في القصعة كما هو، ثم قام فأكل منه عامة أصحابه، ثم رحنا مبردين [(٣)] .

و منها قصة الرجل الذي دعا عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بضرب رقبته:

روى محمد بن عمر، و الحاكم، و أبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رأى على رجل ثوبا مخروقا، فقال: ما له غيره؟ فقالوا له ثوبان جديدان في العيبة، فأمره بلبسهما، فلما ولى الرجل، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أليس هذا أحسن؟ ماله ضرب الله عنقه؟» فسمعه الرجل فقال: يا

[(١)] أخرجه البخاري ٧ / ٤٩٠ (٤١٣٤، ٤١٣٥).

[(٢)] انظر مجمع الزوائد ٩ / ١٠.

[(٣)] الواقدي في المغازي ١ / ٣٩٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٧

رسول الله في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في سبيل الله فقتل الرجل في وقعة اليمامة [(١)] .

و منها قصة الجمل الذي شكا إليه حاله.

روى البزار، و الطبراني في الأوسط، و أبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال: رجعنا من غزوة ذات الرقاع، حتى إذا كنا بمهبط الحرّة، أقبل جمل يرقل، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«أ تدرّون ما قال هذا الجمل؟» هذا جمل يستعديني على سيده، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين، و أنه أراد أن ينحره، اذهب يا جابر إلى صاحبه فأت به، فقلت: لا أعرفه. فقال: إنه سيدلك عليه» فخرج بين يدي مقنعا، حتى وقف على صاحبه، فجتت به فكلمه -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شَأْنِ الْجَمَلِ

[(٢)] .

و منها قصة جمل جابر - رضی اللہ عنہ -

روى الإمام أحمد عن جابر - رضی اللہ عنہ - قال: فقدت جملي في ليلة مظلمة، فمررت على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «مالك». فقلت يا رسول الله!! فقدت جملي، فقال: «ذاك جملك، اذهب فخذ». فذهبت نحو ما قال فلم أجده، فرجعت إليه، فقال مثل ذلك، فذهبت فلم أجده، فرجعت إليه، فانطلق معي حتى أتينا الجمل، فدفعه إليّ

[(٣)] .

قصة أخرى:

روى الإمام أحمد، و أبو نعيم و الشيخان، و محمد بن إسحاق و محمد بن عمر من طرق عن جابر - رضی اللہ عنہ - قال: كنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة بني ثعلبة، و خرجت على ناضح لي، فأبطأ عليّ، و أعياني حتى ذهب الناس، فجعلت أرقبه، و همّني شأنه فأتى عليّ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «ما شأنك»، فقلت: يا رسول الله!! أبطأ عليّ جملي، فأناخ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعيره، فقال: «معك ماء؟» فقلت: نعم. فجئته بقعب من ماء، فنفت فيه ثم نضح عليّ رأسه و ظهره، و عليّ عجزه. ثم قال: «أعطني عصا»، فأعطينه عصا معي، أو قال: قطعت له عصا من شجرة، ثم نخسه نخسات، ثم قرعه بالعصا، ثم قال: «اركب» فركبت فخرج - و الّمدى بعته بالحق - يواحق [(٤)] ناقته مواهقه ما تفوته ناقته، و جعلت أكفّه عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حياء منه، و جعلت أتحدث مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و بقيه الحديث يأتي في باب مزاحه و مداعبته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و في باب كرمه و جوده، و في باب بيعه و شرائه.

[(١)] أخرجه الحاكم في المستدرک ١٨٣ / ٤ .

[(٢)] قال الهيثمي ١١ / ٩ فيه عبد الحكيم ابن سفيان ذكره ابن أبي حاتم و لم يخرج أحد، و بقيه رجاله ثقات .

[(٣)] انظر مجمع الزوائد ١٤ / ٩ - ١٥ .

[(٤)] يواحق أى يباريها في السير و يماشيها، و مواهقه الإبل: مدّ أعناقها في السير، انظر النهاية ٥ / ٢٣٣ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٧٨

و منها قصة الشجرتين، و قصة تخفيف العذاب عن ميتين، و قصة نبع الماء من بين أصابعه، و قصة الدابة التي ألقاها البحر لما شكا المسلمون من الجوع.

روى مسلم، و أبو نعيم، و البيهقي: عن جابر - رضی اللہ عنہ - قال: سرنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة ذات الرقاع، حتى نزلنا واديا أفيح، و ذهب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقضى حاجته، و اتبعته بإداوة من ماء، فنظر فلم ير شيئا يستتر به، و إذا شجرتان بشاطئ الوادى، فانطلق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، و قال: «انقادى عليّ بإذن الله تعالى» فانقادت منه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده، حتى أتت الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها و قال: «انقادى عليّ بإذن الله تعالى» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالنصف فيما بينهما لأم بينهما، يعنى جمعهما فقال: «التما عليّ بإذن الله تعالى». فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافه أن يحس رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقدمي فيبتعد فجلست أحدث نفسي، فحانت منى لفته، فإذا أنا برسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مقبل، و إذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقف وقفه فقال برأسه: «هكذا يمينا و شمالا». ثم أقبل، فلما انتهى إليّ قال: «يا جابر! هل رأيت مقامي؟» قلت: نعم يا رسول الله.

قال: «فانطلق إلى الشَّجرتين فاقطع من كلِّ واحدةٍ منهما غصنا وأقبل بهما، حتَّى إذا قمت مقامى فأرسل غصنا عن يمينك و غصنا عن يسارك». قال جابر: فقامت، فأخذت حجرا فكسرتَه وحسرتَه فانزلت لى، ثم أتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدةٍ منهما غصنا، ثم أقبلت أجتزهما حتَّى إذا قمت مقام رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - أرسلت غصنا عن يمينى و غصنا عن يسارى، ثم لحقت برسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - فقلت: قد فعلت يا رسول الله، فعمَّ ذلك؟ قال: إنى مررت بقبرين يعدَّبان، فأحببت بشفاعتى أن يرحه عنهما ما دام القضيبان رطيين فأتينا العسكر، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - يا جابر، ناد بالوضوء، فناديت: ألا وضوء ألا وضوء؟ يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة، و كان رجل من الأنصار يريد لرسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - الماء فى أشجابه له على حمازة من جريد، فقال: «انطلق إلى فلان بن فلان الأنصارى، فانظر هل فى أشجابه من شىء؟»

فانطلقت إليه فنظرت فلم أجد فيها قطرة ماء إلَّا قطرة فى عزلاء شجب منها، لو أنى أفرغه بشربة يابسه؟ فأتيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - فأخبرته، قال: «اذهب فاتنى به، فأتيته به، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشىء لا أدرى ما هو، و يغمزه بيده، ثم أعطانيه، فقال: «يا جابر، ناد بجفنة»، فقلت: يا جفنة الركب فأتيت بها تحمل، فوضعت بين يديه، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - بيده هكذا، فبسطها فى الجفنة، ففرَّق بين أصابعه، ثم وضعها فى قعر الجفنة، و قال: «خذ يا جابر، فصب على، و قل بسم الله» فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ففارت الجفنة، و دارت حتَّى امتلأت. فقال: «يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء فأتى الناس فاستقوا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ١٧٩

حتَّى رووا، فقلت: هل بقى أحد له حاجة؟ و رفع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - يده من الجفنة، و هى مملأى.

و شكوا الناس الجوع، فقال: «عسى الله أن يطعمكم بسيف البحر» فأتينا سيف البحر، فألقى دابة فأورينا على شقها النار، فشوينا، و أكلنا و طبخنا، و شبعنا.

قال جابر: فدخلت أنا و فلان و فلان، حتى عدَّ خمسة فى حجاج عينها، ما يرانا أحد حتَّى خرجنا، و أخذنا ضلعا من أضلاعها، فقوسناه، ثم دعونا بأعظم رجل فى الركب و أعظم جمل فدخل تحته ما يطأطئ رأسه.

ذكر قصة الطائر الذى سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة رضى الله عنهم

روى محمد بن عمر، و أبو نعيم - رحمه الله تعالى - عن جابر - رضى الله عنه - قال: إننا لمع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر، و رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - ينظر إليه، فأقبل أبواه أو أحدهما حتَّى طرح نفسه فى يدي الذى أخذ فرخه، فرأيت الناس يعجبون من ذلك، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم -: «أ تعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه، فطرح نفسه رحمة بفرخه، و الله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه».

ذكر منقبة لعباد بن بشر - رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن جابر - رضى الله عنه - و محمد بن عمر عن شيوخه - رحمهما الله تعالى أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - أصاب فى نخل المشركين فى هذه الغزوة امرأة، و كان زوجها غائبا، فلما أتى أخير الخبر، و قفل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - فحلف زوجها لا ينتهى حتَّى يهريق فى أصحاب محمد - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - دما، فخرج يتبع أثر رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - فنزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّم - منزلا ليلة ذات ريح فى شعب استقبله. فقال: «من رجل يكلانا؟» فقام عباد بن بشر، و عمار بن ياسر - رضى الله عنهما - فقالا، نحن يا رسول الله نكلؤك،

و جعلت الريح لا تسكن، و جلس الرجلان على فم الشعب، فقال أحدهما لصاحبه: أى الليل أحب إليك أن أكفيك أوله، و تكفينى آخره؟ قال: اكفىنى أوله، فنام عمار بن ياسر، و قام عباد يصلّى، فأقبل زوج المرأة يطلب غزّة، و قد سكنت الريح، فلما رأى سواد عباد

من قريب قال: يعلم الله أن هذا ربيئة القوم، ففوق سهما فوضعه فيه، فانتزعه عبّاد، فرماه بآخر فوضعه فيه، فانتزعه، فرماه بآخر فانتزعه، فلتيا غلبه الدم ركع و سجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أتيت، فجلس عمار، فلما رأى الأعرابي عمّارا قد قام علم أنه قد تذرا به، فهرب، فقال عمار: أى أخى، ما منعك أن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٠

توقظنى فى أوّل سهم رمى به؟ قال: كنت فى سورة أقرأها و هى سورة الكهف، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، و لو لا- أنى خشيت أن أضيّع ثغرا أمرنى به رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- ما انصرفت، و لو أتى على نفسى. و يقال إن المرمىّ عمار، قال محمد بن عمر: و أثبتها عندنا عبّاد بن بشر- رضى الله عنه. و روى ابن إسحاق عن جابر- رضى الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- لما قدم صرارا نزل به، و أمر بذبح جزور، و أقام عليها و المسلمون يومهم ذلك، فلما أمسى رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- دخل المدينة و دخلنا معه.

تنبهات

الأول: اختلف فى تسميه هذه الغزوة بذات الرّقاع- بكسر أوله، فقيل: هى اسم شجرة سميت الغزوة بها، و قيل: لأن أقدامهم نقتب فلقوا عليها الخرق كما فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعري، و قيل: بل سميت برقاع كانت فى أوليتهم. قال فى تهذيب المطالع: و الأصح أنه موضع، لقوله: حتى إذا كنّا بذات الرقاع. و كانت الأرض التى نزلوها ذات ألوان تشبه الرقاع، و قيل: لأن خيلهم كان بها سواد و بياض.

قال محمد بن عمر الأسلمى: سميت بجبل هناك فيه بقع، و رجح السهيلي، و التّوويّ السّبب الذى ذكره أبو موسى الأشعري.

قال النووى- رحمه الله تعالى- و يحتمل أنها سميت بالمجموع، و به جزم صاحب تهذيب المطالع. فى التقريب.

الثانى: اختلف متى كانت هذه الغزوة فقال البخارى و من تبعه: أنها كانت بعد خيبر، لأن أبا موسى الأشعري جاء من الحبشة سنة سبع بعد خيبر، كما فى الصحيح فى باب غزوة خيبر. و تقدّم ذكره هناك. و صح أيضا كما فى الصحيح أنه شهد ذات الرّقاع، و إذا كان ذلك كذلك لزم أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر، و قال أبو هريرة- رضى الله عنه- صليت مع رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- فى غزوة نجد صلاة الخوف. رواه البخارى تعليقا، و أبو داود، و الطحاوى، و ابن حبان موصولا.

قال البخارى، و أبو هريرة: إنما جاء إلى النبى- صلى الله عليه و سلّم أيام خيبر أى فدل على أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر، و تعقب بأنه لا يلزم من كون الغزوة كانت فى جهة نجد، أى لا تتعدد، فإن نجدا وقع القصد إلى جهتها فى عدة غزوات. و ذكرت فى باب صلاته- صلى الله عليه و سلّم- صلاة الخوف ما يغنى عن إعادته، فيحتمل أن يكون أبو هريرة حضر التى بعد خيبر، لا التى قبلها،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨١

و الجواب أن غزوة نجد إذا أطلقت فالمراد بها غزوة ذات الرقاع، كما جاء ذلك فى أحاديث كثيرة.

و كذلك عبد الله بن عمر، ذكر أنه- صلى مع رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- صلاة الخوف بنجد، و تقدم أن أول مشاهدته الخندق، فتكون ذات الرقاع بعد الخندق.

و فى الصحيح عن جابر- رضى الله عنه- قال: صلى رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- صلاة الخوف فى غزوة السابعة، غزوة ذات الرقاع. قال الحافظ: قوله فى غزوة السابعة، من إضافة الشىء إلى نفسه على رأى، أو فيه حذف تقديره: غزوة السفر السابعة.

و قال الكرمانى [(١)] و غيره: تقديره غزوة السنة السابعة، أى من الهجرة، و فى هذا التقدير نظر، إذ لو كان مرادا لكان هذا نصا فى أن غزوة ذات الرقاع تأخرت بعد خيبر، نعم التنصيص بأنها سابع غزوة من غزوات النبى- صلى الله عليه و سلّم- تأييد لما ذهب إليه البخارى من أنها كانت بعد خيبر، فإنه إذا كان المراد الغزوات التى خرج رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- فيها بنفسه مطلقا، سواء

قاتل أو لم يقاتل، فإن السابعة منها تقع قبل أحد، و لم يذهب أحد إلى أن ذات الرقاع قبل أحد إلا ما سيأتي من تردد ابن عقبة، وفيه نظر، لأنهم متفقون على أن صلاة الخوف متأخرة عن غزوة الخندق، فتعين أن يكون ذات الرقاع بعد قريظة، فتعين أن المراد الغزوات التي وقع فيها القتال.

و الأولى منها بدر، و الثانية أحد، و الثالثة الخندق، و الرابعة قريظة، و الخامسة المريسي، و السادسة خيبر، فيلزم من هذا أن تكون ذات الرقاع بعد خيبر للتصحيح على أنها السابعة، فالمراد تاريخ الوقعة لا عدد المغازي، و هذه العبارات أقرب مما وقع عند الإمام أحمد بلفظ كانت صلاة الخوف في السابعة، فإنه يصح أن يكون التقدير في الغزوة السابعة، كما يصح في غزوة السنة السابعة، قلت: لا مزيد على هذا التحقيق البليغ، فرحم الله الحافظ و جزاه خيرا.

و جزم أبو معشر: بأنها كانت بعد بني قريظة، و هو موافق لما ذهب إليه البخاري، قال في الزهر- و أبو معشر [(٢)] من المعتمدين في المغازي.

و قال ابن القيم بعد أن ذكر الخلاف في تاريخها: الصواب تحويل غزوة ذات الرقاع من

[(١)] محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى: عالم بالحديث، أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، له «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخارى- ط» قال ابن قاضى شعبة: فيه أوهام و تكرار كثير و لا سيما في ضبط أسماء الرواة. و له أيضا «ضمائر القرآن» و «النقود و الردود فى الأصول» مختصره، و «شرح لمختصر ابن الحاجب» سماه «السبعة السيارة» لأنه جمع فيه سبعة شروح. و «أنموذج الكشاف تعليق عليه. توفى ٧٨٦هـ، الأعلام ٧/ ١٥٣.

[(٢)] نجيب بن عبد الرحمن السدي بكسر المهملة و سكون النون الهاشمى مولا هم أبو معشر المدني. عن ابن المسيب. قال الذهبي: لم يلقه، و نافع. و عنه الليث و الثورى و ابن مهدي و طائفة. ضعفه القطان و ابن معين و أبو داود و النسائي و ابن عدى. و قال البخارى: منكر الحديث. و قال أبو زرعة: صدوق و ليس بقوى. توفى سنة سبعين و مائة. الخلاصة ٣/ ١٠٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٢

هذا الموضوع، يعنى كونه ذكرها بعد غزوة بنى النضير، و قبل غزوة بدر الموعد إلى بعد الخندق، بل بعد خيبر.

قال: و إنما ذكرته ههنا تقليدا لأهل المغازي و السير، ثم تبين لنا و همهم الثالث: قال ابن عقبة: لا ندرى هل كانت ذات الرقاع قبل بدر أو بعدها، أو قبل أحد أو بعدها. قال الحافظ: و هذا التردد لا حاصل له، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة، لأن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت، و حديث وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع يدل على تأخرها بعد الخندق.

الرابع: قال أبو الفتح- رحمه الله تعالى- جعل البخارى حديث أبى موسى حجة فى أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر، و ليس فى خبر أبى موسى ما يدل على شىء من ذلك. قال الحافظ- رحمه الله تعالى- و هذا التنى مردود، و الدلالة من ذلك واضحة كما تقدم تقريره.

و قال الإمام علاء الدين الخازن- رحمه الله تعالى- و هذا الذى ذكره البخارى ظاهر الوضوح لأن سياق الأحاديث يدل على ما قاله. الخامس: ادعى الحافظ الدمياطى غلط الحديث الصحيح، فإن جميع أهل السير على خلافه، و الجواب أن الاعتماد على ما فى الحديث أولى، لأن أصحاب المغازي مختلفون فى زمانها، فعند ابن إسحاق، أنها بعد بنى النضير، و قبل الخندق فى سنة أربع. و عند ابن سعد، و ابن حبان: أنها كانت فى المحرم سنة خمس و جزم أبو معشر بأنها كانت بعد بنى قريظة و الخندق، و جزم ابن عقبة بتقدمها، لكن تردد فى وقتها كما تقدم.

و أيضا فقد ازداد حديث أبى موسى قوة بحديث أبى هريرة، و بحديث ابن عمر كما تقدم تقريره.

السادس: قيل: إن الغزوة التى شهدتها أبو موسى، و سميت ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التى وقعت فيها صلاة الخوف، لأن أبا

موسى قال فى روايته: أنهم كانوا سته أنفس، و الغزوة التى وقعت فيها صلاة الخوف. كان المسلمون فيها أضعاف ذلك، و الجواب عن ذلك أن العدد الذى ذكره أبو موسى محمول على من كان مرافقا له من إلزامه، إلا أنه أراد من كان مع النبى - صلى الله عليه و سلم.

السابع: وقع فى الصحيح «باب غزوة ذات الرقاع» و هى غزوة محارب بن خصفة من بنى ثعلبة بن غطفان. قال الحافظ - رحمه الله تعالى - و هو يقتضى أن ثعلبة جد لمحارب، و ليس كذلك، و وقع عند القابسى: خصفة بن ثعلبة، و هو أشد فى الوهم. و الصواب ما وقع عند ابن إسحاق و غيره، و بنى ثعلبة بووا العطف، فإن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٣

ريث بن غطفان، و غطفان بن سعد بن قيس عيلان، و محارب بن خصفة بن قيس عيلان، فمحارب و غطفان ابنا عم!! فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأذى؟! و فى الصحيح فى حديث جابر بلفظ محارب و ثعلبة بووا العطف على الصحيح، و فى قوله ثعلبة من غطفان بميم فنون نظر أيضا كما يعلم مما تقدم، و قد يكون نسبه لجده الأعلى، و فى الصحيح من رواية بكر بن سواده يوم محارب و ثعلبة، فغاير بينهما و محارب بضم الميم، و بالحاء المهملة و الموحدة، و خصفة بفتح الحاء المعجمة، و الصاد المهملة، ثم فاء، أضيف إليه محارب للتمييز عن غيره من المحاربين، فإن فى مضر محارب بن فهر، و فى المغتربين محارب بن صباح، و فى عبد القيس محارب بن عمرو.

الثامن: غورث: وزن جعفر، و قيل بضم أوله، و هو بغيض معجمة و واو و ثاء مثلثة، مأخوذ من الغرث و هو الجوع، و وقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة، و حكى الخطابى فيه غويرث بالتصغير. و حكى القاضى عن بعض رواة الصحيح: من المعارثة بالعين المهملة. قال القاضى:

و صوابه بالمعجمة.

و ذكر غويرث هذا الذهبى فى التجريد من جملة الصحابة، و لفظ غورث بن الحرث الذى قال: من يمنعك منى؟ قال: الله تعالى - فوقع السيف من يده، قاله البخارى من حديث جابر. ا. ه.

و تعقبه الحافظ بأنه ليس فى شىء من طرق أحاديثه فى الصحيح تعرض لإسلامه، ثم أورد الطّرق. ثم قال: رويناه فى المسند الكبير عن مسدّد الخزرجى و فيه ما يصرح بعدم إسلامه، و لفظه بعد أن ذكر وقوع السيف من يده، و قول النبى - صلى الله عليه و سلم - من يمنعك منى قال:

كن خير آخذ. قال: لا إلا أن تسلم. قال: لا و لكن أعاهدك ألا أقاتلك، و لا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله، فجاؤا إلى قومه و قال: جئتكم من عند خير الناس، و كذا رواه الإمام أحمد، و نقله الثعلبى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس، ثم قال الحافظ: هذه الطرق ليس فيها أنه أسلم، و كان الذهبى لما رأى فى ترجمة دعثور بن الحرث أن الواقدى ذكر له شبيها لهذه القصة، و أنه ذكر أنه أسلم، فجمع بين الروايتين، فأثبت إسلام غورث. فإن كان كذلك ففيما صنعه نظر من حيث إنه عزاه للبخارى، و ليس فيه أنه أسلم من حيث إنه يلزمه الجزم بكون القصتين واحدة، و مع احتمال كونهما واقعتين إن كان الواقدى اتقن ما نقل. و فى الجملة فهو على الاحتمال. قلت: سبق الذهبى فى نقل إسلام غورث عن البخارى الأمير أبو نصر ابن ماكولا فى الإكمال. و جزم به الذهبى فى مشتبته النسبة، و أقره الحافظ فى التبصرة على ذلك و لم يتعقبه. و الذهبى لم يغير ذلك للصحيح حتى يرد عليه بما قاله الحافظ.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٤

و الظاهر أن البخارى ذكر ذلك فى أحد تواريخه فتراجع، و لم أقف الآن فيها إلا على ربع التاريخ الكبير و لم يصل إلى حرف الغين المعجمة. و لم أر من حرّر هذا الموضوع. و يحتمل إن صح إسلامه أن يكون أسلم فى غير هذا اليوم و وقع للحافظ فى الفتح فى إسلام غورث كلام غير محرر يأتى الكلام عليه فى الحادى عشر.

التاسع: قول غورث للنبي - صَلَّى الله عليه و سلم - من يمنعك منى على سبيل الاستفهام الإنكارى، أى لا- يمنعك منى أحد لأن الأعرابي كان قائما بالسيف على رأس رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و السيف فى يد الأعرابي و النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - جالس لا- سيف معه، و يؤخذ من مراجعة الأعرابي فى الكلام أن الله - سبحانه و تعالى - منع نبيّه منه، و إلا فما الذى أحوجه إلى مراجعته و تكرارها ثلاث مرات كما عند البخارى فى الجهاد، مع احتياج غورث إلى الحظوة عند قومه بقتله، و فى قول النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - فى جوابه: «الله يمنعك منى» إشارة إلى ذلك، و لذلك أعاده الأعرابي فلم يزد على ذلك الجواب غاية الثبات للنبي - صَلَّى الله عليه و سلم - و عدم مبالاته به أصلا.

العاشر: فى رواية يحيى بن أبى كثير: فتهدده أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال الحافظ - رحمه الله تعالى - فظاهرها مشعر بأنهم حضروا القصة و أنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد، و ليس كذلك، بل وقع فى رواية إبراهيم بن سعد فى الجهاد بعد قوله: قلت لله!! فشم السيف أى أغمده، و كان الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم و عرف أنه حيل بينه و بينه، تحقق صدقه، و علم أنه لا يصل إليه ألقى السلاح، و أمكن من نفسه.

الحادى عشر:

فى حديث جابر فإذا هو جالس، و وقع فى رواية ابن إسحاق بعد قوله: «قال الله» فدفعت جبريل فى صدره، فوقع السيف من يده فأخذه النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال: من يمنعك أنت منى؟ قال: لا أحد، قال: قم فاذهب لشأنك، فلما ولى قال: أنت خير منى. و يجمع بين ما فى الصحيح و بين ما ذكره ابن إسحاق من قوله: «فاذهب» أنه بعد ما أخبر أصحابه بقصته، و لشدة رغبته - صَلَّى الله عليه و سلم - فى ائتلاف الكفار ليدخلوا فى الإسلام، لم يؤاخذه و عفا عنه. قال الحافظ: و قد ذكر الواقدي فى نحو هذه القصة أنه أسلم، و أنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، و وقع فى رواية ابن إسحاق - التى أشرت إليها - ثم أسلم ... بعد.

قلت: و على الحافظ فى هذا الكلام مؤاخذات.

الأولى: قوله «و وقع» فى رواية ابن إسحاق بعد قوله «فدفعت جبريل فى صدره» صوابه:

وقع عند الواقدي، لابن إسحاق، فإن ابن إسحاق لم يذكر ذلك أصلا.

الثانية: أن الواقدي، إنما ذكر ذلك فى غزوة غطفان التى تعرف بذى أمر لا فى ذات الرقاع، و سمى الرجل دعثورا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٥

الثالثة: قوله: و ذكر الواقدي فى نحو هذه القصة إلخ. قد يوهم أن الرجل غورث، و ليس كذلك، بل هو دعثور.

الرابعة: قوله: و وقع فى رواية ابن إسحاق التى أشرت إليها أنه أسلم ليس فى كلام ابن إسحاق أنه أسلم بلا ريب، و من راجع كلام ابن إسحاق، و الواقدي فى مغازيهما تبين له صحته ما قتله. و الله - تعالى - أعلم.

الثانى عشر: قول ابن إسحاق: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - استعمل على المدينة فى غزوة ذات الرقاع أبا ذر، لا يستقيم على مذهبه أن ذات الرقاع قبل الخندق، فإن أبا ذر أسلم قديما، و رجع إلى بلاده، فلم يجيء إلا بعد الخندق، كما ذكره محمد بن عمر.

الثالث عشر: وقع فى الوسيط للإمام حجة الإسلام الغزالي - رحمه الله تعالى - أن غزوة ذات الرقاع آخر الغزوات. قال الحافظ: و هو غلط واضح. و قد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره، و قال بعض من انتصر للغزالي: لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف، و هو انتصار مردود أيضا، لما رواه أبو داود، و النسائي، و صححه ابن حبان من حديث أبى بكر أنه - صَلَّى مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صلاة الخوف، و إنما أسلم أبو بكر فى غزوة الطائف بالانفاق، و ذلك بعد غزوة ذات الرقاع قطعا.

الرابع عشر: جمهور أهل المغازى على أن غزوة ذات الرقاع هى غزوة محارب، كما جزم به ابن إسحاق.

و عند محمد بن عمر، أنها اثنتان و تبعه القطب فى المورد.

الخامس عشر: قول ابن سعد أن صلاة الخوف أول ما صليت «بذات الرقاع» محمول على ما ذكره هو و غيره من تقدمها على غزوة

الحديبية، أما على تأخير ذات الرقاع عن خير فتكون أول ما صليت صلاة الخوف في عسفان.
السادس عشر: فى بيان غريب ما سبق.
الجلب- بفتح الجيم و اللام، و بالموحدة: ما يجلب من بلد إلى بلد للبيع.
بنو أنمار ... بفتح الهمزة.
بغض- بموحدة، فغين، فصاد، معجمتين بينهما تحتيه.
هادين: غافلين عن أمرهم.
المضيق- بفتح الميم، و كسر الضاد المعجمة، و مثناة تحتيه و قاف: قرية.
أفضى إلى كذا: وصل إليه.
الشقرة- بضم الشين المعجمة، و سكون القاف: اسم موضع على يمين من المدينة.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٦
أتى نخلا- بالخاء المعجمة بلفظ اسم جنس النخلة: موضع على يمين من المدينة أيضا.
وضيئة- بالضاد المعجمة: أى حسنة.
غارون: غافلون.
يستأصلهم: يهلكهم جميعا.
حانت الصلاة: دنا وقتها.

شرح غريب ذكر حديث جابر فى قصة غورث

قوله- قفل: رجع.
العضاه- بكسر العين المهملة، و بالضاد المعجمة، و بالهاء: شجر أم غيلان، و كل شجر عظيم له شوك.
اخترط السيف: سلّه من غمده.
صلتا- بفتح الصاد المهملة، و سكون اللّام، و بالفوقية: أى مجردا من غمده.
شام السيف- هنا- أدخله فى غمده.
فتك به: أتاها ليقتله.
و هو غار: غافل.
فى حره- بفتح الحاء و كسرهما. الحرّة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار و الجمع [حرار] ككلاب.
و أقم- بالواو، و القاف، و الميم، وزن آطم، من آطام المدينة، تنسب إليه حره و أقم.
بيضات أداحي- بالدال، و الحاء المهملتين جمع أدهى بضم الهمزة، و هو الموضع الذى تبيض فيه النعامه و تفرخ.
المفحص- بفتح الميم، و سكون الفاء، و فتح الحاء، و بالصاد المهملتين: اسم الموضع الذى يحفره الطائر لبيض فيه.
العيبة- بفتح العين المهملة، و سكون التحتية، و بالموحدة: ما تجعل فيه الثياب.
اليمامة: مدينة على يمين من الطائف، و أربعة من مكة.
يرفل- بسكون الراء، و بالفاء: يمشى مشى المختال.
يستعدينى: يطلب منى نصره.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٧

مقنعا- بالقاف، و النون، و العين المهملة: أى ذليلا.

الناضح: الذى يسقى عليه، ثم استعمل فى كل بغير القعب- بقاف مفتوحة، فعين مهملة: قدح من خشب.
يواحق- بتحتية مضمومة، فواو، فهاء مكسورة، فقاف: أى يبارى ناقه النبى- صلى الله عليه و سلم- فى السير و يماشياها.

شرح غريب حديث جابر الطويل

قوله: واد أفيح: واسع.

الإداوة- بالكسر: المطهرة.

شاطئ الوادى: جانبه.

الغصن- بضم الغين المعجمة.

البعير المخشوش- بالخاء و الشين المعجمتين هو الذى يجعل فى أنفه الخشاش. بكسر الخاء: و هو عود يجعل فى أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع فى انقياده.

و انقاد فلان للأمر: أعطى القيادة إذا أذعن طوعا أو كرها.

التأمتا عليه: انطبقتا عليه و سترتاه.

أحضر- بضم الهمزة، و إسكان الحاء، و كسر الضاد المعجمة: أى أعدو و أسعى سعيا شديدا.

دانت- بالنون، و روى باللام: أى وقعت و اتفقت.

لفتة: نظرة.

حسرتة- بحاء و سين مهملتين: حددته و نحيت عنه ما يمنع حدته بحيث صار مما يمكن القطع به.

اندلق- بذال معجمة، أى صار حادا.

أممت الشيء: قصدته.

أجترهما: أجترهما.

فعم ذاك- أدغمت النون فى ما الاستفهامية، و حذف ألفها لدخول الجار.

يرفه عنهما- بفتح التحتية، و سكون الراء، و فتح الفاء و بالهاء: تخفيف.

الأشجاب- جمع شجب: و هو الشقاء الذى خلق و بلى، و صار سيئا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٨

الحمازة- بكسر الحاء، و تخفيف الميم و الزاى: و هى أعواد يعلق عليها أسقية الماء.

القطرة: الشيء اليسير.

الغزلاء- بفتح العين المهملة و سكون الزاى، و بالمد: و هى فم القرية الأسفل.

شربة يابسة: أى قليل جدا، فلقلته مع شدة يبس باقى الشجب يذهب ما فيه.

يغمزه: يعصره.

الجفنة- بفتح الجيم: إناء كالقصة، و الجمع الجفان بالكسر و الجففات بالتحريك.

و ناد يا جفنة الركب: أى التى تشبعهم أو يا صاحب جفنتهم فحذف المضاف، أى من كان عنده جفنة تشبعهم فليحضرها.

سيف البحر- بكسر السين المهملة، و إسكان التحتية: جانبه.

حجاج عينها- بفتح الحاء المهملة، و كسرهما، و بجيمين: العظم المستدير، و قال ثابت:

الحجاجان، العظمان المشرفان على العينين، و في المخصص: الحجاج العظم الذي عليه الحاجب. الكفل - بكسر الكاف، و سكون الفاء: و هو هنا - الكساء الذي يدار حول سنام البعير ثم يركب.

شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر - رضى الله عنه

يهریق - بضم التحتية، و فتح الهاء، و كسر الراء: يصب و يسيل.

يكلؤنا: يحفظنا و يحرسنا.

الشعب - بالكسر: الطريق في الجبل.

الرئية - بفتح الراء المشددة، و الموحدة المكسورة، و بالهمزة، و المفتوحة:

طليعة القوم و عينهم، الذي يكشف لهم الخبر.

الثغر - بالثاء المثناة، و الغين المعجمة: ما يلي دار العدو.

صرار - بصاد و راءين مهملتين: اسم أطم بالمدينة شريقها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٨٩

الباب السادس و العشرون في عمره القضاء

إشارة

لما دخل هلال ذى القعدة سنة سبع، و هو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن البيت، و أنزل الله تبارك و تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ [البقرة ١٩٤] الآية. أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - أصحابه أن يتجهزوا للعمرة، و لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أحد شهداها، إلّا رجال استشهدوا بخبير، و رجال ماتوا، فقال رجال من حاضرى المدينة من العرب: يا رسول الله، و الله مالنا زاد، و ما لنا أحد يطعمنا، فأمر رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله - تعالى، و أن يتصدقوا، و ألا يكفوا أيديهم فيهلكوا، فقالوا: يا رسول الله، بم نتصدق و أحدنا لا يجد شيئاً؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلّم -: «بما كان و لو بشقّ تمرّة»

[١].

و روى وكيع و ابن عينة و ابن سعيد، و منصور، و عبد بن حميد، و البخارى، و البيهقى في سننه عن حذيفة، و وكيع، و عبد بن حميد، و البيهقى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهم - و ابن جرير عن عكرمة، و وكيع عن مجاهد - رحمهما الله - تعالى - قالوا في قوله تعالى:

وَ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [البقرة ١٩٥] إن التهلكة ترك النفقة في سبيل الله، ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، و لكن الإمساك في سبيل الله، أنفق و لو مشقفا [٢].

قال محمد بن عمر، و ابن سعد [٣]: و استعمل رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - على المدينة أبا رهم - بضم الراء، و سكون الهاء - الغفارى - رضى الله عنه - و قال ابن هشام: و استعمل عوف - بالواو و الفاء، تصغير عوف، و يقال فيه عوف - بتحتية فمثلة ابن الأصبط - بضاد معجمة، فموحدة، فطاء مهملة - رضى الله تعالى عنه - و قال البلاذرى: استعمل أبا ذرّ. و يقال: عوف بن الأصبط و الله أعلم.

ذكر ما ساقه رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - من الهدى و تقديمه السلاح و الخيل أمامه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن دينار - رحمه الله تعالى - قال: جعل رسول

[(١)] انظر فتح الباري ٧ / ٥٧١.

[(٢)] انظر فتح القدير ١ / ١٩٤.

[(٣)] انظر الطبقات الكبرى ٢ / ٩٢.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٠

الله - صلى الله عليه وسلم - ناجية بن جندب الأسلمى على هديه، يسير به أمامه، يطلب الرعى فى الشجر، معه أربعة فتيان من أسلم، زاد غيره: و أبو هريرة [(١)].

و روى محمد بن عمر عن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال: ساق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القضية ستين بدنة و روى أيضا عن شعبة مولى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قلّد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هديه بيده [(٢)].

و روى أيضا عن عاصم بن عمر عن قتادة - رحمه الله تعالى - قال: حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السلاح، و البيض، و الدرّوع، و الرماح و قاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة، فلما انتهى إلى ذى الحليفة قدّم الخيل أمامه، و استعمل على السلاح بشير بن سعد، بالموحدة و الشين المعجمة، و زان أمير،

فقبل يا رسول الله: حملت السلاح و قد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلّا سلاح المسافر، السيوف فى القرب! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّا لا ندخله عليهم الحرم، و لكن يكون قريبا منّا، فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح منّا قريبا [(٣)].

فمضى بالخيل محمد بن مسلمة - رضى الله عنه - إلى مرّ الظهران، فوجد بها نفرا من قريش فسألوه فقال: هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصيح هذا المنزل غدا إن شاء الله - تعالى - و رأوا سلاحا كثيرا مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعا، حتّى أتوا قريشا، فأخبروهم بالذى رأوه من الخيل و السلاح، ففزعت قريش، و قالوا و الله ما أحدثنا حدثا، و إنّا على كتابنا، و مدّتنا، فقيم يغزونا محمد فى أصحابه.

قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى -: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث يخطبها عليه، قلت: و سيأتى بيان ذلك فى ترجمتها.

ذكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة و إحرامه

روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن جابر - رضى الله عنه - قال: أحرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من باب المسجد، لأنه سلك طريق الفرع، و لو لا ذلك لأهلّ من البيداء.

قالوا: و سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلبى و المسلمون معه يلتبون، حتّى انتهى إلى مرّ الظهران، و قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه و سلاح إلى بطن يأجج حيث نظر إلى أنصاب الحرم، و بعثت قريش مكرز - بكسر الميم، و سكون الكاف، و كسر الراء، و بالزاي - بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج، و رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أصحابه، و الهدى و السلاح قد تلاحق، فقالوا له: و الله يا

[(١)] انظر المغازى للواقدي ٢ / ٧١ و البيهقي فى الدلائل ٤ / ٣٢٠ و ابن كثير فى البداية ٤ / ٢٣٠.

[(٢)] المغازى ٢ / ٧٣٣.

[٣] المصدر السابق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٩١

محمد ما عرفت صغيرا و لا كبيرا- بالغدر، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك، و قد شرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيف فى القرب!!

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «إني لا أدخل عليهم بسلاح».

فقال مكرز: هو الذى تعرف به، البرّ و الوفاء، ثم رجع مكرز سريعا إلى مكة بأصحابه، فقال: إن محمدا لا يدخل بسلاح، و هو على الشرط الذى شرط لكم [(١)].

روى الإمام أحمد عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: لما نزل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مّر الظهران فى عمرته، بلغ أصحابه أن قريشا تقول ما يتبعثون من العجف، فقال أصحابه: لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحمه و حسونا من مرّقه، أصبحنا غدا حين ندخل على القوم و بنا جمامه، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم: «لا تفعلوا، و لكن اجمعوا إلى من أزوادكم»، فجمعوا له، و بسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا، و حشا كل واحد فى جرابه [(٢)].

ذكر دخول رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مكة

قال ابن عباس- رضى الله عنهما- قدم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مكة صبيحة الرابع من ذى الحجة، و لما جاء مكرز قريشا بخبر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- استنكف رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- غيظا و حنقا، و نفاسة، و أمر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بالهدى أمامه حتى حبس بذى طوى، و دخل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- على راحلته القصواء و أصحابه محدقون به، قد توشّحو السيوف يلبون، فلما انتهى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى ذى طوى وقف على راحلته و المسلمون حوله، ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون.

و روى البخارى تعليقا، و عبد الززاق، و الترمذى، و النسائى، و ابن حبان عن أنس- رضى الله عنه- و ابن عقبة عن الزهرى، و ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم: أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- دخل مكة عام القضية على ناقته و عبد الله بن رواحة أخذ بزمامها، و هو يقول:

خَلَوْا بنى الكفّار عن سبيله نحن ضربناكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله فى صحف تتلى على رسوله

يا ربّ إني مؤمن بقبيله إني رأيت الحقّ فى قبوله

فقال عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- يا ابن رواحة؟ بين يدي رسول الله- صلى الله عليه و سلم-

[(١)] انظر الطبقات الكبرى ٩٢ / ٢ و البيهقى فى الدلائل ٣٢١ / ٤ و الواقدى فى المغازى ٢ / ٧٣٤. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى

الدمشقى ج ٥ ١٩١ ذكر دخول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة ص : ١٩١

[(٢)] أخرجه أحمد ١ / ٣٠٥ و ذكره الهيثمى فى المجمع ٣ / ٢٧٨ و انظر البداية ٤ / ٢٣١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٩٢

و فى حرم الله- تعالى- تقول الشعر؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «خلّ عنه يا عمر» فلهى أسرع فيهم من نضح النبل». و فى

رواية «يا عمر إني أسمع، فاسكت يا عمر» فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - : «يا ابن رواحة قل: لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده». فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها [(١)].

ذكر طواف رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - ماشيا و ما جاء أنه طاف راكبا

روى الإمام أحمد، والشيخان، وابن إسحاق عن ابن عباس - رضی اللہ تعالیٰ عنہما - قال: «قدم رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - وأصحابه مكة، وقد هنتهم حمى يثرب، فقال المشركون: إنه يقدم غدا قوم قد هنتهم الحمى، ولقوا فيها شدة، فجلسوا على قعيقعان مما يلي الحجر، فأطلع الله - تعالى - نبيه على ما قالوا، فلما دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده الأيمن، ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة». وفي رواية: «أروهم ما يكرهون» وأمرهم أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا بين الزكئين، ليرى المشركون جلدهم، ثم استلم الركن، وخرج يهرول وأصحابه معه، حتى إذا وراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني مشى حتى استلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرهما. قال ابن عباس: ولم يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها للإبقاء عليهم، فقال المشركون: «هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد هنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا، ما يرضون بالمشى، أما إنهم لينفزون نقر الظبي» وكان رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يكايدهم كلما استطاع [(٢)].

قال محمد بن عمر، وابن سعد وغيرهم: ولم يزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يلبى حتى استلم الركن بمحجنه. وروى الحميدي والبخاري [(٣)]، والإسماعيلي عن عبد الله بن أبي أوفى - رضی اللہ عنہ - قال: لما اعتمر رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - سترناه من غلمان المشركين، وفي رواية من السيفهاء والصبيان مخافة أن يؤذوا رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - وروى يونس ابن بكير - رحمه الله تعالى - عن زيد بن أسلم - رحمهما الله تعالى - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - دخل عام القضية مكة، فطاف على

[(١)] أخرجه البخاري معلقا ٧/ ٥٧٠ وانظر كلام الحافظ ابن حجر ٧/ ٥٧٢ وانظر مغازي الواقدي ٢/ ٧٣٦ والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٢٣.

[(٢)] أخرجه البخاري ٧/ ٥٨١ (٤٢٥٦) و مسلم ٢/ ٩٢٣ (١٢٦٦/٢٤٠)، وأحمد ١/ ٣٧٣ وأبو داود (١٨٨٥) والطحاوي في المعاني ٢/ ١٧٩ والطبراني في الكبير ١١/ ٣٨٦، وانظر البداية ٤/ ٢٢٧ والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٢٦ والتمهيد لابن عبد البر ٢/ ٧١.

[(٣)] أخرجه البخاري ٧/ ٥٨١ (٤٢٥٥)، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٢٨.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ١٩٣

ناقته، واستلم الركن بمحجنه. قال هشام، وابن سعد: من غير - علة - والمسلمون يشتدون حول رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - و ابن رواحة يقول الرجز السابق: و ذكر محمد بن عمر، وابن سعد: أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - طاف راكبا، وتبعهما القطب في المورد.

ذكر دخوله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - البيت

روى البيهقي من طريق محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال: لما قضى رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - طوافه في عمرة القضاء دخل البيت، فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالصبح، فوق ظهر الكعبة،

و كان رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أمره بذلك، فقال عكرمة بن أبي جهل - و أسلم بعد ذلك - لقد أكرم الله - تعالى - أبا الحكم، حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول.

و قال صفوان بن أمية - و أسلم بعد ذلك - الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا.

و قال خالد بن أسيد - كأمر - و أسلم بعد ذلك: الحمد لله الذي أمات أبي و لم يشهد هذا اليوم حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة و أمّا سهيل بن عمرو - و أسلم بعد ذلك - و رجال معه لما سمعوا ذلك غطوا وجوههم، كذا في هذه الرواية: أن النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - دخل البيت.

و روى البخاري عن إسماعيل بن أبي خالد - رحمه الله تعالى - أن رجلا سأل ابن أبي أوفى - رضى الله عنه - كان رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - دخل في القضية الكعبة؟ قال: لا [(١)].

و قال محمد بن عمر بعد أن روى ما سبق عن ابن عباس: حدثني إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين قال: لم يدخل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الكعبة في القضية. و قد أرسل إليهم، فأبوا و قالوا: لم يكن في شرطك.

ذكر سعيه - صَلَّى الله عليه و سلم - بين الصفا و المروة

روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - طاف بين الصفا و المروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند المروة عند فراغه - و قد وقف الهدى عند المروة - قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «هذا المنحر و كل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة» [(٢)].

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - و قد كان اعتمر مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قوم لم

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٢٨ / ٤ و الواقدي في المغازي ٧٣٧ / ٢.

[(٢)] أخرجه ابن سعد: ١ / ٢ / ٨٨ و الموطأ (٣٩٣) و أحمد (٧٦ / ١) و الترمذى (٨٨٥)، و ابن خزيمة (٢٨٨٩).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٤

يشهدوا الحديبية فلم ينحروا، فأما من شهدها و خرج في القضية فإنهم اشتركوا في الهدى. و أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مائتين من أصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه بطن يأجج فيقيمون على السلاح، و يأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا.

ذكر خروجه - صَلَّى الله عليه و سلم - من مكة

روى محمد بن عمر عن عمر بن على بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - قال: لما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى - و أسلما بعد ذلك قال ابن إسحاق: و كانت قريش قد وكت حويطب بإخراج رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأتياه و هو في مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بن عباد، فقالا: قد انقضى أجلك، فأخرج عنا، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «و ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعت طعاما؟!» فقالا: لا حاجة لنا في طعامك أخرج عنا، نشدك الله يا محمد، و العقد الذى بيننا و بينك إلا خرجت من أرضنا، فهذه الثلاثة قد مضت [(١)].

و كان رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لم ينزل بيتا، إنما ضربت له قبة من أديم بالأبطح، فكان هناك حتى خرج منها، و لم يدخل

تحت سقف بيت من بيوتها، فغضب سعد بن عبادة- رضى الله عنه- لما رأى من غلظة كلامهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- فقال لسهيل بن عمرو: كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض أبيك، والله لا يخرج منها إلا طائعا راضيا، فتبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقال يا سعد: لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا، وأسكت الرجلان عن سعد.

و في الصحيح عن البراء بن عازب- رضى الله عنهما- أن الأجل لما مضى أتى المشركون عليا- رضى الله عنه- فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فذكر ذلك على- رضى الله عنه- لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأبا رافع- بالرحيل، وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين» و ركب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى نزل بسرف، و تتام الناس، و خلف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبا رافع ليحمل إليه زوجته ميمونة حين يمسي، فأقام أبو رافع حتى أمسى، فخرج بميمونة و من معها، و لقيت من سفهاء مكة عناء، و سيأتي الكلام على دخول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بها في ترجمتها.

ذكر خروج ابنة حمزة- رضى الله عنها

روى الشيخان عن البراء بن عازب، و الإمام أحمد عن علي، و محمد بن عمر عن ابن عباس- رضى الله عنهم- قال ابن عباس: إن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب، و قيل اسمها

[(١)] أخرجه البيهقي ٣٣٠ / ٤ و انظر السيرة لابن هشام ٣ / ٣٢١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٥

أمامة قال الحافظ: و هو المشهور و أمها سلمى بنت عميس، كانت بمكة،

فلما قدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مكة كلم علي بن أبي طالب- رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائى المشركين؟، فلم ينهه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فخرج بها.

و قال البراء: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما خرج تبعته ابنة حمزة تنادى يا عمى يا عمى، فتناولها على فأخذ بيدها. و قال لفاطمة- رضى الله عنها-: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها.

زيد و على و جعفر، أى بعد أن قدموا المدينة

كما سيأتى.

و كان زيد وصي حمزة، و كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد واخى بينهما حين واخى بين المهاجرين. فقال على: أنا أحق بها، و هى ابنة عمى، و أنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، و قال جعفر: بنت عمى و خالتها أسماء بنت عميس تحتى. و قال زيد:

بنت أختى. فقضى فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لخالتها، و قال: «الخالة بمنزلة الأم» و قال لعلى: «أنت منى و أنا منك». و فى حديث ابن عباس- رضى الله عنه- «و أميا أنت يا على فأخى و صاحبى» و قال لجعفر: «أشبهت خلقى و خلقى». و قال لزيد: «أنت

أخونا و مولانا». و فى حديث ابن عباس- رضى الله عنه- «أنت مولى الله و رسوله»

[(١)].

قال محمد بن عمر: فلما قضى بها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «ما هذا يا جعفر؟» قال: يا رسول الله، كان النجاشى إذا أرضى أحدا قام فحجل.

قال ابن إسحاق- رحمه الله تعالى- ثم انصرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فى ذى الحجة.

و كان عدّة المسلمين سوى النساء و الصبيان ألفين.

قال ابن هشام - رحمه الله - تعالى: - فأنزل الله - تعالى - فيما حدّثني أبو عبيدة: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح ٢٧] يعنى خبير.

تنبيهات

الأول: يقال لهذه العمرة عمرة القصاص. قال السيّهيلي - رحمه الله - تعالى - وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ [البقرة

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٧٠ (٤٢٥١) و مسلم ٣ / ١٤٠٩ (١٧٨٣ / ٩٠)، و أبو داود (٢٢٨٠) و الترمذى ٤ / ٣٣٨ و البيهقى فى السنن الكبرى ٨ / ٦ و الدلائل ٤ / ٣٣٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٦

[١٩٤] و رواه عبد بن حميد بسند صحيح عن مجاهد، و به جزم سليمان التيمى فى مغازيه و هذه الآية نزلت فيها كما تقدم. و يقال لها: عمرة القضاء، و اختلف فى تسميتها بذلك، فقال السيّهيلي: لأنّ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قاضى قريشا عليها. لأنه قضى العمرة التى صدّ عن البيت فيها، فإنها لم تكن فسدت بصدّهم له عن البيت، بل كانت عمرة تامّة متقبلة، حتّى إنهم حين حلّقوا شعورهم بالحلّ احتملتها الريح فألقفتها بالحرم، فهى معدودة فى عمر النبي - صلى الله عليه و سلم - زاد القاضى: فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الصّلىح، و لذلك يقال لها عمرة القضية.

قال أهل اللّغة: قاضى فلان فلانا: عاهده، و قاضاه: عاوضه، فيحتمل تسميتها بالأمرين، و يرجح الثانى تسميتها قصاصا. و قال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى، و عدّ عمرة الحديبية فى العمر لثبوت الأجر فيها لا لأنها كملت، و هذا خلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصّدّ عن البيت. فقال الجمهور: يجب عليه الهدى، و لا قضاء عليه. و عن الإمام أبى حنيفة - رحمه الله - تعالى - عكسه، و عن الإمام أحمد رواية: أنه لا يلزمه هدى و لا قضاء و أخرى أنه يلزمه الهدى و القضاء، و بيان حجج كلّ ليس من غرضنا.

و قال ابن إسحاق: تسمى أيضا عمرة الصّلىح اه.

فتحصّل من أسمائها أربعة: القضاء، و القضية، و القصاص و الصّلىح.

الثانى: وجهها كون هذه العمرة غزوة بأن موسى بن عقبه ذكر فى المغازى عن ابن شهاب أنه - صلى الله عليه و سلم - خرج مستعدّا بالسّلاح و المقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر، و لا يلزم من إطلاق الغزوة وقوع المقاتلة.

و قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - فى الجامع: هذه العمرة ليست من الغزوات، و ذكرها البخارى فى الغزوات حيث تضمنت ذكر المصالحة مع المشركين.

الثالث: قال ابن هشام - رحمه الله تعالى - قوله: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم، قال السيّهيلي: يعنى يوم صفين. قال ابن هشام:

و الدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، و المشركون لم يقرّوا بالتنزيل، و إنّما يقاتل على التأويل من أقرّ بالتنزل. قال فى البداية: و فيما قاله ابن هشام نظر، فإن البيهقى روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزّهرى عن أنس قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة فى عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه و فى رواية و هو أخذ بغرزه و هو يقول

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٧

الآيات السابقة. و رواه عن يزيد بن أسلم - كما سبق - وقد تابع ابن إسحاق على ذلك ابن عقبة وغيره، و قال الحافظ - رحمه الله تعالى - إذا ثبتت الرواية فلا مانع من إطلاق ذلك، فإنَّ التقدير على رأى ابن هشام: نحن ضربناكم على تأويله أى حتى تدعونا إلى ذلك التأويل، و يجوز أن يكون التقدير: نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه، و إذا كان ذلك محتملا، و ثبتت الرواية سقط الاعتراض. نعم الرواية التي جاء فيها.

«فاليوم نضربكم على تأويله» يظهر أنه قول عمار، و يبعد أن يكون من قول ابن رواحة، لأنه لم يقع في عمرة القضاء ضرب و لا قتال، و صحيح الرواية.

«نحن ضربناكم على تأويله. كما ضربناكم على تنزيله.

يشير بكل منهما إلى ما مضى، و لا مانع من أن يتمثل عمّار بن ياسر بهذا الرجز و يقول:

هذه اللفظة، و معنى قوله: «نضربكم على تأويله» أى الآن، و جاز تسكين الباء لضرورة الشعر، بل هي لغة قرئ بها في المشهور.

الرابع: قال الحافظ أبو عيسى الترمذى - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر رجز ابن رواحة، ثم قال: و في غير هذا الحديث أن هذه القصيدة لكعب بن مالك، و هو الأصح، لأن عبد الله بن رواحة قتل بمؤتة، و كانت عمرة القضاء بعد ذلك، قال الحافظ - رحمه الله - و هو ذهول شديد، و غلط مردود، و ما أدري كيف وقع الترمذى في ذلك، و مع أن في قصة عمرة القضاء اختصام جعفر و أخيه، عليّ، و زيد بن حارثة في بنت حمزة، أى كما سبق و جعفر قتل هو و زيد و ابن رواحة في موطن واحد، فكيف يخفى على الترمذى مثل هذا. ثم وجدت عند بعضهم أن الذى عند الترمذى من حديث أنس: أن ذلك كانت في فتح مكة. فإن كان كذلك اتجه اعتراض الترمذى، لكن الموجود بخط الكروخى راوى الترمذى على ما تقدم. قلت:

و كذلك رأيت في عدّة نسخ من جامع الترمذى.

الخامس: مجيء سهيل، و حويطب يطلبان رحيل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نصف النهار، الظاهر أنه - صلى الله عليه و سلم - دخل في أوائل النهار، فلم تكمل الثلاث إلا - في مثل ذلك الوقت من النهار الرابع الذى دخل فيه بالتلفيق، و كان مجيئهم في أول النهار قريب مجيء ذلك الوقت.

السادس: «قول ابنة حمزة يا عم كأنها خاطبت النبى - صلى الله عليه و سلم - بذلك إجلالا، و إلّا فهو ابن عمها، أو بالنسبة إلى كون حمزة - و إن كان عمه من النسب - فهو أخوه من الرضاعة.

و كانت خصومة عليّ و جعفر، و زيد في ابنة حمزة بعد أن قدموا المدينة، كما صح ذلك من حديث عليّ عند أحمد، و الحاكم.

السابع: أقر النبى - صلى الله عليه و سلم - عليا على أخذها من مكة مع اشتراط المشركين ألا يخرج

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٨

بأحد من أهلها أراد الخروج، لأنهم لم يطلبوها، و أيضا فإنَّ النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك، لكن إنَّما نزل القرآن بعد رجوعهم إلى المدينة.

الثامن: فى بيان غريب ما سبق:

التهلكة: الهلاك، و هو من نواذر المصادر.

المشقص - بكسر الميم، و سكون الشين المعجمة، و فتح القاف، سهم فيه نصل عريض، و الجمع مشاقص.

تقليد الهدى: أى تعلق بعنق البعير قطعه من جلد ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه.

ذو الحليفة - بضم الحاء المهملة تصغير الحلفة بفتحات، واحد الحلفاء، و هو النبات المعروف.

هاج: حركه، الهيج - بفتح الهاء، و التحتىه، و بالجيم: الحرب.

مرّ الظهران: تقدم الكلام عليه غير مرّة.

شرح غريب ذكر خروجه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المدينة

قوله الفرع - بضم الفاء، و الراء، و بالعين المهملة: عمل واسع من أعمال المدينة.

البيداء: فى الأصل المفازة، و هنا الشرف الذى قدام ذى الحليفة إلى جهة مكة.

يأجج - بتحتية، فهمزة ساكنة، فجيمن، الأولى مفتوحة - و قد تكسر: واد قريب من مكة.

أنصاب الحرم: الأعلام على حدوده.

العجف، و زان التعب: الضعف.

حسوننا - بحاء فسين مهملتين مفتوحتين، فواو ساكنة، فنون: شربنا.

الحنق - بفتح الحاء المهملة، و النون و بالقاف: الغيظ.

النفاسة - يقال نفس الشيء بالكسر نفاسة: حسده عليه و لم يره أهلا له.

ذى طوى - بتثليث الطاء: واد بقرب مكة، يصرف و لا يصرف.

القصواء: كحمراء.

محدقين: محيطين.

توشح السيف: ألقى طرف علاقته على منكبه الأيمن من تحت يده اليسرى، و يأخذ طرفه الذى ألقاه على منكبه الأيسر من تحت يده.

اليمنى، ثم يعقدهما على صدره.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ١٩٩

الثنية: كل عقبه مسلوكة.

الحجون - بفتح الحاء المهملة، و ضم الجيم، و بالواو، و النون: جبل بمكة.

الهام، جمع هامة، و هى الرأس.

وهنتهم الحمى: أضعفتهم.

اضطبع بثوبه: جعل وسط الثوب تحت الإبط اليمنى، و طرفه على الكتف اليسرى.

العضد - بفتح العين المهملة، و ضم الضاد المعجمة و تسكن، و بفتح العين، و كسر الضاد، و بضمهما، و بضم العين و سكون الضاد:

خمس لغات، و هى مؤنثة عند أهل تهامة، و تذكر عند بنى تميم: و هى ما بين المرفق و الكتف.

رمل فى طوافه - بالراء: هرول.

الأشواط - بالشين المعجمة جمع شوط: و هو الجرى إلى الغاية، و هى هنا من الحجر إلى الحجر.

جلدهم - بفتح الجيم و اللام: قوتهم و صبرهم.

واراه: ستره.

أبقى عليه: رفق به و أشفق عليه.

قعيقعان - بقافين، الأولى مضمومة، بعد كل منهما عين مهملة و بعد الأولى تحتية: جبل بمكة.

نقر - بالقاف و الزاى: وثب.

الظبى - جمع ظبى: حيوان معروف.

المحجن - بكسر الميم، و سكون الحاء المهملة و فتح الجيم: عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه.

يشدون: يعدون.

المروءة: جبل معروف بمكة.

الفجاج- بكسر الفاء جمع فحج، و بالفتح: هو الطريق الواسع.

نشذك الله: نذكرك به و نستعطفك، أو نسألك به، مقسمين عليك.

الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصى، و المراد هنا مكان معروف بمكة.

سرف- بفتح السين المهملة و كسر الزاء، و بالفاء: ما بين التنعيم و بطن مرو، و هو إلى التنعيم أقرب.

حجل- بحاء مهملة، فجييم، فلام مفتوحات: رفع رجلا و قفز على الأخرى من الفرح، و قد يكون بالرجلين، إلا انه قفز، و قيل الحجل: المشى المقيد.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٠

الباب السابع والعشرون فى غزوة الفتح الأعظم الذى أعز الله تعالى به دينه و رسوله و جنده و حرمة الأمين

إشارة

و هو الفتح الذى استبشر به أهل السماء، و ضربت أطناب عزه على منابك الجوزاء، و دخل الناس فى دين الله أفواجا، و أشرق به وجه الأرض ضياء و ابتهاجا، و كان فى شهر رمضان سنة ثمان. قال ابن عباس- رضى الله عنهما- غزا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- غزوة الفتح فى رمضان.

قال الزهرى: و سمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك، رواه البخارى [(١)].

ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة

كانت خزاعة فى الجاهلية أصابوا رجلا من بنى الحضرمي و اسمه مالك بن عباد، و حلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن، خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه و أخذوا ماله فمّر رجل من خزاعة على بنى الدليل بعد ذلك فقتلوه، فوَقعت الحرب بينهم، فمّر بنو الأسود بن رزن. و هم ذؤيب، و سلمى، و كلثوم على خزاعة فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم، و كان قوم الأسود منخر بنى كنانة يودون فى الجاهلية ديتين لفضلهم فى بنى بكر، و نودى دية، فبينما بنو بكر و خزاعة على ذلك بعث رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فحجز بالإسلام بينهم، و تشاغل الناس به- و هم على ما هم عليه من العداوة فى أنفسهم- فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و بين قريش، و وقع الشرط «و من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فليدخل، و من أراد أن يدخل فى عقد قريش فليدخل» فدخلت خزاعة فى عقد رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و كانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم، و كان رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بذلك عارفا، و لقد جاءته خزاعة يومئذ بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب- رضى الله عنه- و هو: «باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سرواتهم و أهل الرأى، غائبهم مقرّ بما قاضى عليه شاهدتهم، إن بيننا و بينكم عهد الله و عقوده، و ما لا ينسى أبدا، اليد واحدة، و النصر واحد ما أشرف ثبير، و ثبت حراء مكانه و ما بلّ بحر صوفة و لا يزداد فيما بيننا و بينكم إلا تجددا أبد الدهر سرمد».

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «ما أعرفتى بخلقكم و أنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكلّ حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة و لا حلف فى الإسلام»

[(٢)].

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٩٥ (٤٢٧٥).

[(٢)] انظر فتح البارى ٧ / ٥٩٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٠١

ذكر نقض قريش العهد

لما دخل شعبان على رأس اثنين و عشرين شهرا من صلح الحديبية، كلمت بنو نفاثة و بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال و السلاح على عدوهم من خزاعة، و ذكروهم القتلى الذين أصابت خزاعة منهم، و أرادوا أن يصيبوا منهم ثأر أولئك الثفر الذين أصابوا منهم فى بنى الأسود بن رزن، و ناشدوهم بأرحامهم، و أخبروهم بدخولهم فى عقدهم و عدم الإسلام، و دخول خزاعة فى عقد محمد و عهده، فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا، إلا أن أبا سفيان بن حرب لم يشاور فى ذلك و لم يعلم، و يقال إنهم ذاكروه فأبى ذلك، فأعانوا بالسلاح و الكراع و الرجال، و دسوا ذلك سرا لئلا تحذر خزاعة، و خزاعة آمنون غارون لحال المودعة، و لما حجز الإسلام بينهم.

ثم أتعدت قريش و بنو بكر و بنو نفاثة الوتير، و هو موضع أسفل مكة، و هو منازل خزاعة فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكرون منتقون، صفوان بن أمية، و عكرمة بن أبى جهل، و حويطب بن عبد العزى، و شيبة بن عثمان - و أسلموا بعد ذلك - و مكرز بن حفص، و أجلبوا معهم أرقاءهم، و رأس بنى بكر نوفل بن معاوية الدثلى - و أسلم بعد ذلك - فبيتوا خزاعة ليلا - و هم غارون آمنون - و عاقبتهم صبيان و نساء و ضعفاء الرجال، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أنصاب الحرم، فقال أصحاب نوفل بن معاوية له: يا نوفل إلهك إلهك قد دخلت الحرم! فقال: كلمة عظيمة، لا إله لى اليوم، يا بنى بكر، لعمري إنكم لتسرقون الحاج فى الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم، و لا يتأخر أحد منكم بعد يومه عن ثأره؟! فلما انتهت خزاعة إلى الحرم دخلت دار بديل بن ورقاء، و دار مولى لهم يقال له رافع الخزاعين، و انتهوا بهم فى عماية الصبيح، و دخلت رؤساء قريش منازلهم و هم يظنون أنهم لا يعرفون، و أنه لا يبلغ هذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصبحت خزاعة مقتلين على باب بديل و رافع.

و قال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث: قد رأيت الذى صنعنا بك و بأصحابك و من قتل من القوم، و أنت قد حصدتهم تريد قتل من بقى، و هذا ما لا نطواعك عليه، فاتركهم فتركهم، فخرجوا و ندمت قريش، و ندموا على ما صنعوا، و عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمة و العهد الذى بينهم و بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و جاء الحارث بن هشام، و عبد الله بن أبى ربيعة إلى صفوان بن أمية، و إلى سهيل بن عمرو و عكرمة بن أبى جهل فلاموهم بما صنعوا من عونهم بنى بكر على خزاعة - و قالوا: إن بينكم و بين محمد مدة و هذا نقض لها.

ذكر إعلانه - صلى الله عليه و سلم - بما حصل لخزاعة يوم أصيبوا

روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بنى نفاثة و خزاعة بالوتير: «يا عائشة: لقد حدث فى خزاعة أمر» فقالت عائشة: يا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٠٢

رسول الله، أ ترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذى بينك و بينهم، و قد أفناهم السيف؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «ينقضون العهد لأمر يريده الله تعالى» فقالت: يا رسول الله «خير» قال:

«خير»

[(١)]

و روى الطبراني في الكبير و الصغير عن ميمونة بنت الحارث - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بات عندها ليلة، فقام ليتوضأ إلى الصلاة، فسمعتة يقول في متوضئه:

«لبيك لبيك لبيك - ثلاثا - نصرت نصرت نصرت - ثلاثا -» فلما خرج، قلت: يا رسول الله، سمعتك تقول في متوضئك «لبيك لبيك - ثلاثا - نصرت نصرت» ثلاثا، كأنك تكلم إنسانا، فهل كان معك أحد؟ قال: «هذا راجز بنى كعب يستصرخنى، و يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل» قالت ميمونة: فأقمنا ثلاثا ثم صلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الصبح بالناس [(٢)] فسمعت الرّاجز ينشد:

يا ربّ إننى ناشد محمّدا حلف أينا و أبيه الأتلا
فذكرت الرّجز الآتى.

ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يخبره بما وقع لهم

روى الطبراني في الكبير و الصغير عن ميمونة بنت الحارث، [(٣)] و البزار بسند جيد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - و ابن أبي شيبه في المصنف عن عكرمة، و البيهقي عن ابن إسحاق، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكبا من خزاعة يستنصرون رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و يخبرونه بالذى أصابهم، و ما ظاهرت عليهم قريش و معاونتهم لهم بالرجال، و السّلاح، و الكراع، و حضور صفوان بن أمية و عكرمة، و من حضر من قريش، و أخبروه بالخبر و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جالس في المسجد بين أظهر الناس، و رأس خزاعة عمرو بن سالم، فلما فرغوا من قصّتهم، قام عمرو بن سالم فقال:

يا ربّ إننى ناشد محمّدا حلف أينا و أبيه الأتلا
قد كنتم ولدا و كنا والدائمت أسلمنا فلم نترع يدا

[(١)] المغازى للواقدي ٢ / ٧٨٨.

[(٢)] ذكره الهيثمي في المجمع ١٦ / ١٦٦.

[(٣)] (ع) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال، العامريّة الهلالية أم المؤمنين. لها ستة و أربعون حديثا اتفقا على سبعة، و انفرد (خ) بحديث، و (م) بخمسة. عنها ابن عباس، و يزيد بن الأصم، و جماعة. قال الزهري: هي التي وهبت نفسها. قال المزني: توفيت بسرف سنة إحدى و خمسين. قاله خليفة. الخلاصة ٣ / ٣٩٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٣ إن قريشا أخلفوك الموعدا و نقضوا ميثاقك المؤكدا

و زعموا أن لست أدعو أحدا و هم أذلّ و أقلّ عددا

هم يبتونا بالوتير هجدا و قتلونا ركعا و سجدا

و جعلوا لى فى كداء رصدا فانصر رسول الله نصرا أيّدا

و ادع عباد الله يأتوا مددافهم رسول الله قد تجردا

أن سيم خسفا وجهه تربدافى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قرم لقرم من قروم أصيدا فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «نصرت يا عمرو بن سالم» فما برح حتى مرت عنانه من السماء فرعدت، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بنى كعب»

[(١)] .

و روى أبو يعلى بسند جيّد عن عائشة - رضى الله عنهما - قالت: لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - غضب ممّا كان من

شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان. وقال: «لا نصرني الله - تعالى - إن لم أنصر بني كعب» [(٢)].

و روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمع ما أصاب خزاعة، قام - وهو يجزّ رداءه - وهو يقول: «لا نصرت إن لم أنصر بني كعب ممّا أنصر منه نفسي». و روى عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خبر خزاعة قال: «والذي نفسي بيده لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسي وأهلي وبيتي» [(٣)].

قال ابن إسحاق وغيره: وقدم بذلك ورقاء الخزاعي في نفر من قومه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبروه بما حصل لهم. قال ابن عقبة، و محمد بن عمر: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعمر بن سالم وأصحابه: «أرجعوا و تفرقوا في الأودية». فرجعوا و تفرقوا، و ذهب فرقة إلى الساحل بعارض الطريق، و لزم بديل بن ورقاء في نفر من قومه الطريق [(٤)].

[(١)] و أخرجه البيهقي ٢٣٤ / ٩ و الدلائل ٧ / ٥.

[(٢)] أبو يعلى ٣٤٣ / ٧ (٢٤ / ٤٣٨٠)، ذكره الهيثمي في المجمع ١٦٤ / ٦ و عزاه لأبي يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنهما و قد وثقهما ابن حبان، و بقيه رجاله رجال الصحيح و ذكره ابن حجر في المطالب (٤٣٥٦).

[(٣)] أخرجه عبد الرازي في المصنف (٩٧٣٩).

[(٤)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٠ / ٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٤

و روى محمد بن عمر عن محجن بن وهب قال: لم يرم بديل بن ورقاء مكّة من حين انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية حتى لقيه في الفتح بمزّ الظهران. قال محمد بن عمر و هذا أثبت [(١)]. و أخبر عمرو بن سالم و من معه أن أنس ابن زعيم هجا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأهدر دمه.

ذكر ما قيل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خبر خزاعة أرسل الى قريش يخيرهم بين أمور ثلاثة

روى ابن عائذ عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما، و محمد بن عمر عن حزام بن هشام الكعبيّ و مسدد في مسنده بسند صحيح عن محمد بن عباد بن جعفر أحد ثقات التابعين و أمّتهم - رحمهم الله تعالى - و اللفظ لمحمد بن عمر، قال حزام: إن قريشا ندمت على عون بنى نفاثة، و قالوا: محمد غارينا، فقال عبد الله بن أبي سرح - و هو يومئذ عندهم حال ردّته عن الإسلام - و أسلم بعد ذلك - إن عندى رأيا، إن محمدا لن يغزوكم حتى يعذر إليكم، و يخيركم فى خصال كلها أهون عليكم من غزوه، قالوا ما هى؟ قال: يرسل إليكم أن أدوا قتلى خزاعة و هم ثلاثة و عشرون قتيلا، أو تبرؤوا من حلف من نقض الصّيلح و هم بنو نفاثة، أو ينبذ إليكم على سواء، فما عندكم فى هذه الخصال؟ فقال القوم: أحر بما قال ابن أبي سرح - و قد كان به عالما - قال سهيل بن عمرو: ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثة.

فقال شيبه بن عثمان العبدري حفظت أخوالك، و غضبت لهم قال سهيل: و أى قريش لم تلده خزاعة؟ قال شيبه: و لكن ندى قتلى خزاعة فهو أهون علينا، و قال قرظة بن عبد عمرو: لا و الله لا يودون و لا نبرأ من حلف بنى نفاثة، و لكننا ننبد إليه على سواء. و قال أبو سفيان: ليس هذا بشىء، و ما رأى إلّا جحد هذا الأمر، أن تكون قريش دخلت فى نقض عهد أو قطع مدّة و إنه قطع قوم بغير رضى منّا و لا مشورة فما علينا. قالوا: هذا رأى لا رأى غيره [(٢)].

و قال عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما -: إن ركب خزاعة لما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروه خبرهم، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فمن تهتمكم وظنتكم؟» قالوا: بنو بكر، قال: «أكلها؟» قالوا: لا، ولكن بنو نفاثة قصره ورأس القوم نوفل بن معاوية النفاثي. قال: «هذا بطن من بنى بكر، وأنا باعث إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم في خصال ثلاث»، فبعث إليهم ضمرة - لم يسم أباه محمد بن عمر - يخيرهم بين إحدى خلال، بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤوا من حلف بنى نفاثة، أو ينبذ إليهم على سواء. فأتاهم ضمرة

[(١)] البيهقي في الدلائل ٩ / ٤.

[(٢)] الواقدي في المغازي ٧٨٨ / ٢.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٥

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأناخ راحلته بباب المسجد، فدخل و قريش في أنديتها، فأخبرهم أنه رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبرهم بالذى أمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به فقال قرظ بن عبد عمرو الأعمى: أما أن ندى قتلى خزاعة فإن نفاثة فيهم عرام فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سبد ولا لبد، وأما أن نتبرأ من حلف نفاثة فإنه ليس قبيلة من العرب تحج هذا البيت أشد تعظيماً له من نفاثة، وهم حلفاؤنا، فلا نبرأ من حلفهم، أو لا يبقى لنا سبد ولا لبد، ولكن نبذ إليه على سواء، فرجع ضمرة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك من قولهم. و ندمت قريش على رد رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و بعثت أبا سفيان فذكر قصه مجيئه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سيأتى.

ذكر إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر

روى محمد بن عمر عن حزام بن هشام عن أبيه - رحمهما الله - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدد العهد وزد في الهدنة، وهو راجع بسخطه».

وروى عبد الرزاق عن نعيم مولى ابن عباس، وابن أبي شيبه عن عكرمة، ومحمد بن عمر عن شيوخه، واللفظ له: أن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا إلى أبا سفيان بن حرب، فقالا: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، والله لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه، فقال أبو سفيان: قد رأيت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وأفظعتها.

وخفت من شرها، قالوا: وما هي؟ قال: رأيت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمه مليا، ثم كأن ذلك الدم لم يكن، فكره القوم الرؤيا.

وقال أبو سفيان: لما رأى ما رأى من الشر: هذا والله أمر لم أشهده، ولم أغب عنه، لا يحمل هذا إلا على، ولا والله ما شوورت فيه، ولا هويته حين بلغنى، والله ليغزونا محمد إن صدقتنى ظنى، وهو صادقى، وما بد من أن أتى محمدا فأكلمه أن يزيد في الهدنة و يجدد العهد. فقالت قريش: قد والله أصبت، و ندمت قريش على ما صنعت من عون بنى بكر على خزاعة، و تحزجوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يدعهم حتى يغزوهم. فخرج أبو سفيان، و خرج معه مولى له على راحلتين، فأسرع السير وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقى بديل بن ورقاء بعسفان، فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل كان اليقين عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟ قالوا: لا علم لنا بها، فعلم أنهم كتموه، فقال: أما معكم من تمر يثرب شيء تطعموناه، فإن لتمر يثرب فضلا على تمر تهامة؟

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٦

قالوا: لا. فأبت نفسه أن تقره حتى قال: يا بديل: هل جئت محمدا؟ قال: لا ما فعلت، ولكن سرت فى بلاد بنى كعب و خزاعة من هذا الساحل فى قتيل كان بينهم فأصلحت بينهم. فقال أبو سفيان: إنك- و الله- ما علمت برّ و أصل، ثم قاي لهم أبو سفيان حتى راح بديل و أصحابه، فجاء أبو سفيان منزلهم ففتّ أبعاد أباعرهم فوجد فيها نوى من تمر عجوة كأنها ألسنة الطير، فقال أبو سفيان: أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا [(١)].

و كان القوم لما كانت الوقعة خرجوا من صبح ذلك اليوم فساروا ثلاثا، و خرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سفيان ثلاثا، و كانت بنو بكر قد حبست خزاعة فى دارى بديل و رافع ثلاثة أيام يكلمون فيهم، و ائتمرت قريش فى أن يخرج أبو سفيان، فأقام يومين. فهذه خمس بعد مقتل خزاعة، و أقبل أبو سفيان حتى دخل المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى- صلى الله عليه و سلم- فأراد أن يجلس على فراش رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فطوته دونه. فقال: يا بتيّة!! أرغبت بهذا الفراش عنى أو بى عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و أنت امرؤ مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال: يا بتيّة لقد أصابك بعدى شر، فقالت: بل هدانى الله للإسلام. و أنت يا أبت سيّد قريش و كبيرها، كيف يسقط عنك الدخول فى الإسلام، و أنت تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر؟ فقام من عندها،

فأتى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و هو فى المسجد، فقال: يا محمد!! إنى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد، و زدنا فى المدة، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «فلذلك جئت يا أبا سفيان؟» قال: نعم. فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «هل كان من قبلكم من حدث؟» قال معاذ الله نحن على عهدنا و صلحنا يوم الحديبية لا نغير و لا نبذل، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «فنحن على مدتنا و صلحنا يوم الحديبية لا نغير و لا نبذل» فأعاد أبو سفيان على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- القول، فلم يردّ عليه شيئا.

فذهب إلى أبى بكر- رضى الله عنه- فكلمه و قال: تكلم محمدا أو تجير أنت بين الناس، فقال أبو بكر: جوارى فى جوار رسول الله- صلى الله عليه و سلم- زاد ابن عقبة: و الله لو وجدت الذر تقا لكم لأعتتها عليكم.

فأتى عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فكلمه بمثل ما كلّم به أبا بكر، فقال: أنا أشفع لكم عند رسول الله- صلى الله عليه و سلم-!! فو الله لو لم أجد إلّا الذرّ لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله، و ما كان منه متينا فقطعه الله، و ما كان منه مقطوعا فلا وصله الله. فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا.

[(١)] المغازى ٢ / ٧٩٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٧

فأتى عثمان بن عفان- رضى الله عنه- فقال إنه ليس فى القوم أحد أقرب رحما منك، فزد فى المدة، و جدّد العهد، فإنّ صاحبك لا يردّه عليك أبدا، فقال عثمان: جوارى فى جوار رسول الله- صلى الله عليه و سلم-.

فأتى عليا- رضى الله تعالى عنه- فقال: يا على إنك أمسّ القوم بى رحما، و إنى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا، فاشفع لى إلى محمد. فقال: ويحك يا أبا سفيان! و الله لقد عزم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فأتى سعد بن عباد- رضى الله تعالى عنه- فقال: يا أبا ثابت أنت سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس، و زد فى المدة، فقال سعد: جوارى فى جوار رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و ما يجير أحد على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فأتى أشراف قريش و الأنصار فكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ما يجير أحد على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فما أيس ممّا عندهم، دخل على فاطمة الزهراء- رضى الله عنها- و الحسن غلام يدبّ بين يديها فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيرى بين الناس؟ فقالت: إنّما

أنا امرأة، و أبت عليه، فقال: مرى ابنك هذا- أى الحسن بن على- رضى الله عنهما- فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر. قالت: و الله ما بلغ ابني ذلك أن يجير بين الناس، و ما يجير أحد على رسول الله- صلى الله عليه و سلم-. فقال لعلى: يا أبا الحسن!! إن أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى، قال: و الله ما أعلم شيئاً يغنى عنك شيئاً، و لكنك سيد بنى كنانة و قال: صدقت، و أنا كذلك. قال: فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئاً؟ قال: لا و الله، و لكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس و لا و الله ما أظن أن يخفرننى أحد، ثم دخل على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فقال: يا محمد إني قد أجرت بين الناس فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة!!» ثم ركب بعيره و انطلق.

و كان قد احتبس و طالت غيبته، و كانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشدّ التهمة، قالوا: و الله إننا نراه قد صبأ، و اتبع محمدا سرا و كتم إسلامه.

فلما دخل على هند امرأته ليلا، قالت: لقد احتبست حتى اتهمك قومك، فإن كنت مع الإقامة جتتهم بنجح فأنت الرجل، ثم دنا منها فجلس مجلس الرجل من امرأته. فقالت ما صنعت؟ فأخبرها الخبر، و قال: لم أجد إلّا ما قال لى على، فضربت برجلها فى صدره و قالت:

قبيحت من رسول قوم، فما جئت بخير.

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف و نائلة، و ذبح لهما، و جعل يمسح بالدم

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٠٨

رؤوسهما و يقول: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى، إبراء لقريش مما اتهموه به، فلما رأته قريش، قاموا إليه فقالوا: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى مدّة ما نأمن به أن يغزونا محمد؟ فقال: و الله لقد أبى على، و فى لفظ: لقد كلمته، فو الله ما ردّ على شيئاً، و كلمت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب- رضى الله عنه- فوجدته أذنى العدو، و قد كلمت عليه أصحابه، فما قدرت على شىء منهم إلا أنهم يرموننى بكلمة واحدة، و ما رأيت قوما أطوع لملك عليهم منهم له، إلّا أن عليا لما ضاقت بى الأمور قال: أنت سيد بنى كنانة، فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، فقال محمد «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة!!» لم يزدنى قالوا: رضيت بغير رضى، و جئت بما لا يغنى عنا و لا عنك شيئاً، و لعمر الله ما جوارك بجائر، و إنّ إخفارك عليهم لهين، ما زاد على من أن لعب بك تلعبا. قال: و الله ما وجدت غير ذلك.

ذكر مشاورته - صلى الله عليه و سلم - أبا بكر و عمر - رضى الله عنهما - فى غزوة قريش

روى ابن أبى شيبه عن محمد بن الحنفية- رحمه الله- عن أبى مالك الأشجعي- رضى الله عنه- قال: خرج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من بعض حجره فجلس عند بابها- و كان إذا جلس وحده لم يأت أحد حتى يدعوه-، فقال «أدع لى أبا بكر». فجاء فجلس أبو بكر بين يديه، فناجاه طويلا، ثم أمره فجلس عن يمينه، ثم قال: «ادع لى عمر» فجاء فجلس إلى أبى بكر فناجاه طويلا، فرفع عمر صوته فقال: «يا رسول الله هم رأس الكفر، هم الذين زعموا أنك ساحر، و أنك كاهن، و أنك كذاب، و أنك مفتر»، و لم يدع عمر شيئاً، ممّا كان أهل مكة يقولونه إلّا ذكره، فأمره أن يجلس إلى الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن يمينه و الآخر عن شماله ثم دعا الناس فقال: «ألا- أحدتكم بمثل صاحبكم هذين؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، فأقبل بوجهه إلى أبى بكر فقال: «إن إبراهيم كان ألين فى الله تعالى من الدهن اللين، ثم أقبل على عمر، فقال: «إن نوحا كان أشدّ فى الله من الحجر، و إنّ الأمر أمر عمر، فتجهزوا و تعاونوا، فتبعوا أبا بكر

فقالوا: يا أبا بكر، إنا كرهنا أن نسأل عمر عمّا ناجاك به رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال: قال لى:

«كيف تأمرني في غزو مكة؟» قال: قلت يا رسول الله!! هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيحنى، ثم دعا عمر فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه، و أيم الله و أيم الله لا تذلل العرب حتى تذلل أهل مكة، و قد أمركم بالجهاد ليغزوا مكة [(١)].

[(١)] أخرجه ابن أبي شيبة ١٤ / ٥٠٦ و أحمد ٣ / ٣٩٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٠٩.

ذكر جهاز رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و اجابته دعائه بأن لا تعلم قريش بمسيره، و أمره بحفظ الطرق

ذكر ابن عقبة، و ابن إسحاق، و محمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث ثم قال لعائشة: «جهزينا و اخفى أمرك». و قال: «اللهم خذ على أسماعهم و أبصارهم فلا يرونا إلّا بغتة، و لا يسمعون بنا إلّا فجأة» و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جماعة أن تقيم بالأنقاب، و كان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب، فيمر بهم فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه، و كانت الأنقاب مسلمة - إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به و يسأل عنه

[(١)].

ذكر كتاب حاطب بن أبى بلتعة [(٢)] - رضى الله عنه - إلى قريش ليعلمهم بغزو رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إياهم، و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد، و الخمسة عن أبى رافع عن على. و أبو يعلى، و الحاكم و الضياء عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - و الإمام أحمد، و عبد بن حميد عن جابر، و ابن مردويه عن أنس - رضى الله عنهم - و ابن مردويه عن سعيد بن جبير، و ابن إسحاق عن عروة، و ابن مردويه عن عبد الرحمن عن حاطب بن أبى بلتعة، و محمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما أجمع السير إلى مكة، كتب حاطب بن أبى بلتعة - رضى الله عنه - كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من الأمر فى المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة، قال ابن إسحاق، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة - قال محمد بن عمر: يقال لها كنود، قال ابن إسحاق: و زعم لى غير ابن جعفر: أنها سارة مولاة لبعض بنى المطلب، و جعل لها جعلاً، قال محمد بن عمر ديناراً، و قيل عشرة دنانير، على أن تبلغه أهل مكة، و قال لها: أخفيه ما استطعت، و لا تمرى على الطريق، فإن عليه حرساً، فجعلته فى رأسها، ثم فلتت عليه قرونها، ثم خرجت به، فسلكت غير نقب عن يسار المحجة فى الفلوق حتى لقيت الطريق بالعقيق.

و ذكر السهيلي - رحمه الله - تعالى - أنه قد قيل إنه كان فى كتاب حاطب: إن رسول

[(١)] المغازى للواقدي ٢ / ٧٩٦.

[(٢)] (حاطب) بن أبى بلتعة مفتوحات بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بنى أسد بن عبد العزى .. يقال إنه حالف الزبير و قيل كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى مكاتبته اتفقوا على شهوده. الإصابة ٨ / ٣١٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢١٠.

الله - صلى الله عليه و سلم - قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، و أقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله تعالى عليكم،

فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن الله - تعالى - ناصره و وليه.

و في تفسير ابن سلام أنه كان فيه: إن محمدا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد نفر فأما إليكم، و إما إلى غيركم، فعليكم الحذر. انتهى.
و ذكر ابن عقبة أن فيه: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد آذن بالغزو، و لا أراه إلّا يريدكم، و قد أحببت، أن يكون لي يد
بكتابي إليكم.

و أتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، و الزبير بن العوام - زاد أبو رافع:
المقداد بن الأسود و في رواية عن أبي عبد الرحمن السلمى عن علي: أبا مرثد، بدل المقداد،
فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أدرك امرأة قد كتبت معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم»،
و لفظ أبي رافع «انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب» فخرجوا [(١)] - و في لفظ: فخرجنا، حتّى إذا كان بالخليقة،
خليقة بنى أحمد

و قال ابن عقبة: أدركها بطن ريم، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها، فلم يجدا شيئا، فقال لها علي بن أبي طالب - رضى الله عنه -: إنى
أحلف بالله ما كذب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ما كذبتنا، و لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد، قالت:
أعرضا. فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه فأتى به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإذا فيه: من حاطب بن
أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فدعا حاطبا، فقال: يا حاطب،
ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله. إنى و الله لمؤمن بالله و رسوله، ما غيرت، و لا بدلت، و لكنى كنت امرء ليس لي فى القوم
من أصل و لا عشيرة، و كان لي بين أظهرهم ولد و أهل، فصانعتهم عليهم.

و لفظ أبي رافع - فقال: يا رسول الله لا - تعجل عليّ، إنى كنت امرء ملصقا فى قريش، و لم أكن من أنفسهم، و كان من معك من
المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها و أهليهم بمكة، و لم يكن لي قرابة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من بينهم أن أتخذ فيهم يدا
أحمى بها قرابتي، و ما فعلت ذلك كفرا بعد إسلام. فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إنه قد صدقكم». فقال عمر لحاطب:
قاتلك الله!! ترى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يأخذ بالأنقاب و تكتب إلى قريش تحذّرهم؟
دعنى يا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ما

[(١)] أخرجه البخارى ٦ / (٣٠٠٧) (٤٨٩٠) و مسلم ص (٣ / ١٩٤١) حديث (١٦١) و أبو داود فى الجهاد و أحمد ١ / ٧٩ و الترمذى فى
تفسير سورة الممتحنة و البيهقى فى الدلائل ٥ / ١٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١١
يدريك يا عمر أن الله عز و جل أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فاغرورقت عينا عمر، و قال:
الله و رسوله أعلم، حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال.

و أنزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِيَّ وَعِدْوَكُمْ أَى كَفَار مَكَّةَ أَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ قَصْدَ النَّبِيِّ غَزْوَهُ الَّذِي
أَسْرَهُ إِلَيْكُمْ - و روى بخبر بالمؤدّة بينكم و بينهم و قد كفروا بما جاءكم من الحقّ دين الإسلام و القرآن يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ
مَكَّةَ بِتَضْيِيقِهِمْ عَلَيْكُمْ لِأَجْلِ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِي وَ إِيْتِغَاءَ مَرْضَاتِي وَ جَوَابَ الشَّرْطِ دَلَّ عَلَيْهِ
مَا قَبْلَهُ: أَى فَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ تَسْتُرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ أَى إِسْرَارِ خَيْرِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى، و السواء فى الأصل: الوسط إن يُتَّقَفُواكُمْ يظفروا بكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْيَادًا وَ يَسْتِطِئُوا إِلَيْكُمْ
أَيُّدِيَهُمْ بِالْقَتْلِ وَ الضَّرْبِ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوِّءِ بِالسَّبِّ، و الشتم و ودّوا تمنوا لو تكفروا. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ قَرَابَاتِكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ
المشركون، الذين لأجلهم أسررتهم الخبر من العذاب فى الآخرة يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَ الْفَاعِلِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ فَتَكُونُونَ فى

الجنة، و هم فى جملة الكفار فى النار وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الممتحنة ١: ٣].

ذكر إجماع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير الى مكة

قال ابن عقبة، و ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غيرهم: لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير إلى مكة، بعث أبا قتادة بن ربعى إلى بطن إضم، ليظنّ الظانّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توجه إلى تلك الناحية، و أن لا تذهب بذلك الأخبار و أبان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير إلى قريش، و أرسل إلى أهل البادية، و من حولهم من المسلمين، يقول لهم «من كان يؤمن بالله و باليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة» و بعث رسلا فى كل ناحية حتى قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

و قال حسان بن ثابت - رضى الله عنه تعالى - يحرض الناس و يذكر مصاب رجال خزاعة:

عنانى و لم أشهد بيطحاء مكة رجال بنى كعب تحزّ رقابها

بأيدى رجال لم يسألوا سيوفهم و قتلى كثير لم تجنّ ثيابها

ألا ليت شعرى هل تالنّ نصرتى سهيل بن عمرو حرّها و عقابها

فلا تأمنها يا ابن أمّ مجالد إذا احتلبت صرفا و أعصل نابها

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٢ و لا تجزعوها منها فإنّ سيوفنا لها وقعته بالموت يفتح بابها قال ابن إسحاق: و قول حسان - رضى الله عنه: بأيدى رجال لم يسألوا سيوفهم: يعنى قريشا، و ابن أمّ مجالد، عكرمة بن أبى جهل.

و استخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفارى، و يقال ابن أم مكتوم، و ذكره ابن سعد، و البلاذرى، و الأوّل هو الصحيح، و قد رواه الإمام أحمد و الطبرانى بسند حسن عن ابن عباس - رضى الله عنهما [(١)].

ذكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة قاصدا مكة

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأربعاء بعد العصر لعشر خلون من رمضان، و نادى مناديه: «من أحبّ أن يصوم فليصم، و من أحبّ أن يفطر فليفطر» و صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما حلّ عقدة حتى انتهى إلى الصلصل، و خرج فى المهاجرين و الأنصار، و طوائف من العرب، و قادوا الخيل، و امتطوا الإبل، و قدّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمامه الزبير بن العوّام فى مائتين من المسلمين، و

لما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البيداء قال فيما رواه محمد بن عمر عن أبى سعيد الخدرى: «إنى لأرى السحاب يستهل بنصر بنى كعب»

[(٢)].

و لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العرج [(٣)] و هو صائم، صبّ الماء على رأسه و وجهه من العطش - كما رواه الإمام مالك، و محمد بن عمر عن رجل من الصحابة - و روى الحاكم فى الإكليل بسند صحيح عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: «رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعرج يصبّ الماء على رأسه من الحرّ و هو صائم»، و لما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن العرج - و كان فيما بين العرج و الطلّوب - نظر إلى كلبه تهزّ عن أولادها، و هنّ حولها يرضعنها، فأمر جميل بن سراقه - رضى الله عنه - أن يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش، و لا لأولادها.

و قدم - صلى الله عليه وسلم - بمائة جريدة تكون أمام المسلمين، فلما كانوا بين العرج و الطلّوب أتوا بعين من هوازن، فاستخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره أنّ هوازن تجمع له

فقال: «حسبنا الله و نعم الوكيل»

فأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - خالد بن الوليد أن يحبسه لئلا يذهب فيحذر الناس، و لما بلغ قديدا [(٤)] لقيته سليم هناك، فعقد الأولوية و الزايات، و دفعها إلى القبائل.

[(١)] قال الهيثمي في المجمع ١٦٧/٦ رجاله رجال الصحيح.

[(٢)] انظر المغازي للواقدي ٨٠١/٢.

[(٣)] (العرج) بفتح أوله، و سكون ثانيه، و جيم: قرية جامعة في واد من نواحي الطائل. و قيل: واد به. مرصد الإطلاع ٩٢٨/٢.

[(٤)] (قديد) تصغير قد: اسم موضع قرب مكة. مرصد الإطلاع ١٠٧٠/٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٣

و روى محمد بن عمر عن يزيد بن أسلم، و أبى الحويرث - رحمهما الله تعالى - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لما انتهى إلى قديد قيل له: يا رسول الله هل لك في بيض النساء، و آدم الإبل؟ بنى مدلج، فقال: - صَلَّى الله عليه و سلم -: «إن الله عز و جل حرمهن على بصله الزحم». و فى لفظ «ببر الوالد، و وكزهم فى ثبات الإبل».

و قدم العباس على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مسلما. قال ابن هشام: لقيه بالجحفه فأرسل ثقله إلى المدينة، و سار مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال البلاذرى: و قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتى آخر نبوة»

و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، و عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة لقيه بنقب العقاب، و ستأتى قصة إسلامهما فى ترجمتهما.

ذكر فطره - صَلَّى الله عليه و سلم - و أمره به

روى مسلم، و الترمذى عن جابر، و الشيخان، و أبو داود، و النسائى، و الطحاوى عن ابن عباس - رضى الله عنهم - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - خرج من المدينة فى غزوة الفتح فى رمضان يصوم و يصومون، حتى بلغ الكديد [(١)] بين عسفان و قديد، و فى رواية بين عسفان و أمج [(٢)]، و فى حديث جابر: كراع الغميم، بلغه أن الناس شقّ عليهم الصيام، و قيل له: إنما ينظرون فيما فعلت، فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من لبن، أو ماء، و جزم جابر بأنه ماء. و كذا ابن عباس، و فى رواية: فوضعه على راحلته ليراه الناس، فشرب فأفطر، فناوله رجلا إلى جنبه فشرب فليل له بعد ذلك: إن بعض الناس صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة» فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر [(٣)].

و روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال سافرنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و نحن صيام، فنزلنا منزلا، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «إنكم قد دنوتم من عدوكم، و الفطر أقوى لكم» و كانت رخصة، فمنا من صام، و منا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر، فقال:

«إنكم مصبحوا عدوكم، و الفطر أقوى لكم، فأفطروا» فكانت عزيمة، فأفطروا

[(٤)].

[(١)] (الكديد) قيل بالفتح، و بالكسر، و آخره دال أخرى: موضع بالحجاز على اثنين و أربعين ميلا من مكة، بين عسفان و أمج. مرصد الإطلاع ١١٥٢/٣.

[(٢)] (أمج) بفتحيتين، و الجيم: بلد من أعراض المدينة. مرصد الإطلاع ١١٥/١.

[(٣)] مسلم من حديث ابن عباس ٧٨٤/٢ (١١١٣/٨٨) و من حديث جابر أخرجه مسلم فى الصيام ٧٨٥/٢ (١١١٤/٩٠) و البخارى

(٤٢٧٥)، و الترمذى (٧١٠) و النسائى فى الصيام باب (٤٧) و الطيالسى كما فى المنحة (٩١٢) و الطحاوى فى معانى الآثار ٢ / ٦٥ و الشافعى فى المسند (١٥٨) و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٥ و فى السنن ٤ / ٢٤١، و انظر التلخيص ٢ / ٢٠٣.

[٤] مسلم ٢ / ٧٨٩ (١٠٢ / ١١٢٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٤

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بمر الظهران

قالوا: و نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و المسلمون مرّ الظهران عشاء، و أمر أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، و جعل على الحرس عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - قال عروة كما عند ابن عائذ، و به جزم ابن عقبه و ابن إسحاق، و محمد بن عمر و غيرهم، و عميت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و لا يدرون ما هو فاعل، و هم مغتمون لما يخافون من غزوة إياهم، فبعثوا أبو سفيان بن حرب.

و روى إسحاق بن راهويه، و الحاكم، و البيهقى بسند صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح حتى نزل مرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين، و قد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و لا يدرون ما هو صانع [(١)].

و فى الصحيح عن عروة قال: لَمَّا سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح بلغ ذلك قريشا، فخرج أبو سفيان بن حرب يتحسس الأخبار. و قالت قريش: لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذلنا منه أمانا، فخرج هو و حكيم بن حزام، فلقيا بديل بن ورقاء، فاستبعاها، فخرج معهما يتحسسون الأخبار، و ينظرون هل يجدون خبرا، أو يسمعون به، فلما بلغوا الأراك من مرّ الظهران، و ذلك عشيا رأوا العسكر و القباب و النيران كأنها نيران عرفة، و سمعوا صهيل الخيل، و رغاء الإبل، فأفزعهم ذلك فزعا شديدا. قال عروة كما فى الصحيح: فقال بديل بن ورقاء:

هؤلاء بنو كعب - و فى روايه بنو عمرو: يعنى بها خزاعة - حمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: بنو عمرو و أقل من ذلك [(٢)].

ذكر المنام الذى رآه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

روى البيهقى عن ابن شهاب - رضى الله تعالى عنه - أن أبا بكر قال: يا رسول الله!! أرانى فى المنام و أراك دنونا من مكه، فخرجت إلينا كلبه تهزّ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها، فإذا هى تشخب لبنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ذهب كلبهم و أقبل درهم، و هم سيأوون بأرحامهم و إنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه».

ذكر إلامه - صلى الله عليه وسلم - بالليل بأن أبا سفيان فى الأراك و أمره بأخذه

روى الطبرانى عن أبى لىلى - رضى الله عنه - قال: كنّا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمرّ

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤ / ٢٧.

[(٢)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٩٧ (٤٢٨٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٥

الظهران، فقال: «إن أبا سفيان بالأراك فخذوه» فدخلنا، فأخذناه

[(١)]

قال ابن عقبة: فبينما هم، يعنى أبا سفيان، و حكيم بن حزام، و بديلا بن ورقاء كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعثهم عيوننا له، فأخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: هذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم.

و روى ابن أبي شيبه عن أبي سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب - رحمهما الله تعالى - قالوا: أخذ أبو سفيان و أصحابه و كان حرس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نفر من الأنصار، و كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - تلك الليلة على الحرس، فجاءوا بهم إليه، فقالوا: جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة، فقال عمر و هو يضحك إليهم: و الله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم. قالوا: قد و الله آتيناك بأبي سفيان. فقال: احبسوه فحبسوه حتى أصبح. فغدا به على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قال ابن عقبة: لما دخل الحرس بأبي سفيان و صاحبيه، لقيهم العباس بن عبد المطلب، فأجارهم.

و روى ابن أبي شيبه عن عكرمة: أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال: دلوني على العباس، فأتى العباس فأخبره الخبر، و ذهب به إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

و روى إسحاق بن راهويه - بسند صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما نزل مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة فقال: و اصباح قريش، و الله لئن دخلها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر،

قال العباس: فأخذت بغلة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الشهباء فركبتها، و قلت:

ألتمس حطابا، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، فوالله إنى لفى الأراك ألتمس ما خرجت إليه إذ سمعت كلام أبي سفيان، و بديل بن ورقاء، و هما يتراجعان، و أبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكرا! فقال بديل بن ورقاء: هذه و الله خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها، قال العباس: فعرفت صوت أبي سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى، فقال: لييك يا أبا الفضل، مالك فداك أبى و أمى!! و عرف صوتى، فقلت: ويلك!! هذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى عشرة آلاف فقال: و اصباح قريش و الله بأبى أنت و أمى فما تأمرنى، هل من حيلة؟ قلت: نعم، اركب عجز هذه البغلة،

[(١)] ذكره الهيثمى فى المجمع ٥ / ١٧٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٦

فأذهب بك إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأستأمنه لك، فإنه و الله إن ظفر بك دون رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لتقتلن، فركب خلفى، و رجع صاحبه - كذا فى حديث ابن عباس و عند ابن إسحاق، و محمد بن عمر: أنهما رجعا - و ذكر ابن عقبة، و محمد بن عمر فى موضع آخر:

أنهما لم يرجعا، و أن العباس قدم بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - انتهى.

قال العباس: فجئت بأبي سفيان، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أنا عليها قالوا: عم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فلما رآنى، قام، فقال: من هذا؟ قلت: العباس، فذهب ينظر، فرأى أبا سفيان خلفى، فقال: أى عدو الله!! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد و لا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و ركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاجتمعنا على باب قبته رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فاقترحت عن البغلة فدخلت على

رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و دخل عمر على أثرى، فقال عمر: يا رسول الله!! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد و لا عهد، فدعني فلاضرب عنقه، قال قلت: يا رسول الله إني قد أجزته، ثم التزمت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأخذت برأسه، فقلت: و الله لا- يناجيه الليلة دوني رجل. فلما أكثر عمر في شأنه، فقلت: مهلا يا عمر، فو الله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا، و لكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلا- يا عباس، و في لفظ يا أبا الفضل، فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من إسلام الخطاب لو أسلم [(١)].

و ذكر ابن عقبة، و محمد بن عمر في موضع آخر: قال العباس، فقلت: يا رسول الله!! أبو سفيان بن حرب، و حكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء قد أجزتهم، و هم يدخلون عليك، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أدخلهم» فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامّة الليل يستخبرهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -:

«اشهدوا أن لا إله إلا الله و أني رسول الله»، فشهد بديل، و حكيم بن حزام،

و قال: أبو سفيان: ما أعلم ذلك، و الله إن في النفس من هذا لشيء بعد، فأرجئها.

و عند أبي شيبة عن أبي سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أنه قيل لحكيم بن حزام: بايع، فقال: أبايعك و لا أخرجك قائما. فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أما من قبلنا فلن تخرّ إلا قائما». انتهى.

[(١)] أخرجه ابن أبي شيبة ١٤ / ٤٧٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٧

و قيل لأبي سفيان ذلك، فقال: كيف أصنع باللات و العزى؟ فقال عمر بن الخطاب - و هو خارج القبة: اخرا عليها، أما و الله لو كنت خارج القبة ما قلتها، فقال أبو سفيان: من هذا؟ قالوا: عمر بن الخطاب

قال العباس: فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأنتي به» قال: فذهبت به إلى رحلي.

و عند ابن عقبة، و محمد بن عمر: فلما أذن الصبح أذن العسكر كلهم: أى أجابوا المؤذن - ففرغ أبو سفيان من أذانهم، فقال: ما يصنع هولاء؟ قال العباس، فقلت: الصلاة. قال:

كم يصلون؟ قلت: خمس صلوات في اليوم و الليلة، ثم رأهم يتلقون وضوء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال: ما رأيت ملكا قط كالיום لا ملك كسرى و لا قيصر، قال العباس: فلما صَلَّى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الصبح غدوت به. و عند ابن عقبة، و محمد بن عمر: أن أبا سفيان سأل العباس في دخوله على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -، و عند ابن أبي شيبة عن أبي سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: فلما أصبحوا قام المسلمون إلى طهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل!! ما للناس أمروا في شيء؟ قال: لا و لكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتوضأ، و ذهب به إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما دخل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الصلاة كبر و كبر الناس، ثم ركع، فركعوا، ثم رفع، فرفعوا، ثم سجد فسجدوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كالיום طاعة، قوم جمعهم من ههنا و ههنا، و لا- فارس الأكارم، و لا الزوم ذات القرون بأطوع منهم له، يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك و الله عظيم الملك، فقال العباس: إنه ليس بملك، و لكنها النبوة، قال: أو ذاك.

قال العباس: فلما فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: «يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟! قال: بأبي أنت و

أمي!! ما أحلمك و أكرمك و أعظم عفوك! إنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عني شيئاً بعد، لقد استنصرت إلهي، و استنصرت إلهك، فو الله ما لقيتك من مرّة، إلا نصرت عليّ، فلو كان إلهي محقاً و إلهك مبطلاً لقد غلبتك، فقال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أعظم عفوك! أمّا هذه فو الله إنّ في النفس منها شيئاً حتّى الآن،

فقال العباس: ويحك! أسلم قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحقّ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أنّ محمداً رسول الله. و ظاهر كلام ابن عقبة و محمد بن عمر في مكان آخر أن أبا سفيان قال: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أنّ محمداً رسول الله من غير أن يعرض ذلك عليه أحد.

قال: قال أبو سفيان، و حكيم بن حزام: يا رسول الله جئت بأوباش التّياس من يعرف و من لا- يعرف إلى أهلك و عشيرتك! فقال رسول الله- صلّى الله عليه و سلّم- «أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، و ظاهرتم على بني كعب بالإثم و العدوان في حرم الله- تعالى- و أمنه» فقال حكيم و أبو سفيان: صدقت يا رسول الله: ثمّ قالوا:

يا رسول الله!! لو كنت جعلت جدك و مكيدتك لهوازن، فهم أبعد رحماً، و أشدّ عداوة لك؟

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٨

فقال رسول الله- صلّى الله عليه و سلّم-: «إنّي لأرجو من ربّي أن يجمع لى ذلك كله. فتح مكة، و إعزاز الإسلام بها، و هزيمة هوازن، و غنيمه أموالهم و ذرارهم، فإنّي أرغب إلى الله- تعالى- فى ذلك [١]».

قال ابن عقبة: قال أبو سفيان، و حكيم بن حزام: يا رسول الله ادع الناس بالأمان، أ رأيت إن اعتزلت قريش و كفت أيديها آمنون هم؟ فقال رسول الله- صلّى الله عليه و سلّم- «نعم» قال العباس، قلت:

يا رسول الله!! قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف و الفخر، فاجعل له شيئاً.

و عند ابن أبى شيبه عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحبّ السّماع، يعنى الشّرف- انتهى. فقال «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» فقال: و ما تسع دارى؟ زاد ابن عقبة «و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» و دار أبى سفيان بأعلى مكّه، و دار حكيم بأسفلها «و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن» فقال أبو سفيان: و ما يسع المسجد؟ قال: «و من أغلق بابه فهو آمن» فقال أبو سفيان: هذه واسعة [٢].

ذكر ارادة أبى سفيان و حكيم بن حزام الانصراف إلى قومهما ليعلماهم بذلك و وقوفهما ليريا جنود الله تبارك و تعالى

قال ابن عقبة: لما توجهوا ذاهبين، قال العباس: يا رسول الله إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه فاردده حتى يفقه، و يرى جنود الله- تعالى- معك.

و روى ابن أبى شيبه عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفيان لما ولى، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أمرت بأبى سفيان فحبس على الطريق؟

و قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر: إنّ أبا سفيان لما ذهب لينصرف، قال رسول الله- صلّى الله عليه و سلّم- للعبّاس: «احبسهم بمضيق الوادى».

قال ابن عقبة، و محمد بن عمر: فأدركه العبّاس فحبسه، فقال أبو سفيان أ غدرا يا بنى هاشم؟ فقال العباس: إن أهل النّبوة لا يغدرون. و لفظ ابن عقبة: إنّنا لسنا بغدر، و لكن أصبح حتّى تنظر جنود الله، و إلى ما أعدّ الله للمشركين، قال ابن عقبة فحبسهم بالمضيق دون

الأراك إلى مكة حتى أصبحوا.

[(١)] ذكره المتقى الهندي في الكنز (٣٠١٧٣).

[(٢)] أخرجه الطبراني في الكبير ٩ / ٨ و انظر المجمع ١٧٢ / ٦ و أخرج صدره مسلم في الجهاد باب (٣١، ٨٤، ٨٦) و أبو داود في الخراج باب (٢٥) و أحمد ٢ / ٢٩٢، ٥٣٨ و البيهقي ٦ / ٢٣٤، ١١٧ / ٩، ١١٨، ١٧١ و الطبراني في الكبير ٩ / ٨ و ابن أبي شيبة ١٤ / ٤٧٥ و عبد الرزاق (٩٧٣٩) و الطبراني في الصغير ٢ / ٧٢ و الدار قطنى ٣ / ٦٠ و الطحاوى في المعانى ٣ / ٣٢١، و البيهقي في الدلائل ٥ / ٣٢، ٣٧، ٥٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢١٩

و روى ابن عساكر عن عطاء قال: لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليلة قربه من مكة فى غزوة الفتح «إن بمكة لأربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك، و أرغب لهم فى الإسلام» قيل: و من هم يا رسول الله؟ قال:

«عتاب بن أسيد، و جبير بن مطعم، و حكيم بن حزام، و سهيل بن عمرو»

[(١)] .

ذكر تعبئة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أصحابه رضوان الله عليهم و نزولهم بأبى سفيان، و ما وقع فى ذلك من الآيات

قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى - و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مناديا ينادى، لتصبح كل قبيلة قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته، و تظهر ما معها من الأداة و العدة. فأصبح الناس على ظهر، و قدّم بين يديه الكتائب. قالوا: و مرّت القبائل على قادتها. و الكتائب على راياتها.

قال محمد بن عمر: و كان أول من قدّم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خالد بن الوليد فى بنى سليم - بضم أوله، و فتح ثانيه، و سكون التحتية، و هم ألف، و يقال: تسعمائة، و معهم لواءان و راية، يحمل أحد اللوائين العباس بن مرداس بكسر الميم، و الآخر يحمله خفاف - بحاء معجمة مضمومة - بن ندبة - بنون مضمومة، فдал مهملة - و يحمل الراية الحجاج بن علاط - بعين مضمومة فطاء مهملتين، فلما مرّوا بأبى سفيان، كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أبو سفيان: يا عباس!! من هؤلاء؟ فقال: هذا خالد بن الوليد، قال: الغلام؟ قال: نعم قال: و من معه؟ قال: بنو سليم، قال: ما لى و بنى سليم! ثم مرّ على أثره الزبير بن العوام فى خمسمائة من المهاجرين و أنفء العرب، و معه راية سوداء. فلما مرّوا بأبى سفيان كبروا ثلاثا، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: هذا الزبير بن العوام، قال: ابن أختك؟ قال: نعم، ثم مرّت بنو غفار - بكسر الغين المعجمة - فى ثلاثمائة، يحمل رايتهم أبو ذرّ، و يقال: إيما - بكسر الهمزة، و فتحها، و سكون التحتية، ممدود مصروف، و قد يقصر مع الفتح - بن رخصة - بحاء، فضاء معجمة مفتوحات، و أجاز ابن الأثير: سكون الحاء، و اقتصر النووى على الفتح، و قال السهيلي: بضم الزاء - فلما حاذوه، كبروا ثلاثا، فقال أبو سفيان من هؤلاء؟ قال: بنو غفار، قال: ما لى و لبنى غفار؟ ثم مرت أسلم فى أربعمائة، فيهما لواءان يحمل أحدهما بريدة - بلفظ تصغير البرد - بن الحصيبي - بضم الحاء، و فتح الصاد المهملتين، فتحتية فموحدة - و الآخر ناجية - بالنون، و الجيم - بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا

[(١)] أخرجه ابن عساكر كما فى التهذيب ٤ / ٤١٩، و الحاكم ٣ / ٥٩٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٠

ثلاثا، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: أسلم، قال: ما لى و لأسلم؟ ثم مرت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائة، يحمل رايتهم بسر - بضم

الموحدة، و سكون السين المهملة - بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثا، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوة أسلم، قال: نعم، هؤلاء حلفاء محمد، ثم مرت مزينة - بضم الميم، و فتح الزاء، فى ألف فيها ثلاثة ألوية و مائة فرس، يحمل ألويتها النعمان بن مقرن - بضم الميم، و سكون القاف، [و بالراء] و النون، و عبد الله بن عمرو بن عوف، و بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثا، قال: من هؤلاء؟ قال: العباس: مزينة، قال: مالى و لمزينة؟ قد جاءتنى تقعقع من شواهدها، ثم مرت جهينة - بضم الجيم، و فتح الهاء و سكون التحتيّة، و بالتون - فى ثمانمائة، فيها أربعة ألوية، يحملها أبو روعة - بفتح الراء، و سكون الواو - معبد بن خالد، و سويد بن صخر، و رافع بن مكيث - بفتح الميم، و كسر الكاف، و بالمثلثة - و عبد الله بن بدر - بالموحدة - فلما حاذوه كبروا ثلاثا، فقال من هؤلاء؟ قال: جهينة، قال: مالى و لجهينة؟ ثم مرت كنانة - بكسر الكاف - بنو ليث و ضمرة، و سعد بن بكر فى مائتين، يحمل لواءهم أبو واقد - بالقاف - الليثى، فلما حاذوه كبروا ثلاثا، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو بكر، قال: نعم، أهل شؤم و الله! هؤلاء الذين غزانا محمدا بسببهم، قال العباس: قد خار الله - تعالى - لكم فى غزو محمد - صلى الله عليه و سلم - أتاكم أمنكم، و دخلتم فى الإسلام كافه، ثم مرت أشجع - بالشين المعجمة، و الجيم - و هم آخر من مرّ، و هم ثلاثمائة معهم لواءان، يحمل أحدهما معقل - بالعين المهملة، و القاف - ابن سنان، و الآخر: نعيم بن مسعود. فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال العباس: هؤلاء أشجع، قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد، قال العباس و أدخل الله - تعالى - الإسلام فى قلوبهم، فهذا فضل من الله، ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟ فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبة التى فيها محمد رأيت فيها الحديد و الخيل و الرجال، و ما ليس لأحد به طاقة، قال: و من له بهؤلاء طاقة؟ و جعل الناس يمزون، كل ذلك يقول أبو سفيان ما مرّ محمد؟ فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الخضراء التى فيها المهاجرون و الأنصار، و فيها الزيات و الألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء و رايه، و هم فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فيها زجل بصوت عال و هو يزعها و يقول: رويدا حتى يلحق أولكم آخركم - يقال: كان فى تلك الكتيبة ألفا دارع، و أعطى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - رايته سعد بن عباد، فهو أمام الكتيبة، فلما مرّ سعد برايه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة اليوم أذلّ الله قريشا قال أبو سفيان: يا عباس، حينذا يوم الدمار. فمرت القبائل، و طلع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو على ناقته القصواء. قال محمد بن عمر: بين أبى بكر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢١

الصديق، و أسيد بن الحضير - و هو يحدثهما - فقال العباس: هذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم [(١)].

و فى الصحيح عن عروة أنّ كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عباد، و معه الزاية، قال:

و لم ير مثلها، ثم جاءت كتيبة هى أقلّ الكتائب، فيهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، و رايه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مع الزبير، قال فى العيون: كذا وقع عند جميع الرواة. و رواه الحميدى فى كتابه: هى أجلّ الكتائب، و هو الأظهر انتهى.

فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما قال العباس: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذا [(٢)].

و روى الطبرانى عن العباس - رضى الله عنه - قال: لما بعث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قلت لأبى سفيان بن حرب: أسلم بنا، قال: لا و الله حتى أرى الخيل تطلع من كداء، قال العباس:

قلت ما هذا؟ قال شىء طلع بقلبي، لأنّ الله لا يطلع خيلا هناك أبدا، قال العباس: فلما طلع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره [(٣)].

فلما مرّ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بأبى سفيان، قال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عباد قال: «ما قال» قال: كذا و كذا، و إنى أنشدك الله فى قومك، فأنت أبرّ الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عليه و سلم - «كذب سعد يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يعظم الله فيه الكعبة، اليوم يوم تكسى فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه

قريشا».

وعند ابن إسحاق: أن سعدا لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرين، قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة: واستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا لكونه كان معروفا بشدة البأس عليهم.

وعند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، قالوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم. وقال ضرار - بضاد معجمة - بن الخطاب الفهري - فيما ذكره محمد بن عمر، و أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي - شعرا يستعطف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أهل مكة حين سمع قول سعد، قال أبو الربيع و هو من أجود شعر قاله.

[(١)] أخرجه ابن عبد البر في الدرر (٢١٦) و البيهقي في الدلائل ٣٨ / ٥ و ابن كثير في البداية ٢٩٠ / ٤.

[(٢)] انظر المجمع ١٧٣ / ٦.

[(٣)] انظر المصدر السابق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٢٢

وعند ابن إسحاق و عند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر - رضى الله عنه - أن امرأة من قريش عارضت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الشعر، فكأن ضرارا أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قريش:

يا نبى الهدى إليك لجاحى قريش و لات حين لجا

حين ضاقت عليهم سعة الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان على القوم و نودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغير مانا بالنسر و العواء

و غر الصدر لا يهيم بشيء غير سفك الدما و سبى النساء

قد تلظى على البطاح و جاءت عنه هند بالسوءة السواء

إذ ينادى بذل حتى قريش و ابن حرب بذنا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء و نادى يا حماة الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج و الأوس أنجم الهيحاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع فى أكف الإماء

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ فى الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحية الصيامة فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد، فتزع اللواء من يده، و جعله إلى

ابنه قيس بن سعد، و رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه.

قال محمد بن عمر: فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم -

بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قيس، و يقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عليا فأخذ الزاية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها

عند الركن.

قال أبو عمر - رحمه الله تعالى -: قد روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطى الزاية للزبير إذ نزعها من سعد.

و روى أبو يعلى عن الزبير - رضى الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دفعها إليه فدخل بلواءين، و به جزم موسى

قال الحافظ: و الذي يظهر في الجمع أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أرسل علينا لينزعها، و أن

[(١)] انظر المصدر السابق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٣

يدخل بها. ثم خشى تغيير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إن سعدا خشى أن يقع من ابنه شىء يكرهه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فسأل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يأخذها، فحينئذ أخذها الزبير، و يؤيد ذلك ما رواه البزار بسند على شرط البخارى عن أنس - رضى الله عنه - قال: كان قيس في مقدمة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لَمَّا قدم مكة، فكلم سعد النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يصرفه عن الموضع الذى هو فيه مخافة أن يقدم على شىء يصرفه عن ذلك. انتهى.

و روى ابن أبى شيبه عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و الطبرانى عن عروة: أن العباس قال: يا رسول الله!! لو أذنت لى فأتيتهم. أى أهل مكة - فدعوتهم فأمنتهم، فركب العباس بغلة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - والشهباء، و انطلق، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «ردوا على أبى، ردوا على أبى، فإن عم الرجل صنو أبيه» - «إنى أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود، دعاهم إلى الله - تعالى - فقتلوه، أما و الله لئن ركبوها منه لأضر منها عليهم نارا» فكره العباس الرجوع، و قال: يا رسول الله، إن ترجع أبا سفيان راغبا فى قلة الناس، فيكفر بعد إسلامه فقال «احبسه» فحبسه، فذكر عرض القبائل و مرورها بأبى سفيان، و فيه فقال أبو سفيان: امض يا عباس. فانطلق العباس حتى دخل مكة فقال: يا أهل مكة!! أسلموا تسلموا قد استبطنتم بأشهب بازل [(١)]. انتهى.

و فى حديث عروة عند الطبرانى: و كفهم الله عز و جل - عن العباس - انتهى. قال العباس، فقلت لأبى سفيان بن حرب: أنج ويحك - فأدرى قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فخرج أبو سفيان، فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله! و ما تغنى دارك؟! قال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته، فأخذت بشاربه، و قالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم. فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به.

ذكر من أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بقتله يوم الفتح، و لا يدخل فيما عقد من الأمان

و هم: عبد العزى ابن خطل - بفتح الخاء المعجمة، و الطاء المهملة، و آخره لام و كان قد أسلم، و سماه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عبد الله و هاجر إلى المدينة، و بعثه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

[(١)] ابن أبى شيبه ١٤ / ٤٨٤ و الطحاوى فى معانى الآثار ٣ / ٣١٥ و ابن عساكر كما فى التهذيب ٧ / ٢٣٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٤

ساعيا، و بعث معه رجلا - من خزاعة، و كان يصنع له طعامه و يخدمه فتزلا - فى مجمع - و المجمع حيث تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة - فأمره أن يصنع له طعاما، و نام نصف النهار، و استيقظ، و الخزاعى نائم، و لم يصنع له شيئا، فعدى عليه فضربه فقتله، و ارتد عن الإسلام، و هرب إلى مكة، و كان يقول الشعر يهجو به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و كان له قيتان، و كانتا فاسقتين، فيأمرهما ابن خطل أن يغنيا بهجاء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

و عن أنس قال: دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مكة يوم الفتح على رأسه المغفر، فلما نزعها جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اقتلوه» رواه الإمام مالك و الشيخان [١].

قال محمد بن عمر [٢]: لَمَّا دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى ذي طوى، أقبل ابن خطل من أعلى مكة مدججا في الحديد على فرس و بيده قنأه، فمَرَّ ببنات سعيد بن العاص فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضربا كأفواه المزداد، ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة، فرأى خيل الله، و رأى القتال فدخله رعب، حتى ما يستمسك من الرعدة، فرجع حتى انتهى إلى الكعبة، فنزل عن فرسه، و طرح سلاحه و أتى البيت فدخل تحت أستاره، فأخذ رجل من بني كعب سلاحه و أدرك فرسه عائرا فاستوى عليه، و لحق برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالحجون.

و عبد الله بن سعد بن أبي سرح - بفتح السين، و إسكان الزاء، و بالحاء المهملات - كان أسلم، ثم ارتد، فشفع فيه عثمان يوم الفتح، فحقت دمه، و أسلم بعد ذلك فقبل إسلامه، و حسن إسلامه بعد ذلك، و ولَّاه عمر بعض أعماله، ثم ولَّاه عثمان، و مات و هو ساجد في صلاة الصبح، أو بعد انقضائها، و كان أحد التجباء الكرماء العقلاء من قريش، و كان فارس بنى عامر بن لؤى المقدم فيهم، و سيأتي خبره مبسوطا في أبواب كتابه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

و عكرمة بن أبي جهل، أسلم فقبل إسلامه.

و الحويرث - بالتصغير - بن نقيدر بضم النون، و فتح القاف، و سكون التَّحِيَّةِ، فдал مهملة، فراء مهملة، كان يؤذى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و نخس بزَيْنَب بنت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما هاجرت إلى المدينة، فأهدر دمه. فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، فسأل عنه علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فقيل هو بالبادية، فأخبر الحويرث أنه يطلب، فتنحى علي عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى آخر، فتلقاه علي، فضرب عنقه.

[١] أخرجه البخارى ٤/ ٥٩ (١٨٤٦، ٤٢٨٦)، و مسلم ٢/ ٩٨٩ (١٣٥٧/٤٥٠).

[٢] انظر المغازى ٢/ ٨٢٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٥

قال ابن هشام: و كان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة، و أم كلثوم بنتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث فرمى بهما الأرض.

قال البلاذرى - رحمه الله تعالى - و كان يعظم القول فى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ينشد الهجاء فيه، و يكثر أذاه و هو بمكة. و مقيس. بميم، ففاف، فسین مهملة - بن صبابه، بصاد مهملة، و موحدتين، الأولى خفيفة -، كان أسلم، ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله، و كان الأنصارى قتل أخاه هشاما خطأ فى غزوة ذى قرد، ظنَّه من العدو، فجاء مقيس، فأخذ الدية، ثم قتل الأنصارى، ثم ارتد، فقتله نائلة - تصغير نمل - بن عبد الله يوم الفتح.

و هبار - بفتح الهاء، و تشديد الموحدة بن الأسود، أسلم، و كان قبل ذلك شديد الأذى للمسلمين، و عرض لزَيْنَب بنت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا هاجرت فنخس بها، فأسقطت، و لم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت، فلَمَّا كان يوم الفتح، و بلغه أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أهدر دمه، فأعلن بالإسلام، فقبله منه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و عفا عنه.

و الحويرث بن الطلائع الخزاعى، قتله علي - رضى الله عنه - ذكره أبو معشر.

و كعب بن زهير، و جاء بعد ذلك فأسلم، و مدح. ذكره الحاكم.

و وحشى بن حرب، و تقدّم شأنه فى غزوة أحد، فهرب إلى الطائف، فلما أسلم أهلها جاء فأسلم.

و سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، و كانت مغنية نواحة بمكة، و كانت قدمت على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قبل الفتح، و طلبت منه الصلوة و شكت الحاجة، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «ما كان في غنائك ما يغنيك؟» فقالت: إن قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أقر لها بعيرا طعاما، فرجعت إلى قريش.

و كان ابن خطل يلقى عليها هجاء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فتغنى به. و هي التي وجد معها كتاب حاطب ابن أبي بلتعنة، فأسلمت و عاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب و هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب، و هي التي شقت عن كبد حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأسلمت، فعفا عنها.

و أرنب مولاة ابن خطل، و قينتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجو رسول الله - صلى الله عليه و سلم - اسم إحداهما فرتنى - بفتح الفاء، و سكون الزاء و فتح الفوقية، فنون، فألف تأنيث مقصورة، و الأخرى قريبة - ضد بعيدة، و يقال: هي أرنب السابقة، فاستؤمن لإحداهما فأسلمت، و قتلت الأخرى،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٦

و ذكر عن ابن إسحاق أن فرتنى هي التي أسلمت، و أن قريبة قتلت.

و أم سعد قتلت فيما ذكره ابن إسحاق، و يحتمل كما قال الحافظ - رحمه الله - تعالى - أن تكون أرنب، و أم سعد القينتان. و اختلف في اسمهما باعتبار الكنية و اللقب.

ذكر دخوله - صلى الله عليه و سلم - مكة و إرسال طائفة من أصحابه أمامه و ارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم، و قتل المسلمين لهم

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - و غيره: لما ذهب أبو سفيان إلى مكة بعد ما عين جنود الله - تعالى - تمر عليه، فأنتهى المسلمون إلى ذى طوى، فوقفوا ينتظرون رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى تلاحق الناس، و أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى كنيته الخضراء، و هو على ناقته القصواء، معتجرا بشق برد حبرة حمراء.

و عن أنس - رضى الله عنه - قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله متخشعا، رواه الحاكم بسند جيد قوى، و رواه أبو يعلى من طريق آخر [(١)]، و عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يومئذ و عليه عمامة سوداء، و رايته سوداء، و لواؤه أسود حتى وقف بذى طوى، و توسيط الناس، و إن عثونه ليمس و واسطه رحله، أو يقرب منها تواضعا لله عز و جل حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى، و كثرة المسلمين،

ثم قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة»

قال: و جعلت الخيل تمعج بذى طوى فى كل وجه، ثم ثابت و سكنت حين توسطهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - رواه محمد بن عمر [(٢)].

و عن أنس - رضى الله تعالى عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - دخل مكة و عليه عمامة سوداء بغير إحرام، رواه الإمام أحمد، و مسلم، و الأربعة [(٣)].

و عن عمرو بن حريث - رضى الله عنه قال: كأنى أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم فتح مكة، و عليه عمامة سوداء خرقائية، و قد أرخى طرفها بين كتفيه، رواه مسلم [(٤)]، و عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم الفتح من كداء من أعلى مكة، رواه البخارى، و البيهقى.

و عن جابر - رضى الله عنه - قال: كان لواء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم دخل مكة أبيض، رواه الأربعة [(٥)].

[(١)] الحديث عند ابن عدى فى الكامل ٤ / ٥٧١، و انظر المجمع ٦ / ١٩٦.

[(٢)] ابن سعد ٣ / ١ / ١٨٠.

[(٣)] مسلم ٢ / ٩٩٠ (٤٥١ / ١٣٥٨)، و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٦٧ و ابن أبى شيبه ٨ / ٢٣٤.

[(٤)] أخرجه مسلم ٢ / ٩٩٠ (٤٥٣ / ١٣٥٩).

[(٥)] البخارى ٧ / ٦١١ (٤٢٩٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٧

و عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان لواء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم الفتح أبيض، و رايته سوداء تسمى العقاب، و كانت قطعة مرط مرخل، رواه ابن إسحاق [(١)].

و عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة عام الفتح، رأى النساء يلطنن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبى بكر، فقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان» فأشده أبو بكر، قول حسان - رضى الله عنهما:

عدمت بنتى إن لم تروها تثير التقع من كتفى كداء

ينازعن الأعتة مسرجات يلطنهن بالخمير النساء فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «ادخلوها من حيث قال حسان» [(٢)].

و فى الصحيح و غيره عن عروة: «أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة، و أن يغرز رايته بالحجون، و لا يبرح حتى يأتية» [(٣)]. و فى الصحيح أيضا عن العباس أنه قال للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله ها هنا أمرك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن تركز الراية؟

قال: نعم [(٤)].

قال: و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خالد بن الوليد - و كان على المجنبة اليمنى، و فيها أسلم، و سليم، و غفار، و مزينة، و جهينة، و قبائل من العرب - أن يدخلوا من الليط، و هو أسفل مكة، و أمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت و أمر أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - على الحشر، كما عند الإمام أحمد.

و فى صحيح مسلم [(٥)] عن عبد الله بن رباح أن أبا عبيدة كان على البياذقة، يعنى الرجال.

و عند ابن إسحاق و عبد الله بن أبى نجیح أن أبا عبيدة بن الجراح أقبل بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قالوا: و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمراءه أن يكفوا أيديهم، و لا - يقاتلوا إلا من قاتلهم، قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر رحمهما الله تعالى: إن صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى جهل، و سهيل بن عمر، - و أسلموا بعد ذلك - دعوا إلى قتال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و جمعوا أناسا

[(١)] أخرجه أبو داود فى الجهاد باب (٧٦)، و الحاكم ٢ / ١٠٤ و ابن أبى شيبه ١٢ / ٥١٤، و البيهقى ٦ / ٣٩٢.

[(٢)] البيهقى فى الدلائل ٥ / ٦٦ و الطحاوى فى المعانى ٤ / ٢٩٦.

[(٣)] أخرجه البخارى ٧ / ٥٩٨ (٤٢٨٠).

[(٤)] انظر المصدر السابق.

[(٥)] مسلم فى الجهاد (٨٦).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٨

بالخدمة و ضوى إليهم ناس من قريش، و ناس من بنى بكر، و هذيل، و لبسوا السلاح، يقسمون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبدا، و

كان رجل من بنى الدّيل يقال له جماش - بكسر الجيم و تخفيف الميم - و بالشين المعجمة - بن قيس بن خالد لما سمع بدخول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - جعل يصلح سلاحه، فقالت له امرأته: لمن تعدّ هذا؟ قال: لمحمد و أصحابه، قالت: و الله ما أرى يقوم لمحمد و أصحابه شيء. قال: و الله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم فإنك محتاجة إليه قالت: ويلك: لا تفعل، و لا تقاتل محمدا و الله ليضلن عنك رأيك، لو قد رأيت محمدا، و أصحابه، قال سترى ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فمالي على هذا سلاح كامل و أله

و ذو غرارين سريع السّله

ثم شهد الخندمة مع صفوان، و سهيل بن عمرو، و عكرمة، فلما دخل خالد بن الوليد من حيث أمره رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - وجد الجمع المذكور، فمنعوه الدّخول، و شهروا له السّلاح، و رموه بالتّبل، و قالوا: لا تدخلها عنوة، فصاح فى أصحابه فقاتلهم، و قتل منهم أربعة و عشرون رجلا من قريش، و أربعة من هذيل.

و قال ابن إسحاق: أصيب من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر، و انهزموا أقبح الانهزام، حتّى قتلوا بالحزورة، و هم مولون فى كلّ وجه، و انطلقت طائفة منهم فوق رؤوس الجبال، و أتبعهم المسلمون.

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - و جعل خالد - رضى الله عنه - يتمثل بهذه الأبيات:

إذا ما رسول الله فينا رأيتك كلجّة بحر نال فيها سريرها

إذا ما ارتدنا الفارسيّة فوقها دينية يهدى الأصمّ خيرها

رأينا رسول الله فينا محمّدا لها ناصرا عزّت و عزّ نصيرها قال ابن هشام: و كان شعار المهاجرين من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - يوم فتح مكّة و حنين و الطائف: يا بنى عبد الرحمن، و شعار الخزرج: يا بنى عبد الله، و شعار الأوس: يا بنى عبيد الله.

و جعل أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام يصيحان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟! من دخل داره فهو آمن، و من وضع السّلاح فهو آمن، فجعل الناس يقتحمون الدّور و يغلقون عليهم، و يطرحون السّلاح فى الطرق حتّى يأخذه المسلمون، و رجع جماش منهزما حتى انتهى إلى بيته، فدقّه، ففتحت له امرأته، فدخل و قد ذهب روحه، فقالت له: أين الخادم

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٢٩

الذى وعدتني؟ ما زلت منتظرة لك منذ اليوم - تسخر منه - فقال: دعى هذا عنك، و اغلقى على بابى، ثم قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان و فرّ عكرمه

و أبو يزيد كالعجوز المؤتمه و استقبلتهم بالسّيوف المسلمه

يقطعن كلّ ساعد و جمجمة ضربا فلا تسمع إلّا الغمغمه

لهم نهيت خلفنا و همهمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

و أقبل الزبير - رضى الله عنه - بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون عند منزل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - و لم يقتل من المسلمين إلّا رجلان من أصحاب الزبير، أخطأ الطريق فسلكا غيره فقتلا، و هما كرز بن جابر الفهريّ [(١)] و حبيش - بحاء مهملة مضمومة، فموحدة مفتوحة، فتحته ساكنة فشين معجمة - بن خالد بن ربيعة بن الأشعر - بشين معجمة، و عين مهملة - الكعبي - رضى الله عنهما - و مضى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - فدخل مكّة من أذاخر، [(٢)] فلما ظهر على أذاخر، نظر إلى البارقة مع فضض المشركين، فقال: «ما هذه البارقة؟! ألم أنه عن القتال؟» قالوا: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل و لو لم يقاتل ما قاتل، و ما كان يا رسول الله ليعصيك، و لا يخالف أمرك، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - «قضاء الله خير».

و روى الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلّم - خطب، فقال: «إنّ الله حرّم مكّة» الحديث [(٣)]، فقيل: هذا خالد يقتل، فقال: «قم يا فلان فقل له فليرفع يديه من القتل» فأناه الرّجل، فقال له: إن رسول الله - صَلَّى الله عليه و

سَلَّمَ - يقول لك، أقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين، فأتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكر له ذلك، فأرسل إلى خالد «ألم أنهك عن القتل؟!»، فقال: جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل إليه «ألم أمرك أن تنذر خالدًا؟» قال: أردت أمراً فأراد الله أمراً، فكان أمر الله فوق أمرك، و ما استطعت إلا الذي كان، فسكت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما ردّ عليه.

و روى الإمام أحمد، و مسلم، و البيهقي، و غيرهم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: لما كان يوم فتح مكة، وبّشت قريش أوباشا لها و أتباعا، فقالوا: نقدّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء

[(١)] كرز بن جابر بن حسل بن لاجب بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري .. كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم و أغار على سرح المدينة مرة فخرج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز و هذه هي غزوة بدر الاولى ثم أسلم، الإصابة ٥ / ٢٩٧.

[(٢)] أذاخر بالفتح، و الخاء المعجمة مكسورة: موضع بأعلى مكة، منه دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و ضربت هناك قتبته. مراصد الإطلاع ١ / ٤٦.

[(٣)] أخرجه الطبراني في الكبير ١١ / ٤٨ و انظر المجمع ٣ / ٢٨٤، ٧ / ٣٤ و السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٢٧١، ٢٧٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٠

كنا معهم، و إن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا فرأى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «يا أبا هريرة» قلت: لبيك، قال: «اهتف بالأنصار، و لا يأتيني إلا أنصارى» قال: ففعلت ما أمرني به، فأتوه، فقال:

«انظروا قريشا و أوباشهم فاحصدوهم حصدا» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه، فجاء أبو سفيان ابن حرب فقال: يا رسول الله - أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن» فألقى الناس سلاحهم [(١)].

و روى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - قال: كنت ممن لزم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فدخلت معه يوم الفتح فلما أشرف رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أذاخر، و رأى بيوت مكة، وقف عليها فحمد الله - و أثنى عليه، و نظر إلى موضع قتبته فقال: هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها» قال جابر: فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة، «منزلنا إذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر» [(٢)].

ذكر قراءته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سورتي الفتح و النصر فى يومه

عن عبد الله بن مغفل - بضم الميم، و فتح الغين المعجمة، و الفاء المشددة، و باللام - رضى الله تعالى عنه - قال: رأيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم فتح مكة على ناقته، و هو يقرأ سورة الفتح، يرجع صوته بالقراءة، قال معاوية بن قرة: لو لا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت عبد الله بن مغفل يحكى قراءة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال شعبة: فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: ثلاث مرّات، رواه البخارى فى التفسير و فضائل القرآن و المغازى و التوحيد، و مسلم فى الصلاة، و النسائي، و الحاكم.

و روى الطبراني عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الفتح «هذا ما وعدنى ربى» ثم قرأ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ

ذكر منزل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم الفتح

روى محمد بن عمر عن أبي جعفر - رحمه الله تعالى - قال: كان أبو رافع قد رب لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قبة بالحجون من آدم، فأقبل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حتى انتهى إلى القبة، و معه أم سلمة، و ميمونة زوجته. و روى البخاري و غيره عن أسامة بن زيد - رضی الله عنهما - أنه قال: يا رسول الله: أتى

[(١)] سيأتي في هديه - صَلَّى الله عليه و سلم - في قراءة القرآن.

[(٢)] انظر المجمع ٢٣ / ٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣١

تنزل غدا؟ تنزل في دارك؟ قال: «و هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دار؟»

و كان عقيل ورث أبا طالب هو و أخوه طالب، و لم يرثه جعفر و لا على - رضی الله عنهما - لأنهما كانا مسلمين، و كان عقيل و طالب كافرين، أسلم عقيل بعد [(١)].

و روى البخاري، و الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضی الله عنه -: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: «منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر»

يعنى بذلك المحضب، و ذلك أن قريشا و كنانة تحالفت على بنى هاشم، و بنى المطلب أن لا يناكحوهم و لا يبائعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم [(٢)].

و روى محمد بن عمر عن أبي رافع - رضی الله عنه - قال: قيل للنبي - صَلَّى الله عليه و سلم - ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: «و هل ترك لنا عقيل منزلا؟» و كان عقيل قد باع منزل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و منزل إخوته من الرجال و النساء بمكة، فقيل لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فانزل في بعض بيوت مكة غير منازلك، فأبى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و قال: «لا أدخل البيوت» و لم يزل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجون.

ذكر اغتساله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم الفتح و صلواته وقت الضحى شكرا لله تعالى

عن أم هانئ - رضی الله عنها - قالت: لما كان عام يوم الفتح فرّ إلى رجلان من بنى مخزوم فأجرتهما، قالت: فدخل عليّ عليّ فقال: أقتلها، قالت: فلما سمعته يقول ذلك أتيت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو بأعلى مكة، فلما رأني رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - رحب و قال: «ما جاء بك يا أم هانئ»، قالت: قلت يا رسول الله، كنت أمنت رجلين من أحماني، فأراد عليّ قتلها، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «قد أجرنا من أجرت»، ثم قام رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى غسله فسترته فاطمة، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صَلَّى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ثمان ركعات سبحه الضحى، رواه مسلم و البيهقي [(٣)].

و عنهما أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، و صَلَّى ثمان ركعات،

[(١)] أخرجه البخاري ٥٢٦ / ٣ في الحج (١٥٨٨) (٣٠٥٨، ٤٢٨٢، ٦٧٦٤)، و مسلم في الحج (٤٣٩، ٤٤٠) و أبو داود حديث (٢٠١٠) و

في الفرائض باب (١٠) و ابن ماجه (٢٧٣٠) و الطحاوى في معاني الآثار ٤ / ٤٩، و أحمد ٥ / ٢٠٢ و الدارقطني ٣ / ٦٢.

[(٢)] أخرجه البخارى (٤٢٨٤) (١٥٨٩)، و مسلم فى الحج (٣٥٥) و البيهقى فى الدلائل ٩٣ / ٥ و أحمد ٢ / ٢٦٣، ٣٢٢، ٣٥٣، و الطبرانى فى الكبير ١١ / ٦٢ و انظر المجمع ٣ / ٢٥٠.

[(٣)] مسلم صلاة المسافرين (٨٢)، و أبو داود (٢٧٦٣) و أحمد ٦ / ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣ و البيهقى ٩ / ٧٥، و الحاكم ٤ / ٤٥. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٢.

قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم ركوعها و سجودها. رواه البخارى و البيهقى [(١)].

ذكر رن إبليس و حزنه و كيد الجن لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - و زجرهم عنه و دعاء نائلة بالويل

روى أبو يعلى، و أبو نعيم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لَمَّا فتح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة رن إبليس رنة فاجتمعت إليه ذريته، فقال: أيا سوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا، و لكن أفشوا فيها - يعنى مكة - النوح و الشعر. و روى ابن أبي شيبه عن مكحول - رحمه الله - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لَمَّا دخل مكة تلقته الجن يرمونه بالشّر، فقال جبريل - صلى الله عليه و سلم - تعوذ يا محمد بهؤلاء الكلمات: «أعوذ بكلمات الله التّامات التى لا يجاوزهن بر و لا فاجر، من شر ما ينزل من السّماء و ما يعرج فيها، و من شرّ ما بثّ فى الأرض، و ما يخرج منها، و من شرّ الليل و النهار، و من شرّ كل طارق يطرق إلّا بخير يا رحمن».

و روى البيهقى عن ابن أبرى - بفتح الهمزة، و سكون الموحدة و بالزاي، و ألف تأنيث مقصورة - رحمه الله تعالى - قال: لَمَّا فتح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة جاءت عجوز حبشية شمطاء تخمش وجهها، و تدعو بالويل، فقال: «تلك نائلة، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا»

[(٢)].

ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما

روى الإمام أحمد، و الطبرانى برجال ثقات، و محمد بن عمر، و البيهقى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - قالت: لما كان عام الفتح، و نزل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بذي طوى، قال أبو قحافة لابنه له - قال البلاذرى - اسمها أسماء، قال محمد بن عمر تسمى:

قريبة - ضد بعيدة، كانت من أصغر ولده: يا بتيه، أشرفى بى على أبى قبيس - و قد كفّ بصره - فأشرفت به عليه، فقال: أى بتيه!! ما ذا ترين؟ قالت: أرى سوادا مجتمعاً كثيراً، و أرى رجلاً يشتمد بين ذلك السواد مقبلاً و مدبراً، فقال: ذلك الرجل الوازع، ثم قال: ما ذا ترين؟ قالت: أرى السواد قد انتشر و تفرّق، فقال: و الله إذن انتشرت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فخرجت سريعاً حتى إذا هبطت به الأبطح لقيتها الخيل، و فى عنقها طوق لها من ورق، فاقتلعه إنسان

[(١)] سيأتى ذلك فى هديه - صلى الله عليه و سلم - فى صلاة الضحى.

[(٢)] البيهقى فى الدلائل ٥ / ٧٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٣ من عنقها،

فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المسجد، خرج أبو بكر بأبيه - رضى الله عنهما - يقوده، و كان رأس أبى قحافة ثغامة، فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «هلاً تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو

أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه، فأجلسه بين يدي رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فمسح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صدره، وقال: أسلم تسلم، فأسلم، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشدكم بالله و الإسلام طوق أختي، فو الله ما جاء به أحد، ثم قال الثالثة فما جاء به أحد، فقال: يا أختي، احتسبي طوقك، فو الله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل [(١)].

و روى البيهقي بسند جيّد قويّ عن ابن وهب قال: أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ بيد أبي قحافة، فأتى به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما وقف به على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: غيروه و لا تقربوه سوادا [(٢)].

قال ابن وهب: و أخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - هنا أبا بكر بإسلام أبيه. و روى الإمام أحمد، و ابن حبان عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يديه فقال لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتينا» - تكرمته لأبي بكر - فأسلم و رأسه و لحيته كالثغامة، فقال غيرهما قال قتادة هو أول مخضوب في الإسلام. و روى مسلم عن جابر قال: أتى بأبي قحافة عام الفتح و رأسه و لحيته مثل الثغامة فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «غيروا هذا بشيء و جنبوه السواد». قال البلاذري: و رمى بعض المسلمين أبا قحافة فشجّه، و أخذت قلادة أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر و هو يستدمي، فمسح الدّم عن وجهه انتهى.

قالوا: و جاء خالد بن الوليد إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال له: «لم قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟» قال: هم يا رسول الله بدءونا بالقتال، و رشقونا التبل، و وضعوا فينا السلاح، و قد كفت ما استطعت، و قد دعوتهم إلى الإسلام، و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا، حتى إذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفّرنا الله - تعالى - عليهم، فهربوا في كلّ وجه يا رسول الله، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عليه و سلم -: «كفّ عن الطّلب» قال: قد فعلت: فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عليه و سلم -: «كفّوا السّلاح إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر» فخبطوهم

[(١)] أخرجه الواقدي في المغازي ٢ / ٨٢٤، و البيهقي في الدلائل ٤ / ٩٥.

[(٢)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٤ / ٩٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى المشقى، ج ٥، ص: ٢٣٤

ساعة، و هى الساعة التى أحلت لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و لم تحل لأحد قبله.

[(١)]

ذكر دخوله - صَلَّى الله عليه و سلم - المسجد و طوافه و ما وقع في ذلك من الآيات

قالوا: مكث رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - في منزله ساعة من النهار حتى اطمان الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدّيت إلى باب قبتة، و عاد للبس السّلاح و المغفر على رأسه، و قد حف الناس به، فركب راحلته و الخيل تمعج بين الخندمة إلى الحجون، و مرّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و إلى جنبه أبو بكر الصّيديق يسير معه يحادثه، فمرّ بنات أبي أحيحة و قد نشرن شعورهنّ - يلطمن وجوه الخيل بالخمير، فنظر رسول - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى أبي بكر فتبسّم و ذكر بيت حسان بن ثابت، فأنشدته أبو بكر رضي الله عنه:

تظّل جيادنا متمطّرات يلطّمن بالخمير النساء فلما انتهى - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى الكعبة فرآها و معه المسلمون تقدّم على راحلته، و

استلم الركن بمحجنه، و كبر، فكبر المسلمون بتكبيره، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يشير إليهم أن اسكتوا- و المشركون فوق الجبال ينظرون- و طاف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالبيت، آخذا بزمام الناقة محمد بن مسلمة، فأقبل على الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت.

و روى أبو نعيم، و البيهقي من طريق عبد الله بن دينار، و أبو نعيم من طريق نافع كلاهما عن ابن عمر - رضى الله عنهما - و أبو نعيم و البيهقي من طريق سعيد بن جبير و ابن إسحاق و البيهقي و أبو نعيم، و ابن مندة، و محمد بن عمر عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - دخل مكة يوم فتح مكة، و حول الكعبة ثلاثمائة و ستون صنما مرضعة بالزجاج، و كان هبل أعظمها و هو وجاه الكعبة، و إساف و نائلة حيث ينحرون و يذبحون الذبائح، و في يد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قوس و قد أخذ بسية القوس،

فجعل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كلما مر بصنم منها يشير إليه و يطعن في عينه و يقول: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً [الإسراء ٨١]

فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. و في لفظ لفقاه، من غير أن يمسه [(٢)]. و في ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي [(٣)].

[(١)] ابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٦٩٩)، و انظر المجمع ١٧٧ / ٦ و ابن أبي شيبة ٤٨٧ / ١٤.

[(٢)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٧١ / ٤ و هو عند البخاري في كتاب المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر.

[(٣)] تميم بن أسيد و قيل أسد بن عبد العزى بن جعونته بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي ... قال ابن سعد أسلم و صحب قبل فتح مكة و بعثه النبي - صلى الله عليه و سلم - يجدد أنصاب الحرم ثم ساق بذلك سندا الى ابن خيثم عن أبي الطفيل عن ابن عباس ان النبي - صلى الله عليه و سلم - فذكره، الإصابة ١ / ١٩١. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٥ فى الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا قال أئمة المغازى - رحمهم الله تعالى -: فطاف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - سبعا على راحلته يستلم الركن الأسود بمحجنه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته.

و عند ابن أبي شيبة عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مناخا فى المسجد حتى أنزل على أيدي الرجال، ثم خرج بها، قالوا: و جاء معمر بن عبد الله بن نضلة - بالنون، و الضاد المعجمة - فأخرج الراحلة فأنأخها بالوادي، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه و سلم -، إلى المقام - و هو لاصق بالكعبة، و الدرع عليه و المغفر و عمامته بين كتفيه، فصلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها و قال: «لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلو»، فنزع له العباس بن عبد المطلب - و يقال الحرث بن عبد المطلب - دلو، فشرب منه و توضأ و المسلمون يتدرون وضوء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يصبونه على وجوههم، و المشركون ينظرون إليهم و يتعجبون و يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به.

و أمر بهبل فكسر و هو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبى سفيان بن حرب: يا أبا سفيان قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد فى عزور حين تزعم أنه أنعم، فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يا بن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فجلس ناحية من المسجد و الناس حوله. و عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم الفتح قاعدا، و أبو بكر قائم على رأس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالسيف. رواه البزار [(١)].

روى الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال لأم هانئ يوم الفتح: «هل عندك من طعام نأكله؟»: قالت: ليس عندي إلا كسر يابسة، و إنى لأستحي أن أقدمها إليك. فقال: «هلمى بهن» فكسرن في ماء، و جاءت بملح، فقال: «هل من آدم؟»

فقلت: ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خل، فقال: «هلميه»، فصبه على الطعام و أكل منه ثم حمد الله ثم قال: «نعم الأدم الخل، يا أم هانئ لا يفقر بيت من آدم فيه خل» [(٢)].

ذكر اطلاع - صلى الله عليه و سلم - على ما هم به فضالة بن عمير بن الملوح

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل

[(١)] انظر المجمع ١٧٦ / ٦.

[(٢)] انظر المجمع ١٧٦ / ٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٦

رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو يطوف بالبيت - عام الفتح - فلما دنا منه قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أ فضالة؟» قال: نعم. قال: «ما ذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثم قال: «استغفر الله». ثم وضع يده على صدره فسكن،

و كان فضالة يقول: و الله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق شيء أحب إليّ منه، و رجع فضالة إلى أهله، قال: فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقال لا. و انبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يا أبى على الله و الإسلام

إذا ما رأيت محمدا و قبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحي بينا و الشرك يغشى وجهه الإظلام ذكره أبو عمر فى الدرر، و لم يذكره فى الاستيعاب، و هو على شرطه، و ذكره القاضى فى الشفاء بنحوه.

ذكر الآية فى رفعه - صلى الله عليه و سلم - على بن أبى طالب رضى الله عنه - لائقاء صنم قريش

روى ابن أبى شيبه، و الحاكم عن على - رضى الله عنه - قال: انطلق رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى أتى بى الكعبة، فقال: «اجلس» فجلست بجانب الكعبة، فصعد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على منكبى فقال: «انهض» فنهضت، فلما رأى ضعفى تحته قال: «أجلس» فجلست، ثم قال: «يا على، اصعد على منكبى» ففعلت، فلما نهض بى خيل إلى لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة، و تنحى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: «ألق صنمهم الأكبر» و كان من نحاس مودأ بتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «عالجه» و يقول لى: «إيه إيه» «جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا». فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه

[(١)]

ذكر طلبه - صلى الله عليه و سلم - المفتاح من عثمان بن طلحة رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر، وابن أبي شيبه عن أبي هريرة- رضى الله عنهما- و محمد بن عمر عن علقمة بن أبي وقاص الليثي- رحمه الله تعالى- و محمد بن عمر عن شيوخه يزيد بعضهم على بعض، قال عبد الله: كان عثمان قد قدم على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بالمدينة مسلما مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص قبل الفتح، فلما فرغ رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من طوافه أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان، فقال:

[(١)] أخرجه أحمد ١/ ٧٤ و ابن أبي شيبه ١٤/ ٤٨٨، و الحاكم ٢/ ٣٦٧، ٥/ ٣

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٣٧

من طوافه أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان، فقال: إن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يأمرك أن تأتى بالمفتاح، فقال: نعم هو عند أمى سلافه، فرجع بلال إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فأخبره أنه قال نعم، و أن المفتاح عند أمه، فبعث إليها رسول الله- صلى الله عليه و سلم- رسولا فجاء، فقالت: لا، و اللات و العزى، لا أدفعه إليك أبدا، فقال عثمان يا رسول الله أرسلنى أخلصه لك منها، فأرسله، فقال: يا أمه ادفعى إلى المفتاح، فإن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قد أرسل إلى، و أمرنى أن آتية به، فقالت أمه: لا. و اللات و العزى لا أدفعه إليك أبدا فقال: لا لات و لا عزى إنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، و إنك إن لم تفعلنى قتلت أنا و أختى فأنت قتلتينا، فو الله لتدفعنه أو ليأتين غيرى فيأخذه منك، فأدخلته في حجزتها، و قالت: أى رجل يدخل يده ههنا؟ [(١)].

قال الزهرى فيما رواه عبد الرزاق، و الطبرانى: فأبطأ عثمان و رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قائم ينتظره حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق، و يقول: «ما يحبسه فيسعى إليه رجل» انتهى. فبينما هما على ذلك و هو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر و عمر- رضى الله عنهما- فى الدار، و عمر رافع صوته حين أبطأ عثمان... يا عثمان اخرج، فقالت أمه: يا بنى خذ المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم و عدى، فأخذه عثمان، فخرج يمشى به حتى إذا كان قريبا من وجه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى المفتاح فحنى عليه بثوبه [(٢)].

و روى الفاكهى عن ابن عمر: أن بنى أبى طلحة كانوا يقولون: لا- يفتح الكعبة إلما هم، فتناول رسول الله- صلى الله عليه و سلم- المفتاح، ففتح الكعبة بيده.

و روى ابن أبي شيبه بسند جيد عن أبى السفر- رحمه الله تعالى- قال: لما دخل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مكة دعا شيبه بن عثمان بالمفتاح- مفتاح الكعبة- فتلكأ، فقال لعمر: قم فاذهب معه فإن جاء به و إلأ فأجلد رأسه» فجاء به فأجاله فى حجره.

ذكر أمره- صلى الله عليه و سلم- بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه

روى أبو داود، و ابن سعد، و محمد بن عمر، و اللفظ له: أن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أمر عمر بن الخطاب- و هو بالبطحاء- أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها حتى

[(١)] المغازى للواقدي ٢/ ٨٣٣

[(٢)] أخرجه أبو داود (٢٠٢٧)، و انظر المطالب للحافظ ابن حجر (٤٣٦٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٣٨

محيت الصور، و كان عمر قد ترك صورة إبراهيم

فلما دخل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- رأى صورة إبراهيم، فقال يا عمر: «ألم آمرك ألا تدع فيها صورة؟»، قاتلهم الله، جعلوه

شيخا يستقسم بالأزلام». ثم رأى صورة مريم، فقال: «امسحوا ما فيها من الصور، قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون». و روى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - و ابن أبى شيبه عن عكرمة أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة يعنى الأصنام، فأمر بها فأخرجت صورة إبراهيم و إسماعيل فى أيديهما الأزلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : «قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بهما قط» [(١)]. زاد ابن أبى شيبه: ثم أمر بثوب قبل و محابه صورهما. و عند ابن أبى شيبه عن ابن عمر: أن المسلمين تجردوا فى الأزر و أخذوا الدلاء، و انجروا على زمزم يغسلون الكعبة ظهرها و بطنها، فلم يدعوا أثرا من المشركين إلا محوه و غسلوه.

ذكر دخول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - البيت و صلواته فيه

روى البخارى فى الصلوة، و مسلم فى الحج، عن الإمام مالك بن انس و البخارى فى الصلوة و المغازى عن جويرية بن أسماء، و البخارى فى الصلوة، و مسلم فى الحج عن يونس ابن يزيد عن أيوب، و البخارى فى الصلوة و المغازى عن موسى بن عقبه، و البخارى فى المغازى عن فليح بن سليمان، و مسلم فى الحج عن عبد الله بن عمر، و مسلم فى الحج، و النسائى فى الصلوة عن خالد بن الحرث عن ابن عون، و ابن عوانة، و ابن ماجه فى الحج عن حسان بن عطية كلهم عن نافع، و البخارى فى الحج عن سالم بن عبد الله بن عمر، و فى كتاب الصلوة عن مجاهد، و الإمام أحمد عن ابن عمر، و ابن دينار، و الإمام أحمد و النسائى عن ابن أبى مليكة و الإمام أحمد، و الطبرانى عن أبى الشعثاء كلهم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، و ابن أبى شيبه بسند حسن و أبو جعفر الطحاوى عن جابر بن عبد الله، و ابن قانع عن أبى بشر و مسافع بن شيبه عن أبيه شيبه بن عثمان، و أبو جعفر الطحاوى من طريقين عن عبد الله بن الزجاج، و الإمام أحمد، و الأزرقى عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن الزبير، و الطبرانى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صفوان، و الإمام أحمد و الطحاوى، و ابن قانع بسند حسن، و أبو داود بسند ضعيف عن عمر بن الخطاب. و البزار بسند ضعيف عن أبى هريرة، و الحاكم فى صحيحه، و البيهقى عن عائشة - رضى الله تعالى عنهم - قال يونس بن يزيد: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته، زاد فليح: القصواء

[(١)] البخارى (٣٣٥٢)، أحمد ١ / ٣٦٥، و أخرجه ابن أبى شيبه ١٤ / ٤٨٧ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٧٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٣٩

- و هو مردف أسامة، و معه بلال، و عثمان بن طلحة، حتى أناخ فى المسجد. و لفظ فليح: عند البيت. و قال لعثمان: اتنى بالفتاح، قال أيوب: فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه المفتاح فقال: و الله لتعطينه أو لأخرجن هذا السيف من صلبى، فلما رأت ذلك أعطته إياه، فجاء به، ففتح عثمان له الباب، ثم اتفقوا، فدخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أسامة و بلال و عثمان بن طلحة و قال ابن عوف - كما عند النسائى - و الفضل بن عباس، و لأحمد نحوه عن ابن عباس - بعد أن ذكر الثلاثة الأول - و لم يدخلها أحد معهم، زاد مسلم فأغلقوا عليهم الباب [(١)].

و عند محمد بن عمر عن شيوخه: فأمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالكعبة فأغلق. و لفظ الإمام مالك: فأغلقها عليه، و فى رواية ابن عوف: فأجاف عليهم عثمان الباب. زاد حسان بن عطية: من داخل. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥، ص ٢٣٩ ذكر دخول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - البيت و صلواته فيه ص : ٢٣٨

فى حديث صفيّة بنت شيبه عند ابن إسحاق، فوجد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى البيت حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها.

و في حديث جابر أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا دخل البيت رأى فيه تمثال إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزام يستقسم بها، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«قاتلهم الله، لقد علموا ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام». ثم دعا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بزعفران فطخه بتلك التماثيل.

وعند ابن أبي شيبه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب - رحمهما الله تعالى - قالوا: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما دخل الكعبة كبر في زواياها وأرجائها، وحمد الله تعالى، ثم صَلَّى ركعتين بين أسطوانتين، قال يونس: فمكث نهاراً طويلاً، ولفظ فليح: زماناً طويلاً، ولفظ جويرية: فأطال، ولفظ ابن عوف: فمكث فيها ملياً، ولفظ أيوب: فمكث فيها ساعة. وفي رواية ابن أبي مليكة عن نافع: فوجدت شيئاً فذهبت ثم جئت سريعاً فوجدت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خارجاً، ولفظ سالم: فلما فتحوا الباب و كنت أول والحج، وفي رواية فليح: فتبادر الناس الدخول فسبقتهم. وفي رواية أيوب: و كنت رجلاً شاباً قويا فبادرت الناس فبدرتهم، وفي رواية ابن عوف: فرقيت الدرجة فدخلت البيت، وفي رواية مجاهد، وابن أبي مليكة عن ابن عمر: وأجد بلالاً قائماً بين البابين. وفي رواية سالم: فلقيت بلالاً فسألته:

زاد مالك فقلت: ما صنع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي رواية سالم. هل صلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيه؟ قال: نعم. وفي رواية مجاهد، وابن أبي مليكة: فقلت هل صلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في

[(١)] انظر البخارى فى المغازى ٧ / ٦١١ (٤٢٨٩).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٠

الكعبة؟ قال: نعم، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر: أنه سأل بلالاً، وأسامة و في رواية أبي الشعثاء عن ابن عمر قال: أخبرني أسامة بن زيد أنه رأى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صلى فيه ههنا. وفي رواية خالد بن الحرث عن ابن عوف عن مسلم، والنسائي عن ابن عمر: فرقيت الدرجة فدخلت البيت، فقلت أين صلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قالوا: ههنا. وفي رواية جويرية.

ويونس، و جمهور أصحاب نافع: فسأل بلالاً: أين - صَلَّى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قال: بين العمودين اليمينين - و لفظ جويرية: المقدمين - و في رواية مالك: جعل عموداً عن يمينه، وعموداً عن يساره. و في رواية: عموداً عن يمينه و عمودين عن يساره، و جعل ثلاثة أعمدة وراءه، و في رواية عنه: عموداً عن يساره، و عمودين عن يمينه. قال البيهقي: و هو الصحيح، و في رواية فليح: صَلَّى بين ذينك العمودين المقدمين من السطر و كان البيت على ستة أعمدة سطرين.

صلى بين العمودين من السطر المقدم، و جعل باب البيت خلف ظهره، و عند المكان الذى صَلَّى فيه ممره حمران، و في رواية موسى بن عقبه عند البخارى، و مالك في رواية ابن قاسم عن النسائي عن نافع: أن بين موقف رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و بين الجدار نحو ثلاثة أذرع. و في رواية ابن مهدي عند أبي داود، و ابن وهب عند الدار قطنى فى الغزوات - كلاهما عن مالك، و هشام، و ابن سعد عن أبي عوانة عن نافع: صَلَّى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع.

قال الحافظ أبو الفضل العراقى - رحمه الله تعالى - ملخصاً من طرق الأحاديث: أن مصلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من البيت أن الدّاخل من الباب يسير تلقاء وجهه حين يدخل إلى أن يجعل بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطّرق. قال: و لا ينبغي أن يجعل بينه و بين الجدار أقل من ثلاثة أذرع، فإن كان الواقع أنه ثلاثة أذرع فقد صادف مصلاً، و إن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى و ذراعه فى مكان قدمى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و هذا أولى من المتقدم.

ذكر قدر صلاته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فى الكعبة

فى رواية يحيى بن سعيد عند الشيخين. و فى رواية أبى نعيم الفضل بن دكين [(١)] عند البخارى و النسائى، و رواية أبى عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة، و رواية عمر بن على

[(١)] الفضل بن دكين و اسمه عمرو بن حماد بن زهير التيمى، مولى آل طلحة أبو نعيم الكوفى الملائى الأحول الحافظ العلم. عن الأعمش و زكريا بن أبى زائدة و جعفر بن برقان و أفلح بن حجر و خلق و عنه البخارى و أحمد و إسحاق و يحيى بن معين و خلق. قال أحمد: ثقة يقظان عارف بالحديث. و قال القسوى: أجمع أصحابنا على أن أبى نعيم كان عناية فى الإثقان، قال يعقوب بن شيبه مات سنة تسع عشرة و مائتين، الخلاصة ٢ / ٣٣٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤١

عند الإسماعيلى، و رواية عبد الله بن نمير [(١)] عند الإمام أحمد، كلهم عن سيف بن أبى سليمان [(٢)] عن مجاهد عن ابن عمر: أنه قال: سألت بلالا، أصلى النبى - صلى الله عليه و سلم - فى الكعبة؟

فقال: نعم: ركعتين. و تابع سيفاً عن مجاهد خصيف عند الإمام أحمد، و تابع مجاهداً عن ابن عمر بن أبى مليكة عند الإمام أحمد و النسائى و عمرو بن دينار عند الإمام أحمد [(٣)]، و فى حديث جابر: دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - البيت يوم الفتح، فصلى فيه ركعتين، و رواه الإمام أحمد برجال الصحيح، و الطبرانى عن عثمان بن طلحة. و رواه الإمام أحمد، و الأزرقى عن عبد الله بن الزبير و رواه الطبرانى بسند جيد، و ابن قانع و أبو جعفر الطحاوى من طريقين عن عثمان.

و رواه الطبرانى برجال الصحيح، و البزار عن عبد الرحمن بن صفوان - رضى الله عنه - قال: لما فتح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة انطلقت فوافقت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خرج من الكعبة، و أصحابه قد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، و قد وضعوا خدودهم على البيت و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - وسطهم، فسألت من كان معه، فقلت: كيف صنع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين دخل الكعبة؟ قال: صلى ركعتين. و رواه أبو داود و الطحاوى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - و البزار عن أبى هريرة، و أنس بن مالك، رواه الطبرانى - و وقع فى رواية فليح و أيوب عن نافع، و أبو الشعثاء عن ابن عمر قال: و نسيت أن أسأله أى بلالا، كم صلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و فى رواية ابن عون عن نافع بعد أن ذكر أن أسامة و بلالا و عثمان بن شيبه دخلوا معه. فدخلت البيت، فقلت: أين صلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم -؟ قالوا: ههنا، و نسيت أن أسألهم كم صلى، و سيأتى الجواب عن ذلك فى التنبيهات.

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من البيت و صلاته قبل الكعبة

روى أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبة، و قال: «هذه القبلة» [(٤)].

[(١)] عبد الله بن نمير الهمداني الخارفي بمعجمة ثم ألف ثم مهملة أبو هشام الكوفى. عن إسماعيل بن أبى خالد و هشام و الأعمش و خلق. و عنه أحمد و ابن معين و ابن المدينى و خلق. وثقه ابن معين. قال ابنه محمد: مات سنة تسع و تسعين و مائة. الخلاصة ٢ / ١٠٦.

[(٢)] سيف بن سليمان المخزومى مولاهم المكى نزيل البصرة. عن مجاهد و عدى بن عدى، و عنه ابن المبارك و أبو نعيم، وثقه القطان و النسائى. قال ابن معين: توفى سنة إحدى و خمسين و مائة. الخلاصة ١ / ٤٣٦.

[(٣)] أخرجه البخارى ١ / ٦٨٨ (٥٠٤، ٥٠٥)، و مسلم ٢ / ٩٦٦ (٣٨٨، ٣٨٩ / ١٣٢٩) (٣٩٠ / ١٣٢٩) و مالك ١ / ٣٩٨ (١٩٣).

[(٤)] أخرجه البخارى ١ / ٥٠١ (٣٩٨) و مسلم ٢ / ٩٦٨ (٣٩٥ / ١٢٣٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٢

قال محمد بن عمر: ثم خرج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من البيت و المفتاح فى يده، و خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم روى عن برة بنت ابي تجراء بفتح الفوقية، و كسر الجيم، و بالراء - رضى الله عنها - قالت: نظرت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و فى يده المفتاح ثم جعله فى كفه [(١)].

ذكر خطبته - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

روى الإمام أحمد، و أبو داود، و النسائى، و ابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب و البخارى فى صحيحه عن مجاهد. و ابن ابي شيبه ... و ابن إسحاق عن صفية بنت شيبه، و البيهقى عن عبد الله بن عمر، و ابن ابي شيبه عن عبد الله ابن عبيدة قالوا: إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما خرج من البيت استكف له الناس، و أشرف على الناس و قد ليط بهم حول الكعبة - و هم جلوس - قام على بابه فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده» و لفظ الإمام أحمد، و محمد بن عمر: «الحمد لله الذى صدق وعده، ثم اتفقوا» (و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ذا تقولون؟ ما ذا تظنون؟) قالوا: نقول خيرا و نظن خيرا، نبى كريم، و أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت. فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فإنى أقول كما قال أخى يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين؟» [يوسف ٩٢] «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الإسلام، ثم قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ألا إن كل ربا فى الجاهلية أو دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين - و أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث إلا سدانه البيت و سقاية الحاج، ألا و فى قتل العصا و السوط و الخطأ شبه العمد الدية مغلظة مائة ناقة، منها أربعون فى بطونها أولادها، ألا و إن الله تعالى - قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تكبرها بآبائها، كلكم لآدم و آدم من تراب» [(٢)]. ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله على ما تنصرون خبير [الحجرات ١٣] «يا أيها الناس!! الناس رجالان، فبرّ تقى كريم و كافر شقى هين على الله، ألا إن الله - تعالى - حرّم مكة يوم خلق السموات و الأرض، و وضع هذين الأخشين، فهى حرام بحرام الله، لم تحل لأحد كان قبلى، و لن تحل لأحد كائن بعدى، لم تحل لى إلا ساعة من نهار يقصيرها - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيده هكذا - و لا ينفر صيدها، و لا يعضد عضائها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد، و لا يختلى خلاها» فقال العباس،

[(١)] المغازى للواقدي ٢ / ٨٣٥.

[(٢)] أخرجه البيهقى ٩ / ١١٨ من حديث ابي هريرة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٣

و كان شيخا مجربا: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد لنا منه - للقين و ظهور البيوت، فسكت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ساعة ثم قال: «إلما الإذخر فإنه حلال، و لا وصية لوارث، و إن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و لا يحل لامرأة أن تعطى من مال زوجها إلا بإذن زوجها، و المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة، و المسلمون يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، و هم يردّ عليهم أقصاهم، و يعقل عليهم أديانهم، و مشدّهم على مضعفهم و مثيرهم على قاعدتهم، و لا يقتل مسلم بكافر، و لا ذو عهد فى عهده، و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، و لا - جلب و لا - جنب، و لا تؤخذ صدقات المسلمين إلا فى بيوتهم و بأفئنتهم، و لا تنكح المرأة على عمتها و لا على خالتها. و البيئنة على من ادعى، و اليمين على من أنكر، و لا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى محرم، و لا صلاة بعد العصر، و بعد الصبح، و أنهاكم عن صيام يومين يوم الأضحى و يوم الفطر، و عن لبستين ألا يحتبى أحدكم فى ثوب واحد يفضى

بعورته إلى السِّماء، و ألا يشتمل الصِّماء، فقام رجل فقال: يا رسول الله إنني قد عاهرت في الجاهليّة، فقال: من عاهر بامرأة لا يملكها- أو أمة قوم آخرين لا يملكها- ثم ادّعى ولده بعد ذلك فإنه لا يجوز له، ولا يرث ولا يورث ولا أخالكم إلّا قد عرفتموها يا معشر المسلمين كفّوا السِّلاح إلّا خزاعه، عن بنى بكر من ضحوه نهار الفتح إلى صلاة العصر منه- فخطبهم ساعة- وهي الساعة التي أحلت لرسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- و لم تحل لأحد قبله، ثم قال لهم: «كفوا السِّلاح فقام أبو شاء فقال: اكتب لى يا رسول الله، فقال «اكتبوا لأبى شاء، أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم» [(١)].

قال الزهري- فيما رواه عبد الرزاق، و الطبرانى: ثم نزل- و نزل رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- و معه المفتاح، فتنحى ناحية من المسجد، فجلس عند السقاية.

قال شيوخ محمد بن عمر: و كان- صَلَّى الله عليه و سلّم- قد قبض مفتاح السقاية من العباس، و مفتاح البيت من عثمان. و روى ابن أبى شيبه عن عبد الله بن عبيد: أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- بعد خطبته عدل إلى جانب المسجد فأتى بدلو من ماء زمزم، فغسل منها وجهه ما يقع منه قطرة إلا في يد إنسان إن كانت قدر ما يحسوها حساها و إلا مسح جلده. و المشركون ينظرون فقالوا: ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. و لا قوما أحق من القوم.

[(١)] أخرجه البخارى (٢٤٣٤)، مسلم فى الحج (٤٤٧، ٤٤٨)، و أبو داود (٢٠١٧) (٣٦٤٩، ٤٥٠٥) و الترمذى (٢٦٦٧) و أحمد ٢ / ٢٣٨ و البيهقى ٨ / ٥٢ و الدار قطنى ٩٧٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٤٤.

ذكر تصديقه- صَلَّى الله عليه و سلّم- لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده- صَلَّى الله عليه و سلّم- يضعه حيث شاء و نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا

[النساء ٥٨]

روى ابن سعد عن إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه، محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: قال عثمان بن طلحة: لقيني رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- بمكة قبل الهجرة، فدعاني إلى الإسلام فقلت: يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك، و قد خالفت دين قومك و جئت بدين محدث، و كنا نفتح الكعبة فى الجاهليّة الاثني و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت عليه و نلت منه، فحلم عني، ثم قال: «يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت» فقلت، لقد هلكت قريش و ذلت. قال: «بل عمرت يومئذ و عزّت»، و دخل الكعبة، فوقعت كلمته منى موقعا فظننت أن الأمر سيصير كما قال، فأردت الإسلام فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا، فلما كان يوم الفتح قال لى يا عثمان: «أنت بالمفتاح» فأتيته به. فأخذه منى، ثم دفعه إلى و قال: «خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» فلما وليت نادانى، فرجعت إليه، فقال: «ألم يكن الذى قلت لك؟ فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة «لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت» فقلت: بلى. أشهد أنك رسول الله، فقام علي بن أبى طالب و مفتاح الكعبة بيده فقال: يا رسول الله- اجمع لنا الحجابة مع السقاية! فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- أين عثمان بن طلحة؟ فدعا فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برو و وفاء» قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- مضطبع بثوبه عليه، و قال «غيبوه. إن الله تعالى رضى لكم بها فى الجاهليّة و الإسلام»

[(١)].

و روى الفاكهى عن جبير بن مطعم: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما ناول عثمان المفتاح قال له «غيبه» قال الزهرى: فلذلك يغيب المفتاح.

و روى ابن عائذ، و ابن أبى شيبه من مرسل عبد الرحمن ابن سابط: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، فقال: «خذوها خالدة مخلدة، إني لم أدفعها إليكم، ولكن الله - تعالى - دفعها إليكم، و لا ينزعها منكم إلا ظالم».

و روى ابن عائذ أيضا، و الأزرقى عن ابن جريح - رحمه الله - تعالى - أن عليا - رضى الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: اجمع لنا الحجاب و السقاية فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا

[(١)] انظر البدآية و النهاية ٣٠١ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى دمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٥

[النساء ٥٨] فدعا عثمان فقال: «خذوها يا بنى شيبه خالدة مخلدة».

و فى لفظ: «تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم».

و روى الأزرقى عن جابر و مجاهد قال: نزلت هذه الآية «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة. فقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفتاح الكعبة و دخل فى الكعبة يوم الفتح، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، و قال - صلى الله عليه وسلم - «خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة الله - سبحانه و تعالى - لا ينزعها منكم إلا ظالم».

[(١)]

و قال عمر بن الخطاب: لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكعبة خرج و هو يتلو هذه الآية، ما سمعته يتلوها قبل ذلك. و روى أيضا نحوه عن سعيد بن المسيب قال: دفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة يوم الفتح، و قال: «خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة لا يظلمكموها إلا كافر».

و روى عبد الرزاق و الطبرانى عن الزهرى: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خرج من البيت قال على: «إنا أعطينا النبوة و السقاية، و الحجاب، ما قوم بأعظم نصيبا منا فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح إليه و قال: «غيبوه».

و قال عبد الرزاق عن ابن جريح عن ابن ابى مليكة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلى يومئذ حين كلمه فى المفتاح: «إنما أعطيتكم ما ترزؤون، و لم أعطكم ما ترزؤون» يقول: «أعطيتكم السقاية لأنكم تغرمون فيها، و لم أعطكم البيت».

قال عبد الرزاق: أى أنهم يأخذون من هديته.

و روى عبد الرزاق عن ابن أبى مليكة: أن العباس - رضى الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: يا نبي الله!! اجمع لنا الحجاب مع السقاية، و نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ادعوا لى عثمان بن طلحة، فدعى له فدفع له النبي - صلى الله عليه وسلم - المفتاح، و ستر عليه، قال: فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول من ستر عليه، ثم قال: «خذوها يا بنى طلحة لا ينتزعها منكم إلا ظالم».

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - ركعتين فى قبل الكعبة

عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال: حضرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح صلى

[(١)] أخرجه الطبراني في الكبير ١١ / ١٢٠، و انظر المجمع ٣ / ٢٨٥ و ابن سعد ٢ / ١ / ٩٩، و أبو نعيم في تاريخ أصفهان ١ / ٢٤٨ و السيوطي في الدر المنثور ٢ / ١٧٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٦

فى قبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، ثم استفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى أخذته سعة فركع. رواه ابن أبى شيبة فى المصنف.

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه و سلم - على ما قاتله الأنصار - رضى الله عنهم بينهم لما آمن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قريشا

روى أبو داود الطيالسى، و ابن أبى شيبة، و الإمام أحمد، و مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما فرغ من طوافه، أتى الصيفا فعلا منه حتى يرى البيت، فرفع يديه، و جعل يحمد الله - تعالى - و يذكره. و يدعو ما شاء الله أن يدعو. و الأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدر كته رغبة فى قريته، و رافة بعشيرته - قال أبو هريرة - رضى الله عنه - و جاء الوحي - و كان إذا جاء لم يخف علينا: فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى يقضى فلما قضى الوحي، قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «يا معشر الأنصار» قالوا:

ليبيك يا رسول الله، قال: «قلتم أما الرجل فأدر كته رغبة فى قريته، و رافة فى عشيرته» قالوا: قد قلنا ذلك يا رسول الله. قال: «فما أسمى إذن!! كلاً، إني عبد الله و رسوله، هاجرت إلى الله و إليكم، المحيا محياكم و الممات مماتكم» فأقبلوا إليه يبولون: و الله يا رسول الله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله و برسوله. فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «فإن الله و رسوله يعذرانكم و يصدقانكم» [(١)].

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه و سلم - على ما هم به أبو سفیان و ما أسره لهند بنت عتبة

روى ابن سعد عن أبى إسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - و الحاكم فى الإكليل، و البيهقى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قالاً: رأى أبو سفیان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يمشى و الناس يطئون عقبه، فقال بينه و بين نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال، و جمعت له جمعا؟ فجاء رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى ضرب بيده فى صدره فقال: «إذن يخزيك الله» فقال: أتوب إلى الله - تعالى - و أستغفر الله مما تفوّت به، ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة، إني كنت لأحدث نفسى بذلك [(٢)].

و روى محمد بن يحيى الذهلي - بالذال المعجمة، و اللام فى كتابه - جمع حديث الزهري - عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة

[(١)] مسلم ٣ / ١٤٠٧ فى الجهاد و السير باب فتح مكة (٨٦) و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٥٦ و الطحاوى فى المعانى ٣ / ٣٢٥.

[(٢)] ذكره ابن عساكر كما فى التهذيب ٦ / ٤٠٦، و البيهقى فى الدلائل ٤ / ١٠٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٧

ليلة الفتح، لم يزالوا فى تكبير و تهليل و طواف بالبيت حتى أصبحوا فقالوا أبو سفیان لهند:

أ ترين هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله قال: ثم أصبح فغدا أبو سفیان إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قلت لهند أ ترين هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله

فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله عز وجل و هند. و روى ابن سعد، و الحارث بن أبي أسامة، و ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم - رحمه الله تعالى - قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أبو سفيان جالس في المسجد فقال أبو سفيان: ما أدري بما يغلبنا محمد؟ فأتاه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فضرب صدره و قال: «بالله - تعالى - نغلبك» فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله [(١)].

و روى العقيلي و ابن عساكر عن ابن عباس - رضى الله تعالى - عنهم - قال: لقي رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أبا سفيان بن حرب في الطواف فقال: «يا أبا سفيان هل كان بينك و بين هند كذا و كذا؟ فقال أبو سفيان: فشت على هند سرى، لأفعلن بها و لأفعلن، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من طوافه لحق بأبي سفيان فقال: «يا أبا سفيان، لا تكلم هندا فإنها لم تفش من سرك شيئا» فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

ذكر مبايعته - صلى الله عليه و سلم - الناس على الإسلام

روى الإمام أحمد، و البيهقي عن الأسود بن خلف - رضى الله تعالى عنه - أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مسفلة، فبايع الناس على الإسلام فجاءه الكبار و الصغار، و الرجال و النساء، فبايعهم على الإيمان بالله - تعالى - و شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله [(٢)].

و قال الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير - رحمه الله تعالى -: اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأخذ على الناس السمع و الطاعة لله و لرسوله فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء و فيهن هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان متنبئة متكررة خوفا من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن يخبرها بما كان من صنعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها بحدثها ذلك، فلما دنين من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «بايعني على ألا تشركن بالله

[(١)] العقيلي في الضعفاء ١/ ٢٢٦، ٣/ ٥٧، و ابن عساكر كما في التهذيب ٦/ ٤٠٦، و الطحاوي في المعاني ٤/ ٣١٤ و ابن حجر في اللسان ٤/ ١٧٨.

[(٢)] أحمد في ٣/ ٤١٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٨

شيئا» فرفعت هند رأسها و قالت: و الله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ على الرجال فقال: «و لا تسرقن» فقالت: و الله إنى كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، و ما كنت أدري أ كان ذلك حلالا أم لا؟ فقال أبو سفيان: - و كان شاهدا لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل - عفا الله عنك - ثم قال: «و لا تزنين» فقالت: يا رسول الله: أو تزنى الحرة؟! ثم قال: «و لا تقتلن أولادكن» قالت: قد ربيناهم صغارا و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم، فضحك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عمر، ثم قال: «و لا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن و أرجلكن» فقالت: و الله إن إتيان البهتان لقبيح و لبعض التجاوز أمثل، ثم قال: «و لا تعصين» فقالت: فى معروف فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: لعمر: «بايعهن و استغفر لهن الله إن الله غفور رحيم» فبايعهن عمر، و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لا يوافق النساء و لا يمس جلد امرأة لم يحلفها الله - تعالى - له أو ذات محرم و روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت لا و الله ما مس يد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يد امرأة قط و فى رواية ما كان يبايعهن إلا كلاما و يقول إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة

ذكر أمره - صلى الله عليه وسلم - بتكسير الأصنام

قالوا: و نادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره [(٢)].

ذكر أذان بلال - رضى الله عنه - فوق الكعبة يوم الفتح و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى أبو يعلى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - و ابن هشام عن بعض أهل العلم، و البيهقى عن ابن إسحاق، و عن عروة، و ابن أبى شيبه عن أبى سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و الأزرقى عن ابن أبى مليكة، و محمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حانت الظهر أمر - بلالا أن يؤذن بالظهر يومئذ فوق الكعبة ليغيب بذلك المشركين، و قریش فوق رؤوس الجبال، و قد فر جماعة من وجوههم و تغيبوا، و أبو سفيان بن حرب، و عتاب - و لفظ ابن أبى شيبه: خالد بن أسيد، و الحارث بن هشام - جلوس بفناء الكعبة - و أسلموا بعد ذلك. فقال عتاب - أو خالد - بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيبه، و قال الحارث: أما و الله لو أعلم أنه محق

[(١)] أحمد ٦ / ٣٥٧ و انظر زاد المسير ٨ / ١٤٥ و ابن كثير فى البداية ٤ / ٣١٩.

[(٢)] ابن سعد فى الطبقات ٢ / ١ / ٩٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٤٩

لا تبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا، و قال بعض بنى سعيد بن العاص، لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة. و قال الحكم بن أبى العاص: هذا و الله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جمح على بنية أبى طلحة. و قال الحارث بن هشام: إن يكن الله - تعالى - يكرهه فسيغيره، و فى رواية: أن سهيل بن عمرو. قال مثل قول الحارث، فأتى جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال «قد علمت الذى قلت»

فقال الحارث و عتاب: نشهد إنك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك [(١)].

ذكر أمره - صلى الله عليه وسلم بتجديد الحرم يوم الفتح

روى الأزرقى عن محمد بن الأسود، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم، كان جبريل - صلى الله عليه وسلم - يدله على مواضعها، فلم تحرك حتى كان إسماعيل - صلى الله عليه وسلم - فجدها، ثم لم تحرك حتى كان قصي بن كلاب فجدها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تميم بن أسد الخزاعى فجدد أنصاب الحرم.

ذكر إسلام السائب بن عبد الله المخزومى - رضى الله عنه

روى ابن أبى شيبه، و الإمام أحمد عن مجاهد عن السائب: أنه كان شارك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الإسلام فى التجارة، فلما كان يوم الفتح أتاه فقال: «مرحبا بأخى و شريكى، كان لا يدارى و لا يمارى، يا سائب!! قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك و هى اليوم تتقبل منك» و كان ذا سلف و خلّة.

و روى الإمام أحمد عن مجاهد عن السائب بن عبد الله قال: جىء بى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة فجعل عثمان وغيره يثنون على، فقال رسول الله: «لا تعلمونى به، كان صاحبى».

ذكر إسلام الحارث بن هشام - رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة، دخلت أنا و عبد الله بن أبى ربيعه دار أم هانئ، فذكر حديث أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أجاز جوار أم هانئ، قال: فانطلقنا، فأقمنا يومين، ثم خرجنا إلى منازلنا، فجلسنا بأفئتيها لا يعرض لنا أحد، و كنا نخاف عمر بن الخطاب، فو الله إنى لجالس فى ملاءة مورسة على بابى ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدة من المسلمين فسلم و مضى، و جعلت أستحى أن يرانى رسول

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٧٨ / ٥،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥٠

الله - صلى الله عليه وسلم - و أذكر رؤيته إياى فى كل موطن مع المشركين ثم أذكر برّه و رحمته و صلته فألقاه و هو داخل المسجد، فلقينى بالبشر، فوقف حتى جئته فسلمت عليه، و شهدت بشهادة الحق، فقال: الحمد لله الذى هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام قال الحارث: فو الله ما رأيت مثل الإسلام جهل [(١)].

ذكر إسلام سهيل بن عمرو - رضى الله عنه

روى محمد بن عمر - رحمه الله - عن سهيل بن عمرو قال: لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة و ظهر، اقتحمت بيتى و أغلقت بابى على، و أرسلت إلى ابنى عبد الله أن اطلب لى جوارا من محمد فإنى لا آمن أن أقتل، فذهب عبد الله إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال:

يا رسول الله!! أبى تؤمنه؟ قال: «نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر» ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن حوله: «من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد إليه النظر فلعمرى إن سهيلا له عقل و شرف، و ما مثل سهيل جهل الإسلام، و لقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن بنافع له» فخرج ابنه عبد الله إلى أبيه فأخبره بما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقال سهيل: كان و الله برا صغيرا، برا كبيرا، فكان سهيل يقبل و يدبر آمنا و خرج إلى حنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو على شركه حتى أسلم بالجعرانة [(٢)].

ذكر إسلام عتبة و معتب و لى أبى لهب - رضى الله عنهما

روى ابن سعد عن ابن عباس عن أبيه - رضى الله عنهما - قال: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة فى الفتح قال لى: «أين ابنا أخيك عتبة و معتب ابنى أبى لهب. لا أراهما؟»

قلت: تنخيا فيمن تنخى من مشركى قريش، قال: «ائتنى بهما» فركبت إليهما بعزنة فأتيت بهما، فدعاهما إلى الإسلام فأسلما و بايعا، ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذ بأيديهما و انطلق بهما حتى أتى الملتزم، فدعا ساعة ثم انصرف و السرور يرى فى وجهه، فقلت: يا رسول الله سررك الله إنى أرى السرور فى وجهك، فقال: «إنى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى».

روی محمد بن عمر عن شیوخه قال: هرب عبد الله بن الزبیری إلى نجران، فأرسل حسان بن ثابت - رضی الله عنه - أبياتا يريد بها ابن الزبیری:

[(١)] الواقدي في المغازي ٢ / ٨٣١.

[(٢)] الواقدي في المغازي ٢ / ٨٤٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٥١ لا تعدمن رجلا أحلك بغضه نجران فى عيش أحد لئيم
بليت قناتك فى الحروب فألفت خوارة خوفا ذات و صوم

غضب الإله على الزبیری و ابنه و عذاب سوء فى الحياء مقيم و ذكر ابن إسحاق البيت الأول فقط فلما جاء ابن الزبیری شعر حسان،
خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو جالس فى أصحابه، فلما نظر إليه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «هذا ابن
الزبیری، و معه وجه فيه نور الإسلام فلما وقف على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال السّلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا
إله إلا الله و أنك عبده و رسوله، الحمد لله الذى هدانى للإسلام، لقد عاديتك، و أجلبت عليك و ركبت الفرس و البعير، و مشيت
على قدمي فى عدواتك، ثم هربت منك إلى نجران، و أنا أريد أن لا أقرّ بالإسلام أبدا، ثم أزدنى الله منه بخير، و ألقاه فى قلبى، و
حببه إلىّ.

و ذكرت ما كنت فيه من الضلالة و اتباع ما لا ينبغى من حجر يذبح له و يعبد، لا يدرى من عبده، و لا من لا يعبده.
قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «الحمد لله الذى هداك للإسلام، إن الإسلام يجب ما كان قبله»
و قال عبد الله حين أسلم:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغي و من مال ميله مثير
آمن اللحم و العظام لربى ثم قلبى الشهيد أنت التذير
إننى عنك زاجر ثم حيامن لؤى و كلهم مغرور و قال عبد الله أيضا حين أسلم:

منع الرقاد بلابل و هموم و الليل معتلج الزواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لآمنى فيه فبت كآئنى محموم
يا خير من حملت على أوصالها عيرانه سرح اليمين غشوم
إنى لمعتذر إليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطه سهم و تأمرنى بها مخزوم
و أمد أسباب الردى و يقودنى أمر الوشاء و أمرهم مشوم
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبى و مخطئ هذه محروم
مضت العداوة فانقضت أسبابها و دعت أواصر بيننا و حلوم
فاغفر فدى لك و الداي كلاهما زللى فإنك راحم مرحوم
و عليك من علم المليك علامة نور أغرّ و خاتم مختوم

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٥٢ أعطاك بعد محبة برهانه شرفا و برهان الإله عظيم
و لقد شهدت بأن دنك صادق حقّ، و أنك فى العباد جسم

والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى و أروم

ذكر إسلام عكرمة - رضى الله عنه - ابن أبي جهل

روى محمد بن عمر عن شيوخه - رحمه الله تعالى - و إياهم: أن عكرمة - رضى الله عنه - قال: بلغنى أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نذر دمي يوم الفتح، و كنت فى جمع من قريش بأسفل مكّة - و قد ضوى إلى من ضوى - فلقينا هناك خالد بن الوليد، فأوقع بنا، فهربت منه أريد و الله - أن ألقى نفسى فى البحر، و أموت تائها فى البلاد قبل أن أدخل فى الإسلام، فخرجت حتى انتهيت إلى الشّعبية، و كانت زوجتى أمّ حكيم بنت الحارث امرأة لها عقل، و كانت قد اتّبع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فدخلت على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقالت: يا رسول الله، إن ابن عمى قد هرب يلقى نفسه فى البحر فأمنه.

و روى ابن أبى شيبه و أبو داود، و النسائى عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله تعالى عنه، و البيهقى عن عروة - رحمه الله تعالى: أن عكرمة ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فنادى عكرمة اللات و العزى، فقال أهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً، فقال عكرمة: و الله لئن لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجنى فى البرّ غيره، اللهم لك عهدا إن أنت عافيتنى ممّا أنا فيه أن آت محمداً حتى أضع يدي فى يده، فلأجده عفوفاً غفوراً كريماً، فجاء و أسلم [(١)].

و روى البيهقى عن الزّهرى، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن أم حكيم امرأة عكرمة بن أبى جهل قالت لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - يا رسول الله: قد ذهب عكرمة عنك إلى اليمن، و خاف أن تقتله، فأمنه يا رسول الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «هو آمن»

فخرجت أمّ حكيم فى طلبه، و معها غلام لها رومى، فراودها عن نفسها فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حى من عك فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطاً، و أدركت عكرمة و قد انتهى إلى البحر، فركب سفينة، فجعل نوتى يقول له: أخلص أخلص، قال: أى شىء أقول؟ قال: قل لا - إله إلا الله، قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، و إن هذا أمر تعرفه العرب و العجم حتى التواتى! ما الدّين إلا ما جاء به محمد، و غير الله قلبى، و جاءتنى أمّ حكيم على هذا الأمر، فجعلت تليح إلى و تقول: يا ابن

[(١)] ابن سعد ٣ / ٢٦١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ٢٥٣

عم، جئتكم من عند أبرّ الناس، و أوصل الناس، و خير الناس، لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته، فقالت له: إنى قد استأمنت لك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأمنك، فرجع معها و قالت: ما لقيته من غلامك الرومى و أخبرته خبره فقتله و هو يومئذ لم يسلم.

فلما وافى مكّة قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «يأتىكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإنّ سب الميت يؤذى الحي و لا - يبلغ الميت» فجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه و تقول: أنت كافر و أنا مسلمة، فقال: إنّ امرأ منعك منى لأمر كبير قال ابن عقبه و الزهرى فيما رواه البيهقى و عروة و غيرهما: فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عكرمة وثب إليه - و ما علا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - رداء فرحا بعكرمة، ثمّ جلس رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فوقف عكرمة بين يديه و معه زوجته متنقبة، فقال: يا محمد!! إنّ هذه أخبرتنى أنك أمتتنى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «صدقت فأنت آمن» قال عكرمة: فإلام تدعو يا محمد؟ قال: «أدعو إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، و أنّى رسول الله، و تقيم الصّلاة، و تؤتى الزّكاة، و تفعل و تفعل» حتى عدّ خصال الإسلام، فقال عكرمة: و الله ما دعوت إلا إلى خير و أمر حسن جميل، قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا - إلى

ما دعوتنا إليه - وأنت أصدقنا حديثا، وأبرنا برا، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسرى بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: يا رسول الله: علمني خيرا شىء أقوله، قال: «تقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله»، قال عكرمة: ثم ما ذا؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تقول: «أشهد الله وأشهد أنى مسلم مجاهد مهاجر»، فقال عكرمة ذلك [١].

ذكر إسلام صفوان بن أمية - رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير، والبيهقي عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخته قالوا: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله - إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك وسلم - قال: «هو آمن» فخرج عمير حتى أدركه - وهو يريد أن يركب البحر - وقال صفوان لغلامه يسار - وليس معه غيره - ويحك!! أنظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير بن وهب، والله ما جاء إلا يريد قتلى قد ظاهر علي محمدا، فلحقه فقال: يا أبا وهب جعلت فداك، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جئتك به. قال: ويحك

[١] المغازى للواقدي ٢ / ٨٥١ والبيهقي في الدلائل ٥ / ٩٨.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥٤

أغرب عنى فلا - تكلمنى. قال: أى صفوان فداك أبى وأمى. أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسى. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، قال: ولا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فقال: امكث مكانك حتى آتيك بها، فرجع عمير إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن صفوان أبى أن يأنس لى حتى يرى منك أماره يعرفها، فنزع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمامته فأعطاه إياها، وهى البرد الذى دخل فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معتجرا به برد حبرة، فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلى بالمسلمين العصر فى المسجد، فلما سلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءنى ببردك، وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرا وإلا سيرتني شهرين. فقال: «انزل أبا وهب» قال: لا والله حتى تبين لى قال: «بل لك تسيير أربعة أشهر» فنزل صفوان، ولما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هوازن وفرق غنائمها فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صفوان ينظر إلى شعب ملآن نعما و شاء ورعاء، فأدام النظر إليه، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمقه فقال: «يا أبا وهب يعجبك هذا الشعب؟» قال: نعم قال: «هو لك وما فيه» فقبض صفوان ما فى الشعب،

وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وأسلم مكانه [١]

ذكر إسلام هند بنت عتبة و ما وقع فى ذلك من الآيات رضى الله عنها

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قالت هند بنت عتبة: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض خباء أو قالت من أهل خباء أريد أن

يذّلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض خباء أو قالت من أهل خباء أحب إلي من أن يعزّوا من أهل خباء أو قالت: خبائك، رواه الشيخان [(٢)].

و روى محمّد بن عمر عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - قال: سمعت مولاة لمروان بن الحكم تقول: سمعت هند بنت عتبة بن ربيعة تقول وهي تذكر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فتقول: أنا عاديته كلّ العداوة، وفعلت يوم أحد ما فعلت من المثلى بعّمه وأصحابه، وكلّما سيرت قريش مسيرة فأنا معها بنفسى أو معينه لقريش، حتّى أن كنت لأعين كلّ من غزا إلى محمد، حتّى تجردت من ثيابى، فرأيت فى النّوم ثلاث ليال ولاء بعد فتح مكّة، رأيت كأنى

[(١)] انظر المصدرين السابقين:

[(٢)] أخرجه البخارى ١٧٥ / ٧ (٣٨٢٥)، و البيهقى فى الدلائل ١٠٠ / ٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥٥

فى ظلمة لا أبصر سهلا ولا جبلا، وأرى تلك الظلمة انفرجت علىّ بضوء كأنه الشمس، وإذا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يدعونى، ثم رأيت فى الليلة الثانية، كأنى على طريق يدعونى، وإذا هبل عن يمينى يدعونى، وإذا إساف عن شمالى يدعونى، وإذا برسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بين يديّ يقول: «هلمى إلى الطّريق، ثم رأيت الليلة الثالثة كأنى واقفة على شفير جهنّم، يريدون أن يدفعونى فيها،

و إذا بهبل يقول أدخلوها فالتفت فأنظر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - من ورائى آخذ بثيابى، فتباعدت من شفير النّار فلا أرى النّار، ففزعت فقلت: ما هذا، وقد تبين لى، فغدوت من ساعتى إلى صنم فى بيت كنّا نجعل عليه منديلا، فأخذت قدوما فجعلت أفلذه و أقول: طالما كنّا منك فى غرور، و أسلمت.

و روى أيضا عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - أنّ هنداً أتت رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وهو بالأبطح، فأسلمت، و قالت: الحمد لله الذى أظهر الدّين الذى اختاره لنفسه لئتمسنى رحمتك يا محمد، إنى امرأة مؤمنة بالله، مصدّقة به ثم كشفت عن نقابها، فقالت: أنا هند بنت عتبة، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: «مرحبا بك»

فقالت يا رسول الله: والله ما كان على وجهه الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يذّلوا من خبائك، ولقد أصبحت و ما على الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزّوا من خبائك.

و روى أيضا عن أبى حصين الهذلى قال: لما أسلمت هند بنت عتبة، أرسلت إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بهديّة - وهو بالأبطح - مع مولاة لها بجديين مرضوفين وقد، فانتهدت الجارية إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فقالت: إن مولاتى أرسلت إليك هذه الهدية، و هى تعتذر إليك و تقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: «بارك الله لكم فى غنمكم و أكثر والدتها» و كانت المولاة تقول: لقد رأينا من كثرة غنمنا والدتها ما لم نكن نرى قبل ولا قريبا، فتقول هند: هذا بدعاء رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ثم تقول: لقد كنت أرى فى النّوم أنى فى الشّمس أبدا قائمه و الظلّ منى قريب لا أقدر عليه، فلما دنا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - رأيت كأنى دخلت الظلّ.

ذكر سبب خطبته - صَلَّى الله عليه وسلم - نانى يوم الفتح و تعظيمه حرمة مكّة

روى ابن أبى شيبه عن الزّهرى، و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: خرج غزى من هذيل فى الجاهليّة و فيهم جنيد بن الأدلع الهذلى يريدون حتّى أحمر بأسا من أسلم - و كان أحمر بأسا رجلا من أسلم شجاعا لا يرام، و كان لا ينام فى حيه إلّا ينام خارجا من حضره، و كان إذا نام غطّ غطيطا منكرا لا يخفى مكانه، و كان الحاضر إذا أتاهم فرع صرخوا: يا أحمر بأسا. فيثور مثل الأسد، فلما جاءهم ذلك

الغزى من هذيل قال لهم جنيد بن الأذلج: إن كان

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥٦

أحمر بأسا قد قيل فى الحاضر فليس إليهم سبيل، و إن له غطيظا لا يخفى، فدعونى اتسمع فتسمع الحس فسمعه، فأتاه حتى وجده نائما فقتله، وضع السيف على صدره، ثم اتكأ عليه فقتله ثم حملوا على الحى فصاح الحى يا أحمر بأسا، فلا شىء لأحمر بأسا، قد قتل - فنالوا من الحى حاجتهم، ثم انصرفوا و تشاغل الناس بالإسلام، فلما كان بعد الفتح بيوم دخل جنيد بن الأذلج الهذلى مكة يرتاد و ينظر و الناس آمنون، فرآه جندب بن الأعجم الأسلمى فقال: جنيد بن الأذلج قاتل أحمر بأسا؟ قال: نعم فمه، فخرج جندب يستجيش عليه حيه، فكان أول من لقي خراش بن أمية الكعبى فأخبره. فاشتمل خراش على السيف ثم أقبل إليه - و الناس حوله، و هو يحدثهم عن قتل أحمر بأسا فينما هم مجتمعون عليه إذ أقبل خراش بن أمية فقال: هكذا عن الرجل. فو الله ما ظنّ الناس إلا أنه يفرج الناس عنه لينصرفوا، فانفروا فحمل عليه خراش بن أمية بالسيف فطعنه به فى بطنه و ابن الأذلج مستند إلى جدار من جدر مكة، فجعلت حشوته تسيل من بطنه، و إن عينيه لتزقان فى رأسه، و هو يقول: فعلتموها يا معشر خزاعة؟ فانجعف فوق فمات.

فسمع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بذلك فقال: «يا معشر خزاعة» ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل، لقد قتلتم قتيلا لأدينه، إن خراشا لقتال - يعيبه بذلك.

لو كنت قاتلا مؤمنا بكافر لقتلت خراشا

[١].

و روى الشيخان و الترمذى عن ابن شريح خويلد بن عمرو العدوى، و الشيخان عن ابن عباس، و ابن منيع بسند صحيح، و ابن أبى عمرو. و الإمام أحمد، و البيهقى عن ابن عمر، و ابن أبى شيبه، و الشيخان عن أبى هريرة - رضى الله عنهم - و ابن أبى شيبه عن الزهرى، و ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: لما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه - و هو مشرك - فقام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خطيبا بعد الظهر، و أسند ظهره إلى الكعبة.

و عند ابن أبى شيبه عن أبى هريرة: أنه - صلى الله عليه و سلم - ركب راحلته فحمد الله و أثنى عليه، و قال: «أيها الناس إن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات و الأرض و يوم خلق الشمس و القمر، و وضع هذين الجبلين، و لم يحرمها الناس، فهى حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك فيها دما و لا يعضد فيها شجرا، لم تحل لأحد كان قبلى، و لم تحل لأحد يكون بعدى، و لم تحل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها - ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد قاتل فيها فقولوا له: إن الله تعالى قد أحلها لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - و لم يحلها لكم،

[١] أخرجه الطحاوى فى المعانى ٣/ ٣٢٧ و انظر الفتح ١٢/ ٢٠٦ و البداية ٤/ ٣٠٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٥٧

أيها الناس، إن أعدى الناس على الله من قتل فى الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد و الله كثر إن نفع، فقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظيرين إن شاءوا فديته كاملة، و إن شاءوا فقتله ثم ودى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة. قال ابن هشام: مائة ناقة. قال ابن هشام:

و بلغنى أنه أول قتل و داه رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

[١].

ذكر قتله - صلى الله عليه و سلم - ف قد يشاءنا لاقتنا صا

روى مسلم عن عبد الله بن مطيع بن الأسود عن أبيه - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول يوم فتح مكة: «لا يقتل قريشياً صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة» [(٢)].

و روى محمد بن عمر عن أبي حصين الهذلي قال: لما قتل النفر الذين أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتلهم سمع النوح عليهم بمكة، وجاء أبو سفیان بن حرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: فداك ابى و أمى البقيّة فى قومك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يقتل قريشياً صبراً بعد اليوم» قال محمد بن عمر: يعنى على الكفر [(٣)].

و روى أيضا عن الحارث بن البرصاء - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة على الكفر» [(٤)].

ذكر استسلافه - صلى الله عليه وسلم - مالا و تفرقة على المحتاجين ممن كان معه

روى محمد بن عمر عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال: أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح، فاستسلف من عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة أربعين ألف درهم، فأعطاه، فلما فتح الله تعالى هوازن، و غنمه أموالها ردها، و قال: «إنما جزاء السلف الحمد و الأداء»، و قال: «بارك الله لك فى مالك و ولدك» [(٥)].

[(١)] انظر المغازى للواقدي ٢ / ٨٤٤.

[(٢)] أخرجه مسلم فى الجهاد باب ٣٣ حديث (٨٨)، و الدارمى ٢ / ١٩٨ و الحميدى (٥٦٨). و الطبرانى فى الكبير ٧ / ٨٨ و أحمد ٣ / ٤١٢، و الطحاوى فى المعانى ٣ / ٣٢٦ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٧٩ و ابن أبى شيبة ١٢ / ١٧٣، ١٤ / ٩٠. [(٣)] المغازى للواقدي ٢ / ٨٦٢.

[(٤)] الواقدي ٢ / ٨٦٢ و ابن سعد ٢ / ١ / ٩٩، و الطبرانى فى الكبير ٣ / ٢٩٢ و ابن أبى شيبة ١٤ / ٤٩٠ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٧٥. [(٥)] الواقدي ٢ / ٨٦٣ و النسائى فى البيوع باب ٩٧ و البيهقى فى السنن ٥ / ٣٥٥، و أبو نعيم فى الحلية ٧ / ١١١ و البخارى فى التاريخ ٥ / ١٠ و ابن السنى ٢٧٢، و أحمد ٤ / ٣٦ و ابن ماجه (٢٤٢٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٥٨

و روى أيضا عن أبى حصين الهذلي قال: استقرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ثلاثة نفر من قريش، من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه. و من عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم، و من حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم، فكانت ثلاثين و مائة ألف درهم، فقسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه من أهل الضعف، قال أبو حصين، فأخبرنى رجال من بنى كنانة كانوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الفتح أنه قسم فيهم دراهم فيصيب الرجل خمسين درهما أو أقل أو أكثر من ذلك [(١)].

ذكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن ثمن الخمر و الخنزير و عن الميتة و بعض فتاويه و أحكامه

روى ابن أبي شيبة عن جابر - رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح يقول: «إن الله تعالى حرم بيع الخمر والخنازير والميتة والأصنام» فقال رجل: يا رسول الله!! ما ترى فى شحوم الميتة فإنه يدهن بها السيفن والجلود، ويستصبح بها؟ قال: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومهما أخذوها فجمدوها ثم باعوها و أكلوا ثمنها» [(٢)].

و روى ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن الأزهر - رضى الله عنه - قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح - وأنا غلام شاب - ينزل عند منزل خالد بن الوليد، و أتى بشارب فأمرهم فضربوه بما فى أيديهم، فمنهم من ضرب بالسوط، و بالتعل، و بالعصا و حثا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب [(٣)].

و روى الشيخان عن عائشة أن هند بنت عتبة سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيئك، فهل من حرج أن أطعم من الذى له عيالنا؟ فقال لها: «لا عليك أن تطعميهم بالمعروف» [(٤)].

و عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان عتبة بن أبى وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض عبد الرحمن بن وليدة زمعة، و قال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة فى الفتح رأى سعد الغلام فعرفه بالشبه فاحتضنه إليه و قال: ابن أخى و رب الكعبة، فأقبل به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و أقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبى وقاص: هذا ابن أخى عهد إلى

[(١)] المغازى ٢ / ٨٦٣.

[(٢)] أخرجه من حديث جابر البخارى ٤ / ٤٢٤ (٢٢٣٦) و مسلم ٣ / ١٢٠٧ (٧١ / ١٥٨١) و من حديث ابن عمر البخارى ٤ / ٤١٤ (٢٢٢٣) و مسلم ٣ / ١٢٠٧ (٧٢ / ١٥٨٢).

[(٣)] البيهقى ٨ / ٣١٩.

[(٤)] أخرجه البخارى ٩ / ٥٠٧ (٣٦٤) و مسلم ٣ / ١٣٣٨ (٧ / ١٧١٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٥٩

أنه ابنه، فقال عبد بن زمعة: يا رسول الله، هذا أخى، هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبى وقاص فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «هو» - أى الولد «لك هو أخوك يا عبد بن زمعة، من أجل أنه ولد على فراشه، الولد للفراش، و للعاهر الحجر، و احتججى منه يا سودة، لما رأى من شبه عتبة بن أبى وقاص بالولد.

رواه البخارى

[(١)].

و عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - أن امرأة سرت فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقيل: و من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ ففرغ قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أ تكلمنى» و فى لفظ «أتشفع فى حد من حدود الله؟!» قال أسامة: يا رسول الله استغفر لى فلما كان العشي قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيباً فأثنى على الله - تعالى - بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الناس» و فى لفظ «هلك بنو إسرائيل» و فى لفظ «الذين من قبلكم» أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، و إذا سرق فيهم الضعيف و فى لفظ الوضيع قطعوه» و فى لفظ: أقاموا عليه الحد، و أذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطع يدها» ثم أمر رسول الله - صلى الله

عليه و سلم - بتلك المرأة و في رواية النسائي «قم يا بلال، فخذ بيدها فاقطعها» فحسنت توبتها بعد ذلك، و تزوجت رجلا من بنى سليم، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - رواه الإمام أحمد و الشَّيْخَان و النَّسَائِي و البيهقي

[(٢)]

ذكر من نذر ان فتح الله تعالى مكة على رسوله ان يصلوا بيت المقدس

عن جابر - رضى الله عنه - أن رجلا قال يوم الفتح، إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : «صل ههنا» فسأله فقال: «صل ههنا» فسأله: فقال شأنك إذن، رواه الإمام أحمد، و أبو داود بإسناد صحيح و الحاكم

و قال: على شرط مسلم، و الإمام أحمد و أبو داود

و في رواية عن بعض الصحابة، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : «و أَلَدِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَوْ صَلَّيْتُ هَهُنَا لَقَضَى عَنْكَ ذَلِكَ كُلَّ صَلَاةٍ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ»

[(٣)]

[(١)] أخرجه البخارى ٥ / ٣٧١ (٢٧٤٥) و مسلم ٢ / ١٠٨٠ (١٤٥٧ / ٣٦).

[(٢)] أخرجه البخارى ٦ / ٥١٣ (٣٤٧٥) و مسلم ٣ / ١٣١٥ (١٦٨٨ / ٨) احمد ٣ / ٣٦٣.

[(٣)] أحمد ٣ / ٣٦٣ و أبو داود (٣٣٠٥)، و البيهقي ١٠ / ٨٢ و الدارمي ٢ / ١٨٥ و الطحاوي في المعاني ٣ / ١١٥ و البخارى في التاريخ ٦ / ١٧٠ و الحاكم ٤ / ٣٠٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٠

ذكر قوله - صلى الله عليه و سلم - لا تغزى مكة بعد اليوم

عن الحارث بن مالك - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقول يوم فتح مكة: «لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة» رواه الإمام أحمد، و الترمذى، و قال: حديث حسن صحيح. قال العلماء: معنى قوله: «لا تغزى» يعنى على الكفر.

ذكر إرساله - صلى الله عليه و سلم - السرايا لهدم الأصنام التي حول مكة، و الإغارة على من لم يسلم

روى محمد بن عمر عن عبيد بن عمير - رحمه الله تعالى - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في يوم فتح مكة: لم تحل لنا غنائم مكة

[(١)] و روى أيضا عن يعقوب بن عتبة قال:

لم يغنم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من مكة شيئا، و كان يبعث السرايا خارجة من الحرم، و عرفة، و الحل، فيغنمون و يرجعون إليه، قالوا: بعث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خالد بن الوليد لهدم العزى، و خالد بن سعيد بن العاص قبل عرنة، و هشام بن العاص قبل يلملم، و سعد بن زيد الأشهلى إلى مناة، و غيرهم، و سيأتى بيان ذلك مبسوطا في السرايا - إن شاء الله تعالى

ذكر قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا هجرة بعد الفتح

و ذلك أن مكة شرفها الله تعالى كانت قبل الفتح دار حرب، و كانت الهجرة منها واجبة إلى المدينة، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام، فانقطعت الهجرة منها.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الفتح فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، و لكن جهاد و نية و إذا استنفرتم فانفروا» رواه الشيخان.

و عن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله تعالى - قال: زرت عائشة - رضي الله عنها - مع عبيد بن عمير الليثي، و هي مجاورة بشير فسألها عن الهجرة فقالت: «لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفتر أحدهم بدينه إلى الله و رسوله مخافة أن يفتن عنه، فأما اليوم فقد أظهر الله تعالى الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث كان، و لكن جهاد و نية». رواه الشيخان.

و عن يعلى بن صفوان بن أمية - رضي الله عنهما - قال: جئت بأبي يوم الفتح، فقلت: يا رسول الله بايع أبي على الهجرة، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «بل أبايعه على الجهاد، فقد انقضت الهجرة». رواه الإمام أحمد و النسائي. و روى ابن أبي أسامة عن مجاهد - مرسلًا. قال: جاء يعلى بن صفوان بن أمية - رضي

[(١)] أحمد ٦ / ٤٦٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦١

الله عنهما - بعد الفتح فقال: يا رسول الله - اجعل لأبي نصيبا فى الهجرة، فقال: «لا هجرة بعد اليوم» فأتى العباس فقال: يا أبا الفضل، أ لست قد عرفت بلائى؟ قال: بلى، و ما ذا؟ قال: أتيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأبي ليبيعه على الهجرة فأبى، فقام العباس معه فى قيظ ما عليه رداء، فقال لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أتاك يعلى بأبيه لتبايعه على الهجرة فلم تفعل، فقال: إنه لا هجرة اليوم» قال: أقسمت عليك يا رسول الله لتبايعه، فمد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يده فبايعه فقال: «قد أبررت عمى و لا هجرة».

ذكر قدر إقامته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أقام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة تسعة عشر يوما يصلى ركعتين، و فى لفظ «أقمنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة تسعة عشر نقصر الصلاة [(١)]» رواه البخارى. و أبو داود، و عنده سبعة عشر بتقديم السنين على الموحدة و عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال: غزوت مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الفتح، فأقام بمكة ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلّا ركعتين». رواه أبو داود.

و عن أنس - رضي الله عنه - قال: «أقمنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عشرة نقصر الصلاة».

رواه البخارى فى باب مقام النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة زمان الفتح و عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود و عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أقام بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة» رواه أبو داود من طريق ابن إسحاق، و النسائي من طريق عراك بن مالك كلاهما عن عبيد الله، و صححه الحافظ.

ذكر اخباره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذا الجوشن بانه سيظهر على قريش

روى ابن سعد عن ابن إسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - قال: قدم ذو الجوشن الكلابى على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال له: «ما يمنعك من الإسلام؟» قال: رأيت قومك كذبوك و أخرجوك و قاتلوك، فأنظر، فإن ظهرت عليهم أمنت بك و أتبعتك، و

إن ظهروا عليكم لم أتبعك، فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «يا ذا الجوشن لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهوري عليهم» [(٢)] قال فو الله إنى لبصريه إذ قدم علينا راكب من قبل مكة، فقلنا ما الخبر؟ قال: ظهر محمد على أهل مكة، فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قلت: و أسلم بعد ذلك، و روى عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

[(١)] سيأتي في هديه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قصر الصلاة.

[(٢)] أحمد في المسند ٤ / ٦٨ و ابن أبي شيبة ١٤ / ٣٧٥ و ابن سعد ٦ / ٣١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٢

ذكر بعض ما قيل من الشعر في فتح مكة - زادها الله تعالى شرفا

قال حسان بن ثابت - رضى الله عنه - في غزوة الحديبية مشيرا إلى الفتح، و بعضها فى الجاهلية، كما ورد ذلك عنه، و هو ما أسقطته منها فى وصف الخمر:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيتها الرّوامس و السّماء إلى أن قال:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير التّع موعدها كداء

ينازعن الأعنة مصغيات على أكتافها الأسل الظّماء

تظلّ جيادنا متمطّرات يلطمهنّ بالخمر النّساء

فإما تعرضوا عنا اعتمروا كان الفتح و انكشف الغطاء

و إلّا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء

و جبريل رسول الله فينا و روح القدس ليس له كفاء

و قال الله قد أرسلت عبدا يقول الحقّ إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدّقوه فقلتم لا نقوم و لا نشاء

و قال الله قد سيّرت جندهم الأنصار عرضتها اللّقاء

لنا فى كلّ يوم من معدّسباب أو قتال أو هجاء

فنحكّم بالقوافى من هجانا و نضرب حين تختلط الدّماء

ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلظة فقد برح الجفاء

بأنّ سيوفنا تركتك عبدا و عبد الدّار سادتها الإماء

هجوت محمّدا و أجت عنه و عند الله فى ذاك الجزاء

أ تهجوه و لست له بكفء فشترّ كما لخير كما الفداء

هجوت مباركا بزا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء

فإنّ أبى و والدتى و عرضى لعرض محمّد منكم و قاء

فسوف يجتّبكم عنه حسام يصوغ المحكمات كما يشاء

لسانى صارم لا عيب فيه و بحرى لا تكدره الدلاء و قال كعب بن مالك - رضى الله عنه -:

قضينا من تهامة كل إرب و خبير ثم أجملنا السيوف

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٣ نخبرها و لو نطقت لقاتل قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلست لحاضن إن لم تروها بساحة داركم منا ألوفا

و ننتزع العروس ببطن و جّ و تصبح داركم منكم خلوفا

و يأتىكم لنا سرعان خيل يغادر خلفه جمعا كثيفا

إذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها ممّا أناخ بها رجيفا

بأيديهم قواضب مرهفات يزرن المصطلين بها الحتوفا

كأمثال العقائق أخلصتها قيون الهند لم تضرب كتيفا

تخال جديّة الأبطال فيها غداة الرّحف جاديا مذوفا

أجدّهم أليس لهم نصيح من الأقوام كان بنا عريفا

يخبرهم بأنّا قد جمعنا عتاق الخيل و النّجب الطّروفا

و أنا قد أتيناهم بزحف يحيط بسور حصنهم صفوفا

رئيسهم النّبى و كان صلبانقى القلب مصطبرا عزوفا

رشيد الأمر ذا حكم و علم و حلم لم يكن نزقا خفيفا

نطيع نبينا و نطيع ربّاهو الرّحمن كان بنا رؤوفا

فإن تلقوا إلينا السّلم نقبل و نجعلكم لنا عضدا و ريفا

و إن تابوا نجاهدكم و نصبرو لا يك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تنيبوا إلى الإسلام إذعانا مضيّفا

نجالد لا نبالى من لقينا أهلكننا التّلالد أم الطّريفا

و كم من معشر ألبوا علينا صميم الجذم منهم و الحليفا

أتونا لا يرون لهم كفاء فجدعنا المسامع و الأنوفا

بكلّ مهتد لين صقيل نسوقهم بها سوقا عنيفا

لأمر الله و الإسلام حتّى يقوم الدّين معتدلا حنيفا

و تنسى اللّات و العزى و ودّو نسلها القلائد و الشّنوفا

فأمسوا قد أقروا و اطمأنّوا و من لا يمتنع يقبل خسوفا و قال أنس بن زعيم الدّيبلى - رضى الله عنه -: يعتذر إلى رسول الله - صلّى الله

عليه و سلّم - مما كان قال فيه عمرو بن سالم الخزاعى - رضى الله عنه:

أ أنت الذى تهدى معدّ بأمره بل الله يهديهم و قال لك اشهد

و ما حملت من ناقه فوق رحلها أبرّ و أوفى ذمّه من محمّد

أحتّ على خير و أسبغ نائلا إذا راح كالسيف الصّقيل المهتد

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٤ و أكسى لبرد الخال قبل ابتداله و أعطى لرأس السّابق المتجرّد

تعلّم رسول الله أنّك مدركى و أنّ وعيدا منك كالأخذ باليد

تعلّم رسول الله أنّك قادر على كلّ صرم متهمين و منجد

تَعْلَمُ بِأَنَّ الرُّكْبَ رَكِبَ عَوِيْمَرَهُمُ الكَاذِبُونَ المَخْلُفُو كُلِّ مَوْعِدٍ
وَتَبَّوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ اُنِّىْ هَجَوْتُهُ فَلَآ حَمَلْتِ سُوْطِىْ اِلَيّْىْ اِذَا يَدِىْ
سُوْىِ اُنْتِىْ قَدْ قَلْتِ وَيْلٌ اُمَّ فْتِيَةٌ اَصِيْبُوْا بِنَحْسٍ لَّا يَبْلُغُ وَاَسْعَدُ
اَصَابَهُمْ مِّنْ لَّمْ يَكُنْ لِّدِمَائِهِمْ كِفَاءٌ فَعَزَّتْ عِبْرَتِيْ وَتَبَلَّدِيْ
وَ اِنَّكَ قَدْ اَخْفَرْتِ اِنْ كُنْتِ سَاعِيَا بَعْدَ بِنِ عَبْدِ اللّٰهِ وَ ابْنَهُ مَهُوْدُ
ذُوْىْبِ وَ كَلْثُوْمِ وَ سَلْمَى تَتَابَعُوْا جَمِيْعًا فَاِلَّا تَدْمَعُ الْعَيْنُ اَكْمَدُ
وَ سَلْمَى وَ سَلْمَى لَيْسَ حَتّٰى كَمِثْلِهِ وَ اِخْوَتُهُ اَوْ هَلْ مَلُوْكَ كَاَعْبُدُ
فَاِنِّىْ لَّا ذَنْبًا فَتَقْتِ وَ لَّا دِمَاهِرَقْتِ تَبَيَّنَ عَالَمُ الْحَقِّ وَ اَقْصَدُ وَ يَرْحَمُ اللّٰهُ تَعَالٰى الْاِمَامَ اَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللّٰهِ بِنِ اَبِيْ زَكَرِيَّا الشَّقْرَاطُسَى حَيْثُ
قَالَ:

وَ يَوْمَ مَكَّةَ اِذَا اشْرَفْتِ فِىْ اُمَّمٍ تَضِيْقُ عَنْهَا فِجَاجُ الْوَعْثِ وَ السَّهْلِ
خَوَافِقُ ضَاقُ ذُرْعُ الْخَافِقِيْنَ بِهَافِيْ قَاتِمٍ مِّنْ عِجَاجِ الْخَيْلِ وَ الْاِبْلِ
وَ جِحْفَلٍ قَذْفِ الْاَرْجَاءِ ذِىْ لَجْبٍ عَرْمَرَمٍ كَزَهَاءِ السَّيْلِ مَنْسَحَلٍ
وَ اَنْتِ صَلَّيْتِ عَلَيَّكَ اللّٰهُ تَقْدِمُهُمْ فِىْ بَهْوِ اشْرَاقِ نُوْرِ مَنْكَ مَكْتَمَلٍ
يَنْبِيْرُ فَوْقَ اَعْرَاجِ الْوَجْهِ مَنَّجِبٍ مَّتَوِّجٍ بِعَزِيْزِ النَّصْرِ مَقْتَبِلٍ
يَسْمُوْ اِمَامَ جُنُوْدِ اللّٰهِ مَرْتَدِيَا ثَوْبِ الْوَقَارِ لِاَمْرِ اللّٰهِ مَمْتَلٍ
خَشَعَتْ تَحْتَ بَهَاءِ الْعَزِّ حِيْنَ سَمَتْ بِكَ الْمَهَابَةُ فَعَلَّ الْخَاضِعُ الْوَجْلُ
وَ قَدْ تَبَاشَرَ اَمْلَاكُ السَّمَا بِمَا مَلَكَتْ اِذْ نَلَتْ مِنْهُ غَايَةَ الْاَمَلِ
وَ الْاَرْضُ تَرْجَفُ مِنْ زَهْوٍ وَ مِنْ فَرْقٍ وَ الْجَوْ يَزْهَرُ اِشْرَاقًا مِّنْ الْجَدَلِ
وَ الْخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْوًا فِىْ اَعْتَتِهَاوَ الْعِيْشُ تَنْتَالُ رَهْوًا فِىْ ثَنِيِّ الْجَدَلِ
لَوْ لَّا الَّذِىْ خَطَّتْ الْاَقْلَامُ مِنْ قَدْرُوْ سَابِقٍ مِّنْ قَضَاءِ غَيْرِ ذِىْ حَوْلٍ
اَهْلٌ ثَهْلَانُ بِالتَّهْلِيْلِ مِنْ طَرْبٍ وَ ذَابَ يَذْبَلُ تَهْلِيْلًا مِّنَ الدَّبْلِ
الْمَلِكُ لِلّٰهِ هَذَا عَزٌّ مِّنْ عَقَدَتْ لَهٗ التَّبْوَةُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِى الْاَزْلِ
شَعَبَتْ صَدْعُ قَرِيْشٍ بَعْدَ مَا قَذَفَتْ بِهِمْ شَعُوْبُ شَعَابِ السَّهْلِ وَ الْقَلْلِ
قَالُوْا مُحَمَّدٌ قَدْ زَادَتْ كِتَابَتُهُ كَالْاَسَدِ تَزَارُ فِىْ اَنْبَايَا الْعَصْلِ
فَوَيْلٌ مَّكَّةَ مِنْ اَثَارِ وَطَا تَهْوٍ وَيْلٌ اُمَّ قَرِيْشٍ مِنْ جَوَى الْهَبْلِ
فَجَدْتِ عَفْوًا بِفَضْلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَ لَمْ تَلْمِمْ وَ لَّا بِالْيَمِ الْلُّوْمُ وَ الْعَدْلُ

سَبِلُ الْهُدَى وَ الرِّشَادِ، الصَّالِحِى الدَّمَشَقِيّ، ج ٥، ص ٢٦٥: اَضْرَبْتَ بِالصَّفْحِ صَفْحًا عَنْ طَوَائِلِهِمْ طَوَالًا مَقِيْلُ النَّوْمِ فِى الْمَقْلِ
رَحِمْتَ وَاشْجِ اَرْحَامٍ اَتِيْحَ لَهَا تَحْتَ الْوَشِيْحِ نَشِيْحِ الرُّوْعِ وَ الْوَجْلِ
عَاذُوْا بِظَلِّ كَرِيْمِ الْعَفْوِ ذِىْ لَطْفِ مَبَارَكِ الْوَجْهِ بِالتَّوْفِيْقِ مَشْتَمَلٍ
اَزْكَى الْخَلِيْقَةِ اَخْلَاقًا وَ اَطْهَرَهَا وَ اَكْرَمَ النَّاسِ صَفْحًا عَنْ ذَوَى الرِّزْلِ
زَانَ الْخَشُوْعِ وَقَارٍ مِنْهُ فِىْ خَفْرِ اَرْقٍ مِّنْ خَفْرِ الْعَدْرَاءِ فِى الْكَلْلِ
وَ طَفَتْ بِالْبَيْتِ مَحْبُوْرًا وَ طَافَ بِهِ مِنْ كَانَ عَنْهُ قَبِيْلُ الْفَتْحِ فِى شَغْلِ
وَ الْكُفْرِ فِى ظُلْمَاتِ الرُّجْسِ مَرْتَكْسًا وَ بِمَنْزَلَةِ الْبِهْمُوْتِ مِنْ زَحْلِ

حجرت بالأمن أقطار الحجاز معاو ملت بالخوف عن خيف و عن ملل
و حلّ أمن و يمن منك في يمن لئما أجابت إلى الإيمان عن عجل
و أصبح الدّين قد حفت جوانبه بعزّة النّصر و استولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف و انقاد منعدل منهم لمعتدل
أحب بخله أهل الحقّ في الخلل و عزّ دولته الغزاة في الدّول
أمّ اليمامة يوم منه مصطلم و حلّ بالشّام شوّم غير مرتحل
تفرّقت منه أعراف العراق و لم يترك من التّرك عظاما غير منتحل
لم يبق للفرس ليث غير مفترس و لا من الجيش جيش غير منجفل
و لا من الصّين سور غير مبتدل و لا من الرّوم مرمي غير منتضل
و لا من الثّوب جدم غير منجدم و لا من الرّنج جزل غير منجدل
و نيل بالسّيف سيف البحر و اتّصلت دعوى الجنود فكلّ بالجهاد صلي
و سلّ بالغرب غرب السّيف إذ شرقت بالشرق قبل صدور البيض و الأسل
و عاد كلّ عدو عزّ جانبهم قد عاد منكم ببذل غير مبتدل
أصفي من الثّلج إشراقا مذاقته أحلى من اللّبن المضروب في العسل

تنبيهات

الأول: لا خلاف أن هذه الغزوة كانت في رمضان، كما في الصّحيح، و غيره، و عن ابن عباس قال: ابن شهاب كما عند البيهقي من طريق عقيل: لا أدري أخرج في شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعد ما دخل؟ و رواه البيهقي من طريق ابن أبي حفصه عن الزّهرى بإسناد صحيح. قال: صبح رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - مكّة لثلاث عشرة خلت من رمضان.

و روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٦

رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - عام الفتح لليتين خلتا من شهر رمضان، و هذا يدفع التردّد الماضى، و يعين يوم الخروج، و قول الزّهرى يعين يوم الدخول، و يعطى أنه أقام في الطريق اثني عشر يوما.

قال الحافظ: و أمّا ما قاله الواقديّ أنّه خرج لعشر خلون من رمضان فليس بقوى لمخالفته ما هو أصحّ منه، قلت: قد وافق الواقديّ على ذلك ابن إسحاق و غيره، و رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس، و عند مسلم أنه دخل لست عشرة، و لأحمد لثمانى عشرة، و فى أخرى لثنتى عشرة، و الجمع بين هاتين بحمل إحداهما على ما مضى و الأخرى على ما بقى، و الذى فى المغازى: دخل لتسع عشرة مضت و هو محمول على الاختلاف فى أوّل الشهر.

و وقع فى أخرى: بالشكّ فى تسع عشرة أو سبع عشرة و روى يعقوب بن سفيان من طريق الحسن عن جماعة من مشايخه: أنّ الفتح كان فى عشرين من رمضان، فإن ثبت حمل على أنّ مراده أنّه وقع فى العشر الأوسط قبل أن يدخل الأخير.

الثانى: اختلفت الروايات فيمن أرسله رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - ليأتى بكتاب حاطب: ففى

رواية أبي رافع عن عليّ قال: بعثنى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - أنا و الزّبير و المقداد.

و فى رواية أبي عبد الرحمن السّلمى عن عليّ قال: بعثنى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - و أبا مرثد الغنوى، و الزّبير بن العوام، قال الحافظ: فيحتمل أن يكون الثلاثة كانوا معه، و ذكر أحد الرّوايين عنه ما لم يذكر الآخر، ثم قال: و الذى يظهر، أنّه كان مع كلّ واحد

منهما آخر تبعاً له.

الثالث: جزم ابن إسحاق بأن جميع من شهد الفتح من المسلمين عشرة آلاف. ورواه البخاري في صحيحه عن عروة، وإسحاق بن راهويه من طريق آخر بسند صحيح عن ابن عباس، وقال عروة أيضاً والزهرى وابن عقبة كانوا اثني عشر ألفاً، وجمع بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة. ثم تلاحق الألفان الرابع: وقع في الصحيح من رواية معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس «وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة» قال الحافظ: وهو وهم، والصواب على رأس سبع سنين ونصف، وإنما وقع الوهم من كون غزوة الفتح كانت في سنة ثمان، من أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء، والتحرير أنها سبع سنين ونصف ويمكن توجيه رواية معمر: بأنه بناء على التاريخ بأول السنة من المحرم، فإذا دخل من السنة الثانية شهران أو ثلاثة أطلق عليها سنة مجازاً، من تسمية البعض باسم الكل، ويقع ذلك في آخر ربيع الأول. ومن ثم إلى رمضان

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٧

نصف سنة سواء، ويقال: كان آخر شعبان تلك السنة آخر سبع سنين ونصف، أو أن رأس الثمان كان أول ربيع الأول وما بعده نصف سنة.

الخامس: ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - أظفر بالكديد، وفي رواية بغيره كما سبق في القصة، والكل في سفره واحدة، فيجوز أن يكون فطره - صلى الله عليه وسلم - في أحد هذه المواضع حقيقة إما كديد، وإما كراع الغميم، وإما عسفان، وإما قديد، وأضيف إلى الآخر تجوزاً لقربه منه، ويجوز أن يكون قد وقع منه - صلى الله عليه وسلم - الفعل في المواضع الأربعة، والفطر في موضع منها، لكن لم يره جميع الناس فيه، لكثرتهم، وكثرة ليسان الناس في رؤية الفعل، فأخبر كل عن رؤيته عين وأخبر كل عن محل رؤيته. السادس: وقع في الصحيح: ثم جاءت كتيبة، وهي أقل الكتائب، أى عدداً فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال القاضي - رحمه الله تعالى -: كذا لجميع رواة الصحيح بالقاف، وقد وقع في الجمع للحميدى «أجل» بالجيم بدل القاف - من الجلالة، قال القاضي: وهو أظهر انتهى.

وكل منهما ظاهر لا خفاء فيه ولا ريب كما في مصابيح الجامع للدماميني: أن المراد قلة العدد لا الاحتقار، هذا ما لا يظن بمسلم اعتقاده وتوهمه، فهو وجه لا محيد عنه، ولا ضير فيه بهذا الاعتبار. والتصريح بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في هذه الكتيبة التي هي أقل عدداً مما سواها من الكتائب قاض بجلالة قدرها، وعظم شأنها، ورجحانها على كل شيء سواها، ولو كان ملء الأرض بل وأضعاف ذلك.

السابع: وقع في الصحيح عن عروة قال: وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء - أى بالمد - ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أسفل مكة من كدى، أى بالقصر. وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة. ففي الصحيح وغيره أن خالد بن الوليد دخل من أسفل مكة، ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أعلاها، وبه جزم ابن عقبة، وابن إسحاق وغيرهما.

الثامن: الحكمة في نزول النبي - صلى الله عليه وسلم - بخيف بنى كنانة الذي تقاسموا فيه على الشرك، أى تحالفوا عليه من إخراج النبي - صلى الله عليه وسلم - وبنى هاشم إلى شعب أبي طالب، وحصروا بنى هاشم وبنى المطلب فيه، كما تقدم ذلك في أبواب البعثة، ليتذكر ما كان فيه من الشدة فيشكر الله - تعالى - على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، وتمكنه من دخول مكة ظاهراً على رغم من سعى في إخراجه منها، ومبالغة في الصّفح عن الذين أساءوا، ومقابلتهم بالمرّ والإحسان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٨

التاسع: قال القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه الله تعالى - إنما أنكر العباس على أبي سفيان ذكر الملك مجرّداً من النبوة، مع أنه كان

في أول دخوله الإسلام، وإلا فجائز أن يسمي مثل هذا ملكا وإن كان لنبى، فقد قال الله سبحانه وتعالى في داود وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ [ص ٢٠] وقال سليمان وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي [ص ٣٥] غير أن الكراهة أظهر في تسمية حال النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ملكا، لما جاء في الحديث: أن النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - خير بين أن يكون نبيا عبدا، أو نبيا ملكا، فالتفت إلى جبريل، فأشار إليه أن تواضع، فقال: بل نبيا عبدا، أشجع يوما وأجوع يوما. وإنكار العباس على أبي سفيان يقوى هذا المعنى، وأمر الخلفاء الأربعة بعده أيضا يكره أن يسمي ملكا، لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - «تكون بعدى خلفاء، ثم تكون أمراء، ثم يكون ملوك، ثم يكون جبابرة».

العاشر: الساعة التي أحل للنبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - القتل فيها بمكة من صبيحة يوم الفتح إلى العصر كما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله تعالى عنهما.

الحادى عشر: لا مخالفة بين حديث نزوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بالمحصب، وبين حديث أم هانئ، أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - نزل في بيت أم هانئ، لأنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لم يبق في بيت أم هانئ وإثما نزل به حتى اغتسل و صلى، ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبي طالب، وهو المكان الذي حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجرة كما تقدم بيان ذلك.

الثاني عشر: اختلف في قاتل ابن خطل، روى ابن أبي شيبه من طريق أبي عثمان النهدي: أن أبا برزة الأسلمى قتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة وإسناده صحيح مع إرساله، وله شاهد عند ابن المبارك في كتاب البر والصلة من حديث أبي برزة نفسه. ورواه الإمام أحمد من وجه آخر. قال الحافظ: وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله، وبه جزم البلاذرى وغيره من أهل العلم بالأخبار. وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله، فكان المباشر له منهم أبو برزة، ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه، فقد جزم ابن هشام بأن سعيد بن حريث وأبا برزة الأسلمى اشتركا في قتله، وقد قيل: قتله الزبير بن العوام. وقيل شريك بن عبدة العجلانى.

الثالث عشر: وقع في حديث أم هانئ عند البخارى: أن النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - اغتسل في بيتها، وفي حديثها عند مسلم: أنها ذهبت إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره، ويجمع بينهما بأن ذلك تكرر منه، ويؤيده ما رواه ابن خزيمة من طريق مجاهد عن أم هانئ وفيه: أن أبا ذر ستره لما اغتسل، ويحتمل أن يكون نزل في بيتها بأعلى مكة وكانت هي في بيت آخر بمكة، فجاءت إليه فوجدته يغتسل، فيصيح القولان، وأما المتستر فيحتمل أن يكون أحدهما ستره في ابتداء الغسل، والآخر في أثنائه.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٦٩

الرابع عشر: قال السهيلي: ولا يجهر فيها بالقراءة أى صلاة النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في بيت أم هانئ في ثمان ركعات، وهي صلاة الفتح، تعرف بذلك عند أهل العلم، وكان الأمراء يصلونها إذا فتحوا بلدا. قال أبو جعفر بن جرير: صلى سعد بن أبى وقاص حين افتتح المدائن ثمان ركعات في إيوان كسرى، قال: وهي ثمان ركعات لا يفصل بينها، ولا تصلى بإمام، قال السهيلي: ولا يجهر فيها بالقراءة.

الخامس عشر: وقع في رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر: أنه سأل أسامة وفي رواية أبى الشعثاء عن ابن عمر قال: أخبرنى أسامة ان النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - صلى فيه ههنا، وفي رواية خالد بن حارث عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر: فقلت: أين صلى؟ فقالوا، ههنا. قال الحافظ: فإن كان محفوظا حمل على أنه ابتداء بلالا بالسؤال، ثم أراد زيادة الاستبانت في مكان الصلاة، فسأل أسامة، و عثمان أيضا. ويؤيد ذلك رواية ابن عوف عند مسلم: «و نسيت أن أسألهم كم صلى» بصيغة الجمع قال الحافظ: وهذا أولى من جزم القاضى بوجه الرواية التي عند مسلم، وكأنه لم يقف على بقية الروايات.

السادس عشر: قول من زعم أن يحيى بن سعيد القطان غلط في قوله ركعتين لقول ابن عمر: نسيت وأن الوهم دخل عليه من ذكر الركعتين بعد خروجه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - «[و المغلط] هو الغلط، وكلامه مردود، فإن يحيى ذكر الركعتين قبل وبعد، فلم يهم

من موضع إلى موضع، و لم ينفرد يحيى بن سعيد بذلك حتى يغلط، بل تابعه من سبق ذكرهم في القصّة، و العجب من الإقدام على تغليط جبل من جبال الحفظ بقول من خفى عليه وجه الجمع بين الحديثين، فقال بغير علم، و لو سكت لسلم.

السابع عشر: قال الحافظ: رحمه الله تعالى - جمع بين روايتي فليح، و أيوب، و ابن عون عن نافع عن ابن عمر أنه قال: «نسيت أن أسأل بلالا» و في لفظ: «أسألهم كم صلّى» و بين روايه غير نافع عن ابن عمر أنه سأل عن ذلك، فقيل له ركعتان باحتمال أن ابن عمر اعتمد في قوله في روايه مجاهد، و ابن أبي مليكته و غيرهما عنه ركعتين على القدر المتحقق، و ذلك أن بلالا أثبت له أنه صلّى، و لم ينقل أن النبي - صلّى الله عليه و سلّم - تنفل في النهار بأقل من ركعتين، و كانت الركعتان متحققا وقوعهما، لما عرف بالاستقراء من عاداته - صلّى الله عليه و سلّم - و على هذا فقوله: ركعتين من كلام ابن عمر، لا من كلام بلال، قال الحافظ: و وجدت ما يؤيد هذا، و يستفاد منه جمع آخر بين الحديثين، و هو ما أخرجه عمر بن شبنه في كتاب مكه من طريق عبد العزيز بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر في هذا الحديث: «فاستقبلني بلال فقلت: ما صنع رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - ههنا؟ فأشار بيده أن صلّى ركعتين بالسبابة و الوسطى»، فعلى هذا فيحمل قوله: «نسيت أن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٠

أسأله كم صلّى على أنه لم يسأله لفظا و لم يجبه لفظا و إنما استفاد منه صلاة ركعتين بإشارته لا بنطقه، و أما قوله في روايه أخرى: و نسيت أن أسأله كم صلّى» فيحمل على أن مراده أنه لم يتحقق هل زاد على ركعتين أو لا؟، و قال شيخه الحافظ أبو الفضل العراقي: فيحتمل أن ابن عمر و إن كان سمع من بلال أنه صلّى ركعتين لم يكتف بذلك في أنه لم يصلّ غيرهما، لأن من صلّى أربعا أو أكثر، يصدق عليه أنه صلّى ركعتين على القول بأن مفهوم العدد ليس بحجّة كما هو المرجح في الأصول، فلعلّ الذى نسى أن يسأل عنه بلالا - في أنه هل زاد على ركعتين بشيء أم لا؟ - قال الحافظ ابن حجر: و أما قول بعض المتأخرين: يجمع بين الحديثين بأن ابن عمر سأل بلالا ثم لقيه مرّة أخرى، فسأله، ففيه نظر من وجهين: أحدهما أن الذى يظهر أن القصّة و هو سؤال ابن عمر عن صلاته في الكعبة لم يتعدد، لأنه أتى في السؤال بالفاء المعقّبة في الروايتين معا، فدّل على أن السؤال عن ذلك كان واحدا في وقت واحد. ثانيهما أن راوى قول ابن عمر «نسيت» هو نافع مولاة، و يبعد مع طول ملازمته له إلى وقت موته أن يستمرّ على حكاية النسيان، و لا يتعرض لحكاية التذكر لقدر صلاته - و الله تعالى أعلم.

الثامن عشر: قال الحافظ: لا يعارض إثبات أسامه في روايه ابن عمر عنه أن النبي - صلّى الله عليه و سلّم - صلّى في البيت ما رواه ابن عباس عن أسامه أن النبي - صلّى الله عليه و سلّم - لم يصلّ في البيت لإمكان الجمع بينهما، لأن أسامه حين أثبتتها اعتمد في ذلك على غيره، و حيث نفاها أراد ما في علمه بكونه لم يره - صلّى الله عليه و سلّم - حين صلّى، و قال الحافظ في موضع آخر: تعارضت الرواية عن أسامه في ذلك فتترجّح روايه بلال من جهه أنه مثبت و غيره ناف، و من جهه أنه لم يختلف عليه في الإثبات، و اختلف على من نفى.

و قال الإمام التّووى و غيره: يجمع بين إثبات بلال، و نفى أسامه بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامه النبي - صلّى الله عليه و سلّم - يدعو، فاشتغل أسامه بالدعاء في ناحيه، و النبي - صلّى الله عليه و سلّم - في ناحيه، ثم صلّى رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - فرآه بلال لقربه منه و لم يره أسامه لبعده منه و اشتغاله بالدعاء، و لأن بإغلاق الباب تكون ظلمة مع احتمال أن يحجبه بعض الأعمدة، فنفاها عملا بظنه.

و قال الإمام المحب الطبري: يحتمل أن يكون أسامه غاب عنه بعد دخوله لحاجه فلم يشهد صلاته - انتهى. و يشهد له ما رواه أبو داود الطيالسى في مسنده بإسناد جيد رجاله ثقات عن ابن أبي ذؤيب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامه قال: «دخلت مع النبي - صلّى الله عليه و سلّم - في الكعبة فرأى صورا، فدعا بدلو من ماء، فأتيته به، فضرب به الصّور»، قال القرطبي فلعله [استصحب النّفى] بسرعه عوده انتهى قلت: هو مفرّع على أن هذه

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧١

القضية وقعت عام الفتح، فإن لم يكن فقد روى عمر بن شبة في كتاب مكة من طريق على بن بزيمة بالموحدة، وزن عزيمة التابعى، قال: «دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكعبة. ودخل معه بلال، وجلس أسامة على الباب، فلما خرج وجد أسامة قد احتبى، فأخذ بحبوته فحلها».

الحديث فلعله احتبى فاستراح فنعس، فلم يشاهد صلاته، فلما سئل عنها نفاها مستصحباً للنفى، لقصر زمن احتبائه، وفي كل ذلك إنما نفى رؤيته، لا ما فى نفس الأمر. وبعض العلماء حمل الصلاة المثبتة على اللغو، والمنفية على الشرعية، ويرد هذا الحمل ما تقدم فى بعض طرقه الصريحة: أنه صلى ركعتين، فظهر أن المراد الشرعية لا مجرد الدعاء. وقال المهلب [(١)] شارح البخارى: يحتمل أن يكون دخول البيت وقع مرتين. صلى فى إحداهما ولم يصل فى الأخرى، وقال ابن حبان: الأشبه عندى فى الجمع، أن يجعل الخبران فى وقتين، فيقال، لما دخل الكعبة فى الفتح صلى فيها على ما رواه ابن عمر عن بلال، ويجعل نفى ابن عباس الصلاة فى الكعبة فى حجة التى حج فيها، لأن ابن عباس نفاها وأسند ذلك إلى أسامة وأخيه الفضل، وابن عمر أثبتها، وأسند ذلك إلى أسامة، وإلى بلال وأسامة أيضاً، فإذا حمل الخبر على ما وصفنا بطل التعارض. قال الحافظ: وهو جمع حسن لكن تعقبه النووى بأنه لا خلاف أنه - صلى الله عليه وسلم - دخل يوم الفتح لا فى حجة الوداع، ويشهد له ما رواه الأزرقى عن سفيان بن عيينة عن غير واحد من أهل العلم: أنه - صلى الله عليه وسلم - إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح، ثم حج فلم يدخلها، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمتنع أن يكون دخلها عام الفتح مرتين ويكون المراد بالواحدة التى فى خبر ابن عيينة واحدة السيفر لا الدخول، وقد وقع عند الدارقطنى من طريق ضعيفة ما يشهد لهذا الجمع. قلت: قال الدارقطنى فى سننه: واعتمد القاضى عز الدين بن جماعة ذلك. واستدل له أيضاً بأن الإمام أحمد قال فى مسنده: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء، قال: قال أسامة بن زيد: دخلت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - البيت فجلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وهله وكبره، وخرج ولم يصل، ثم دخلت معه فى اليوم الثانى، فقام، ودعا ثم صلى ركعتين، ثم خرج فصلّى ركعتين خارج البيت مستقبل وجه الكعبة، ثم انصرف، فقال: «هذه القبلة» ورواه أحمد بن منيع. قلت: لم أقف على هذا الحديث فى مجمع الزوائد للهشيمى، ولا فى إتحاف المهرة للأبوصيرى، ولا فى كتاب الصلاة، ولا فى كتاب الحج فالله أعلم. والذى

فى مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: دخل النبى - صلى الله عليه وسلم - الكعبة، فصلّى بين الساريتين ركعتين، ثم خرج وصلى بين الباب وبين الحجر ركعتين، ثم قال: «هذه القبلة» ثم

[(١)] هو المطلب بن أحمد بن أسيد الأسدى من تصانيفه شرح الجامع لصحيح البخارى توفى سنة ٤٣٥، انظر معجم المؤلفين ٣٢٠ / ١٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٢

دخل مرة أخرى، فقام يدعو ولم يصل. رواه الطبرانى فى الكبير،

قال الهشيمى: فيه أبو مریم، روى عن صغار التابعين، ولم أعرفه، وبقية رجاله موثقون، و فى بعضهم كلام.

وروى الأزرقى عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال: بلغنى أن الفضل بن عباس دخل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ - أى يوم الفتح - فقال: لم أراه صلى فيها، قال أبى: وذلك فيما بلغنى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - استعانه فى حاجة فجاء و قد صلى ولم يره. قال عبد المجيد: قال أبى، وذلك أنه بعثه فجاء بذنوب من ماء زمزم يطمس به الصور التى فى الكعبة، فلذلك لم يره صلى. قلت: وأيضاً أنه - صلى الله عليه وسلم - أرسله وأسامة فى ذلك - كما تقدم فى أسامة - واعتمد الإمام تقي الدين الفاسى فى تاريخه من هذه الأجوبة ما رواه أبو داود الطيالسى عن أسامة، وتعقب ما سواه بكلام نفيس جدا فراجعه فإنك لا تجده فى غير كتابه، وذكره هنا ليس من غرضنا.

التاسع عشر: تقدّم أنّه - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - صَلَّى في الكعبة، و أنه جعل عمودين عن يساره و عمودا عن يمينه و ثلاثة أعمدة وراءه، و في رواية جعل عمودا عن يساره و عمودين عن يمينه و في أخرى عمودا عن يساره و عمودا عن يمينه و في رواية بين العمودين اليمانيين، و في أخرى بين العمودين تلقاء وجهه، و بين العمودين المقدمين، قال المحبّ الطبري في الأحكام الكبرى: و هذا يؤيد رواية من روى أنّه جعل عمودين عن يمينه و عمودا عن يساره لأنّ الباب قريب من الحجر الأسود، جانح إلى جهة اليمين، و يفتح في جهة المشرق فإذا دخل منه و صلى تلقاء وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين و البيت يومئذ على ستّة أعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه و عمودا عن يساره، و ثلاثة أعمدة وراءه، و صَلَّى إلى جهة المغرب، و قوله اليمانيين قد يشكل فإنها ثلاثة صفّ و جعل اثنين منها يمانيين ليس بأولى من جعلهما شاميين، و الجواب: أنه إنّما جعل اثنين منهما يمانيين لأنّ مقرّ الثلاثة بصفه يمانيّ و بصفه شاميّ، فمن وقف بين المتمحض يمانيا و بين المشترك بين اليمن و الشام جاز أن يقال فيه: وقف بين اليمانيين باعتبار ما نسب منه إلى اليمن تجوّزا و من وقف بين المتمحض شاميا و بين المشترك جاز أن يقال فيه: وقف بين الشّاميين لما ذكرناه، أو تقول لما وقف بينهما كان هو إلى جهة اليمن أقرب، فأطلق عليهما يمانيين اعتبارا به، و الأول أظهر، و لا تضادّ بين هذا و بين قوله عمودا عن يمينه و عمودا عن يساره، فإنّ من ضرورة جعل عمودين عن يمينه أن يكون عمودا عن يمينه و الآخر مسكوتا عنه، و ليس في اللفظ ما ينفيه، و قال الحافظ: ليس بين رواية: جعل عمودا عن يمينه و عمودا عن يساره مخالفة، لكن قوله في رواية مالك: و كان البيت يومئذ على ستّة أعمدة مشكل، لأنّه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، و يمكن الجمع بين الروايتين بأنّه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمن النّبى - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - و حيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، و يرشد إلى ذلك

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٣

قوله: و كان البيت يومئذ، لأنّ فيه إشعارا بأنّه تغير عن هيئته الأولى. قال الكرمانى: لفظ العمود جنس يشمل الواحد و الاثنين فهو مجمل بيّنته رواية «و عمودين» و يحتمل أن يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت، و الثالث على غير سمتهما، و لفظ المقدمين في الحديث السابق مشعر به قال الحافظ: و يؤيده رواية مجاهد عن ابن عمر عند البخارى في باب «و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»، «فإن فيها بين السّاريتين اللّتين عن يسار الدّاخل» و هو صريح في أنه كان هناك عمودان على اليسار، و أنّه صَلَّى بينهما، فيحتمل أنه كان ثمّ عمود آخر عن اليمين، لكنّه بعيد أو على غير سمت العمودين فيصحّ قول من قال: جعل عن يمينه عمودين، و قول من قال: جعل عمودا عن يمينه، و جوّز الكرمانى احتمالا آخر، و هو أن يكون هناك ثلاثة أعمدة مصطفة، فصلّى إلى جنب الأوسط فمن قال: جعل عمودا عن يمينه و عمودا عن يساره لم يعتبر المذى صَلَّى إلى جنبه، و من قال: عمودين اعتبره و جمع بعض المتأخرين باحتمال تعدّد الواقعة، و هو بعيد لاتحاد مخرج الحديث، و قد جزم البيهقيّ بترجيح رواية أنه جعل عمودين عن يمينه و عمودا عن يساره. و قال المحبّ الطبري في صفوة القرى إنه الأظهر.

العشرون: لا خلاف في دخوله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - الكعبة يوم الفتح، و تقدّم في التنبيه الثامن عشر: أنه دخل في ثاني الفتح، و ذكر بعضهم أنه دخلها في عمرة القضية، و الصّحيح خلافه، فقد قال البخارى عن عبد الله بن أبي أوفى - رضى الله عنه - أنه لم يدخلها، و ذكر بعضهم أنه دخلها في عمرة القضية و حجة الوداع، و سيأتى هناك تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى.

الحادى و العشرون: اختلف في قدر إقامة - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - بمكة كما تقدّم في القصة، و جمع الإمام البيهقي بين هذا الاختلاف بأن من قال تسع عشرة عدّ يوم الدّخول و الخروج، و من قال سبع عشرة حذفهما، و من قال ثمانى عشرة عدّ أحدهما. و أما رواية خمس عشرة فضعفها النووى من الخلاصة. قال الحافظ: و ليس بجيّد لأنّ روايتها ثقات، و لم ينفرد بها ابن إسحاق كما تقدم بيانه في القصة، و إذا ثبت أنّها صحيحة فلتحمل على أن الرّاوى ظنّ أنّ الأصل سبع عشرة فحذف منها يومى الدّخول و الخروج، فذكر أنّها خمسة عشر، و اقتضى ذلك أن رواية تسع عشرة، أرجح الروايات، و يرجحها أيضا أنّها أكثر الروايات الصّحيحة، قال الحافظ: و حديث أنس لا يعارض حديث ابن عباس أى السّابق في آخر القصة، لأنّ حديث ابن عباس في الفتح و حديث أنس كان في حجة

الوداع، و بسط الكلام على بيان ذلك، و قال فى موضع آخر: الذى أعتقده أن حديث أنس إنما هو فى حجة الوداع فإنها هى السفرة التى أقام فيها بمكة عشرة أيام، لأنه دخل اليوم الرابع و خرج اليوم الرابع عشر، ثم قال الحافظ: و لعل سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٤

البخارى أدخله فى هذا الباب إشارة إلى ما ذكرت، و لم يفصح بذلك تشحيذا للأذهان، و وقع فى رواية الإسماعيلى: فأقام بها عشرا يقصر الصيالة حتى رجع إلى المدينة، و كذا هو فى باب قصر الصيالة عند البخارى، و هو يؤيد ما ذكرته، فإن مدة إقامتهم فى سفرة الفتح حتى رجعوا إلى المدينة أكثر من ثمانين يوما.
الثانى و العشرون: فى بيان غريب ما سبق.

الأطناب: جمع طنّب- بضم الطاء المهملة و النون حبل الخباء- بكسر الخاء المعجمة أى الخيمة.
الجوزاء- بفتح الجيم و سكون الواو، و بالزاي و المدّ: نجم يقال إنها تعرض فى جوز السماء، أى وسطها.
الأفواج و الأفويج- جمع فوج: الجماعة من الناس.
الابتهاج: السرور.

خزاعة- بضم الخاء المعجمة و تخفيف الزاي و عين مهملة الدئل- بكسر الدال المهملة، و سكون الهمزة و تسهل.
رزن- براء تفتح و تكسر- كما ذكره صاحب المحكم و الباهر- فراى ساكنة، و تفتح، كما فى الإملاء، فنون.
ذؤيب: تصغير ذئب.

سلمى- بفتح السين المهملة.

كلثوم- بضم الكاف، و سكون اللام، و بالتاء المثناة.

أنصاب الحرم- بالنون، و الصاد المهملة: حجارة تجعل علامات بين الحل و الحرم.
منخر بنى كنانة- بنون، فحاء معجمة، فراء: أى المتقدّمون منهم: لأن الأنف هو المتقدّم من الوجه.
كنانة- بكسر الكاف.

يودون- بضمّ التّحتية، و بالمهملة: من الدينة.

بنو- بكر- بفتح الموحدة، و سكون الكاف.

حجز الإسلام: منع.

الحديبية: تقدّم الكلام عليها فى غزوتها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٥

الحلفاء: جمع حليف، و هو المحالف على النصرة.

السراوات- بفتحات: جمع السراة، كذلك جمع سرى- و هو الرئيس.

ما أشرق: أى مدّة إشراقه.

ثبير- بئاء مثناة، فموحدة، فتحتية، وزن عظيم: جبل بمكة.

حراء- بكسر الحاء المهملة: تقدّم الكلام عليه فى المبعث.

السرمد: الدائم.

الحلف- بكسر الحاء المهملة، و سكون اللام، و المحالفة: المؤامرة و المناصرة بالحلف على ذلك.

شرح غريب ذكر نقض قریش العهد

قوله: «بنى نفاثة»: بنون مضمومة، ففاء مخففة، فألف، ففاء مثناة.

الثَّار - بالثاء المثناة: طلب دم القتل.

ناشدوهم بأرحامهم: ذكروهم و سألوهم بها.

الكراع - بضم الكاف، و بالراء، و العين المهملة: جماعة الخيل خاصّة.

الوتير: بفتح الواو، و كسر الفوقية، و سكون التّحتية، و آخره راء: اسم موضع أو ماء في ديار خزاعة.

حويطب - بضم الحاء المهملة، و فتح الواو، و سكون التّحتية، و كسر الطاء المهملة، و بالموحدة.

مكرز - بكسر الميم، و حكى ابن الأثير فتحها، و سكون الكاف، و كسر الرّاء و آخره زاي.

أجلبوا: استعانوا.

بيتوهم: قصدوهم ليلا من غير أن يعلموا فأخذوهم بغتة.

إلهك إلهك - بنصبهما بفعل محذوف، أى أتق.

عمايه الصبح: بقيه ظلمة الليل.

شرح غريب ذكر اعلامه - صلى الله عليه و سلم - بما حصل لخزاعة

أ ترى - بفتح أوله، و ضم ثانيه: أى أ تظن.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٦

تجترى عليه: تسرع بالهجوم عليه من غير ترو.

خير: خبر مبتدا محذوف، أى هو خير.

المتوضأ - بميم مضمومة، فمثناء فوقية، فهززة فصاد معجمة مفتوحات: مكان الوضوء.

لييك: يأتى الكلام عليه مبسوطا فى حجة الوداع.

الرّاجز: قائل الرجز، و هو نوع من الشعر بنو كعب بن عمرو: بطن من خزاعة.

استصرخنى: استغاثنى.

وائل - بكسر التّحتية.

شرح غريب ذكر قدوم عمرو بن سالم

ظاهرت: عاونت.

بين ظهري الناس: أى بينهم.

عمرو بن سالم: يجوز فى عمرو الضمّ، و فى ابن الفتح، و يجوز فتحهما و ضمهما.

ناشد: طالب و مذكر.

الأتلدا - بفتح أوله، و سكون الفوقية، و فتح اللّام و بالذال المهملة: القديم.

ولدا - بضمّ الواو، و سكون اللّام: أى ولدا و ذلك أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة، و كذلك أمّ قصى.

ثمت: حرف عطف، أدخل عليه تاء التّأنيث.

أسلمنا - قال السهيلي: من السلم، لأنهم لم يكونوا أسلموا بعد، و قال غيره: إنه قال:

رّكعا و سجّدا فدّل على أنه كان فيهم من صلّى فقتل، و قال غيره: إنّ قوله بعد «و قتلونا رّكعا و سجّدا» ينافيه إلّا أن يحمل ذلك على

المجاز، و قال بعضهم: مراده بقوله: «رَكْعًا و سَجْدًا» أَنَّهُمْ حُلَفَاءُ الَّذِينَ يركعون و يسجدون، قال الحافظ في الإصَابَة: و لا يخفى بعده.
 لست - بفتح الفوقية على الخطاب، و بالضم، و وجهه ظاهر.
 بيتونا: أخذونا بياتا، أى ليلا و نحن غافلون.
 هَجْدًا - بضم الهاء، و تشديد الجيم المفتوحة: جمع هاجد، و هو النَّائم هنا.
 كداء - بفتح الكاف و بالمد: الثنية التى بأعلى مكة.
 الرّصد: الطالب المراقب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٧

عتدا - بعين مهملة مفتوحة، ففوقية مكسورة، فدال مهملة: و العتيد الشىء الحاضر المهيأ، و يحتمل أن يكون من القوة، و يروى نصرأ
 أبدا من التأييد.

تجرّدا - من رواه بحاء مهملة أراد: غضب، و من رواه بالجيم أراد شمّر و تهيأ لحربهم.

سيم - بكسر السين المهملة، و سكون التّحتية، و بالميم، و بالبناء للمفعول.

خسفا - بفتح الخاء المعجمة، و ضمها، و سكون السين المهملة، و بالفاء: يقال سمته خسفا إذا أوليته ذلًا، و يقال كلفته مشقّة.

تربّدا - بفوقية - مفتوحة، فراء فموحدة - يقال اربّد وجهه: أى تغيّر إلى الغبرة.

الفيلق - بفاء مفتوحة، فتحتية ساكنة، فلام مفتوحة، فقف: العسكر الكثير.

مزبدا - بميم مضمومة، فزاي ساكنة، فموحدة مفتوحة، فمهملة.

القرم - بفتح القاف: السّيد، و أصله الفحل من الإبل الذى أقرم، أى ترك من الرّكوب و العمل و ودّع للفحلة.

الأصيد: الذى يرفع رأسه كثيرا، و منه قيل للملك أصيد، و أصله البعير يكون به داء فى رأسه يرفعه، و قيل إنّما قيل للملك أصيد، لأنه
 لا يلتفت يمينا و شمالا.

ما برح: ما زال.

عنانة: واحدة العنان - بفتح العين المهملة، و نونين بينهما ألف، و هو السّحاب.

تستهل: تبشر.

بديل - بضمّ الموحدة، و فتح الدال، و سكون التّحتية، و باللام.

مرّ - بفتح الميم، و تشديد الراء.

الظّهران - بفتح الظاء المعجمة المشالة، و سكون الهاء، بلفظ تشبيه ظهر، اسم أضيف إليه مرّ: اسم مكان قرب مكة.

شرح غريب ذكر ما قيل - ان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما بلغه خبر خزاعة

تهمتكم: من تّهمونه.

ظنّتكم: من تظنّون، و هو بمعنى ما قبله.

قصره - بضمّ القاف، و سكون الصاد المهملة: أى خاصه.

ننبد إليه على سواء: نطرح عهده و نقضه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٨

الأندية: جمع ناد و هو متحدّ القوم.

قرظة - بفتح القاف، و الرّاء، و الظاء المعجمة المشالة.

فيهم عرام- بضم العين المهملة: الشدة والقوة والشراسة، يقال رجل عارم خبيث شرير.
السبد- بسين، فموحدة مفتوحتين، فдал مهملة: الشعر.
اللبد- بفتح اللام و الموحدة: أى الصوف، أى ما يبقى لنا شىء.

شرح غريب ذكر اخبار رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بأن أبا سفيان سيقدم

قوله: الهدنة: الصلح.

يروعكم: يفزعكم.

الحجون- بحاء مفتوحة مهملة، فجيم: الجبل المشرف على مقبرة مكة.
الخدمة- بفتح الخاء المعجمة، و سكون النون، و فتح الدال المهملة: جبل بمكة.
مليا: زمانا.

تحرّجوا: وقعوا فى الحرج، و هو الضيق، و فى لفظ: رهبوا- بكسر الهاء، خافوا.
عسفان: بعين مضمومة، فسین ساكنة، مهملتين، ففاء و نون.

تمور: جمع تمر.

تهامة- بالكسر.

قائلهم: اسم فاعل من قال، قيلا و مقيلا، و قيلولة: نام القائل، و هى الظهيرة.

اثمرت قريش: أمر بعضهم بعضا.

أم حبيبة: زوج النبي - صلى الله عليه و سلم: تأتي فى تراجم الأزواج- رضى الله عنهن.
مشرك نجس: أى نجس الاعتقاد، لا أنه نجس العين.

الذّر: النمل الصغار، و ليس قول عمر: فو الله لو لم أجد إلا الذر لقاتلتكم عليه بكذب و إن كان الذر لا يقاتل به لأنه جرى فى كلامهم
كالمثل.

أخلقه الله- بالقاف: أبلاه و محقه.

المتين: القوى.

أمس القوم بى رحما: أقربهم رحما.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٧٩

البحيرة: من أسماء المدينة، تقدم بيانه فيها.

ويح: كلمة ترخم و توجع، تقال لمن وقع فىهلكة لا يستحقها، و قد يقال بمعنى التعجب و المدح، و هو منصوب على المصدر.
أجر بين الناس- بفتح الهمزة، و كسر الجيم، و سكون الراء: من الإجارة.

يدب بكسر الدال المهملة، و تشديد الموحدة: يمشى على هيئة.

أو ترى- بتحريك الواو على الاستفهام، و يجوز فتح الفوقية و ضمها.

يخفرنى- بالخاء المعجمة، و الفاء: ينقض عهدي.

النجح: الفوز بالمطلوب.

إساف- بكسر الهمزة و نائلة: أى أسماء صنمين.

أبى: أى امتنع.

أدنى العدو: أقرب أعدائنا عداوة.
 لعمر الله - بفتح اللام والعين، وضمّ الزاء: بقاء الله تعالى.
 الحجر: جمع حجرة و هي البيت.

شرح غريب ذكر جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و كتاب حاطب

الجهاز - بفتح الجيم و كسرهما.
 بغته: فجأة، تقول بغته الأمر، و فجأه إذا جاءه و لم يعلم به.
 الأنقاب - جمع نقب: الطريق.
 سلمة: سلمة لا حرس فيها.
 المحجّة: الطريق المسلوكة.
 الفلوق - كذا ذكره محمد بن عمر و لم أر له ذكرا في مختصر معجم البلدان، و لا في النهاية، و الصحاح، و تاريخ المدينة، و معجم البكري.

العقيق: واد من أودية المدينة.
 أبو مرثد - بفتح الميم، و الثاء المثناة، و سكون الزاء بينهما.
 روضة خاخ - بخاءين معجمتين بينهما ألف: على يريد من المدينة، و صحفه أبو عوانة كما في الصحيح فقال: حاج بحاء مهملة و جيم، و وهم في ذلك.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٠
 الظعينة: اليهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن، و الجمع الظعن بضمين و تسكن [العين] و طعائن. و الظعينة: المرأة ما دامت فى اليهودج، و كل بعير يوطأ للنساء ظعينة، و قال فى النهاية:
 الظعينة المرأة فى اليهودج، ثم قيل للمرأة بلا هودج و لليهودج بلا امرأة.
 الخليفة - بالقاف كسفية: منزل على اثني عشر ميلا من المدينة.
 بطن رثم - بكسر الراء، و سكون التّحتية، بالهمز و تركه: واد بالمدينة.
 الجد - بكسر الجيم، و تشديد الدال المهملة: ضد الهزل.

قرون رأسها: صفائر شعر رأسها، و فى رواية عقاصها - بكسر العين المهملة، و بالقاف و الصاد المهملة المكسورة: و هو الخيط الذى يعتص به أطراف الدّوائب، و الشّعر المصفور، و فى رواية: أخرجه من حجزتها - بضمّ الحاء المهملة، و سكون الجيم، و فتح الزاى: و هو معقد الإزار، قال فى النور: و أيضا إن الكتاب كان فى صفائرها و جعلت الصفائر فى حجزتها.
 الملتصق - بضم الميم و فتح الصاد المهملة: الرّجل المقيم فى الحىّ و الحليف لهم.
 اغرورقت عيناه: امتلأتا دموعا.

شرح غريب شعر حسان

قوله عنانى أهمنى بطحاء مكة: ما بين الأخشيين.
 تحزّ رقابها - بضم الفوقية و فتح الحاء المهملة، و بالزاى.
 لم تجنّ - بالجيم و النون و البناء للمفعول: أى لم تستر، يريد أنهم قتلوا و لم يدفنوا.

ألا: حرف تنبيه و استفتاح.

ليت شعري: ليتنى أعلم. أو ليت علمي، هل يكون كذا.

حزها- بحاء مهملة مفتوحة فراء جمع للحره بفتح الحاء: و هي الأرض ذات حجارة سود نخره كالحرار، و الحرات، و الحرّين و الأحرّين.

و عقابها- بعين مهملة مكسورة فقفاف فألف فموحدة: جمع عقبه، و هي مرقي صعبه من الجبال.

ابن أمّ مجالد: عكرمه بن أبي جهل.

أحتلبت- بسكون الحاء المهملة، و ضمّ الفوقية، و كسر اللّام.

الصّرف- بكسر الصّاد المهملة: اللبن الخالص هنا.

أعصل- بعين مهملة فصاد مهملة مفتوحة فلام: أعوج، و العصل اعوجاج الأسنان.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨١

التّاب- بنون، فألف فموحدة: السن خلف الرّباعية، مؤنث.

أبو رهم- بضمّ الراء، و سكون الهاء.

كلثوم- بضمّ الكاف، و سكون اللّام.

حصين- بضمّ الحاء و فتح الصاد المهملتين فى كل الأسماء إلا حصين بن المنذر بن سنان فإنه بالضاد المعجمة، و هو فرد، و الكنى بفتح الحاء و كسر الصاد.

شرح غريب ذكر خروجه - صلى الله عليه و سلم - من المدينة

قوله- فما حل عقده [أى ما استراح] الصلصل- بصادين مهملتين- مضمومتين، و سكون اللّام الأولى بينهما: جبل معروف فى أثناء البيداء، و هو الشرف الذى قدّام ذى الحليفة.

يستهل بنصر بنى كعب: قبيلة.

العرج- بفتح العين، و سكون الرّاء المهملتين، و بالجيم: قرية جامعة قريب مكة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بطريق مكة.

الطّلوب- بفتح الطّاء المهملة: اسم ماء.

تهرّ: هريز الكلب صوته، و هو دون النّباح.

الجريدة: جماعة من الخيل جردت من سائرها.

العين: الجاسوس.

قديم- بلفظ التّصغير: قرية جامعة قريب مكة.

و كزهم- بفتح الواو، و سكون الكاف و بالزّاي: طعنهم.

الحجفة- بضمّ الجيم- و سكون الحاء المهملة: قرية كبيرة على خمس مراحل و ثلث مرحلة من المدينة.

شرح غريب ذكر فطره - صلى الله عليه و سلم - و أمره به

الكديد- بفتح الكاف، و كسر الدّال المهملة الأولى، بعدها تحتيه فدال مهملة: موضع بين مكة و المدينة بين منزلتى أمج و عسفان، و هو اسم ماء، و هو أقرب إلى مكة من عسفان.

عسفان- بضمّ العين، و سكون السين المهملتين، و بفاء و نون، قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة.

أمج بفتح الهمزة و الميم و بالجيم المخففة: اسم واد.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٢
كراع الغميم - بضم الكاف من كراع و فتح الغين المعجمة [من الغميم] موضع بن رابغ و الحجفة يضاف إليه كراع: و هو جبل أسود
بطرف الحرّة.
عزيمة: أمر واجب حقّ.

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بمر الظهران

عميت الأخبار - بفتح العين و كسر الميم، و يجوز ضم العين و كسر الميم المشددة.
يتحسب الأخبار: يتعرفها.
الأراك - بفتح الهمزة: شجر معروف.
خمشتها - الحرب - بالخاء المعجمة، و الجيم، و الشين المعجمتين المفتوحات:
أحرقتها و هيّجتها، و من رواه بالحاء، و السّين المهملتين، فمعناه: اشتدّت عليها، من الحماسة و هى الشدّة و الشجاعة.

شرح غريب ذكر منام أبى بكر - رضى الله عنه

تشخب: تدرّ و تسيل.
كلبهم - بفتح الكاف و اللّام: شدّتهم.
درهم - بفتح الدال المهملة: لبنهم.

شرح غريب ذكر اعلام - صلى الله عليه و سلم - بأن أبا سفيان فى الإدراك و ارادة أبى سفيان الانصراف

خطم الجبل - بفتح الخاء المعجمة، و سكون الطاء المهملة، و العقبة، شىء يخرج منه و يضيق معه الطريق، و فى رواية فى الصّيح:
حطم - بالحاء المهملة - الخيل - بالخاء المعجمة و التّحتية: و هو موضع ضيق تتراحم الخيل فيه حتى يحطم بعضهم بعضا.
و اصباح قريش: منادى مستغاث: يقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه العنوة - بفتح العين المهملة أخذ الشىء قهرا.
الشهباء: البيضاء.
حطّابا بحاء فطاء مشددة مهملتين.
يشتدّ: يعدو.
اقتحمت: رميت بنفسى من غير رويّة.
أجرته - بالزّاء: أمّنته، فهو فى أمانى.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٣
لا يناجيه: لا يسارّه.
مهلا: يقال للمفرد و المثنى و الجمع، يعنى أمهل.
أرحها: اتركها.
ألم يأن: يقرب.
الأوباش من الناس: الأخطا.

الرَّحْلُ بالحاء المهملة: المنزل و المأوى.
أفرخ لروعتى بالفاء و الخاء المعجمة: أذهب لخوفى.
أربأ بهم عن الشُّرك: أنزّه مقامهم و أرفعه عن الإقامة على الشُّرك.

شرح غريب ذكر تعبئة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أصحابه و من أمر بقتله

أرحلت: أعدت رحلها.
الأداة: الآلة.
الكتائب: جمع كتيبة و هى الطائفة من الجيش المجتمعة.
القادات: جمع قائد: و هو أمير الجيش.
على أثره بكسر أوّله و سكون ثانيه، و بفتحهما.
أفناء العرب: جمع فتو، و هو الذى لا يعلم ممن هو.
الكتيبة الخضراء: سميت بذلك لغبلة الحديد على أهلها، شبه السواد بالخضرة، و العرب تطلق الخضرة على السواد.
سنايك الخيل: طرف حوافرها.
الحدق: العيون.
لعمر فيها زجل: صوت رفيع عال.
يزعها- بالزاي، يقال: وزعه وزعا فهو وازع: و هو الذى يكفّ الناس و يحمل أولهم على آخرهم.
رويدا: اسم فعل أمر، بمعنى أمهل.
اليوم يوم: برفع اليومين، و نصب الأول و رفع الثانى.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٤
الملحمة: الحرب و موضع القتال، و الجمع ملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس و اختلاطهم فيها كاشتباك لحمه الثوب بالسدى، و قيل هى من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيهما.
تستحلّ - بالبناء للمفعول. الحرمة - بالرفع نائب الفاعل.
حبّذا- بحاء مهملة مفتوحة، فموحدة، فذال معجمة: أى هو حبيب، جعل «حبّ» و «ذا» كشيء واحد، و هو اسم، و ما بعده مرفوع به، و لزم «ذا» حبّ. الذمار- بالذال المعجمة المكسورة، و تخفيف الميم، و بالراء: الهلاك أو حين الغضب للحريم و الأهل، يعنى الانتصار لمن بمكّه، قاله غلبه و محجزا، و قيل: أراد حبّذا يوم يلزمك فيه حفظى و حمايتى من المكروه.
القصواء- كحمراء.
أنشدك الله- بفتح الهمزة، و ضمّ الشين المعجمة- سألتك و أقسمت عليك به.
كذب سعد: أخطأ.
المرحمة: الرقة و التّعطف.
صولة- بفتح الصاد المهملة، و سكون الواو: أى حملة.

شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب - رضى الله عنه

لجأ إليه بالهمز و تركه للوزن.

لات حين لجا: أى ليس الوقت وقت لجا.

سعة الأرض - بفتح الشين. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ٢٨٤ شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب - رضى الله عنه

ص : ٢٨٤

قنا: تشبيه حلقه.

البطان - بكسر الموحدة - للقتب: الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير، يقال التقت حلقتا البطان للأمر إذا اشتد.

نودوا - بالبناء للمفعول.

الصيلم - بصاد مهملة مفتوحة، فتحتية ساكنة، فلام مفتوحة: الداهية.

الصيلمع - بصاد مهملة مفتوحة، فلام ساكنة، فعين مهملة ممدودة، قال فى النور: كأنه عطف الصيلمع على الصيلم، و حذف حرف

العطف للنظم، و هو جائز فى غير النظم أيضا.

قاصم الظهر: كاسرته.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٥

الحجون - بفتح الحاء المهملة، و ضم الجيم المخففة: الجبل المشرف على مقبرة مكة.

البطحاء: الأبطح.

النسر - بفتح النون: النجم المعروف، و هما نسران، النسر الطائر، و النسر الواقع.

العواء - بعين مهملة مفتوحة، فواو مشددة، و يقال بالعدوة من منازل القمر، و هى خمسة أنجم يقال لها ورك الأسد، و من مداها فهى

عنده من عويت الشىء إذا لويت طرفه.

و قال السهيلي: و الأصح فى معناها أن العواء من العوة، و هى الدبر، و كأنهم أسموها بذلك لأنها دبر الأسد من البروج.

و غر الصدر - بفتح الواو و كسر الغين المعجمة، و بالزاء: اسم فاعل، و الوغرة: شدة توقد الحر.

لا يهم - بفتح التحتية و ضم الهاء.

تلظى: أصله تتلظى: تلهب.

جاءت: أخبرت.

هند: هى بنت عتبة.

بالسوء السوءاء، بالخله القبيحة.

ابن حرب: هو أبو سفيان بن حرب.

أقحم اللواء: الإقحام، إرسال فى عجلة.

يا حماة الأدبار: جمع دبر، و المراد به هنا الظهر.

ثابت - بناء مثلثة و بعد الألف موحدة ففوقية ساكنة: أى رجعت.

البهم - بضم الموحدة، و فتح الهاء، قال أبو عبيدة البهمة بالضم: الفارس الذى لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه، و الجمع بهم، و

يقال أيضا للجيش بهمة.

الهيحاء - بالمد و تقصر: الحرب.

الفقعة - بفاء مكسورة، ففاف، فعين مهملة مفتوحة، جمع فقع - بكسر الفاء و فتحها و سكون القاف ضرب من الكمأة، و هى البيضاء

الرؤوخة، يشبه به الرجل الدليل يقال هو فقع بقرقر [(١)]، لأن الدواب تنجله بأرجلها.

[(١)] القرق في الأراض المنخفضة اللينة، انظر المعجم الوسيط ٧٣٦ / ٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٨٦

القاع: المكان الواسع المستوى في وطاءة من الأرض.

الإماء: جمع أمه، و هي خلاف الحرّة.

انهينه: فعل أمر من نهى أكد بالتون.

الأسد- بضمّ الهمزة و سكون المهملة جمع أسد بفتح الهمزة و المهملة.

لدى: بمعنى عند.

الغاب، و الغابات: جمع غابه، و هي هنا أجمه الأسد.

والغ - بالغين المعجمة: اسم فاعل من ولغ في الإناء.

الحيّة الصّماء: التي لا تسمع.

صنو أبيه، الصّنو: المثل.

أما و الله - بفتح الهمزة، و تخفيف الميم.

ركبوها منه: [أى فعلوها معه] لأضرّ منها عليهم نارا: أشعلها عليهم.

استبطنتم: يقال استبطن الوادى و تبطنه: دخل بطنه.

أشهب بزل: أى رموا بأمر صعب شديد لا طاقة لهم به يقال يوم أشهب و سنه شهباء، و جيش أشهب: أى قوى شديد، و أكثر ما

يستعمل فى الشدّة و الكراهة، و جعله بازلا لأن بزول البعير نهايته فى الشدة و القوّة.

النجا: السرعة، يقال هو ينجو نجا إذا أسرع.

قبل - بكسر القاف و فتح الموحدة: أى طاقة و إنّما عطفها عليه لتغاير اللفظ.

قاتله الله: أى قتله و لعنه، أو عاداه، و قد ترد بمعنى التعجب من الشىء، كقولهم: تربت يداه، و لا يراد بها وقوع الشىء.

الحميت - بفتح المهملة، و كسر التّحتية، و بالفوقية - و هي فى الأصل المتين من كلّ شىء، و المراد هنا: زقّ السمن .. بالسمن و الميم

متن بالرّبّ و لا يسعر عليه، شبهته بنحى السمن فى لونه و سمنه.

الدّسم - بدال فسين مكسورة مهملتين: الكثير الودك.

ما الأحمس: الشجاع.

قبح: القبح: ضد الحسن، و قد قبح قباحه فهو قبيح، و يقال قبحه الله، أى نحاه عن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٢٨٧

الخير، فيجوز فى لفظ الكثرة قبح - بفتح القاف، و ضم الموحدة، و قبح بالبناء للمفعول.

الطليعة: الذى يحرس القوم.

شرح غريب ذكر من أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بقتله و شرح غريب ذكر دخوله - صلى الله عليه و سلم - مكة و أين نزل

الساعى هنا: الذى يأخذ الزكاه، و فى رواية مصدقا - بفتح الصاد و تشديد الدال مع كسرهما، و يجوز إسكان الصاد مع كسر الدال

المخففة.

القينة - بقاف مفتوحة فتحية ساكنة فنون فتاء تأنيث: الأمة غتت أو لم تغنّ و الماشطة، و كثيرا ما يطلق على المغنية من الإماء.

المغفر - بكسر الميم، و سكون الغين المعجمة، و فتح الفاء، و بالراء: زرد ينسج منه الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.

ذو طوى - بتثليث الطاء المهملة، و الفتح أشهر: واد بمكة، مقصور منون، و قد يمد، يصرف و لا يصرف.
 المدجج - بضم الميم، و فتح الدال المهملة و الجيم الأولى المشددة.
 شاك في السلاح تدجج في شكته و حد في سلاحه.
 القنأة: الرمح.

الأفواه: جمع فوه: و هو الفم.

المزاد - بفتح الميم، و المزايد جمع مزادة، و هي شطر الرواية.

الخدمه - بفتح الخاء المعجمة، و سكون النون، و فتح الدال المهملة، فميم فتاء تأنيث:
 اسم جبل بمكة.

الرعده - بكسر الزاء.

فرس عاير - بعين مهملة فتحتية: ذاهب.

معتجرا، الاعتجار: التعمم بغير ذؤابة.

شقة برد: نصفه.

حبرة - بفتح الحاء المهملة و كسر الموحدة: ضرب من ثياب اليمن.

استشرفه الناس، قال في الصيحاخ: استشرفت الشيء: رفعت نظرك لتنظر إليه، و بسطت كفك فوق حاجبك كالذى يستظل من الشمس.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٨

العثون - بضم العين المهملة و النون و بينهما ثاء مثلثة ساكنة: اللحية.
 واسطة الرجل: مقدمته.

تمعج: تسير فى كل اتجاه.

ثابت - بئاء مثلثة فألف، فموحدة ففوقية: رجعت.

عمامة خرقائية - بفتح الخاء المعجمة و ضمها، و سكون الراء، و بالقاف، و كسر النون، و تشديد التحتية، قال فى التهاية كأنه لواها ثم
 كورها كما يفعل أهل الرساتق [(١)]، و رويت بالحاء المهملة.

المرط - بكسر الميم، و سكون الزاء، و بالطاء المهملة: كساء من صوف، أو خز، أو كتان، و الجمع مروط.

مرحيل - بضم الميم، و فتح الراء و الحاء المهملة المشددة: ضرب من برود اليمن، عليه تصاوير رحل و ما أشبهه، و فى التكملة هو
 الموشى بالرحال، كما أن المسهم الموشى تشبيها بالسهم.

تشير: ترفع.

التقع: الغبار.

الأعنة: جمع عنان - بكسر العين و هو سير اللجام.

مسرجات - بميم مضمومة، فسين مهملة فراء فجيم: مشدود عليها السرج.

الخمير - بضم الخاء المعجمة، و بالراء: جمع خمير، و هو ثوب تغطى به المرأة رأسها، و الخمير - بفتح الخاء المعجمة، و الميم: ما
 واراك من شجر.

مجنبة الجيش - بميم مضمومة فجيم مفتوحة: فنون مكسورة مشددة فموحدة فهاء:

و هى التى تكون فى الميمنة و الميسرة و هما مجنبتان، و قيل: هى الكتبية تأخذ إحدى ناحيتى الطريق، و الأول أصح.

سليم - بضمّ السّين المهملة.

غفار - بكسر الغين المعجمة.

مزينه - بضمّ الميم، وفتح الزّاي، و سكون التّحتية، و بالتّون.

الليط - بكسر اللّام الثّانية، و سكون التّحتية، و آخره طاء مهملة.

[(١)] الرساتق: فارسي معرب و هو السواد، انظر اللسان ٣ / ١٦٤٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٨٩

الحسر - بضمّ الحاء، و فتح السّين المشددة المهملتين و آخره راء: و هم الذين لا درع عليهم.

البياذفة بفتح الموحدة، و تخفيف التّحتية، و بعد الألف ذال معجمة، فقف، فتاء تأنيث:

و فسّر بالرجال، و هى لفظه فارسيه معرّبه.

أقبل بالصف من المسلمين ...

ينصب - بفتح التّحتية، و سكون التّون، و فتح الصّاد المهملة، و تشديد الموحدة.

عنوة: يقال عنا عنوة: أخذ الشّئ قهرا و صلحا، و المراد هنا الأوّل.

ضوى إليه: آوى إليه و انضم.

هذيل - بضمّ الهاء، و فتح الدّال المعجمة، و سكون التّحتية، و باللّام.

الدليل - بكسر الدّال المهملة، و سكون التّحتية.

فمالى علّة ...

و أله - بفتح الهمزة، و تشديد اللّام المفتوحة، فتاء تأنيث: الحربه التى فى نصلها عرض، و جمعها أل - بفتح الهمزة، و تشديد اللّام، و

الأل كجفنه و جفان.

ذو غرارين بغير معجمة مكسورة، و راءين بينهما ألف: شفرتا السّيف و كل شىء له حدّ فحدّه غرره، و الجمع أغرّة.

السّلة - بكسر السّين المهملة، و تشديد اللّام المفتوحة فتاء تأنيث: الحاله من السّيف و من أراد المصدر فتح. قال فى الصّحاح: أتيناهم

عند السّلة، أى عند إسلال السّيوف.

الجزورة: بحاء مهملة مفتوحة فزاي ساكنة فواو مفتوحة فراء: كانت سوقا بمكة و أدخلت فى المسجد لمّا زيد فيه.

لجّة البحر - بضمّ اللّام و تشديد الجيم: معظمه، و منه بحر لّجّى، واسع اللّجّة.

نال ...

الفارسيه ...

الشّعار - ككتاب: العلامة فى الحرب.

حماس - بكسر الحاء المهملة، و تخفيف الميم، و بعد الألف سين مهملة.

إنك - بكسر الكاف، خطاب المؤنث.

بو يزيد: حذف همزته تخفيفا، لضرورة الشّعور، و أراد به سهيل بن عمرو.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٠

المؤتمّة - بميم، فواو، ففوقية مفتوحة: التى قتل زوجها و بقى لها أيتام، و من رواه بكسر الفوقية: أراد لها أيتام، يقال منه أيتمت فهى

مؤتمّة.

الجمجمة: الرأس.

تسمع - بالبناء للمفعول. و في كثير من النسخ تسمى.

الغمغمه - بغينين معجمتين مفتوحتين بعد كل واحده ميم، الأولى ساكنه، و الثانية مفتوحة: أصوات غير مفهومه من اختلاطها. قال في الرّوض، و قال في الإملاء هي أصوات الأبطال في الحرب.

التهيت - بفتح التّون، و كسر الهاء، و سكون التّحتية فوقية: نوع من صياح الأسد كالزّئير إلا أنه دونه. همهمه: صوت في الصّدر.

كرز - بكاف مضمومه، فراء ساكنه فزاي.

الفهري - بكسر الفاء، و سكون الهاء.

البارقة: لمعان السيوف.

فضض المشركين - بفاء و ضادين معجمتين: كل متفرّق و منتشر.

فأتى - رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فذكر له بينائهما للمفعول.

ويشت: بفتح الواو و بالموحدة المشددة و بالشين المعجمة: جمعت الأوباش الجموع من قبائل شتى.

اهتف: صح و الهاتف الصائح.

المناوشة في القتال: تدانى الفريقين و أخذ بعضهم بعضا.

احصدوهم - بهمزة وصل، فإن ابتدأت ضمنت، و بالحاء و الصّاد المهملتين: أى اقلوهم و بالغوا في استئصالهم.

أبيدت - بالبناء للمفعول: أهلكت، و في رواية أبيحت - بالبناء للمفعول أى انتهت و تمّ هلاكها، و الإباحة كالتهب و ما لا يردّ عنه.

خضراء قريش - بخاء مفتوحة فضاء ساكنه معجمتين و بالمد: جماعتهم و أشخاصهم و العرب تكنى بالسّواد عن الخضرة، و بالخضرة عن السّواد و منه سواد العراق.

لا قريش بعد اليوم: ...

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ٢٩١

تقاسموا: تحالفوا.

الخييف: ما انحدر من غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء.

كنانة - بكسر الكاف، و نونين.

رّجّح صوته - بفتح الرّاء، و الجيم المشددة: رده في القراءة، قال ...

مضطربا بالحجون: مقيما به.

شرح غريب ذكر اغتساله - صلى الله عليه و سلم - و رن إبليس و إسلام أبي قحافة و غريب خطبته - صلى الله عليه و سلم

سبحة الضحى - بضم السين المهملة، و سكون الموحدة، و بالحاء المهملة: من التسبيح كالسحرة من التّسحير، و أكثر استعمالها في التّطوع من الذكر و الصّلاة.

الرّنة - بفتح الرّاء و التّون: الصوت بحزن.

التّوح - بفتح النون، و واو ساكنه، فحاء مهملة: البكاء.

الشّرر - بشين معجمة مفتوحة فراءين أولاهما مفتوحة: ما تطاير من النار.

التّامات: الكاملات فلا يدخلهنّ نقص و لا عيب، و قيل: النّافعات الشّافيات.

لا يجاوزهنّ - بمثناة تحتية مضمومة، ثم جيم و زاي، لا يخلفهن و يتخطاهن.

البزّ - بفتح الموحدة، و البار: الصادق أو التقى، و هو خلاف الفاجر، و جمع الأوّل أبرار، و الثاني بررة.

الطارق: الذي يأتي ليلا.

حبشيّة: منسوبة إلى الحبشة.

شمطاء: خالط سواد شعرها بياض.

خمشت المرأة وجهها بظفرها خمشا من باب ضرب: جرحت ظاهر البشرة، ثم أطلق الخمش على الأثر، و الجمع خموش مثل فلس و فلوس.

الويل: كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو بليّة لا يترحم عليه.

إساف بكسر الهمزة، و نائلة - بنون فألف، فهمزة على صورة الياء: اسما صنمين.

أبو قحافة - بضمّ القاف، و بالحاء المهملة، و الفاء، عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهما. أشرفى بى، ارتفعى بى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٢

الوازع - بالزّاي: الذي يكفّ الجيش، أى يقدم بعضه على بعض يقال وزعته عن كذا إذا كففته عنه.

الطّوق هنا: القلادة.

الورق - بفتح الواو، و كسر الزّاء، الفضة.

التّغامه - بئاء مثلثة مفتوحة، فغين معجمة: شجرة إذا يبست ابيضّت أغصانها يشبه بها الشّيب.

أنشد الله رجلا: أذكّره به و أستعطفه أو أسأله به مقسما.

أخيّة: تصغير أخت.

لم قاتلت: ما الاستفهامية دخلت عليها اللّام الجارة فحذفت ألفها.

رشقونا: رمونا.

وضعوا فينا السّلاح: حطوه.

خبطوهم - بخاء معجمة فموحدة فطاء مهملة: ضربوهم ضربا شديدا.

أبو أحيحة - بمهملتين - مصغر.

الجياد - بجيم مكسورة، فتحتية مفتوحة، فألف، فдал مهملة، جمع جيّد: ضد الرّدى.

متمطّرات - بضمّ الميم، و فتح الفوقية، و كسر الطّاء المهملة المشددة، و بالراء، يقال:

تمطّر به فرسه: إذا جرى و أسرع، و جاءت الخيل متمطّرة، أى سبق بعضها بعضا.

المحجن - بميم مكسورة، فحاء مهملة ساكنة، فجيم مفتوحة فنون، و هى عصا مقنعة الرأس كالصولجان.

ارتجّت مكّة: اضطرب أهلها.

الرّصاص - بفتح الرّاء، و المفرد رصاصه.

هبل - بضمّ الهاء و فتح الموحدة، و باللّام.

و جاه - بواو مكسورة فجيم: مقابل.

أخذ بمدّ الهمزة، و كسر الخاء، و بالدّال المعجمتين: اسم فاعل.

سيه القوس - بكسر السين المهملة، و فتح التّحتية المخففة: و هو ما عطف من طرف القوس.

يطعن - بضم العين و فتحها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٣

الاستلام: افتعال من السلام، كأنه حياه بذلك، وقيل: هو افتعال من السلام بكسر السين، و هى الحجاره، و معناه: لمس.

الحجر - بفتح الحاء و الجيم.

الملوح بضم الميم و فتح اللام، و تشديد الواو المفتوحه، فحاء مهملة.

إيه إيه ...

يستقسم: يضرب.

بالأزلام، جمع زلم - بضم الزاى، و يقال: بفتحها، و هو الشهم.

حمامة من عيدان - بفتح العين المهملة، و سكون التحتية، جمع عيدان، و هى النخلة الطويلة.

سطين بسين مهملة، و وقع فى رواية السهيلي بالشين المعجمة، و خطأ القاضى.

قوله: و عند المكان الذى صلى فيه مرمره - بسكون الزاء بين اليمين المفتوحين، واحده المرمز، و هو جنس من الرخام لطيف نفيس

معروف، و كان ذلك فى زمن النبى - صلى الله عليه و سلم - ثم غير بناء البيت بعد فى زمن ابن الزبير كما تقدم.

بره - بموحده مفتوحه، فراء مشدده فمشناه فوقيه.

شرح غريب ذكر خطبته - صلى الله عليه و سلم - يوم الفتح

استكف له الناس - بفتح أوله، و سكون السين المهملة، و فتح الكاف، و بالفاء: أى استجمع، من الكافه، و هى الجماعة، و قد يجوز أن

يكون استكف هنا بمعنى نظروا إليه، و حدقوا أبصارهم فيه، كالذى ينظر فى الشمس، من قولهم: استكف بالشىء إذا وضعت كفك

على حاجبك و نظرت إليه، و قد يجوز أن يكون استكف هذا بمعنى استمد، قاله فى الإملاء.

و أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث قال السهيلي، و ابن حزم، و البلاذرى: كان لربيعة بن الحارث ابنا مسترضعا فى بنى سعد بن ليث

فقتلته هذيل فى الجاهلية، فأهدر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - دمه فى فتح مكة و سماه البلاذرى، و الزبير بن بكار، و ابن حزم و

غيرهم:

آدم، و قيل: اسمه تمام، و قيل إياس.

الأحزاب: و هم الذين تحزبوا على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالخذق من قريش و غيرهم.

لا تثريب: لا تعنيف و لا لوم.

الطلاق - بطاء مهملة مضمومة، فلام مفتوحة فقفاف: الذين خلى سبيلهم.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٤

مأثرة - بهمزة ساكنة فناء مثلثة مفتوحة: الخصلة المحموده التى تؤثر و يتحدث بها.

سدانة البيت: بكسر السين، و بالدال المفتوحة المهملتين، و بعد الألف نون: خدمته.

النخوة: العظمة و الكبر.

لا يعضد - بالعين المهملة، و الضاد: لا يقطع.

عضاها، العضاء ككتاب شجر الشوك كالطلع و العوسج.

و لا يختلى - بضم التحتية و سكون الخاء المعجمة: لا يقطع.

الخلى - بالقصر: الرطب من الحشيش، الواحدة خلاه.

و كان شيخا مجربا- بضم الميم، و فتح الجيم و الراء: أى جزئته الأمور و أحكامته.

الإذخر- بكسر الهمزة و سكون الدال، و كسر الخاء المعجمتين: نبات معروف ذكى إذا جفّ ابيضّ.

القين- بفتح القاف، و سكون التحتيّة، و بالتّون: الحدّاد، و يطلق على كلّ صانع، و الجمع قيون، مثل عين و عيون.

و للعاهر الحجر: أى إنما ثبت الولد لصاحب الفراش و هو الزوج، و للعاهر الخيبة و لا يثبت له نسب، و هو كما يقال: و له التراب، أى الخيبة، لأنّ بعض العرب كان يثبت النسب من الزّانى، فأبطله الشرع.

لا جلب- بفتح الجيم و اللّام، و بالموحدة، فسّر بأنّ ربّ الماشية لا يكلف جلبها إلى البلد ليأخذ السّاعى منها الزّكاة، بل تؤخذ زكاتها عند المياه.

و لا- جنب- بفتح الجيم و التّون، و بالموحدة: أى إذا كانت الماشية فى الأفيئة فتترك فيها و لا تخرج إلى المرعى، فيخرج السّاعى لأخذ الزّكاة لما فيه من المشقّة. فأمر بالزّفق من الجانيين.

الأفيئة: جمع فناء ككتاب: الوصيد، و هو سعة أمام البيت، و قيل: ما امتدّ من جوانبه.

اشتمال الصّماء: أى يجلّل جسده كله بكساء أو إزار لا يرفع شيئا من جوانبه.

أخالكم: أظنكم.

خالدة: دائمة لكم.

تالدة- بالفوقية كصاحبه، و التّالدة: القديم، قال المجبّ الطّبري- رحمه الله تعالى:- إنّها لكم من أوّل و من آخر، و تكون تالدة إتباعا لخالدة بمعناه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٥

مضطبع بثوبه: اسم فاعل من الاضطباع: و هو أن يدخل ثوبه من تحت إبطه اليمنى و يلقيه على عاتقه الأيسر، و يتعدى بالباء، فيقال: اضطبع بثوبه، قال الأزهرى: و الاضطباع و التوشّح و التأبط سواء.

أما الرجل- بفتح الهمزة و تشديد الميم.

يقضى- بالبناء للمفعول، و كذلك قضى، و الوحى، نائب للفاعل.

الضّنّ برسول الله- صلّى الله عليه و سلّم- بكسر الضاد المعجمة الساقطة، و تشديد التّون، أى بخلا به، و شحا أن يشاركنا فيه أحد غيرنا.

يطئون عقبه: يتبعونه، و موطأ العقب: سلطان يتّبع.

تفوّهت: تلفظت.

قرن- بقاف مفتوحة، فراء ساكنة، و هى فى الأصل: الجبل الصغير.

المسفلة- بميم مفتوحة فسين مهملة ساكنة ففاء، فلام مفتوحتين: موضع بأسفل مكّة.

يوضع فيه: يسرع.

الجعرانة- لا خلاف فى كسر الجيم، و أهل الحديث يكسرون عينه، و أهل الأدب يسكنون العين و يخفّفون الزّاء.

قال فى المراصد: و الصحيح أنهما لغتان، قال على بن المدنى: أهل المدينة يتقلّون الجعرانة، و أهل العراق يخفّفونها، و هى منزل بين الطائف و مكّة، و هى إليها أقرب.

عرنة- بضم العين المهملة و فتح الراء و بالنون: واد قرب عرفات.

شرح غريب ذكر إسلام عبد الله بن الزّبيرى - رضى الله عنه

الزبعرى هو بزاي، فموحده مكسورتين، فعين مهملة ساكنة، فألف مقصورة.

لا تعد بفتح الفوقية و سكون العين المهملة.

من حرف جر، و فى رواية لا تعد من من العدم، أكد بالتون، و رجلا- عليها- مفعول.

نجران- بنون مفتوحة، فميم ساكنة، فألف فنون: مدينة باليمن.

الأخذ- بالحاء المهملة، و الدال المعجمة: القليل المنقطع، و من رواه بالجيم و الدال المهملة: فهو منقطع أيضا. و قد يجوز أن يكون

معناه فى عيش لئيم جداً بليت من البلى و هو العدم و القدم.

القناة: الرمح.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٦

خوارة- بخاء معجمة مفتوحة، فواو مشددة فراء: ضعيفة.

جوفاء- بميم مفتوحة فواو ساكنة ففاء فألف فهمز: واسعة.

ذات و صوم- باو مضمومة فصاد مهملة فواو فميم: فتور و كسل و توان أجلب عليه: جمع ما قدر عليه من جنده.

يجب ما قبله: يقطعه و يمحاه.

لسانى راتق: ساد، تقول: رتقت الشيء إذا سدته.

ما فتقت: أحدثت من ذنب، فكلل إثم فتق و تمزيق، و كلل توبه رتق البور- بالموحدة: الهلاك ..

أبارى: أعارض، و أجارى.

سنن الغى: طرقة.

المثبور: الهالك.

البلابل: الوسوس.

الهموم: الأحزان.

معتلج: مضطرب يركب بعضه بعضا.

الزواق: طائفة من الليل، و أرواقه: أثناء ظلمته.

البهيم: الذى لا ضياء فيه.

عيرانة: ناقة تشبه العير فى شدته و نشاطه و العير- بفتح العين: حمار الوحش.

غشوم- بغين، فشين معجمة: ظلوم، يعنى أن مشيها فيه خفاء، و من رواه رسوم، فمعناه:

أنها ترسم الأرض و تؤثر فيها من شدة وطئها، و الرسم: ضرب من سير الليل.

أسديت: صنعت و حكيت، يعنى ما قاله من الشعر قبل إسلامه.

أهيم: أذهب على وجهى متحيرا.

أغوى بالغين المعجمة.

خطه- بضم الخاء المعجمة، و بطاء مهملة: أى بأشراً أمر و أقبحه.

سهم- بفتح السين المهملة، و سكون الهاء.

مخزوم- بالخاء و الزاى المعجمتين.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٧

أسباب الردى: طرق الهلاك.

الوشاء- بضم الواو: جمع واش و هو النَّمام.
الأواصر: قرابة الرَّحم من النَّاس.
الحلوم- بضم الحاء المهملة، و اللّام: العقول.
فدى- بكسر الفاء، و تفتح، قال فى الصحاح: إذا كسر يمدّ و يقصر، و إذا فتح فهو مقصور انتهى و المفاداة: أن تدفع رجلا و تأخذ رجلا، فالفداء أن تشريه أو تنقذه بمال، و فديته بأبى و أمى كأنك اشتريته و خلّصته بهما، إذا لم يكن أسيرا، فإن كان أسيرا مملوكا قلت: فاديته، و المراد بالفداء هنا التعظيم، لأنّ الإنسان لا يفدى إلا من يعظّمه. فيذل نفسه، و من يعز عليه به.
زلى: خطيئتي.
علم- بفتح العين و اللّام.
الجسيم: العظيم.
القرم- بفتح القاف، و سكون الرّاء: و أصله الفحل من الإبل.
الذرى- بضمّ الدال المعجمة: الأعلى.
الأروم: الأصول.

شرح غريب ذكر إسلام عكرمة و صفوان بن أمية و هند بنت عتبة

ضوى إليه بفتح الضاد المعجمة: مال.
الشّعبية- بالشّين المعجمة، و العين المهملة تصغير شعبة: مرفأ السفن بجدة.
و المرفأ- بميم فراء فهمز: الموضع الذى تشدّ فيه السفن.
عكّ- بفتح العين المهملة و تشديد الكاف: حىّ منسوب إلى عكّ بن عدنان- بضمّ العين، و سكون الدال المهملتين، و بالتاء المثناة ابن عبد الله بن الأزد.
تليح بمثناة فوقية فلام فمثناة تحتية فحاء مهملة: تبصر، يقال لحته أبصرته، و الاستلاح التّبصر.
التّوتى: الملاح الذى يدبّر أمر السفينة فى البحر.
أغرب- بغير معجمة: أبعد.
الاعتجار بالعمامة: و هو أن يلفها على رأسه، و يردّ طرفها على وجهه، و لا يعمل منها شيئا تحت ذقنه.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٨
آمنه- بمدّ الهمزة و فتح الميم المخففة.
سيره شهرين- بفتح السين و التّحتية المشددة.
شفير النار: جانبها.
القدوم- بقاف مفتوحة، فдал مضمومة تخفف و تشدد هنا: آلة النجار.
أفلذه- بهمزة مضمومة ففاء ساكنة فلام فдал معجمة: أقطعه.
مرضوفين- بميم فراء [فضاد] فواو ففاء مفتوحة: مشويين على الرّصف و هى الحجارة المحماء.
قدّ- بقاف مفتوحة فдал مهملة: جلد السّخلة.

شرح غريب ذكر خطبته - صلى الله عليه و سلم - ثانى يوم الفتح

قوله غزى - بغين فزاي معجمتين، و تشديد التحتىه: جماعة القوم الذين يغزون.

جنيد بن الأدلع.

هذيل - بضم الهاء و فتح الدال المعجمة، و سكون التحتىه، و باللام.

الغطيظ: ما يسمع من صوت الأدميين إذا ناموا، و هو صوت من الحلق.

الحاضر: القوم الذين ينزلون على الماء.

فمه: ما الاستفهامية أبدلت ألفها هاء في الوقف، و المعنى فما تريدون أن تضعوا [يستجيش عليه: بمثناه فسين مهملة فمثناه فوقيه فجم

فتحتىه: أقبل إليهم يطلب سكون الجأش بهمز و قد لا يهمز. و هو رواع القلب إذا اضطرب عند الفرع و تنفس الإنسان].

هكذا عن الرجل: هي هنا اسم سمي به الفعل، و معناه: تنحوا عن الرجل، و عن متعلقة بما في هكذا من معنى الفعل.

الحشوة - بالحاء المهملة المفتوحة: ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء و غيرها تسيل: تخرج.

ترنقان - بوقية فزاي فنون ففاف أى قربنا أن تنغلقا، يقال زنقت الشمس إذا دنت للغروب و زنقه النعاس إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه

انجعف - بنون فجم فعين مهملة ففاء: سقط سقوطا ثقيلا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٢٩٩

شرح غريب قصيدة حسان بن ثابت - رضى الله عنه

عفت: درست و تغيرت.

ذات الأصابع، و الجواء - بكسر الجيم، و تخفيف الواو، و عذراء بفتح العين المهملة، و سكون الدال وراء و بالمد: الثلاثة مواضع

بالشام، و الأخيرة قرية بقرب دمشق.

منزلها خلاء: فارغ.

الحسحاس - بحاء مفتوحة فسين فحاء فألف فسين مهملات: حتى من بنى أسد.

قفر - بفتح القاف، و سكون الفاء، و بالراء: المفازة التى لا نبت فيها و لا ماء.

تعفها - بضم الفوقية، و فتح العين المهملة، و كسر الفاء المشددة: تغيرها.

الزوامس - بالراء و السين المهملتين: الرياح التى ترمس الآثار، أى تغطيها و تسترها.

السماء - هنا - المطر.

تثير - بضم الفوقية و كسر التاء المثناة، و سكون التحتىه و بالراء: ترفع.

التقع - بفتح التون و إسكان القاف و بالعين المهملة: الغبار.

كداء - بفتح الكاف و المد.

الأعنة: جمع عنان - بكسر العين المهملة: و هو سير اللجام.

مصغيات: مستمعات.

الأسل - بفتح الهمزة و السين المهملة: الرماح.

الظماء بكسر الظاء المعجمة المشالة و بالمد: العطاش.

الجياد - هنا: الخيل.

متمطرات - بطاء مهملة مكسورة مشددة مصونات أو مسرعات يسبق بعضهن بعضا.

يلظمن: يضربهن بالخمير - بضم الخاء المعجمة، و الميم، جمع خمار.

إمّا- بكسر الهمزة، و تشديد الميم، أصله إن الشَّرْطِيَّة و ما زائدة.

تعرضوا- حذف النون للجازم.

الجلاد- بكسر الجيم: الضَّرْب بالسِّيَوف و نحوها فى القتال.

ليس له كفاء- بكسر الكاف و بالمد: أى مثلاً.

و قال الله قد أرسلت عبدا: أى قال الله- تعالى- معناه، و ليس هذا اللفظ فى القرآن و كذا و قال الله قد سَيَّرت جندا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٠

البلاء: الاختبار.

عرضتها- بضمّ العين المهملة، و سكون الزاء و بالضّاء المعجمة- اللقاء: عادتها تعرض للقاء عدوها.

نحكّم بالقوافى من هجانا- بضمّ النون، و فتحها: أى نرد و نقدع، من حكمة الدّابة بفتح المهملة و سكون الكاف و هو لجامها، و

المعنى: نغمهم و نخزيهم فتكون قوافينا كالحكمات للدّواب.

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب- قيل أسلم فى السفر، و هذا مما يقوَى أنّ بعض هذه القصيدة قالها قبل السفر للفتح.

مغلغلة- بغينين معجمتين، الأولى مفتوحة، و الثانية مفتوحة أيضا و بعد كل منهما لام الأولى ساكنة و الثانية مفتوحة و هى الرسالة

المحمولة من بلد إلى بلد.

برح: زال.

الجفاء: الإعراض و التبعاد.

برا- بفتح الموحدة و الزاء: و هو الكثير الخير.

الحنيف: المسلم، و سمى بذلك لأنه مال عن الباطل إلى الحق، و الحنف: الميل.

الشّيمة- بكسر الشّين المعجمة، و سكون التّحتية: الخلق بضم الخاء المعجمة، و اللّام و تسكن.

الكفو- بتثييث الكاف: المثل و النظير.

فشر كما لخير كما الفداء: هذا نصف بيت قالته العرب، و هو من باب قوله- صلّى الله عليه و سلّم- شرّ صفوف الرجال آخرها، يريد

نقصان حظهم عن حظّ الصّفّ الأول، و لا يجوز أن يريد- صلّى الله عليه و سلّم- التفضيل فى الشّر. قال سيبيويه- رحمه الله تعالى-

تقول مررت برجل شر منك إذا نقص عن أن يكون مثله.

صارم: قاطع.

لا عيب- بالتّحتية و الموحدة- و هو الظاهر- و يروى بالفوقية أى لا لوم فيه.

الدّلاء- بكسر الدّال المهملة: جمع دلو بفتحها.

شبيه وقع فى صحيح مسلم فى مناقب حسان رضى الله تعالى عنه فى هذه القصيدة أبيات.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠١

أولها: هجوت محمدا إلى آخره، و ثانيهما: هجوت محمدا برا تقيا، و ثالثها: فإن أبى و والدتى و عرضى، و رابعها: ثكلت بنيتى إن لم

تروها تثير النقع غايتها كداء، و خامسها: يبارين الأعتة مصعدات كذا فى مسلم، و فى السّيرة مصغيات، و سادسها تظل جيانا إلى

آخره، و سابعها: فإن أعرضتم إلى آخره، و ثامنها: و إلا فاصبروا لضراب يوم و تاسعها: قد أرسلت عبدا و قال الله يقول الحق ليس به

خفاء.

و عاشرها: و قال الله قد سَيَّرت جندا، و حادى عشرها: تلاقى كل يوم من معدّ، و ثانى عشرها: فمن يهجو، و ثالث عشرها: و جبريل

رسول الله فىنا.

شرح غريب أبيات أنس بن زنيم - رضى الله عنه

و أبوه [زنيم] بضم الزاى، و فتح التّون و سكون التّحتية.
الذمة - بكسر الدّال المعجمة: العهد.
أحثّ بالحاء المهملة، و الثّاء المثناة: أسرع.
أسبغ - بالسين المهملة و الموحدة و الغين المعجمة: أكمل.
الثّائل: العطاء.
المهتد: السيف المطبوع من حديد الهند.
الخال - بالخاء المعجمة: ضرب من برود اليمن، سمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء قبل ابتداله: [أى بلاه] السابق - هنا - الفرس.
المتجرد - بكسر الراء: اسم فاعل. الذى يتجرد من الخيل فيسبقها.
تعلم - بفتحات و اللّام مشددة: بمعنى اعلم.
الوعيد: التهديد.
الصرم - بكسر الصاد المهملة و سكون الزّاء و بالميم: البيوت المجتمعة.
المتهمون: الذين يسكنون بتهامة، و هو ما انخفض من أرض الحجاز.
المنجد: من سكن بنجد، و هو ما ارتفع من الأرض.
عويمر: تصغير عمرو، و هو بن سالم كذا فى النور.
المخلفوا كلّ موعدا - بجر كل بإضافة اسم الفاعل إليها، و يجوز نسبتها فى لغة.
نبوا - بنون فموحدة مشددة: أخبروا.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٢
الطلق - بفتح الطاء، و سكون اللّام: الأيام السعيدة، يقال يوم طلق إذ لم يكن فيه برد و لا حرّ و لا شىء يؤذى، و كذلك ليله طلق.
عزّت: اشتدّت.
العبرة - بفتح العين المهملة: الدّمة.
التبّلد: التحير تبلدى: تصبرى، أخفرت: نقضت العهد أكمد: من الكمد و هو الحزن.
فتقت - بفاء ففوقية ففاف: أحدثت، أو خرجت.

شرح غريب أبيات الشقراطيسى - رحمه الله تعالى

و هو بشين معجمة ففاف ساكنة فراء مفتوحة فطاء فسين مهملات فتحية.
يوم مكة - جوز الإمام أبو شامة - رحمه الله تعالى نصب يوم و رفعه و جره. إذ: ظرف زمان بدل من يوم.
أشرفت / علوت عليها و ظهرت على أخذها.
الأمم: جمع أمّة، و هى جماعة الحيوان على الإطلاق، و من الزّمان و غير ذلك.
تضييق - بالفوقية و التّحتية.
الفجاج - جمع فجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
الوعث - بووا مفتوحة، فعين مهملة ساكنة، فثاء مثناة: المكان الواسع.

الدَّهْس - بَدال مَهْمَلَةٌ فَهَاءٌ مَفْتُوحَتَيْنِ فَسِينٌ مَهْمَلَةٌ: مَا لَانَ مِنَ الْأَرْضِ وَ سَهْلٌ، وَ لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَكُونَ رَمَلًا تَغْيِبُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَ يَشَقُّ عَلَى مَنْ مَشَى فِيهِ.

السَّهْل - بِسُكُونِ الْهَاءِ - وَ فَتْحِهَا ضَرْورَةٌ - وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ بَضْمَتَيْنِ، جَمَعَ سَهْلٌ وَ هُوَ مَا لَانَ مِنَ الْأَرْضِ، وَ الْمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ الطَّرِيقِ تَضْيِيقٌ عَنِ ذَلِكَ الْجَيْشِ.

الخَوَافِقُ - بِالضَّرْفِ لِلضَّرورَةِ، وَ بِالجَزْرِ بَدَلَ مِنْ أُمِّمٌ، أَيْ أَشْرَفَتْ فِي أُمِّمٍ خَوَافِقٌ، يُقَالُ خَفَقْتَ الزَّيْأَةَ تَخْفِقُ وَ تَخْفَقُ - بِكَسْرِ الْفَاءِ وَ ضَمِّهَا خَفَقًا وَ خَفَقَانًا، وَ كَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا اضْطَرَبَ، وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ خَوَافِقٌ صِفَةً لِأُمِّمٍ لَا بَدَلَ، وَ صَفْهَا بِالْمَفْرَدِ بَعْدَ أَنْ وَصَفْهَا بِالْجَمَلَةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ خَفِقَ الْأَرْضُ بِنَعْلِهِ خَفَقًا وَ هُوَ صَوْتُ النَّعْلِ، وَ كَلَّ ضَرْبَ بَشْيءٍ عَرِيضٍ خَفِقَ وَ مِنْهُ خَفَقَهُ بِالسَّيْفِ، وَ خَفِقَ فِي الْبِلَادِ خَفُوقًا: ذَهَبَ، وَ خَفِقَ الْبَرْقُ خَفَقًا: لَمَعَ، وَ خَفَقَتِ الرِّيحُ خَفَقَانًا: وَ هُوَ خَفَقَهَا أَيْ دَوَّى جَرِيهَا، وَ خَفِقَ الطَّائِرُ، أَيْ طَارَ، وَ صَفَّ تَلَكُ الْأُمِّمِ بِسُرْعَةِ الطَّيْرِ وَ السَّيْرِ وَ لِمَعَانٍ

سَبَلِ الْهَدْيِ وَ الرِّشَادِ، الصَّالِحِي الدَّمَشْقِي، ج ٥، ص: ٣٠٣

الْحَدِيدِ، وَ صَوْتِ وَقَعِ الْخَوَافِرِ، وَ مَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ مِمَّا يَلِيقُ بِالْمَعْنَى الْمَقْصُودِ الْمَسْتَبْطِ مِنْ هَذِهِ الْأَفْظَانِ. فِي اللَّغَةِ، وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَوَافِقٌ بِالرَّفْعِ جَعَلَ مَبْتَدَأً عَلَى تَقْدِيرِ لَهَا خَوَافِقٌ يَعْنِي رَايَاتٍ، أَوْ خَبْرًا أَيْ هِيَ خَوَافِقٌ، يَعْنِي الْأُمِّمِ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ فِي ذَاتِ خَوَافِقٍ وَ حَذْفِ الْمُضَافِ، وَ كَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ عَلَى إِعْرَابِ خَوَافِقٍ بِالْجَرِّ أَيْ ذَوِي خَوَافِقٍ، فَمَهْمَا قَدَرْنَا حَذْفَ مُضَافٍ، أَوْ قَلْنَا هِيَ مَبْتَدَأٌ أَوْ جَرَّرْنَاهَا عَلَى الْبَدَلِ، فَالْمُرَادُ بِخَوَافِقِ الزَّيَايَاتِ، وَ إِنْ جَرَّرْنَاهَا صِفَةً لِأُمِّمٍ أَوْ قَلْنَا: التَّقْدِيرُ هِيَ خَوَافِقٌ فَالْخَفِقُ لِلْأُمِّمِ لَا الرَّايَاتِ.

ضَاقَ: ضَعُفَ.

ذَرَعَ الْخَافِقِينَ: وَسَعَهُمَا.

الْخَافِقَانِ: أَفْقَا الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ يَخْفِقَانِ فِيهِمَا.

الْقَاتِمُ: الْمَغْتَبِرُ وَ الْقِتَامُ: الْغُبَارُ.

الْعِجَاجُ - بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةُ وَ جِيمِينَ: الْغُبَارُ.

الْجِحْفَلُ - بِالْجَزْرِ: وَ هُوَ الْجَيْشُ الْعَظِيمُ، قَالَ فِي الْمَحْكَمِ: وَ لَا يَكُونُ الْجَيْشُ جِحْفَلًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خَيْلٌ.

قَذَفَ بَفَتْحِ الْقَافِ وَ الدَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَ بَضْمَهُمَا: أَيْ مَتَبَاعَدَ.

الْأَرْجَاءُ: التَّوَاحِي وَ الْأَطْرَافُ.

اللَّجِبُ: الصَّوْتُ وَ الْجَلْبَةُ.

الْعَرْمَرَمُ: الْكَثِيرُ.

زَهَاءُ السَّيْلِ - بَضْمُ الزَّيْ: قَدْرُهُ.

الْمَنْسَحَلُ - بَضْمُ الْمِيمِ، وَ سُكُونُ التَّوْنِ، وَ فَتْحُ السَّيْنِ، وَ الْحَاءُ الْمَهْمَلَتَيْنِ: وَ هُوَ الْمَاضِي فِي سَيْرِهِ، الْمَسْرَعُ فِيهِ. يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَأَنَّهُ جَارٌ.

الْبَهْوُ: الْبِنَاءُ الْعَالِي كَالْإِيوَانِ وَ نَحْوِهِ، شَبَّ النُّورِ، الَّذِي يَغْشَاهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِبَهْوٍ أَحَاطَ بِهِ.

مَكْتَمَلُ بَضْمِ الْمِيمِ: تَامٌ.

يَنْبِرُ - بَضْمُ التَّحْتِيَّةِ - أَيْ النُّورُ الْمَذْكُورُ يَنْبِرُ أَيْ يَضِيءُ «أَغْرَ الْوَجْهَ: أَيْبِضُهُ مَنَّجِبٌ:

مَتَخِيرٌ مِنْ أَصْلِ نَجِيبٍ أَيْ كَرِيمٌ.

الْمَتَوَجُّجُ: الَّذِي لَبَسَ التَّاجَ وَ هُوَ الْإِكْلِيلُ الَّذِي تَلْبَسُهُ الْمُلُوكُ، وَ هُوَ شَبَّ عَصَابَةِ تَرْيِّنٍ بِالْجَوَاهِرِ، وَ صَفَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بِأَنَّهُ

أبدا متوج بعزة النصر. مقتبل - بضم الميم، و سكون

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٤

القاف، و فتح الفوقية، و كسر الموحدة: من اقتبل أمره أى استأنفه، و اقتبل الخطبة أى ارتجلها، و الاقتبال: الاستئناف. يسمو - بالتحية: يعلو.

أمام: قدام.

جنود: جمع جند.

مرتديا: حال من الضمير فى يسمو.

ثوب الوقار: مفعول مرتديا على إسقاط الخافض و الوقار العظمة.

ممثل: أى منتهج على مثاله، يقال: امثل فلان الأمر إذا فعله على المثل الذى رسم له.

خشعت: خضعت - حسا و معنى.

البهاء: الحسن.

سمت: ارتفعت.

المهابة: الهيبة، فكلاهما مصدر هابه، و معناها الإجلال و المخافة.

الوجل: الخائف، جمع الناظم بينهما لاختلاف اللفظ تأكيدا للمعنى، أى فعلت فى زمان نهاية عزك ما يفعله الخائف الوجل.

تباشر القوم: بشر بعضهم بعضا فرحا.

أملاك: جمع ملك مثل حمل و أحمال.

ملك - بضم الميم، و كسر اللام المشددة، و فى بعض النسخ بفتحهما من غير تشديد، و كلاهما واضح.

نلت: حصلت [غاية الأمل]: مطلوبك.

ترجف: تهتز.

الزهو: الخفة من الطرب، يقال: زهاه الشئ ازدهاء: إذا استخفه، و الزهو أيضا: الكبر، و ليس مرادا هنا.

الفرق: الفزع، يقال اهتزت الأرض فرحا بهذا الجيش و فرقا من صولته، أى كادت تهتز كما قال تعالى: وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ

[الأحزاب ١٠] أى كادت تبلغ.

الجو: ما تحت السماء من الهواء.

يزهر: يضىء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٥

الإشراق: الإضاءة.

الجدل - بفتح الجيم، و الدال المعجمة: السرور و الفرح.

تختال: تتبختر فى مشيتها.

زهوا: كبرا و إعجابا، و هذا غير معنى الزهو السابق، فليس بتكرار.

العيس - بكسر العين: الإبل فى ألوانها عيس - بفتح العين و التحية، و هو بياض مخالط بحمرة.

تنثال - بفوقية مفتوحة فنون ساكنة فناء مثلثة و لام: أى تنصب من كل جهة، يقال تنائل الناس إليه إذا انصبوا.

رهوا بالزاء: أى ذات رهو، و هو السير السهل.

ثنى - بكسر التاء المثناة، و فتح التون، كأنه جمع ثنى، لأن كل أحد له ثنى إلا أن هذا الجمع غير مسموع، و فى بعض النسخ بضم

المثلثة و كسرها كحليّ و حلي.

الجدل- بضمّ الجيم، و الدال المهملة: جمع جديل، و هو الزّمام المجدول، أى المصفور المحكم القتل، و الزّمام ما كان فى الأنف، و الخطام غيره، و ثنى الجدل ما أثنى منها على أعناق هذه الإبل، أى انعطف و انطوى.

الحوّل- بكسر الحاء المهملة، و فتح الواو: التّحوّل، و هو الانتقال و التّغير.

أهلّ- بفتحات و اللّام مشدّدة: أى رفع صوته.

ثهلان- بئاء مثلثة: جبل.

التّهليل: مصدر هلّل إذا قال: لا إله إلّا الله.

ذاب- بفتح الدّال المعجمة.

يدبّل- بفتح التّحتية، و سكون الدّال المعجمة و ضمّ الموحّدة و باللّام: جبل.

التّهليل- هنا: الجبن و الفزع، يقال هلّ الرّجل عن الشّيء إذا فزع منه فرقا و جبنا.

الذّبيل- بضمّ الدّال المعجمة، و الموحّدة: الرّماح الدّوابل الّتى لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أى جفت و يبست، و إذا قطعت كذلك كانت أجود، و أصله لو لا- القدر الّذى خطّته الأقلام فى اللّوح المحفوظ، و لما سبق من قضاء الله فيه الّذى لا يتحوّل أن الجماد لا ينطق و لا يعقل لرفع ثهلان صوته فهلّل الله- تعالى- من الطّرب، و لذاب يدبّل من الجزع و الفرق.

عقدت: بالبناء للمفعول.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٦

الأزل- بفتح أوله و الزّاي: القدم بكسر القاف.

شعبت- بفتح الشّين المعجمة، و العين المهملة، و سكون الموحّدة، و فتح الفوقية: أى جمعت و أصلحت.

الصّدع: الشّق.

قذفت: رمت.

شعوب: اسم علم على المتيّة لا ينصرف، لأنّه مشتقّ من شعب إذا تفرّق، لأنّها تفرّق الجماعات.

شعاب السهل، جمع شعب: الطّريق فى الجبل.

السّهل: خلاف الجبل، و هو ما سهل و لان من الأرض.

القلل: جمع قلّة، و هى أعلى الجبل، و قلّة كلّ شىء أعلاه.

زادت: من الزّيادة.

الكتائب: جمع كتيبة، و هى الجماعة من الخيل.

الزّئير- بالهمز: صوت الأسد فى صدره.

العصل- بعين فصاد مهملتين: جمع أعصل، و هو النّاب الشّديد المعوجّ.

ويل: كلمة يعبر بها عن المكروه و يدعى بها فيه.

آثار و طنته: مصدر و طىء بقدمه يطاء و طأ و وطأ للمرء من ذلك، و يعبر بها أيضا عن موضع القدم، و عن الأخذة و الوقعة، فالمعنى

على الأول: من آثار و طأته الأرض، و على الثّانى من آثار نكايته.

الجوى- بفتح الجيم، فى الأصل فساد الجوف، ثم سمي كل ما بطن من حزن أو هوى، أو همّ جوى.

الهبّل بفتح الهاء، و الموحّدة: الثّكل، مصدر هبلته أمه، أى ثكلته.

جدت عفوا- يقال أعطانى فلان كذا عفوا، أى سهلا من غير عناء و لا كدّ فى السّؤال و العفو: التّجاوز عن الذّنّب، و ترك العقوبة.

و لم تلمم من ألمت بالشئ إذا دنوت منه و نلت منه نيلا يسيرا.

الأليم: الموجع.

اللوم و العذل- بفتح الدال المعجمة و سكونها متقاربان، فلما اختلف اللفظ حسن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٧

التكرير- يعنى أن النبى- صلى الله عليه و سلم- لم يقابل أهل مكة- و لم يعذلهم، بل عفا عنهم و صفح.

أضربت: أعرضت و تركت.

بالصفح: بالعفو.

صفحا: أى إعراضا.

الطوائل: جمع طائفة، أى عداوة، أى أعرضت عن نتاج طوائلهم و هى جنائيتهم عليه- صلى الله عليه و سلم.

طولا- بفتح الطاء: المنّ و الإنعام و التفضل.

المقيل فى الأصل مصدر قال يقيل قولا و مقيلا و قيلولة: إذا نام فى الظهيرة أو استراح، و إن لم ينم، و استعار ذلك هنا للتوم، و جعل

له مقيلا- فى أعينهم، و كنى بذلك عن لبثه و استقراره بسبب العفو عنهم و الصّيفح، و كان قبل ذلك نافرا عنهم بسبب الخوف من

القتل و الغمّ من الطرد.

المقل- بضمّ الميم، و فتح القاف، جمع مقلّة، و هى شحمة العين التى تجمع السواد و البياض.

واشج الأرحام- بشين معجمة مكسورة، فجيم: مختلطها و مشتبكها، من قولهم و شجت العروق و الأغصان أى اشتبكت و تداخلت و

التفتّ و شجا و وشيجا.

أتيج- بضمّ أوّله و كسر الفوقية، و سكون التّحتية و بالحاء المهملة: قدّر و قيض.

الوشيج- بفتح الواو، و كسر الشّين المعجمة، و سكون التّحتية، و بجيم، ما نبت من القنا و القضب ملتفا، و قيل: سميت بذلك لأنها

تنبت عروقها تحت الأرض، و قيل: هى عامّة الرّماح.

التّشيج- بفتح التّون و كسر الشّين المعجمة، و سكون التّحتية، و بجيم: بكاء يخالطه شهيق و توجّع.

الرّوع: الفرع، و الوجل: الخوف- و هما متقاربان او مترادفان، عطف أحدهما على الآخر لّما اختلف اللفظان، و معنى البيت: إنّ القوم

الذين رحمتهم فأمنتهم قرابتهم شديدة الاتصال بك.

عاذوا- بذال معجمة: لجئوا بالجيم.

اللطف- بفتح اللّام- و الطاء المهملة، و الفاء: اسم لما يبر به، يقال: ألطفه بكذا، أى برّه به، أى لجئوا مما كانوا فيه من حرّ الخوف، و

الغمّ إلى ظلّ عفو رسول الله- صلى الله عليه و سلم.

أزكى: أكثر و أوسع و أظهر الخليفة: الخلائق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٨

أخلاقا: جمع خلق- بضمّ الخاء المعجمة، و اللّام: و هى السّجّية.

الزلّ: التنحّى عن الحق.

زان- من الزّينة.

الخشوع: الخضوع.

الوقار: الحلم و الرّزانة.

الخفر- بفتح الخاء المعجمة، و الفاء: شدة الحياء.

العذراء: البكر.

الكلل - بكسر الكاف: جمع كلة: و هي الصّومعة، و هي الشتر الرقيق يخاط كالبيت.

محبورا: مسرورا منعما.

في شغل - بضمّ الشين و الغين المعجمتين: ممنوع من الوصول إليه.

الخزى: الهوان و الدّل، و يروى الرّجس - و هو القدر - موضع الخزى.

الرّكس: ردّ الشّىء مقلوبا، و يروى منتكس، أى منقلب.

ثاو بثاء مثلثة، مقيم.

البهموت: الحوت الذى عليه قرار الأرض.

زحل: نجم معروف.

حجرت: منعت.

الأقطار: التّواحي، واحدها قطر - بضم القاف الحجاز ارض خاصه فى جزيرة العرب حاجز بين نجد و تهامة.

معا: ظرف لازم الإضافة، بمعنى المصاحبة، و موضعها نصب على الحال، و لما أن قطعت عن الإضافة نونت تنوين العوض.

ملت بالخوف: أى أملت و نحيته، و فى نسخة بالحيف و هو الجور و الظلم، و الأوّل أحسن لمقابلة الأيمن و يجانس الخيف بالخاء

المعجمة: و هو ما انحدر عن غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء، و منه خيف منى الذى فيه مسجد الخيف، و خيف بنى كنانة الذى

نزل فيه رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - عام حجة الوداع، و هو الأبطح.

ملل - بفتح الميم و اللّام الأولى: موضع بين مكّة و المدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٠٩

حل - بفتح الحاء المهملة و تشديد اللّام: نزل.

اليمن - بضمّ التّحتية: البركة.

اليمن - بفتح التّحتية: الإقليم المعروف.

حقّت جوانبه - بالبناء للمفعول، يقال حقّوا حوله، يحقّون حفا: أى طافوا به و استداروا.

الملل - بكسر الميم، و فتح اللّام الأولى: الأديان واحدها ملء.

أطاع: انقاد.

المنحرف: المائل عن دين الحق، و هو هنا الإسلام.

المعترف: المقر بالشّىء.

المنعدل - بضمّ أوله، و سكون التّون، و فتح العين المهملة و كسر الدّال المهملة، و باللّام: الناكب عن طريق الهدى.

المعتدل - بوزنه لكن بعد العين مثناة فوقية، و هو المستقيم على طريق الهدى.

أحبب - بحاء مهملة و موحدتين.

الخلّة - بضمّ الخاء المعجمة: المودّة و الصّداقة، و جمعها خلل - أى ما أحبها من خلّة إلينا.

و عز دولته، أى أحبب بعزّ دولته، أى ما أحبها عزّة.

الدّولة - بفتح الدّال المهملة: بمعنى الإدالة و هى الغلبة.

الغزّاء: البيضاء الشريفة.

الدّول - بضمّ الدّال: جمع دولة.

الباب الثامن والعشرون فى غزوة حنين

إشارة

[و تسمى أيضا غزوة هوازن، لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال محمد بن عمر الأسلمى: حدثنى ابن أبى الزناد عن أبىه: أقامت هوازن سنة تجمع الجموع و تسير رؤسائهم فى العرب تجمعهم] - انتهى.

قال أئمة المغازى: لما فتح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكة مشى أشراف هوازن، و ثقيف بعضها إلى بعض، و أشفقوا أن يغزوهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قالوا: قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا، و رأى أن نغزوه، فحشدوا و بغوا و قالوا: و الله إن محمدا لاقى قوما لا- يحسنون القتال فأجمعوا أمرهم، فسيروا فى الناس و سيروا إليه قبل أن يسير إليكم، فأجمعت هوازن أمرها، و جمعها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النَّصرى بالصاد المهملة- و أسلم بعد ذلك، و هو- يوم حنين- ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها و نصر و جشم كلها، و سعد بن بكر، و ناس من بنى هلال، و هم قليل. قال محمد بن عمر: لا يبلغون مائة، و لم يشهدا من قيس عيلان- أى بالعين المهملة- إلا هؤلاء، و لم يحضرها من هوازن كعب و لا كلاب، مشى فيها ابن أبى براء فنهاها عن الحضور و قال: و الله لو ناوأوا محمدا من بين المشرق و المغرب لظهر عليهم.

و كان فى جشم دريد بن الصيمية و هو يومئذ ابن ستين و مائة. و يقال عشرين و مائة سنة، و هو شيخ كبير قد عمى، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه و معرفته بالحرب، و كان شيخا مجزبا قد ذكر بالشجاعة و الفروسية و له عشرون سنة، فلما عزم هوازن على حرب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - سألت دريدا الرياسة عليها فقال: و ما ذاك و قد عمى بصرى و ما استمسك على ظهر الفرس، و لكن أحضر معكم لأذن أشير عليكم برأى على أن لا- أخالف، فإن كنتم تظنون أنى أخالف أقمت و لم أخرج قالوا: لا نخالفك، و جاءه مالك بن عوف، و كان جماع أمر الناس إليه، فقالوا له: لا نخالفك فى أمر تراه.

فقال له دريد: يا مالك إنك تقاتل رجلا كريما، قد أوطأ العرب، و خافته العجم و من بالشام، و أجلى يهود الحجاز، إنا قتلا و إما خروجا على ذل و صغار، و يومك هذا الذى تلقى فيه محمدا له ما بعده.

قال مالك: إنى لأطمع أن ترى غدا ما يسرك.

قال دريد: منزلى حيث ترى، فإذا جمعت الناس صرت إليك، فلما خرج من عنده طوى عنه أن يسير بالظعن و الأموال مع الناس.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١١

فلما أجمع مالك المسير بالناس إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمر الناس فخرجوا معهم أموالهم و نساءهم و أبناءهم ثم انتهى إلى أوطاس، فعسكر به، و جعلت الأمداد تأتى من كل جهة، و أقبل دريد بن الصيمية فى شجار له يقاد به من الكبير، فلما نزل الشيخ لمس الأرض بيده و قال: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضررس، و لا سهل دهس.

مالى أسمع بكاء الصيغير، و رغاء البعير، و نهاق الحمير، و بعار الشاء و خوار البقر؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم فقال دريد: قد شرط لى ألا يخالفنى فقد خالفنى فأنا أرجع إلى أهلى و تارك ما هنا. قيل: أفتلقى مالكا فتكلمه؟ فدعى له مالك، فقال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك و إن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. مالى أسمع بكاء الصيغير و رغاء البعير و نهاق الحمير و بعار الشاء و خوار البقر؟! قال: قد سقت مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم، قال: و لم قال: أردت أن أجعل خلف كل إنسان أهله و ماله يقاتل عنهم، فأنقض به دريد و قال: راعى ضأن و الله، ماله و للحرب. و صفق دريد بإحدى يديه على الأخرى تعجبا و قال: هل يرد المنهزم شىء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه و رمحه، و إن كانت عليك فضحت فى أهلك و

مالك، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، فارفع الأموال والنساء والذراري إلى عليا قومهم، و ممتنع بلادهم، ثم الق القوم على متون الخيل والرجال بين أصفاف الخيل أو متقدمة درية أمام الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك الفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك و مالك. فقال مالك بن عوف: والله لا أفعل ولا أغير أمرا صنعته، إنك قد كبرت وكبر علمك، أو قال عقلك. وجعل يضحك مما يشير به دريد، فغضب دريد وقال: هذا أيضا يا معشر هوازن، والله ما هذا لكم برأى، إن هذا فاضحك في عورتكم، وممكن منكم عدوكم ولا حق بحصن ثقيف وتارككم، فانصرفوا وتركوه، فسل مالك سيفه ثم نكسه، ثم قال: يا معشر هوازن!! والله لتطيعنني أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري- وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى- فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: والله- لئن عصينا مالكا ليقتلن نفسه وهو شاب، ونقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه، فأجمعوا رأيكم مع مالك، فلما رأى دريد أنهم قد خالفوه قال:

يا ليتني فيها جذع أحب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع كأنها شاء صدع قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم:

ثم قال دريد: ليتني فيها جذع يا معشر هوازن ما فعلت كعب و كلاب؟ قالوا: ما

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٢

شهدها منهم أحد. قال: غاب الحد والجذ، لو كان يوم علاء ورفع، وفي لفظ: لو كان ذكرا وشرفا ما تخلفوا عنه، يا معشر هوازن ارجعوا وافعلوا ما فعل هؤلاء، فأبوا عليه، قال: فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من بنى عامر لا ينفعان ولا يضران، قال مالك لدريد: هل من رأى غير هذا فيما قد حضر من أمر القوم؟ قال دريد: نعم تجعل كميننا، يكونون لك عوننا، إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، وكررت أنت بمن معك، وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد، فذلك حين أمر مالك أصحابه أن يكونوا كميننا فى الشعاب وبطون الأودية، فحملوا الحملة الأولى التى انهزم فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال دريد- من مقدمه أصحاب محمد؟ قالوا: بنى سليم، قال: هذه عادة لهم غير مستنكرة، فليت بعيرى ينحى من سنن خيلهم، فنحى، بعيره مولىا من حيث جاء.

ذكر استعماله - صلى الله عليه وسلم - عتاب بن أسيد أميرا على مكة ومعاذ بن جبل - رضى الله عنهما - معلما لأهلها

قالوا: لما بلغ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خبر هوازن وما عزموا عليه أراد التوجه لقتالهم، واستخلف عتاب بن أسيد أميرا على أهل مكة، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقهاء، وكان عمر عتاب إذ ذاك قريبا من عشرين سنة.

ذكر استعارته - صلى الله عليه وسلم - أدراعا من صفوان بن أمية

روى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما- وعن عمرو بن شعيب و عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم والزهري: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما أجمع السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا، فأرسل إليه- وهو يومئذ مشرك- فقال: [يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا] فقال صفوان: سبل الهدى والرشاد،

الصالحى الدمشقى ج ٥، ص ٣١٢ ذكر استعارته - صلى الله عليه وسلم - أدراعا من صفوان بن أمية ص: ٣١٢

أغصبا يا محمد؟ قال: «لا بل عارية مضمونة حتى نردّها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يكفيهم حملها، فحملها إلى أوطاس. ورواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أمية بن صفوان،

وسأتى فى أبواب معاملاته- صلى الله عليه وسلم- ويقال إنه- صلى الله عليه وسلم- استعار منه أربعمائة درع بما يصلحها.

قال السَّهيلي: واستعار رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة حنين من نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح، فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأني أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٣

ذکر إرساله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبد الله بن أبي حدرد ليكشف خبر القوم

روى ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - و عمرو بن شعيب، و عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمّا سمع بخبر هوازن بعث عبد الله بن أبي حدرد - رضى الله عنه - فأمره أن يدخل في القوم فيقيم فيهم، و قال: «اعلم لنا علمهم» فأتاهم فدخل فيهم فأقام فيهم يوماً و ليلةً أو يومين، حتى سمع و علم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و سمع من مالك، و أمر هوازن و ما هم عليه. و عند محمد بن عمر أنه انتهى إلى خباء مالك بن عوف فيجد عنده رؤساء هوازن، فسمعه يقول لأصحابه: إنَّ محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، و إنما كان يلقي قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان السَّيحر فصقوا مواشيكم و نساءكم من ورائكم، ثم صفوا، ثم تكون الحملة منكم، و اكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون، و احملاوا حملة رجل واحد، و اعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً. انتهى.

ثم أقبل حتى أتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبره الخبر،

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر بن الخطاب «ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟» فقال: عمر: كذب، فقال ابن أبي حدرد: و الله لئن كذبتني يا عمر لرَبِّما كذبت بالحق. فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد «كنت ضالاً فهداك الله».

ذکر خروج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للقاء هوازن

روى البخارى عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال حين أراد حيناً «منزلنا غدا - إن شاء الله تعالى بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر. و في رواية قال: منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر»

[١].

قال جماعة من أئمة المغازى: خرج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف من المدينة و ألفين من أهل مكة.

و روى أبو الشيخ عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي - رحمه الله تعالى - قال: كان مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أربعة آلاف من الأنصار، و ألف من جهينة و ألف من مزينة.

و ألف من أسلم. و ألف من غفار، و ألف من أشجع، و ألف من المهاجرين و غيرهم، فكان معه

[١] تقدم.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٤

عشرة آلاف، و خرج باثني عشر ألفاً، و على قول عروة و الزهري و ابن عتبة يكون جميع الجيش الذين سار بهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أربعة عشر ألفاً، لأنهم قالوا: إنه قدم مكة باثني عشر ألفاً، و أضيف إليهم ألفان من الطلقاء.

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - غدا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم السبت لست خلون من سؤال.
وقال ابن إسحاق لخمس، و به قال عروة، و اختاره ابن جرير، و روى عن ابن مسعود قال ابن عقبة، و محمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - ثم بعد فتح مكة خرج رسول - صَلَّى الله عليه و سلم - لحنين و كان أهل حنين و فى رواية أهل مكة يظنون حين دنا منهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أنه مبادر بهوازن، و صنع الله لرسوله أحسن من ذلك، فتح له مكة و أقر بها عينه و كبت بها عدوه، فلما خرج إلى حنين خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحدا - ركبانا و مشاء حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظارا ينظرون و يرجون الغنائم، و لا يكرهون أن تكون الصدمة لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم.

و كان معه أبو سفيان بن حرب، و صفوان بن أمية، و كانت امرأته مسلمة و هو مشرك لم يفرق بينهما، و جعل أبو سفيان بن حرب كلما سقط ترس أو سيف أو متاع من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - نادى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: أن أعطنيه أحمله حتى أوقر بعيره.

قال محمد بن عمر: و خرج رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و زوجته أم سلمة و ميمونة فضربت لهما قبة.

ذكر قول بعض من أسلم، و هو حديث عهد بالجاهلية: أجعل لنا ذات أنواط

روى ابن إسحاق، و الترمذى - و صححه - و النسائى و ابن أبى حاتم عن أبى قتادة الحارث بن مالك - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى حنين - و نحن حديثو عهد بالجاهلية فسرنا معه إلى حنين، و كانت لكفار قريش و من سواهم من العرب شجرة عظيمة، و عند الحاكم فى الإكليل سدره خضراء - يقال لها «ذات أنواط»، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، و يذبجون عندها، و يعكفون عليها يوما، فرأينا و نحن نسير مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - سدره خضراء عظيمة، فتنادينا من جنباب الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط» فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، قلتم - و الذى نفسى بيده، كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون [الأعراف ١٣٨] إنها لسنن، لتركين سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة».

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٥

ذكر الآية فى قول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لما قيل له ان هوازن قد أقيمت

عن سهل بن الحنظلية - رضى الله عنه - إنهم ساروا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يوم حنين فأطنبوا فى السير حتى إذا كان عشية حضرت صلاة الظهر عند رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا و كذا، فإذا بهوازن قد جاءت عن بكرة أبيهم بطعنهم و نعمهم و شائهم، اجتمعوا، فتبسم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و قال:

«تلك غنيمه للمسلمين غدا إن شاء الله تعالى». ثم قال: «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن أبى مرثد: أنا يا رسول الله، قال: «فاركب» فركب فرسا له، و جاء إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه و لا نغز من قبلك الليلة». فلما أصبحنا خرج رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله ما أحسنناه، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يصلى و هو يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صلاته قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعل ينظر إلى خلال الشجر فى الشعب، و إذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا، فقال له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

اللّٰه عليه و سلّم-: «هل نزلت اللّيلة؟» قال: لا إلا مصلياً، أو قاضياً حاجة، فقال له رسول اللّٰه- صلّى اللّٰه عليه و سلّم-: «قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها» رواه أبو داود و النسائي

• ذكر شعر عباس بن مرداس - رضى الله عنه - ناصحا لهوازن

أبلغ هوازن أعلاها و أسفلها منى رسالة نصح فيه تبيان
إنى أظنّ رسول اللّٰه صابحكم جيشاً له فى فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم و المسلمون عباد اللّٰه غسان
و فى عضادته اليمنى بنو أسدو الأجران بنو عبس و ذبيان
تكاد ترجف منه الأرض ترهبه و فى مقدّمه أوس و عثمان قال ابن إسحاق: أوس و عثمان قبيلتا مزينة.

ذكر الآية فى حفظه - صلّى اللّٰه عليه و سلّم - ممن أراد الفتك به

روى محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: قال أبو بردة- بضمّ الموحدة، و سكون الزاء و بالدال المهملة- بن نيار- رضى الله عنه- لما كنا بأوطاس نزلنا تحت شجرة و نظرنا إلى شجرة عظيمة فنزل رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- تحتها و علّق سيفه و قوسه، و كنت أقرب أصحابي إليه، فما

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٦

راعنى إلا- صوته: يا أبا بردة، فقلت: لبيك يا رسول اللّٰه، فأقبلت سريعاً فإذا رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- جالس و عنده رجل جالس، فقال رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم-: إن هذا الرّجل جاءنى و أنا نائم، فسأل سيفى، و قام به على رأسى، فانتبهت و هو يقول: يا محمد من يمنعك منى؟ فقلت: اللّٰه تعالى، قال أبو بردة: فسالت سيفى، فقال رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم-: شم سيفك فقلت: يا رسول اللّٰه، دعنى أضرب عنق عدوّ اللّٰه، فإنه من عيون المشركين. فقال لى: «اسكت يا أبا بردة». قال: فما قال له رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- شيئاً و لا عاقبه. قال: فجعلت أصيح به فى العسكر لأشهره للناس فيقتله قاتل بغير أمر رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- فأما أنا فقد كفى رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- عن قتله، فجعل النبى- صلّى الله عليه و سلّم- يقول: «يا أبا بردة كف عن الرجل: فرجعت إلى رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم-، فقال: يا أبا بردة إن اللّٰه مانع و حافظى حتى يظهر دينه على الدّين كلّ» [١].

ذكر الآية التى حصلت لجواسيس المشركين فى هذه الغزوة

روى أبو نعيم و البيهقى من طريق ابن إسحاق قال: حدّثنى أمية بن عبد اللّٰه بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدّث أن رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- قد انتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، و بعث مالك بن عوف ثلاثة نفر من هوازن ينظرون إلى رسول اللّٰه- صلّى الله عليه و سلّم- و أصحابه، و أمرهم أن يتفرّقوا فى العسكر فرجعوا إليه و قد تفرّقت أوصالهم، فقال: ويلكم ما شأنكم، فقالوا: رأينا رجلاً بيضا على خيل بلق، فو اللّٰه ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، و اللّٰه ما نقاتل أهل الأرض، إن نقاتل إلّا أهل السماوات و إن اطعنا رجعت بقومك، فإنّ الناس إن رأوا مثل الذى رأينا أصابهم مثل ما أصابنا. فقال: أف لكم، أنتم أجبن أهل العسكر، فحبسهم عنده فرقا أن يشيع ذلك الرعب فى العسكر، و قال: دلّونى على رجل شجاع، فأجمعوا له على رجل، فخرج ثم رجع إليه قد أصابه كنعو ما أصاب من قبله منهم، فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت رجلاً بيضا على خيل بلق، ما يطاق النظر إليهم، فو اللّٰه ما تماسكت أن أصابنى ما ترى، فلم يشن ذلك مالكا عن وجهه [٢]، و روى محمد بن عمر نحوه عن شيوخه.

ذكر تعبئة المشركين عسكرهم

قال شيوخ محمد بن عمر: لما كان ثلثا الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وهو واد أجوف خطوط ذو شعاب و مضائق، و فرق الناس فيها، و أوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و أصحابه حملة واحدة. و عبأ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أصحابه

[(١)] المغازي للواقدي ٣ / ٨٩٢.

[(٢)] البيهقي في الدلائل ٥ / ١٢٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣١٧

و صفّهم صفوفًا في السّيحَر، و وضع الألوِيّة و الرّيايات في أهلها، و لبس درعين و المغفر و البيضة، و ركب بغلته البيضاء، و استقبل الصفوف، و طاف عليهما بعضها خلف بعض ينحدرون، فحضهم على القتال و بشرهم بالفتح إن صدقوا و صبروا، و قدّم خالد بن الوليد في بنى سليم و أهل مكّة، و جعل ميمنة و ميسرة و قلبا، كان رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فيه

ذكر إعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين

روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قال: قال رجل يوم حنين:

لن نغلب من قلّة، فشق ذلك على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و كانت الهزيمة.

و روى ابن المنذر عن الحسن قال: لما اجتمع أهل مكّة و أهل المدينة قالوا: الآن نقاتل حين اجتمعنا، فكره رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد.

و روى أبو الشيخ و الحاكم - و صححه - و ابن مردويه و البزار عن أنس - رضى الله عنه - قال: لما اجتمع يوم حنين أهل مكّة و أهل المدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم: اليوم و الله نقاتل، و لفظ البزار، فقال غلام من الأنصار يوم حنين لن نغلب اليوم من قلّة، لما هو إلّا أن لقينا عدونا فانهزم القوم، و ولّوا مدبرين [(١)].

و روى محمد بن عمر عن ابن شهاب الزّهرى، قال رجل من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لو لقينا بنى شيان ما بالينا، و لا يغلبنا اليوم أحد من قلّة.

قال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل مكّة: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال حين فصل من مكّة إلى حنين، و رأى كثرة من معه من جنود الله تعالى: «لن نغلب اليوم من قلّة»،

كذا في هذه الرواية [(٢)].

و الصّحيح أن قائل ذلك غير النّبي - صَلَّى الله عليه و سلم - كما سبق.

قال ابن إسحاق: و زعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها.

و روى محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - أن أبا بكر - رضى الله عنه - قال: يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلّة كذا في هذه الرواية، و بذلك جزم ابن عبد البر.

قال ابن عقبة: و لما أصبح القوم و نظر بعضهم إلى بعض، أشرف أبو سفيان، و ابنه معاوية، و صفوان ابن أمية، و حكيم بن حزام على تلّ ينظرون لمن تكون الدائرة.

[(١)] ذكره الهيثمي في المجمع ٦ / ١٨١ باب غزوة حنين.

[(٢)] المغازي للواقدي ٣ / ٨٩٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣١٨

ذكر كيفية الوقعة و ما كان من أول الأمر من فرار أكثر المسلمين عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثم كانت العاقبة للمتقين، و ما وقع فى ذلك من الآيات

قال ابن سعد: أشهد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال.

روى ابن إسحاق، و الإمام أحمد و ابن حبان عن جابر بن عبد الله، و الإمام أحمد من طريقين، و أبو يعلى. و محمد بن عمر عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنهما - لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد أجوف خطوط له مضايق و شعاب، و إنما ننحدر فيه انحداراً، و فى عمايه الصبيح، و قد كان القوم سبقونا إلى الوادى فمكثوا فى شعابه و أجنابه و مضايقه و تهيؤوا، فو الله ما راعنا و نحن منحنون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، و كانوا رماة.

قال أنس - رضى الله عنه - استقبلنا من هوازن شىء، لا و الله ما رأيت مثله فى ذلك الزمان قط، من كثرة الشواد، قد ساقوا نساءهم و أبناءهم و أموالهم ثم صفوا صفوفاً، فجعلوا النساء فوق الإبل و وراء صفوف الرجال، ثم جاءوا بالإبل و البقر و الغنم، فجعلوها وراء ذلك لثلاً - يفرّوا بزعمهم فلما رأينا ذلك الشواد حسبنه رجالاً - كلهم، فلمّا انحدرنا فى الوادى، فبينما نحن فى غبش الصبيح إن شعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادى و شعبه، فحملوا حملة رجل واحد، فأنكشت أوائل الخيل - خيل بنى سليم - مؤليه و تبعهم أهل مكة و تبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شىء و ارتفع النقع فما منا أحد يصير كفه [(١)].

و قال جابر: و انحاز رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ذات اليمين، ثم قال: «أيها الناس هلم إلى أيها الناس، هلم إلى أنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أنا محمد بن عبد الله» [(٢)].

قال: فلا شىء و حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس.

و ذكر كثير من أهل المغازي: أن المسلمين لما نزلوا وادى حنين تقدمهم كثير ممن لا - خبرة لهم بالحرب، و غالبهم من شبان أهل مكة، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة، فحملوا حملة رجل واحد و المسلمون غارون، فز من فز، و بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كروا بعد.

و فى الصحيح عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال: عجل سرعان القوم - و فى

[(١)] انظر مجمع الزوائد ٦ / ١٨١.

[(٢)] انظر المجمع ٦ / ١٨٢ - ١٨٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣١٩

لفظة: شبان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فإننا لما حملنا على المشركين انكشفوا، فاقبل الناس على الغنائم، و كانت هوازن رماة فاستقبلتنا بالسهم كأنما رجل جراد، لا يكاد يسقط لهم سهم [(١)] انتهى.

قال: و كان رجل على جمل له أحمر، بيده راية سوداء على رمح طويل أمام هوازن، و هوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، و إن فاته التماس، رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه. فبينما هو كذلك إذ هوى له على بن أبى طالب، و رجل من الأنصار يريدانه، فأتاه على بن أبى طالب من خلفه فضرب عرقوبى الجمل، فوقع على عجزه، و وثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطنّ قدمه بنصف ساقه، فانجعت

عن رحله، و اجتلد الناس، فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله - صلى الله عليه و سلم.

قال ابن إسحاق: لما انهزم الناس و رأى من كان مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من جفأه أهل مكة الهزيمة تكلم منهم رجال بما فى أنفسهم من الضغن. قال أبو سفيان بن حرب و كان إسلامه - بعد - مدخولاً: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، و إن الأرقام لمعه فى كنانته، و صرخ جبله بن الحنبل - و قال ابن هشام: كلده بن الحنبل - و أسلم بعد ذلك، و هو مع أخيه لأمه صفوان بن أمية، و صفوان مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : ألا بطل السحر اليوم!! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! و الله أن يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن.

و روى محمد بن عمر عن أبى بشير - ككريم - المازنى - رضى الله عنهم - قال: لما كان يوم حنين صلينا الصبح، ثم رجعنا على تعبئة من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فما شعرنا - و قد كاد حاجب الشمس أن يطلع، و قد طلع - إلا بمقدمتنا قد كرت علينا، قد انهزموا، فاختلطت صفوفنا، و انهزمنا مع المقدمة، و أكر، و أنا يومئذ غلام شاب، و قد علمت أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - متقدم فجعلت أقول: يا لأنصار، بأبى و أمى، عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تولون؟ و أكر فى وجوه المنهزمين، ليس لى هممة إلا النظر إلى سلامة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى صرت إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو يصيح: «يا لأنصار» فدنوت من دابته، و التفت من ورائها، و إذا الأنصار قد كروا كزة رجل واحد و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - واقف على دابته فى وجوه العدو، و مضت الأنصار أمام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقاتلون، و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - سائر معهم يفرجون العدو عنه، حتى طردناهم فرسخاً، و تفرقوا فى الشعاب، حتى فلوأ من بين أيدينا، فرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى منزله و قبته، و قد ضربت له - و الأسرى مكتفون حوله، و إذا نفر حول قبته، و فى قبته زوجاته أم

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٦٢٢ (٤٣١٧).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٠

سلمة و ميمونة، حولها التفر الذين يحرسون رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هم عباد بن بشر، و أبو نائلة، و محمد بن مسلمة. قال ابن عسبة: و مّر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: أبشر بهزيمة محمد و أصحابه، فو الله لا يجبرونها أبدا. فقال صفوان: أ تبشرنى بظهور الأعراب» فو الله لرب من قريش أحب إلى من رب من الأعراب، و غضب صفوان لذلك، و بعث صفوان غلاماً له فقال: اسمع لمن الشعار فجاهه فقال: سمعتهم يقولون: يا بنى عبد الرحمن يا بنى عبيد الله، يا بنى عبد الله، فقال: ظهر محمد و كان ذلك شعارهم فى الحرب [(١)].

و روى محمد بن عمر عن أبى قتادة - رضى الله عنه - قال: مضى سرعان الناس من المنهزمين، حتى دخلوا مكة، ساروا يوماً و ليلة - يخبرون أهل مكة بهزيمة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عتاب بن أسيد بوزن أمير، على مكة و معه معاذ بن جبل، فجاءهم أمر غمهم، و سر بذلك قوم من أهل مكة و أظهروا الشّماتة، و قال قائل منهم: ترجع العرب إلى دين آباءها، و قد قتل محمد و تفرق أصحابه، فتكلم عتاب بن أسيد يومئذ فقال: إن قتل محمد، فإنّ دين الله قائم - و الذى يعبده محمد حتى لا يموت، فما أمسوا من ذلك اليوم حتى جاء الخبر أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أوقع بهوازن، فسّر عتاب بن أسيد، و معاذ بن جبل، و كبت الله - تعالى - من هناك ممن كان يسره خلاف ذلك.

فرجع المنهزمون إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فلحقوه بأوطاس و قد رحل منها إلى الطائف [(٢)].

ذكر ارادة شيبه بن عثمان - قبل أن يسلم - الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما رآه فى نفر قليل، و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى ابن سعد و ابن عساكر عن عبد الملك بن عبيد، و أبو القاسم البغوي، و الطبراني، و البيهقي، و أبو نعيم، و ابن عساكر عن عكرمة- رحمهم الله تعالى- قالوا: قال شيبه: لما كان عام الفتح دخل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- مكة عنوة، و غزا حنيناً، قتل أسير مع قريش إلى هوازن، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غزوة، و تذكرت أبي و قتله حمزة، و عمي و قتله علي بن أبي طالب، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، و أكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، و أقول: لو لم يبق من العرب و العجم أحد إلا أتبع محمدا ما تبعته أبداً، فكنت مرصداً لما خرجت له، لا

[(١)] المغازي للواقدي ٣ / ٩١٠.

[(٢)] انظر المصدر السابق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢١

يزداد الأمر فى نفسى إلاً قوّة، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- عن بغلته، و أصلت السيف، و دنوت منه، أريد ما أريد- و فى روايه فلما انهزم أصحابه جثته من عن يمينه فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء، فقلت: عمه لن يخذله، فجثته من عن يساره، فإذا بأبي سفيان بن الحارث فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجثته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع إليّ فيما بينى و بينه شواظ من نار كأنه برق. فخفت أن يتمحشنى فوضعت يدي على بصرى، خوفاً عليه»، و مشيت القهقرى، و علمت أنه ممنوع. فالتفت إليّ و قال: «يا شيب أدن منى» فدنوت منه، فوضع يده على صدرى و قال: «اللهم أذهب عنه الشيطان». فرفعت إليه رأسى و هو أحب إليّ من سمعى و بصرى و قلبى، ثم قال: «يا شيبه قاتل الكفار» قال: فتقدمت بين يديه أحب- و الله- أن أقيه بنفسى كلّ شيء، فلما انهزمت هوازن رجعت إلى منزله و دخلت عليه فقال: «الحمد لله الذى أراد بك خيراً مما أردت» [(١)] ثم حدثنى بما هممت به- صلى الله عليه و سلم.

ذكر ارادة النضير بن الحارث الفتك برسول الله- صلى الله عليه و سلم- و ما وقع فى ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري عن أبيه قال: كان النضير من أحلم قريش. و كان يقول: الحمد لله الذى أكرمنا بالإسلام و منّ علينا بمحمد- صلى الله عليه و سلم- و لم نمت على ما مات عليه الآباء، فذكر حديثاً طويلاً، ثم قال: خرجت مع قوم من قريش، هم على دينهم- بعد- أبو سفيان بن حرب، و صفوان بن أمية، و سهيل بن عمرو، و نحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه فيمن يغير، فلما تراءت الفتتان و نحن فى حيز المشركين حملت هوازن حملة واحدة، ظننا أن المسلمين لا يجبرونها أبداً، و نحن معهم و أنا أريد بمحمد ما أريد. و عمدت له فإذا هو فى وجوه المشركين واقف على بغلة شهباء حولها رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامداً إليه، فصاحوا بى: إليك، فأرعب فؤادى و أرعدت جوارحى. قلت: هذا مثل يوم بدر، إن الرجل لعلى حق، و إنه لمعصوم، و أدخل الله تعالى فى قلبى الإسلام و غيرهم عما كنت أهم به، فما كان حلب ناقه حتى كثر أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- كزّة صادقة، و تنادت الأنصار بينها: الكرة بعد الفرّة: يا للخزرج، يا للخزرج، فحطمونا حطاماً، فرقوا شملنا، و تشتت أمرنا، و همّة كلّ رجل نفسه فتنحيت فى غبرات الناس حتى هبطت بعض أودية أوطاس فكمنت فى خمر شجرة لا يهتدى إليّ أحد إلا أن يدلّه الله- تعالى- عليّ، فمكثت فيه أياماً و ما يفارقتى الرعب مما رأيت، و مضى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى الطائف، فأقام ما أقام، ثم رجعت إلى الجعرانة، فقلت: لو صرت إلى الجعرانة، فقاربت رسول

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦ / ١٨٨، و المغازى للواقدي ٣ / ٩١٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٢

اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- و دخلت فيما دخل فيه المسلمون، فما بقى فقد رأيت عبرا، و قد ضرب الإسلام بجراحه، و لم يبق أحد، و دانت العرب و العجم لمحمّد- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- فعزّ محمّد لنا عزّ، و شرفه لنا شرف، فو اللّٰه إنّي لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلّا برسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- يلقاني بالجعرانة كئنه لكنّته فقال: «النضير؟» قلت: «لبيك»، فقال: «هذا خير لك ممّا أردت يوم حنين ممّا حال اللّٰه بينك و بينه» فأقبلت إليه سريعا، فقال: «قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع قلت: قد أرى أن لو كان مع اللّٰه- تعالى- إلها غيره لقد أغنى شيئا، و إنى أشهد أن لا إله إلّا اللّٰه وحده لا شريك له، و أنك رسول اللّٰه.

قال رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم: «اللّٰهمّ زده ثباتا»

قال النضير: فو اللّٰه الذّي بعثه بالحقّ لكأنّ قلبي حجر ثباتا في الدين و بصيرة في الحق، و ذكر الحديث [(١)].

ذكر ثبات رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- و رميه الكفار، و نزوله عن بغلته، و دعائه ربه سبحانه و تعالى، و ما وقع في ذلك من الآيات

روى ابن إسحاق، و الإمام أحمد عن جابر بن عبد اللّٰه، و ابن إسحاق، و عبد الرزّاق، و مسلم عن العباس عم رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم، قال العباس: شهدت مع رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم: يوم حنين، فلزمت أنا و أبو سفيان بن الحارث رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- فلم نفارقه، و رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- على بغلة له شهباء، قال عبد الرزّاق: و ربما قال معمر: بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، قال فلما التقى المسلمون و الكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- يركض بغلته قبل الكفار، و أنا آخذ بلجام بغلة رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم، و في رواية: أكفّها أن لا تسرع، و هو لا يألو ما أسرع نحو المشركين، و أبو سفيان بن الحارث آخذ، يركب رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم-

و في رواية بغرزه، و في رواية بثغره، فالتفت رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- إلى أبي سفيان بن الحارث و هو مقعّ في الحديد، فقال: «من هذا» فقال: ابن عمك يا رسول اللّٰه، و في حديث البراء: و أبو سفيان ابن عمه يقود به، قال ابن عبّـة- رحمه اللّٰه تعالى: و قام رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- في الزّكابين، و هو على البغلة، فرفع يديه إلى اللّٰه- تعالى- يدعو يقول: «اللّٰهمّ إنّي أنشدك ما وعدتني .. اللّٰهمّ لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا» انتهى.

قال العباس: فقال رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم: «يا عبّاس!! ناديا معشر الأنصار، يا أصحاب السّـمرة، يا أصحاب سورة البقرة» [(٢)].

قال العباس- و كنت رجلا صيّتا- فقلت بأعلى صوتي: أين الأنصار، أين أصحاب

[(١)] انظر المغازي للواقدي ٣ / ٩١١.

[(٢)] أخرجه الطبراني في الكبير ١٠ / ١٨٨ و انظر المجمع ٦ / ٨٢، ٨ / ٦١٩ و البيهقي في الدلائل ٥ / ٣١ و عبد الرزاق في المصنف (٩٧٤١) و الحميدي (٤٥٩) و ابن سعد ٢ / ١١٢ / ١ و احمد ١ / ٢٠٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٣

السّـمرة، أين أصحاب سورة البقرة، قال: و اللّٰه لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها.

و في حديث عثمان بن شيبة عند أبي القاسم البغوي، و البيهقي «يا عبّاس، اصرخ بالمهاجرين الذّين بايعوا تحت الشّـجرة، و بالأنصار الذّين آووا و نصروا»

قال: فما شبهت عطفة الأنصار على رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- إلّا عطفة الإبل على أولادها. حتى ترك رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- كأنه في حرجة، فلرمح الأنصار كانت أخوف عندي على رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- من رماح الكفار- انتهى.

فقالوا: يا لبيك يا لبيك يا لبيك. قال: فيذهب الرجل يشئ بعيره ولا يقدر على ذلك، أى لكثرة الأعراب المنهزمين - كما ذكره أبو عمر بن عبد البر - يأخذ درعه فيقذفها فى عنقه و يأخذ سيفه و ترسه و يقتحم عن بعيره، فيخلى سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى إذا اجتمع منهم مائة، استقبلوا الناس فاقتتلوهم و الكفار، و الدعوة فى الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج، و كانوا صبرا عند الحرب، و أشرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى ركابيه، فنظر إلى مجتلدهم و هم يجتلدون و هو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «هذا حين حمى الوطيس، ثم أخذ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حصيات فرمى بهن ووجه الكفار، ثم قال: «انهزموا و رب محمد»

فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدّهم قليلا و أمرهم مدبرا، فو الله ما رجع الناس إلا و أسارى عند رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مكتفون، قتل الله تعالى - منهم من قتل، و انهزم منهم من انهزم و أفاء الله تعالى على رسوله أموالهم و نساءهم و أبناءهم [(١)].

و روى ابن سعد، و ابن أبى شيبه، و الإمام أحمد، و أبو داود، و البغوى فى معجمه، و الطبرانى و ابن مردويه، و البيهقى برجال ثقات عن أبى عبد الرحمن بن يزيد الفهرى - يقال اسمه كرز - رضى الله تعالى عنه - قال: كنت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى حنين فى يوم قانظ شديد الحرّ، فنزلنا تحت ظلال السمر، فلما زالت الشمس لبست لامتى، و ركبت فرسى فأتيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو فى فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله و رحمته، الرواح قد حان، الرواح يا رسول الله، قال: «أجل» ثم قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «يا بلال» فثار من تحت سمره كأنّ ظلّه ظلّ طائر، فقال: لبيك و سعديك، و أنا فداؤك. قال: «أسرج لى فرسى» فأتاه بسرج دفتاه من ليف ليس فيهما أشر و لا بطر، فركب فرسه، ثم سرنا يومنا، فلقينا العدو، و تشأمت الخيلان، فقاتلناهم فولّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسول

[(١)] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧ / ٣٥٨ و ابن عساكر كما فى التهذيب ٦ / ٣٥١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٤

الله - صلى الله عليه و سلم - يقول: «يا عباد الله. أنا عبد الله و رسوله، يا أيها الناس إنى أنا عبد الله و رسوله» فاقتحم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عن فرسه، و حدّثنى من كان أقرب إليه منى أنّه أخذ حفنة من تراب فحشاها فى وجه القوم، و قال: «شاهت الوجوه» قال يعلى بن عطاء: و أخبرنا أبناؤهم عن آبائهم أنّهم قالوا: ما بقى منّا أحد إلا امتلأت عيناه و فمه من التراب، و سمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست، فهزمهم الله تعالى [(١)].

و روى أبو يعلى و الطبرانى برجال ثقات عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أخذ يوم حنين كفا من حصى أبيض فرمى به و قال: «هزموا و رب الكعبة» و كان على - رضى الله عنه - يومئذ أشد الناس قتالا بين يديه [(٢)].

و روى أبو نعيم بسند ضعيف عن أنس - رضى الله عنه - و الطبرانى عن عكرمة - رحمه الله تعالى - قالوا: لما انهزم المسلمون بحنين و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على بغلته الشهباء - و كان اسمها دلدل - فقال لها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «دلدل البدى» فألزقت بطنها بالأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى بها فى وجوههم و قال: «حم لا ينصرون» فانهزم القوم، و ما رمينا بسهم و لا طعنا برمح، كذا فى هذه الرواية اسمها دلدل،

و الصحيح أنّ دلدل أهداها المقوقس فهى غير التى أهداها فروة بن نفاثة [(٣)].

و روى أبو القاسم البغوى، و البيهقى، و أبو نعيم، و ابن عساكر عن شيبه بن عثمان - رضى الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال يوم حنين: يا عباس ناولنى من الحصباء قال: و أفته الله - تعالى - البغلة كلامه، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض، فتناول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من البطحاء فحثا فى وجوههم و قال: «شاهت الوجوه، هم لا ينصرون» [٤].

و روى عبد بن حميد فى مسنده، و البخارى فى تاريخه، و البيهقى و ابن الجوزى عن يزيد بن عامر السوائى - رضى الله عنه - و كان شهد حنينا مع المشركين ثم أسلم - قال: أخذ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها فى وجوههم و قال: «ارجعوا، شاهت الوجوه» قال: فما من أحد يلقى أخاه إلّا و هو يشكو القذى فى عينيه و يمسح عينيه [٥].

[١] أخرجه أبو داود (٥٢٣٣) و أحمد ١ / ٢٥٥، ٨٤ / ٣ / ٤٣٨، ٥ / ٢٨٦، ٣٧٢، ٣٨٨١ و انظر الدر المنثور ٥ / ٢٠٥.

[٢] ذكره الهيثمى فى المجمع ٦ / ١٨٠، ١٨٢ و المتقى الهندى فى الكتر (٣٠٢١١، ٣٠٢٢١).

[٣] انظر المجمع ٦ / ١٨٣.

[٤] أخرجه ابن عساكر كما فى التهذيب ٦ / ٣٥١ و الطبرانى فى الكبير ٧ / ٣٥٩، و المجمع ٦ / ١٨٤ و أبو نعيم فى الدلائل ١ / ٦١ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ١٤١.

[٥] البخارى فى التاريخ ٨ / ٣١٦ و الطبرى فى التفسير ١٠ / ٧٣ و ابن حجر فى المطالب (٤٣٧٢)، و المجمع ٦ / ١٨٢ و السيوطى فى الدر ٣ / ٢٢٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٥

و روى الإمام أحمد، و الطبرانى، و الحاكم، و أبو نعيم، و البيهقى برجال ثقات عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - قال: كنت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين، فولى الناس عنه، و بقيت معه فى ثمانين رجلا - من المهاجرين و الأنصار، فقمنا على أقدامنا و لم نولهم الدبر، و هم الذين أنزل الله - تعالى - عليهم السكينه، و رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على بغلته لم يمض قدما، فحادت به بغلته فمال عن السيرج، فقلت له ارتفع رفعك الله. فقال: «ناولنى كفا من تراب» فناولته، فضرب وجوههم فامتألت أعينهم ترابا، ثم قال: «أين المهاجرون و الأنصار؟» قلت: هم أولاء، قال: «اهتف بهم» فهتفت بهم، فجأوا و سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، و ولى المشركون أذبارهم

[١]

و روى ابن أبى شيبه و الإمام أحمد، و الحاكم، و ابن مردويه، و البيهقى عن أنس - رضى الله عنه - قال: جاءت هوازن يوم حنين بالنساء و الصبيان و الإبل و الغنم فجعلوهم صفوفاء، ليكثروا على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فالتقى المسلمون و المشركون، فولى المسلمون مدبرين - كما قال الله تعالى - و بقى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و وحده فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «يا عباد الله أنا عبد الله و رسوله» و نادى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نداءين لم يخلط بينهما كلاما، فالتفت عن يمينه فقال: «يا معشر الأنصار أنا عبد الله و رسوله» فقالوا: «لييك يا رسول الله، نحن معك» ثم التفت عن يساره فقال: «يا معشر الأنصار أنا عبد الله و رسوله، فقالوا: لييك يا رسول الله نحن معك فهزم الله تعالى المشركين، و لم يضرب بسيف، و لم يطعن برمح» [٢].

و روى ابن سعد و ابن أبى شيبه، و البخارى، و ابن مردويه، و البيهقى من طرق عن أبى إسحاق السبيعى - رحمه الله تعالى - قال: جاء

رجل من قيس إلى البراء بن عازب- رضى الله عنهما- فقال: أ كنتم وليتم؟ و فى رواية: أوليت؟ و فى أخرى: أوليتم مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم؟

و فى أخرى: أ فرتم يوم حنين يا أبا عماره؟ فقال: أشهد على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أنه ما ولى، و فى رواية: لا و الله ما ولى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يوم حنين دبره، و لكنه خرج بشبان أصحابه و هم حسير ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فلما لقيناهم و حملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهم كأنها رجل جراد لا- يكادون يخطئون، و أقبلوا هناك إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و رسول الله- صلى الله عليه و سلم- على بغلته البيضاء، و أبو سفيان بن الحارث يقود به،

فتزل رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و دعا و استنفر، و قال- صلى الله عليه و سلم-: «أنا

[(١)] أخرجه أحمد ١/ ٤٥٣ و الطبرانى فى الكبير ١٠/ ٢٠٩ و انظر المجمع ٦/ ٨٤، ١٨٣ و الحاكم ٢/ ١١٧.

[(٢)] أخرجه أحمد ٣/ ١٩٠، ٢٧٩، ٢٨٦، و ابن سعد ٢/ ١١٣ و ابن أبى شيبه ١٤/ ٥٣٠، ٥٣١ و البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٤١ و فى السنن ٦/ ٣٠٦ و الدولابى فى الكنز ١/ ٤٢ و انظر الدر المنثور ٣/ ٢٢٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٦

التبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم أنزل نصرک»

[(١)].

قال البراء: و كنا إذا أحمرّ البأس نتقى برسول الله- صلى الله عليه و سلم- و إن الشجاع منا الذى يحاذيه:

يعنى التبى- صلى الله عليه و سلم.

و روى البخارى، و مسلم، و البيهقى عن سلمه بن الأكوع- رضى الله عنه- قال: غزونا مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حنيناً. فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثيابه فاستقبلنى رجل من المشركين فأرميه، بسهم، و توارى عنى فما دريت ما صنع، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم طلوعوا من ثيابه أخرى، فالتقوا هم و أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فولى أصحاب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فأرجع منهزماً. و على بردتان مؤتررا بإحداهما مرتديا بالأخرى، فاستطلق إزارى، فجمعتهما جميعاً، و مررت برسول الله- صلى الله عليه و سلم- و أنا منهزم- و هو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «لقد رأى ابن الأكوع فزعا» فلما غشوا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم إنه استقبل به وجوههم، و قال: شأهت الوجوه» فما خلى الله تعالى منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فولوا مدبرين. و قس رسول الله- صلى الله عليه و سلم- غنائمهم بين المسلمين

[(٢)].

و روى أبو الشيخ عن عكرمة- رحمه الله تعالى- قال: لما كان يوم حنين ولى المسلمون، و ثبت رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فقال: «أنا محمد رسول الله» ثلاث مرات، و إلى جنبه عمه العباس-

الحديث [(٣)].

و روى ابن سعد، و البخارى فى التاريخ، و الحاكم، و البيهقى عن عياض بن الحارث- رضى الله عنه- قال: أخذ رسول الله- صلى الله عليه و سلم- كفاً من حصباء فرمى بها وجوهنا فانهمزنا [(٤)].

و روى البخارى فى التاريخ، و البيهقى فى الدلائل عن عمرو بن سفيان- رضى الله عنه- قال: قبض رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يوم حنين قبضة من الحصباء فرمى بها وجوهنا فانهمزنا، فما خيل إلينا إلا أن كل حجر و شجر فارس يطلبنا. و روى ابن عساكر عن

الحارث بن زيد مثله [(٥)].

و روى ابن أبي شيبة، و الإمام أحمد- برجال الصحيح- عن أنس بن مالك- رضى الله

[(١)] أخرجه البخارى ٧/ ٦٢٢ (٤٣١٧)، و مسلم ٣/ ١٤٠٠ (٧٨) و البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٣٤.

[(٢)] أخرجه مسلم ٣/ ١٤٠٢ (٨١)، و البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٤٠، ١٤١، و انظر الدر المنثور ٣/ ٢٢١.

[(٣)] انظر الدر المنثور للسيوطى ٣/ ٢٢٥.

[(٤)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٤٢.

[(٥)] المصدر السابق ٥٠/ ١٤٣ و ابن كثير فى البداية ٤/ ٣٣٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٢٧

عنه- قال: كان من دعاء النبى- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم حنين: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاءَ لَا تَعْبُدُ بَعْدَ الْيَوْمِ» [(١)].

و ذكر محمد بن عمر- رحمه الله تعالى- قال: كان من دعاء رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين انكشف عنه الناس و لم يبق معه إلا المائة الصابرة «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَ إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي، وَ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ» فقال له جبريل: «لقد لقت الكلمات التى لقن الله- تعالى- موسى يوم فلق البحر، و كان البحر أمامه و فرعون خلفه» [(٢)].

ذكر ما قيل إن الملائكة قاتلت يوم حنين و الرعب الذى حصل للمشرىين

روى ابن أبى حاتم عن السدى الكبير- رحمه الله تعالى- فى قول الله عزّ و جلّ:

وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا [التوبة ٢٦] قال:

قتلهم بالسيف. و روى أيضا عن سعيد بن جبير- رحمه الله تعالى- قال: فى يوم حنين أمدّ الله- تعالى- رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين، و يومئذ سعى الله تعالى الأنصار مؤمنين قال: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين [(٣)].

و روى ابن إسحاق، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و أبو نعيم، و البيهقى عن جبير ابن مطعم- رضى الله عنه- قال: رأيت قبل هزيمة القوم- و الناس يقتتلون- مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى، لم أشك أنها الملائكة، و لم يكن إلا هزيمة القوم.

و روى محمد بن عمر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن عن شيوخ من قومه من الأنصار، قالوا: رأينا يومئذ كالبجد السود هوت من السماء ركاما، فنظرنا فإذا رمل مبثوث، فكنا ننفضه عن ثيابنا، فكان نصر الله- تعالى- أيدنا به.

و روى مسدد فى مسنده، و البيهقى. و ابن عساكر عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال:

حدثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن و أصحاب رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقوموا لنا حلب شاة أن كبناهم، فبينما نحن نسوقهم فى أديبارهم إذ التقينا بصاحب البغلة- و فى رواية- إذ غشينا، فإذا هو رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتلقتنا عنده، و فى رواية: إذا بيننا و بينه رجال بيض حسان الوجوه قالوا لنا: شأهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا- و كانت إياها [(٤)].

[(١)] أخرجه أحمد ١٥٢ / ٣ وابن أبي شيبة ٣٥١ / ١٠ و ابن سعد ٥٢٢ / ١٤ و ابن سعد ٥٢ / ١ / ٢، و هو عند مسلم ١٣٦٣ / ٣ (٢٣ / ١٧٤٣).

[(٢)] الطبراني في الصغير ١٢٢ / ١ و انظر المجمع ١٨٣ / ١٠، و الترغيب و التهيب ٦١٨ / ٢.

[(٣)] انظر الدر المنثور ٢٢٥ / ٣.

[(٤)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٤٣ / ٥ و ابن كثير في التاريخ ٣٣٢ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٢٨

و روى ابن مردويه، و البيهقى، و ابن عساكر عن مصعب بن شيبة بن عثمان الحجبي عن أبيه - رضى الله عنه - قال: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين، و الله ما خرجت إسلاما، و لكن خرجت أنفا أن تظهر هوازن على قريش، فيأني لواقف مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إذ قلت: يا رسول الله إني لأرى خيلا - بلقا، قال: «يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر» فضرب بيده فى صدرى و قال: «اللهم اهد شيبة» فعل ذلك ثلاث مرات - فو الله ما رفع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله تعالى أحب إلي منى، فالتقى المسلمون فقتل من قتل، ثم أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عمر آخذ باللجام، و العباس آخذ بالثغر، فنادى العباس: أين المهاجرون، أين أصحاب سورة البقرة - بصوت عال - هذا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأقبل المسلمون و النبى - صلى الله عليه و سلم - يقول: «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» فجالدوهم بالسيوف، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : «الآن حمى الوطيس».

و روى عبد بن حميد، و البيهقى عن يزيد بن عامر السوائى - رضى الله عنه - و كان حضر يومئذ، فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيظن فيقول: أن كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا.

روى محمد بن عمر عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: حدثنى عدده من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون: «لقد رمى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تلك الزميمة من الحصى فما منا أحد إلا يشكو القذى فى عينيه، و لقد كنا نجد فى صدورنا خفقانا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان، و لقد رأينا يومئذ رجالا بيضا، على خيل بلق، عليهم عمائم حمراء، قد أرخواها بين أكتافهم، بين السماء و الأرض ككائب ككائب ما يليقون شيئا، و لا نستطيع أن نتأملهم من الرعب منهم.

و روى أيضا عن ربيعة بن أبزى قال: حدثنى نفر من قومى، حضروا يومئذ قالوا: كمنا لهم فى المضايق و الشعاب، ثم حملنا عليهم حملة، ركبنا أكتافهم حتى انتهينا إلى صاحب بغلة شهباء، و حوله رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا. فانهمزنا، و ركب المسلمون أكتافنا، و كانت إياها، و جعلنا نلتفت و إنا لننظر إليهم يكذبوننا فتفرقت جماعتنا فى كل وجه، و جعلت الرعدة تستخفنا حتى لحقنا بعلياء بلادنا، فإن كنا ليحكى عنا الكلام ما ندرى به، لما كان بنا من الرعب، و قذف الله - تعالى - الإسلام فى قلوبنا.

و روى أيضا عن شيوخ من ثقيف أسلموا بعد ما كانوا حضروا ذلك اليوم قالوا: ما زال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى طلبنا - فيما نرى - و نحن مولون حتى إن الرجل ليدخل منا حصن الطائف و إنه ليظن أنه على أثره من رعب الهزيمة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٢٩

ذكر من ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين

روى البيهقى عن حارثة بن النعمان - رضى الله عنه - قال: لقد حضرت من بقى مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين أدبر الناس، فقلت: مائة واحد.

و روى ابن مردويه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: لقد رأينا يوم بدر و إن الفتيين لموليتان، و ما مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مائة رجل.

و روى الإمام أحمد، و الحاكم، و الطبرانى، و البيهقى، و أبو نعيم، برجال ثقات عن ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين فولى الناس و ثبت معه ثمانون رجلا - من المهاجرين و الأنصار، فنكصنا على أعقابنا نحو من ثمانين قدما، و لم نولهم الدبر إلى آخره، و تقدم.

قال محمد بن عمر يقال: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما انكشف الناس عنه يوم حنين - قال لحارثة «يا حارثة، كم ترى الناس الذين ثبتوا» قال: فما التفت ورائى تحرجا، فنظرت عن يمينى و عن شمالى، فحزرتهم مائة، فقلت: يا رسول الله!! هم مائة فما علمت أنهم مائة حتى كان يوم مرت على النبى - صلى الله عليه و سلم - و هو يناجى جبريل عند باب المسجد، فقال جبريل: «يا محمد من هذا؟» قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «حارثة بن النعمان» فقال جبريل: هو أحد المائة الصابرة يوم حنين، لو سلم لرددت عليه، فأخبر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حارثة، قال: «ما كنت أظنه إلا دحية الكلبي واقفا معك».

و روى ابن أبى شيبه عن الحكم بن عتيبة - بلفظ تصغير عتبة الباب - رحمه الله تعالى - قال: لما فر الناس يوم حنين عن النبى - صلى الله عليه و سلم - جعل يقول:

«أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب» فلم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بنى هاشم، و رجل من غيرهم، على بن أبى طالب، و العباس و هما بين يديه، و أبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، و ابن مسعود من جانبه الأيسر، قال: فليس يقبل أحد إلا قتل، و المشركون حوله صرعى، فمن أهل بيته عمه العباس، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و أخوه ربيعة أبناء عم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و الفضل بن العباس، و على بن أبى طالب، و جعفر بن أبى سفيان بن الحارث و قثم بن العباس - قال فى الزهر: و فيه نظر، لأن المؤرخين قاطبة فيما أعلم عدوه فيمن توفى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو صغير، فكيف شهد حيننا!! و عتبة و معتب ابنا أبى لهب، و عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، و نوفل بن الحارث، و عقيل بن أبى طالب، و أسامة بن زيد، و أخوه لأمه أيمن بن أم أيمن، و قتل يومئذ، و من المهاجرين: أبو بكر - رضى الله عنه - و عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٠

و عثمان بن عفان - رضى الله عنه - روى التيزار عن أنس - رضى الله عنه -: أن أبا بكر و عمر و عثمان و عليا - رضى الله تعالى عنهم - ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة - و ابن مسعود - رضى الله عنه - و من الأنصار: أبو دجانه، و حارثة بن النعمان - قد ذكر فى ذلك عند محمد بن عمر - و سعد بن عباد، و أبو بشير - كما فى حديثه عند محمد بن عمر - و أسيد بن الحضير، و من أهل مكة: شيبه بن عثمان الحجبي - كما تقدم - و من نساء الأنصار: أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك، و أم عماره نسيبه بنت كعب، و أم الحارث جدّه عماره بن غزيرة - بفتح العين، و كسر الزاى المعجمتين - و أم سليل بنت عبيد - قال محمد بن عمر: يقال إن المائة الصابرة يومئذ ثلاثة و ثلاثون من المهاجرين و ستّة و ستون من الأنصار.

ذكر ثبات ام سليم بنت ملحان، و ام عماره

نسيبه - بفتح النون، و كسر السين المهملة، و سكون التحيه، و بالموحدة: بنت كعب - رضى الله تعالى عنها. قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - رأى أم سليم بنت ملحان، و كانت مع زوجها أبى طلحة، و هى حامل بعبد الله بن أبى طلحة، و قد خشيت أن يغز بها الجمل، فأدنت رأسه منها، و أدخلت يدها فى خزامه [(١)] مع الخطام، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «أم سليم؟» قالت: نعم بأبى أنت و أمى يا رسول الله، أقتل المنهزمين عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل» فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «أو يكفى الله يا أم سليم». و عند محمد بن عمر: «قد كفى الله تعالى عافية الله تعالى أوسع».

و روى ابن أبى شيبه، و الإمام أحمد، و مسلم عن أنس - رضى الله عنه - قال: اتخذت أم سليم خنجرا أيام حنين، فكان معها، فلقي أبو

طلحة أم سليم و معها الخنجر، فقال أبو طلحة:

ما هذا؟ قالت: إن دنا مني بعض المشركين أبعد به بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله أقتل من يعدونا من الطلقاء، انهزموا عنك فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ يَا أُمَّ سَلِيمَ» [(٢)].

وروى محمد بن عمر عن عماره بن غزيرة قال: قلت أم عماره: لَمَا كَانَ يَوْمَ حَنِينٍ وَالنَّاسِ مِنْهَزَمُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ، وَكُنَّا أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَفِي يَدِي سَيْفٌ لِي صَارِمٌ، وَأُمُّ سَلِيمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ قَدْ حَزَمْتَهُ عَلَى وَسْطِهَا، وَإِنَّهَا يَوْمَئِذٍ حَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَأُمُّ سَلِيمٌ، وَأُمُّ الْحَارِثِ.

[(١)] الخزام بكسر الخاء المعجمة حلقه تصنع من شعر و تجعل في أنف البعير، انظر اللسان (خزم).

[(٢)] أخرجه مسلم في الجهاد (١٣٤)، و ابن أبي شيبة ١٤ / ٥٣٢ و أحمد ٣ / ٢٧٩، و البيهقي في السنن ٦ / ٣٠٧. المغازي ٣ / ٩٠٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٣١

قال شيوخ محمد بن عمر: فجعلت أم عماره تصيح يا للأنصار: أية عادة هذه. مالكم و الفرار؟! قالت: و أنظر إلى رجل من هوازن على جمل أورق معه لواء يوضع جملة في أثر المسلمين، فأعرض له فأضرب عرقوب الجمل. فيقع على عجزه و أشد عليه، و لم أزل أضربه حتى أثبتته، و أخذت سيفاً له.

و رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قائم، وصلت السيف بيده، قد طرح غمده ينادى: «يا أصحاب سورة البقرة» فكفر الأنصار، و وقفت هوازن قدر حلب ناقه فتوح، ثم كانت إياها، فو الله ما رأيت هزيمة قط كانت مثلها، قد ذهبوا في كل وجه، فرجع إلى أبنائي جميعاً:

حبيب و عبد الله أبناء زيد بأسارى مكتفين، فأقوم إليه من الغيظ فأضرب عنق واحد منهم، و جعل الناس يأتون بالأسارى فرأيت في بنى مازن ابني النجار ثلاثين أسيراً، و كان المسلمون بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كزوا بعد و تراجعوا، فأسهم لهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جميعاً، و كانت أم الحارث الأنصارية آخذة بخطام جمل الحارث زوجها، و كان يسمى المجسار فقالت: يا حار أترك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و الناس يولون منهزمين؟! و هي لا تفارقه، قالت: فمر على عمر بن الخطاب فقلت: يا عمر ما هذا؟ قال: أمر الله تعالى [(١)].

ذكر انهزام المشركين

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - لما نادى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الأنصار كزوا راجعين فجعلوا يقولون: يا بنى عبد الرحمن، يا بنى عبد الله، يا بنى عبيد الله، يا خيل الله.

و كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد سمى خيله خيل الله، و جعل شعار المهاجرين: بنى عبد الرحمن، و جعل شعار الأوس: بنى عبيد الله، و شعار الخزرج: بنى عبد الله.

روى محمد بن عمر عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة: أن سعد بن عبادة جعل يصيح يومئذ: يا للخزرج ثلاثاً، و أسيد بن الحضير يصيح: يا للأوس - ثلاثاً فثابوا من كل ناحية كأنهم النحل تأوى إلى يعسوبها، قال أهل المغازي فحنق المسلمون على المشركين فقتلوه حتى أسرع القتل في ذراري المشركين. فبلغ ذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «ما بال أقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية، ألا لا تقتل الذرية» ثلاثاً [(٢)] - فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله، أليس إنهم أولاد المشركين؟

فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «أليس خياركم أولاد المشركين! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو ينصرانها».

قال محمد بن عمر: قال شيوخ ثقف، ما زال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - في طلبنا، فيما نرى

[(١)] المغازی ٣ / ٩٠٤.

[(٢)] المغازی ٣ / ٩٠٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٢

- و نحن موّلون حتى إنّ الرّجل منّا ليدخل حصن الطّائف و إنه ليظن أنّه على أثره، من رعب الهزيمة.

قال أنس بن مالك كما رواه الإمام أحمد: كان في المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا و يحطمننا فلما رأى ذلك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - نزل، فهزمهم الله - تعالى - فولّوا، فقام رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حين رأى الفتح، فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل، فيبايعونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إنّ عليّ نذرا لئن جىء بالرّجل الذى كان منذ اليوم يحطمننا لأضربنّ عنقه فسكت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - وجىء بالرّجل فلما رأى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: يا نبيّ الله تبت إلى الله، فأمسك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عن مبايعته ليوفى الآخذ بنذره، و جعل ينظر إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ليأمره بقتله، وهاب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما رأى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الرّجل لا يصنع شيئا بايعه، فقال: يا رسول الله نذرى؟ قال: «لم أمسك عنه إلّا لتوفى بنذرك» فقال: يا رسول الله ألا أوامت إلىّ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: إنه ليس لنبي أن يومئ.

قالوا: و هزم الله تعالى أعداءه من كلّ ناحية، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم، و غنمهم الله - تعالى - نساءهم و ذراريهم و أموالهم، و فرّ مالك بن عوف حتى بلغ حصن الطّائف. هو و أناس من أشراف قومه، و أسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكّة حين رأوا نصر الله - تعالى - رسوله و إعزاز دينه.

قال ابن إسحاق: و لما هزم الله تعالى المشركين من أهل حنين، و أمكن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - منهم، قالت امرأة من المسلمين - رضى الله عنها - و عنهم:

قد غلبت خيل الله خيل اللّات و الله أحقّ بالثّبات و يروى: و خيله أحقّ بالثّبات.

زاد محمد بن عمر:

إنّ لنا ماء حنين فخلّوه إن تشربوا منه فلن تغلوه

هذا رسول الله لن تغلوه

و رجع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من جهة المشركين بعد انهزامهم إلى العسكر، و أمر أن يقتل كل من قدر عليه، و تاب من انهزم من المسلمين.

روى البزار بسند رجاله ثقات عن أنس - رضى الله عنه -: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال يوم حنين: «اجزروهم جزرا» و أوماً بيده إلى الحلق

[(١)].

[(١)] انظر المجمع ٦ / ١٨٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٣

قال محمد بن عمر: و ذكر للنبي - صَلَّى الله عليه و سلم - أن رجلا كان بحنين قاتل قتالا شديدا، حتى اشتدت به الجراح، قال: «إنه من أهل النار» فارتاب بعض الناس من ذلك، و وقع في قلوب بعضهم ما الله تعالى به أعلم، فلما آذته جراحته، أخذ مشقفا من كنانته فانتحر به، فأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بلالا أن ينادي: ألا لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله - تعالى - يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»

[(١)] .

قال محمد بن عمر: و أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بطلب العدو و قال لخياله إن قدرتم على «بجاء» رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتن منكم، و قد كان أحدث حدثا عظيما، كان قد أتاه رجل مسلم فأخذه فقطعه عضوا عضوا ثم حرّقه بالنار، و كان قد عرف جرمه فهرب فأخذه الخيل فضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أخت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من الرضاعة، و أتعبوها في السيق، فتعبت الشيماء بتعبهم، فجعلت تقول: إنني و الله أخت صاحبكم، فلا يصدّقونها، و أخذها طائفة من الأنصار، و كانوا أشد الناس على هوازن - فأتوا بها إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقالت: يا محمد!! إنني أختك. فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «و ما علامة ذلك؟ فأرته عضّة بإبهامها، و قالت: عضّة عضضتنيها و أنا متورّكتك بوادي السرر و نحن يومئذ نرعى البهم، و أبوك أبي، و أمك أمي، و قد نازعتك الثدى، و تذكر يا رسول الله حلابي لك عنز أبيض أطلان، فعرف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - العلامة، فوثب قائما، فبسط رداءه، ثم قال: «اجلسي عليه» و رحّب بها، و دمعت عيناه، و سأله عن أمه و أبيه، فأخبرته بموتها فقال: «إن أحببت فأقيمى عندنا محببة مكرّمة، و إن أحببت أن ترجعي إلى قومك و وصلتك و رجعت إلى قومك» [(٢)] قالت: بل أرجع إلى قومي، فأسلمت، فأعطاه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ثلاثة أعبد و جارية و أمر لها ببعير أو بعيرين و قال لها: «ارجعي إلى الجعرانة تكونين مع قومك، فأنا أمضى إلى الطائف» فرجعت إلى الجعرانة، و وافاها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالجعرانة فأعطاها نعمما و شاء، و لمن بقي من أهل بيتها، و كلمته في بجاد أن يهبه لها و يعفو عنه ففعل - صَلَّى الله عليه و سلم .

ذكر قتل دريد بن الصّمّة

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غيرهما: لما هزم الله - تعالى - هوازن أتوا للطائف و معهم مالك بن عوف، و عسكر بعضهم بأوطاس، و توجه بعضهم نحو نخلة بنو عيرة من ثقيف، فبعث رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - خيلا تتبع من سلك نخلة و لم تتبع من سلك الثنايا، و أدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة من بني سليم دريد بن الصّمّة، فأخذ بخطام جملة، و هو يظن

[(١)] المغازي للواقدي ٣ / ٩١٧ .

[(٢)] المغازي للواقدي ٣ / ٩١٣ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٤

أنه امرأة، و ذلك أنه في شجار له، فإذا هو رجل، فأناخ به و هو شيخ كبير، ابن ستين و مائة سنة، فإذا هو دريد و لا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ما تريد؟ قال: أقتلك. قال: و ما تريد إلى المرتعش الكبير الفانى؟ قال الفتى: ما أريد إلا ذاك، قال له دريد: من أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي، قال: فضربه فلم يغن شيئا، فقال دريد: بئس ما سلحتك أمك، خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار، فاضرب به و ارفع عن العظم و اخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمّة، فربّ يوم قد منعت فيه نساءك.

فزعمت بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشف للموت فإذا عجاناه و بطون فخذيته مثل القرطاس من ركوب الخيل، فلما رجع ربيعة

إلى أمه أخبرها بقتله إياه، قالت: والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً في غداة واحدة، وجزّ ناصية أيبك، فقال الفتى: لم أشعر. ووقف مالك بن عوف على ثبته من الثنايا، وثنان أصحابه، فقال: قفوا حتى يمضى ضعفاؤكم و تلتئم إخوانكم. فبصر بهم الزبير بن العوام -رضى الله عنه- فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثبته، و هرب مالك بن عوف، فتحصن في قصر بليته، و يقال دخل حصن ثقيف [(١)].

ذكر من استشهد بحنين

أيمن بن عبيد الله بن زيد الخزرجي و ابن أم أيمن، و سراقه بن الحارث الأنصاري، و رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوزان، و أبو عامر الأشعري أصيب بأوطاس، كما سيأتي في السرايا، و يزيد بن زمعه بن الأسود جمح به فرس يقال له الجناح فقتل. و استحرّ القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن الحارث، و كانت رايتهم مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل حتى قتل، و لما بلغ رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قتله، قال: «أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشا» [(٢)].

و روى البيهقي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال: قتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر.

ذكر عيادته -صلى الله عليه و سلم- خالد بن الوليد رضي الله عنه - من جرح أصابه

و روى عبد الرزاق، و ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أزهر -رضى الله عنه- قال: كان

[(١)] المغازي ٣ / ٩١٤ - ٩١٥.

[(٢)] عبد الرزاق (١٩٩٠٤) و ابن أبي عاصم ٢ / ٦٣٨ و ابن سعد ٥ / ٣٨٠، و ابن أبي شيبه ١٢ / ١٧٣، و العقيلي في الضعفاء ٤ / ٣٥٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٥

خالد بن الوليد جرح يوم حنين، و كان على خيل رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فجرح يومئذ، فلقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه و سلم- بعد ما هزم الله تعالى الكفار، و رجع المسلمون إلى رحالهم -يمشى في المسلمين و يقول: «من يدننى على رحل خالد بن الوليد؟» فأتى بشارب فأمر من عنده فضر به بما كان في أيديهم، و حثا عليه التراب [(١)].

قال عبد الرحمن: فمشيت، أو قال: سعيت بين يدي رسول الله -صلى الله عليه و سلم- و أنا غلام محتلم، أقول: من يدل على رحل خالد، حتى دللنا عليه، فإذا خالد مستند إلى موخرة رحله، فأتاه رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فنظر إلى جرحه، فتفل فيه فبرأ -رضى الله تعالى عنه-.

ذكر بركة يده -صلى الله عليه و سلم- في براء جرح عائذ بن عمرو -رضى الله عنه

روى الحاكم، و أبو نعيم، و ابن عساكر عن عائذ بن عمرو -رضى الله عنه- قال:

أصابتنى رمية يوم حنين فى جبتهى، فسال الدّم على وجهى و صدرى، فسلت النبى -صلى الله عليه و سلم- الدّم بيده عن وجهى و صدرى إلى ثنودتى، ثم دعا لى. قال حشرج والد عبد الله: فرأينا أثر يد رسول الله -صلى الله عليه و سلم- إلى منتهى ما مسح من صدره، فإذا غزّة سابلة كغزّة الفرس.

ذكر بركة يده - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - في الماء بحنين

روى أبو نعيم عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال: غزونا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - هوازن فأصابنا جهد شديد، فدعا بنظفة من ماء في إداوة، فأمر بها فصبت في قدح فجعلنا نطهر به حتى تطهرنا جميعا.

ذكر نهيه - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - عن قتل النساء يوم حنين

روى الإمام أحمد، و أبو داود عن رباح بن ربيع - رضى الله عنه - أنه خرج مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - في غزوة غزاها و على مقدمته خالد بن الوليد، فمّر رباح و أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، يعنى و يعجبون من خلقها - حتى لحقهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - على راحلته، فانفرجوا عنها. فوقف عليها رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - فقال: «ما كانت هذه لتقاتل» فقال لأحدهم: «الحق خالدًا و قل له لا تقتل ذرية و لا عسيفا» [٢].

[١] أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٨٨، ٣٥١، و الحميدى (٨٩٧) و البيهقى في الدلائل ٥/ ١٤٠.

[٢] أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٨ و أبو داود ٢/ ٥٠ في الجهاد و ابن ماجه (٢٨٤٢) و الحاكم ٢/ ١٢٢، و الطبرانى فى الكبير ٥/ ٧٠ و الطحاوى فى المعانى ٣/ ٢٢٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٦

ذكر قوله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يوم حنين أنا ابن العواتك

روى الطبرانى عن سيابة بن عاصم السلمى - رضى الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك» [١].

ذكر قوله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه

روى ابن شيبه، و الإمام أحمد، و ابن حبان عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم -: «من قتل قتيلا فله سلبه»

قال: فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا و أخذ أسلابهم.

و قال أبو قتادة: يا رسول الله أتى ضربت رجلا على جبل عاتقه، و عليه درع فأجهضت عنه فانظر فى أخذها، فقام رجل قال محمد بن عمر: اسمه أسود بن خزاعى الأسلمى، حليف بنى سلمة - كذا قال و فى الصحيح كما سيأتى: أنه قرشى، فقال: يا رسول الله: أنا أخذتها فأرضه منها و أعطيتها، قال: و كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - لا يسأل شيئا إلا أعطاه، أو سكت، فسكت رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - فقال عمر: و الله لا يغنها الله تعالى على أسد من أسد الله - تعالى - و يعطيكها، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم -: «صدق عمر»

[٢].

و روى الشيخان، و أبو داود، و الترمذى، و ابن ماجه عن أبى قتادة الحارث بن ربيع - رضى الله تعالى عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه و سلم - عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة. فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين. و

في رواية نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين و آخر من المشركين يخنله فضربته من ورائه على جبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، و أقبل عليّ فضمّني ضمّة، وجدت منها ریح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلاحقت- و في رواية- فلقيت عمر بن الخطاب- رضی الله عنه- في الناس الذين لم يهزموا، فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله تعالى، فرجعوا و جلس رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم فقال: «من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- مثله. فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- مثله، فقال: «مالك يا أبا قتادة؟» فأخبرته [٣].

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٠١، و انظر المجمع ٨/ ٢١٩ و البيهقي في الدلائل ٥/ ١٣٥ و سعيد بن منصور (٢٨٤٠، ٢٨٤١) و ابن عساكر كما في التهذيب ١/ ٢٨٩.

[٢] أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٩٧٣) و أحمد ١/ ٢٤٥ و ابن أبي شيبة ٢/ ١٢٥، ١٤/ ٥٣١ و ابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٤٧١) و البيهقي ٦/ ٣٠٦ و الطبراني في الكبير ١٢/ ٢١٦ و الصغير ١/ ١٢٤.

[٣] أخرجه البخاري ٧/ ٦٣٠ (٤٣٢١) و مسلم ٣/ ١٣٧٠ (٤١/ ١٧٥١)، و أبو داود في الجهاد باب (١٤٦)، و البيهقي في السنن ٦/ ٣٠٦ و الدلائل ٥/ ١٤٨ و الشافعي في المسند (٢٢٣)، و مالك في الموطأ (٤٥٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٧

و ذكر محمد بن عمر: أنّ عبد الله بن أنيس شهد له فقال رجل: صدق سلبه عندي فأرضه مني- أو قال مني- فقال أبو بكر: لاها الله إذا، لا- تعمد إلى أسد من أسد الله تعالى يقاتل عن الله- تعالى- و رسوله فيعطيك سلبه! فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم: «صدق فأعطه إياه» فأعطانيه،

و عند محمد بن عمر فقال لي حاطب بن أبي بلتعة: يا أبا قتادة، أتبيع السلاح؟ فبعته بسبع أواق، فابتعت به مخرفا، و في رواية: خرافا في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثنته، و في رواية:

اعتقته- في الإسلام، زاد محمد بن عمر يقال له الرديني قال في البداية في الرواية السابقة عن أنس: إن عمر قال ذلك، و هو مستغرب، و المشهور أن قائل ذلك أبو بكر كما في حديث أبي قتادة، و قال الحافظ: الراجح أن الذي قال ذلك أبو بكر كما رواه أبو قتادة، و هو صاحب القصة، فهو أتقن لما وقع فيها من غيره، قالوا: فلعل عمر قال ذلك متابعاً لأبي بكر و مساعدة له، و موافقته، فاشتبته على الراوى.

قال العلماء: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصديق- رضی الله عنه- إلا هذا لكفى فإنه بثاقب علمه، و شدة صرامته، و قوة إنصافه، و صحة توفيقه، و صدق تحقيقه بادر إلى القول بالحق، فزجر، و أفتى، و حكم، و أمضى، و أخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته و بين يديه، و بما صدقه فيه و أجراه على قوله.

و روى البخاري عن سلمة بن الأكوع- رضی الله عنه- قال: غزونا مع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه، ثم انتزع طلقاً من حقه فقيد به الجمل، ثم تقدم فتغدى مع القوم و جعل ينظر و فينا ضعفه ورقه من الظهر، و بعضنا مشاء، إذ خرج يشتد فأتى الجمل فأطلق قيده، ثم أناخه ثم قعد عليه فاشتد به الجمل و اتبعه رجل من أسلم من أصحاب رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- على ناقه ورقاء، و في رواية: أتى عين من المشركين إلى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و هو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث. انتهى. ثم انفتل، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-: «اطلبوه و اقتلوه» قال سلمة:

و خرجت أشتد فكننت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخظام الجمل، فأنخته، فلما وضع ركبته على الأرض، اخترط سيفى فضربت رأس الرجل فندر، ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله و سلاحه، فاستقبلنى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و الناس معه، فقال: «من قتل الرجل؟» قالوا: ابن الأكوخ، قال: «له سلبه أجمع» [(١)]

[(١)] أخرجه البخارى فى الجهاد (٣٠٥١)، و أحمد ٤ / ٥١ و أبو داود (٢٦٥٣)، و الطبرانى فى الكبير ٧ / ٢٩ و البيهقى فى السنن الكبرى ٩ / ٦، ١٤٧، ٣٠٦، و الطحاوى فى المشكل ٤ / ١٤٠. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٣٨

ذكر جمع غنائم حنين

لما انهزم القوم أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالغنائم أن تجمع، و نادى مناديه: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يغفل، و جعل الناس غنائمهم فى موضع حيث استعمل عليها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و روى الحاكم بسند صحيح عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال: أخذ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين و بره من بعير، ثم قال: «يا أيها الناس، إنه لا يحل لى مما أفاء الله - تعالى - عليكم قدر هذه إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم، فأدوا الخيط و المخيط، و إياكم و الغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة» و ذكر الحديث [(١)] .

و كان عقيل بن أبى طالب دخل على زوجته و سيفه ملطّخ بدم، فقالت: إني علمت أنك قاتلت اليوم المشركين، فما ذا أصبت من غنائمهم؟ فقال: هذه الإبرة، تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، ثم خرج فسمع منادى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقول: من أصاب شيئاً من المغنم فليردّه، فرجع عقيل إلى امرأته و قال: و الله ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك، فأخذها فألقاها فى المغنم. و جاء رجل بكبة من شعر فقال: يا رسول الله أضرب بهذه بردعة لى: فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لك» [(٢)] .

و أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الناس يوم حنين فى قبائلهم يدعوهم و أنه ترك قبيلة من القبائل وجدوا فى بردعة رجل منهم عقدا من جزع غلولا، فأتاهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فكبر عليهم، كما يكبر على الميت. و أصاب المسلمون يومئذ السيابيا، فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهم و لهنّ أزواج فسألوا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عن ذلك، فأنزل الله تعالى و الْمُحْصِنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [النساء ٢٤] و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يومئذ: «لا توطأ حامل من السبى حتى تضع، و لا غير ذات حمل حتى تحيض» [(٣)] .

و لما جمعت الغنائم أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن تنحدر إلى الجعرانة، فوقف بها إلى أن انصرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من حصار الطائف.

[(١)] أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣ / ٤٩ و البيهقى ٦ / ٣٠٣ و النسائى ٧ / ١٣١ و ابن حبان ذكره الهيثمى فى الموارد (١٦٩٣).

[(٢)] أخرجه احمد ٢ / ١٨٤، ٢١٨ و النسائى ٦ / ٢٦٣.

[(٣)] أخرجه أبو داود (٢١٥٧) و احمد ٣ / ٦٢ و الحاكم ٢ / ٩٥ و البيهقي في السنن الكبرى ٥ / ٣٥٩ ، ٧ / ٤٤٩ ، ٩ / ١٢٤ ، و الدارمي ٢ / ١٧١ و انظر نصب الرأية ٣ / ٢٣٣ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٣٩

قال ابن سعد و تبعه فى العيون: كان السبى ستة آلاف رأس، و الإبل أربعة و عشرين ألف بعير، و الغنم أكثر من أربعين «ألف شاة، و أربعة آلاف أوقية فضة».

و روى الطبرانى عن بديل - بموحدة مضمومة فдал مهملة فتحته ساكنة فلام، بن ورقاء - رضى الله تعالى عنه: - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمر أن تحبس السبايا و الأموال بالجعرانة حتى يقدم فحبت [(١)].

قال ابن إسحاق: و جعل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على الغنائم مسعود بن عمرو الغفارى، و روى عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب قال: سبى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يومئذ ستة آلاف سبى بين امرأة و غلام، فجعل عليهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أبان سفيان بن حرب. و قال البلاذرى: بديل بن ورقاء الخزاعى - و الله تعالى أعلم.

ذكر صلاته - صلى الله عليه و سلم - الظهر بحنين و حكومته بين عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس فى دم عامر بن الأضبط الأشجعى الذى قتله محلم بن جثامة

كما سيأتى

فى نقل محمد بن إسحاق، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: صلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الظهر يوماً بحنين ثم تنحى إلى شجرة فجلس إليها، فقام إليه عيينة بن حصن يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعى و هو يومئذ سيد قيس و معه الأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندق فاخصمما بين يدي رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عيينة يقول: يا رسول الله، و الله لا أدعه حتى أدخل على نسائه من الحرب و الحزن ما أدخل على نسائى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «تأخذ الدية؟» فأبى عيينة حتى ارتفعت الأصوات و كثر اللغط، إلى أن قام رجل من بنى ليث يقال له مكيتل - قصير مجتمع عليه شكة كاملة و درقة فى يده فقال: يا رسول الله، إني لم أجد لما فعل هذا شبيها فى غرة الإسلام إلا غنما وردت فرمى أولها فنفر آخرها. فاسنن اليوم و غيره غدا فرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يده و قال تقبلون الدية خمسين فى فورنا هذا، و خمسين إذا رجعنا إلى المدينة» فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالقوم حتى قبلوا الدية

و فى رواية: فقام الأقرع ابن حابس فقال: يا معشر قريش، سألكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه، أفأنتم أن يغضب عليكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فغضب الله - تعالى عليكم - لغضبه، أو يلعنكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فيلعنكم الله تعالى بلعنته، و الله لتسلمنه إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أو لا يأتين بخمسين من بنى

[(١)] الطبرانى فى الكبير و الأوسط و البزار قال الهيثمى ٦ / ١٨٩ لم يسم ابن بديل و بقيه رجاله ثقات.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٤٠

ليث كلهم يشهدون أن القتل ما جلى قط فلا يبلطن دمه. فلما قال ذلك قبلوها. و محلم القاتل فى طرف الناس، فلم يزلوا يؤزونه و يقولون: ائت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يستغفر لك، فقام محلم و هو رجل ضرب طويل آدم. محمر بالحناء عليه حلة قد كان تها فيها للقتل للقصاص،

فجلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عيناه تدمعان، فقال: يا رسول الله، قد كان من الأمر الذى بلغك و إني أتوب

إلى الله، فاستغفر لي، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «ما اسمك» قال: أنا محمّد بن جثامه. فقال «أقتلته بسلاحك في غزوة الإسلام؟! اللهم لا تغفر لمحمّد» بصوت عال ينفذ به الناس، قال فعاد محمّد فقال: يا رسول الله، قد كان الذي بلغك، و إني أتوب إلى الله فاستغفر لي، فعاد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمقاتلته بصوت عال، ينفذ به الناس «اللهم لا تغفر لمحمّد بن جثامه» حتى كانت الثالثة، فعاد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمقاتلته، ثم قال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قم من بين يدي» فقام من بين يدي رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو يتلقّى دمه بفضل رده، فكان ضمرة السلمى يحدث - وقد كان حضر ذلك اليوم - قال: كنا نتحدث فيما بيننا أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حرّك شفّته بالاستغفار له، ولكنه أراد أن يعلم الناس قدر الدم عند الله تعالى [(١)].

ذكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن

روى محمد بن عمر عن داود بن الحصين قال: كان بشير رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى أهل المدينة بفتح الله - تعالى - عليه وهزيمة هوازن، نهيك بن أوس الأشهلي، فخرج في ذلك اليوم ممسياً، فأخذ في أوّاس حتى خرج على غمرة، فإذا الناس يقولون هزم محمد هزيمة لم يهزم هزيمة مثلها قط، و ظهر مالك بن عوف على عسكره، قال: فقلت الباطل يقولون، والله لقد ظفر الله - تعالى - رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وغنم نساءهم و أبناءهم، قال: فلم أزل أظأ الخبر حتى انقطع بمعدن بنى سليم أو قريبا منها، فقدمت المدينة و قد سرت من أوّل أوّاس ثلاث ليال و ما كنت أمسى على راحلتى أكثر مما كنت أركبها فلما انتهيت إلى المصلّى ناديت: أبشروا يا معشر المسلمين بسلامة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و أبناءهم، و لقد ظفّره الله - تعالى - بهوازن، و أوقع بهم، فسبى نساءهم، و غنم أموالهم، و تركت الغنائم في يديه تجمع، فاجتمع الناس يحمدون الله - تعالى - على سلامة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و المسلمين، ثم انتهيت إلى بيوت أزواج النّبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبرتهم، فحمدن الله - تعالى - على ذلك.

قال و كانت الهزيمة الأولى التي هزم المسلمون ذهبت في كلّ وجه حتى أكذب الله - تعالى - حديثهم.

[(١)] انظر المغازى ٣ / ٩٢٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤١

ذكر ما أنزل الله تبارك و تعالى في شأن هذه الغزوة

قال الله عز و جل يذكر المؤمنين فضله عليهم و إحسانه لديهم لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللهُ فِي مَوَاطِنَ [التوبة ٢٥] للحرب «كثيرة» كبدر و قريظة و التّضير (و) اذكر «يَوْمَ حُنَيْنٍ» واد بين مكّة و الطائف، أى يوم قتالكم فيه هوازن، و ذلك في شوال سنة ثمان «إذ» بدل من يوم، (أعجبكم كثرتم) - فقلتم: لن نغلب اليوم من قله، و كانوا اثني عشر ألفا، و الكفار أربعة آلاف - كذا جزم به غير واحد، و جزم الحافظ و غيره بأنهم كانوا ضعف عدد المسلمين، و أكثر من ذلك كما سيأتى، فعلى هذا كان المشركون أربعة و عشرين ألفا، فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت) ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها. فلم تجدوا مكانا تظمتون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين و ثبت النّبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على بغلته البيضاء، و ليس معه غير العباس، و أبو سفيان أخذ بركابه، (ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله و على المؤمنين) فردوا إلى النّبى لما ناداهم العباس بإذنه و قاتلوا (و أنزل جنودا لم تروها) ملائكة (و عذب الذين كفروا) بالقتل و الأسر (و ذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالإسلام (و الله غفور رحيم).

ذكر ما قيل في هذه الغزوة من الشعر

قال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود و فراه من بنى أبيه و ذا الخمار و حبسه قومه للموت.
 ألا من مبلغ غيلان عني و سوف إخال يأتيه الخبير
 و عروءة إنما أهدى جوابا و قولاً غير قولكما يسير
 بأن محمدا عبدا رسول رب لا يضل و لا يجوز
 وجدناه نبيا مثل موسى فكل فتى يخيره مخير
 و بئس الأمر أمر بنى قسي بوج إذا تقسمت الأمور
 أضاعوا أمرهم و لكل قوم أمير و الدوائر قد تدور
 فجتنا أسد غابات إليهم جنود الله صاحبه تسير
 تؤم الجمع جمع بنى قسي على حق نكاد له نظير
 و أقسم لو همو مكثوا لسرنا إليهم بالجنود و لم يغوروا
 فكنا أسد لئنه ثم حتى أبحنها و أسلمت النصور
 و يوم كان قبل لدى حنين فأقلع و الدماء به تمور
 من الأيام لم تسمع كيوم و لم يسمع به قوم ذكور
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٢ قتلنا فى الغبار بنى حطيط على رياتها و الخيل زور
 و لم تك ذو الخمار رئيس قوم لهم عقل يعاقب أو نكير
 أقام بهم على سنن المنايا و قد بانت لمبصرها الأمور
 فأقلت من نجا منهم جريضا و قتل منهم بشر كثير
 و لا يغنى الأمور أخو التواني و لا الغلق الصريرة الحصور
 أمانهم و حان و ملكوه أمورهم و أفلتت الصقور
 بنو عوف تميح بهم جيا دأهين لها الفصافص و الشعير
 فلو لا قارب و بنو أبيه تقسمت المزارع و القصور
 و لكن الرئاسة عمموها على يمن أشار به المشير
 أطاعوا قاربا و لهم جدود و أحلام إلى عز تصير
 فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ما سمر السمير
 و إن لم يسلموا فهم أذان بحرب الله ليس لهم نصير
 كما حكى بنى سعد و حرب برهط بنى غزيه عنقير
 كأن بنى معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنه تخور
 فقلنا أسلموا إنا أخوكم و قد برئت من الترة الصدور
 كأن القوم إذ جاءوا إلينا من البغضاء بعد السلم عور و قال بجير بن زهير بن أبى سلمى:
 لولا الإله و عبده و ليتم حين استخف الرعب كل جبان
 بالجزع يوم حيالنا أقراننا و سوابح يكون للأذقان

من بين ساع ثوبه في كفه و مقطر بسنابك و لبان
 و الله أكرمنا و أظهر ديننا و أعزنا بعبادة الرحمن
 و الله أهلكتهم و فرق شملهم و أذلهم بعبادة الشيطان «قال ابن هشام و يروى فيها بعض الرواة».
 إذ قام عم نبيكم و وليه يدعون يا لكتيبة الإيمان
 أين الذين هم أجابوا ربهم يوم العريض و بيعه الرضوان «و قال عباس بن مرداس:
 فإني و السوابح يوم جمع و ما يتلوا الرسول من الكتاب
 لقد أحببت ما لقيت ثقيف بجنب الشعب أمس من العذاب
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٣ هم رأس العدو من أهل نجد فقتلهم ألد من الشراب
 هزمتنا الجمع جمع بنى قسي و حكمت بركها بنى رثاب
 و صرما من هلال غادرتهم بأوطاس تعفر في التراب
 و لولا قين جمع بنى كلاب لقام نساؤهم و النقع كابي
 ركضنا الخيل فيهم بين بس إلى الأوراد تنحط بالذهاب
 بذى لجب رسول الله فيهم كتيبه تعرض للضراب «و قال عباس بن مرداس أيضا»:
 يا خاتم النبأ إنك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا
 إن الإله بنى عليك محبة في خلقه و محمدا سماكا
 إن الذين وفوا بما عاهدتهم جند بعثت عليهم الضحاكا
 رجلا به درب السلاح كأنه لما تكتفه العدو يراكا
 يغشى ذوى النسب القريب و إنما يغى رضى الرحمن ثم رضاكا
 أنبيك أنى قد رأيت مكره تحت العجاجة يدمع الإشراكا
 طولا يعانق باليدين و تارة يقرى الجماجم صارما بتاكا
 [يغشى به هام الكماء و لو ترى منه الذى عاينت كان شفاكا]
 و بنو سليم معنقون أمامه ضربا و طعنا فى العدو دراكا
 يمشون تحت لوائه و كأنهم أسد العرين أردن ثم عراقا
 ما يرتجون من القريب قرابة إلا بطاعة ربهم و هواكا
 هذى مشاهدنا التى كانت لنا معروفة و ولينا مولاكا «و قال عباس بن مرداس أيضا»:
 عفا مجدل من أهله فمتالع فمطلى أريك قد خلا فالمصانع
 ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا رخي و صرف الدهر للحى جامع
 حبيبة ألوت بها غربه التوى لتبن فهل ماض من العيش راجع
 فإن تبتغى الكفار غير ملومة فإني وزير للنبي و تابع
 دعانا إليه خير وفد علمتهم خزيمة و المرار منهم و واسع
 فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
 نبايعه بالأخشيين و إنما يد الله بين الأخشيين نبايع
 فجسنا مع المهدي مكة عنوة بأسيا فنا و النقع كاب و ساطع

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٤ علانية و الخيل يغشى متونها حميم و آن من دم الجوف نافع و يوم حنين حين سارت هوازن إلينا و ضاقت بالنفوس الأضالع صبرنا مع الضحّاك لا يستفزّنا قراع الأعادى منهم و الوقائع أمام رسول الله يخفق فوقنا لواء كخذروف السحابة لامع عشية ضحّاك بن سفيان معتص بسيف رسول الله و الموت كانع ندود أخانا عن أخينا و لو نرى مصالا لكنّا الأقربين نتابع و لكنّ دين الله دين محمّد رضينا به فيه الهدى و الشرائع أقام به بعد الضلالة أمرناو ليس لأمر حمّه الله دافع «و قال عباس بن مرداس أيضا»: ما بال عينك فيها عائر سهر مثل الحمامة أغضى فوقها الشفر عين تأوبها من شجوها أرق فالماء يغمرها طورا و ينحدر كأنّه نظم درّ عند ناظمة تقطع السلك منه فهو منبر يا بعد منزل من ترجو مودته و من أتى دونه الصّمان فالحفر دع ما تقدّم من عهد الشّباب فقد ولىّ الشّباب و زار الشّيب و الزّعر و اذكر بلاء سليم فى مواطنها و فى سليم لأهل الفخر مفتخر قوم همو نصروا الرّحمن و أتبعوا دين الرّسول و أمر النّاس مشتجر لا يغرسون فسيل التّخل و سطهم و لا تحاور فى مشاتهم البقر إلّا سوابح كالعقبان مقربة فى دارة حولها الأخطار و العكر تدعى كفاف و عوف فى جوانبها و حتى ذكوان لا ميل و لا ضجر الضّاربون جنود الشّرك ضاحية بطن مكّة و الأرواح تبتدر حتى رفعنا و قتلهم كأنّهم نخل بظاهرة البطحاء منقر و نحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزا و عند الله مدّخر إذ ركب الموت مخضرا بطائنه و الخيل ينجاب عنها ساطع كدر تحت اللّواء مع الضّحّاك يقدمنا كما مشى اللّيث فى غاباته الخدر فى مآذق من مجرّ الحرب كلكلها تكاد تأفل منه الشّمس و القمر و قد صبرنا بأوطاس أسنتنا لله تنصر من شئنا و ننتصر حتى تأوب أقوام منازلهم لو لا المليك و لو لا نحن ما صدروا فما ترى معشرا قلّوا و لا كثروا إلّا قد أصبح منا فيهم أثر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٥

و قال عباس بن مرداس أيضا:

يا أيها الرّحل الذى تهوى به و جناء معجزة المناسم عرمس
 إمّا أتيت على النّبى فقل له حقا عليك إذا اطمأنّ المجلس
 يا خير من ركب المطىّ و من مشى فوق التّراب إذا تعدّ الأنفس
 إنّا وينا بالذى عاهدتنا و الخيل تقدع بالكماة و تخرس

إذ سال من أفناء بهتة كلها جمع تظلّ به المخارم ترجس
 حتىّ صبحنا أهل مكة فيلقاشهباء يقدمها الهمام الأشوس
 من كلّ أغلب من سليم فوقه بيضاء محكمة الدخال و قونس
 يروى القناء إذا تجاسر في الوغى و تخاله أسدا إذا ما يعبس
 يغشى الكتيبة معلما و بكفه غضب يقدّ به ولدن مدعس
 و على حنين قد وفي من جمعنا ألف أمدّ بها الرسول عرندس
 كانوا أمام المسلمين دريئة و الشمس يومئذ عليهم أشمس
 نمضى و يحرسنا الإله بحفظه و الله ليس بضائع من يحرس
 و لقد حبسنا بالمناقب محبسا رضى الإله به فنعم المحبس
 و غداة أو طاس شددنا شدة كفت العدو و قيل منها: يا احبسوا
 تدعو هوازن بالإخاوة بيننا ثدى تمدّ به هوازن أيبس
 حتىّ تركنا جمعهم و كأنه غير تعاقبه السباع مفرّس و قال عباس بن مرداس أيضا:
 نصرنا رسول الله من غضب له بألف كمي لا تعدّ حواسره
 حملنا له فى عامل الزمخ رايه يزود بها فى حومه الموت ناصره
 و نحن خضبناها دما فهو لونها غداة حنين يوم صفوان شاجر
 و كنا على الإسلام ميمنة له و كان لنا عقد اللواء و شاهرة
 و كنا له دون الجنود بطانة يشاورنا فى أمره و نشاوره
 دعانا فسمّانا الشعار مقدّما و كنا له عوننا على من يناكره
 جزى الله خيرا من نبى محمّدا و أيده بالنصر و الله ناصره «و قال عباس بن مرداس أيضا»:
 من مبلغ الأرقام أنّ محمّدا رسول الإله راشد حيث يمّما
 دعا ربّه و استنصر الله وحده فأصبح قد وفى إليه و أنعما
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٦ سرينا و واعدنا قديدا محمّدا يؤم بنا أمرا من الله محكما
 تمادوا بنا فى الفجر حتىّ تبيّنوا مع الفجر فتيانا و غابا مقوما
 على الخيل مشدودا علينا دروعنا و رجلا كدفاع الأتّى عرمرما
 فإنّ سراة الحىّ إن كنت سائلا سليم و فيهم منهم من تسلّما
 و جند من الأنصار لا يخذولونه أطاعوا فما يعصونه ما تكلمّا
 فإن تكك قد أمرت فى القوم خالدوا قدمته فإنّه قد تقدّما
 بجند هداه الله أنت أميره تصيب به فى الحقّ من كان أظلما
 حلفت يمينا بزة لمحمّدا كملتتها ألفا من الخيل ملجما
 و قال نبىّ المؤمنين تقدّموا و حبّ إلينا أن تكون المقدّما
 و بتنا بنهىّ المستدير و لم تكن بنا الخوف إلّا رغبة و تحزّما
 أطعناك حتىّ أسلم الناس كلّهم و حتىّ صبحنا الجمع أهل يلملما
 يضلّ الحصان الأبلق الورد وسطه و لا يطمئنّ الشيخ حتىّ يسوما

لدى غدوة حتى تركنا عشية حنينا و قد سالت دوامعه دما
سمونا لهم ورد القطا زفة ضحى و كل تراه عن أخيه قد أحجما
إذا شئت من كل رأيت طمره و فارسها يهوى و رمحا محظما
و قد أحرزت منا هوازن سربهاو حب إليها أن نخيب و نحرما

تنبیہات

الأول: قال أهل المغازي: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان، و جمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج من أواخر رمضان، و سار سادس شوال، و كان وصوله إليها في عاشره.
قال في زاد المعاد: كان الله - تعالى - قد دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو الصادق الوعد أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دينه أفواجا، و دانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمة الله - تعالى - أن أمسك قلوب هوازن و من تبعها عن الإسلام و أن يتجمعوا و يتأهبوا للحرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و المسلمين، ليظهر أمر الله - سبحانه و تعالى - و تمام إغزاه، لرسوله - صلى الله عليه وسلم - و نصره لدينه، و لتكون غنائمهم شكرا لأهل الفتح، ليظهر الله و رسوله و عباده و قهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب. و يتبين ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين و اقتضت حكمته

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٧

- تعالى - أن أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة و الكبوة مع كثرة عددهم و عددهم و قوة شوكتهم ليطأ من رؤوس رفعت بالفتح و لم تدخل بلده و حرمة كما دخله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضعا رأسه منحيا على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد أن تمس سرجه تواضعا لربه تبارك و تعالى، و خضوعا لعظمته، و استكانة لعزته أن أحل له حرمة بلده، و لم يحله لأحد قبله، و لا لأحد بعده، و ليبين عز و جل لمن قال: لن نغلب اليوم من قلة أن النصر إنما هو من عنده، و أنه من ينصره فلا غالب له، و من يخذله فلا ناصر له غيره، و أنه - تعالى - هو الذى تولى نصر رسوله و دينه لا كثر تكلم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئا فوليتهم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أرسلت إليها خلع الجبر مع مزيد ثم أنزل الله سيكيتته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنودا لم تروها [التوبة ٢٦] و قد اقتضت حكمته - تعالى - أن خلع النصر و جوائزها إنما تفضى على أهل الانكسار و تريد أن نمن على الذين اشتد عفو في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين، و نتمكن لهم في الأرض و نرى فروع و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون [القصص ٥، ٦].

الثانى: و افتتح الله - سبحانه و تعالى - غزو العرب بغزوة بدر، و ختم غزاهم بغزوة حنين، و لهذا يقرب هاتين الغزاتين بالذكر فيقال «بدر و حنين» و إن كان بينهما سبع سنين و الملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين بهاتين الغزاتين، و النبى - صلى الله عليه وسلم - رمى وجوه المشركين بالحصى فيهما، و بهاتين الغزاتين طفئت جمره العرب لغزو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و المسلمين، فالأولى خوفتهم و كسرت من حدتهم. و الثانية: استفرغت قواهم، و استنفدت سهامهم، و أذلت جمعهم، حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله - تعالى - و جبر الله تبارك و تعالى أهل مكة بهذه الغزوة، و فرحهم بما نالوا من النصر و المغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم، و إن كان عين جبرهم و قهرهم تمام نعمته عليهم بما صرفه عنهم من شر من كان يجاورهم من أشرف العرب من هوازن و ثقيف، بما أوقع بهم من الكسرة، و بما قبيض لهم من دخولهم في الإسلام، و لو لا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها. و من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله سبحانه و تعالى لمسيباتها قدرا و شرعا فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكمل الخلق توكلًا، فقد دخل مكة و البيضة على رأسه، و لبس يوم حنين درعين، و قد أنزل الله - سبحانه و تعالى - و الله يعصمك من الناس [المائدة ٦٧] و كثير ممن لا تحقيق عنده يستشكل هذا و يتكاسب في الجواب، تارة بأن هذا فعله - صلى الله عليه وسلم - تعليما

لأعنته، و تارة بأن هذا كان قبل نزول الآية!! لو تأمل أن ضمان الله - سبحانه و تعالى - له العصمة لا ينافي تعاطيه لأسبابها فإن هذا الضمان له من ربه - تبارك و تعالى - لا ينافي احتراسه من الناس و لا ينافيه، كما أن إخبار الله - عز و جل - له بأنه يظهره على الدين كله و يعليه، لا يناقض أمره

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٨

بالتقال، و إعداد العدة و القوّة، و رباط الخيل، و الأخذ بالجدّ و الحذر، و الاحتراس من عدوه، و محاربتة بأنواع الحرب، و التورية، فكان إذا أراد غزوة و رى غيرها، و ذلك لأنه إخبار من الله - تعالى - عن عاقبة حاله و ماله فما يتعاطاه من الأسباب التى جعلها الله - تعالى - بحكمته موجبة لما وعدّه به من النصر و الظفر، و إظهار دينه و غلبته عدوّه انتهى.

الثالث: اختلف العلماء فى العارية هل تضمن إذا تلفت، فقال الشافعى و غيره يضمن، و قال أبو حنيفة و غيره: لا يضمن، و فى بعض طرق الحديث «بل عارية مضمونة، و قد اختلفوا فى هذا القيد و هو مضمونة، أنه صفة موصّحة أو مقيدة، فمن قال بالأول قال: تضمن، و من قال مقيدة قال: لا إلا بشرط، قاله فى الثور.

الرابع: تضمّن قول السائل للبراء فى الرواية الثانية أو وليتم مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و فى الثالثة أفرتم مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قول البراء رضى الله عنه - فأشهد على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أنه لم يولّ، و قوله فى الرواية الثانية «لكن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لم يقر إثبات الفرار، لكن لا على طريق التعميم، و أراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبى - صلى الله عليه و سلم - بظاهر الرواية الثانية، و يمكن الجمع بين الثانية و الثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك و ختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و يحتمل أن البراء فهم أنّ السائل اشتبه عليه حديث سلمة بن الأكوع، و مررت برسول الله - صلى الله عليه و سلم - منهزما، فلذلك حلف البراء أنّ النبى - صلى الله عليه و سلم - لم يولّ، و دلّ ذلك على أن منهزما حال من سلمة، و لهذا وقع فى طريق أخرى «و مررت على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - منهزما و هو على بغلته» فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعا، و يحتمل أن يكون السائل أخذ العموم من قوله تعالى: ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ [التوبة ٢٥] فبين البراء أنه من العموم الذى أريد به الخصوص.

الخامس: يجمع بين قول أنس - رضى الله عنه -: بقى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - وحده و بين الأخبار الدالة أنه بقى معه جماعة بأن المراد بقى وحده متقدما مقبلا على العدو، و الذين ثبتوا كانوا وراءه، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، و أبو سفيان بن الحارث و غيره كانوا يخدمونه فى إمساك البغلة، و نحو ذلك.

السادس: لا تخالف بين قول ابن عمر، لم يبق مع النبى - صلى الله عليه و سلم - مائة رجل، و بين قول ابن مسعود، ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثمانون من المهاجرين و الأنصار فإن ابن عمر نفى أن يكونوا مائة، و ابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين.

و ذكر النووى أن الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - اثنا عشر رجلا، و وقع فى شعر

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٤٩

العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرة فقط، و ذلك لقوله:

نصرنا رسول الله فى الحرب تسعة و قد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا

و عاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما مسّه فى الله لا يتوجّع قال الحافظ: و لعلّ هذا هو الأثبت، و من زاد على ذلك يكون عجل فى الرجوع فعّد فيمن لم ينهزم.

السابع: البغلة البيضاء: و فى مسلم عن سلمة بن الأكوع الشهباء التى كان عليها يومئذ أهداها له فروة - بفتح الفاء، و سكون الراء، و فتح الواو، و بالهاء ابن نفاثة بنون مضمومة ففاء مخففة فألف فناء مثلثة، و وقع فى بعض الروايات عند مسلم فروة بن نعامه بالعين و الميم، و الصحيح المعروف الأول، و وقع عند ابن سعد و تبعه جماعة ممّن أُلّف فى المغازى أنه - صلى الله عليه و سلم - كان على بغلته دلدل،

و فيه نظر، لأنّ دللده أهداها له المقوقس. قال القطب: و يحتمل أن يكون النبي- صَلَّى الله عليه و سلم- ركب يومئذ كلاً من البغليين، و إلّا فما في الصّحيح أصح.

الثامن: قال العلماء: ركوبه- صَلَّى الله عليه و سلم- البغلة يومئذ دلالة على النهاية في الشجاعة و الثبات، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار و التولّي، و إذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار و الأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لاتباعه. التاسع: وقع في الصحيح حديث البراء و أبو سفيان ابن عمه يقود به، و في حديث العباس أنه كان آخذا بلجام رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و أبو سفيان آخذ بركابه، و يجمع بأن أبا سفيان كان آخذاً أولاً بزمام البغلة، فلما ركضها رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى جهة الكفار خشى العباس و أخذ بلجام البغلة يكفّها، و أخذ أبو سفيان بالركاب و ترك اللجام للعباس إجلالاً له لأنه كان عمه.

العاشر: وقع في حديث ابن عبد الرحمن الفهري- رضى الله عنه- أنّ رسول- صَلَّى الله عليه و سلم- اقتحم عن فرسه «فأخذ كفا من تراب» انتهى قلت: و هي رواية شاذة، و الصحيح أنه- صَلَّى الله عليه و سلم- كان حينئذ على بغلة. الحادي عشر: في

قوله- صَلَّى الله عليه و سلم- «أنا النبي لا كذب»

إشارة إلى صفة النبوة يستحيل معها الكذب، و كأنه- صَلَّى الله عليه و سلم- قال: لأنا النبي، و النبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، و أنا متيقن أنّ الذي وعدني به الله من النصر حق فلا يجوز عليّ الفرار، و قيل معنى قول «لا كذب» أي أنا النبي حقا لا كذب في ذلك.

الثاني عشر:

قوله- صَلَّى الله عليه و سلم- «أنا النبي لا كذب»

بسكون الموحدة من كذب و هذا و إن وقع موزونا لا يسمّى شعراً لأنه غير مقصود كما سيأتي بسط ذلك في الخصائص.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٠

الثالث عشر: انتسب- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر و طول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً و لهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب كما في حديث حماد في الصحيح و قيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب. رجل يدعو إلى الله و يهدى الله- تعالى- الخلق على يديه، و يكون خاتم الأنبياء، فانتسب ليتذكر ذلك من كان يعرفه، و قد اشتهر ذلك بينهم، و ذكره سيف بن ذى يزن قديماً لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنه و أراد- صَلَّى الله عليه و سلم- تنبيه أصحابه بأنه لا بدّ من ظهوره، و إن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه- صَلَّى الله عليه و سلم- ثابت غير منهزم.

الرابع عشر: في إشهارة- صَلَّى الله عليه و سلم- نفسه الكريمة في الحرب غاية الشجاعة و عدم المبالاة بالعدو.

الخامس عشر: في تقدمه- صَلَّى الله عليه و سلم- قبل الكفار نهاية الشجاعة، و في نزوله- صَلَّى الله عليه و سلم- عن البغلة حين غشوة مبالغة في الثبات و الشجاعة و الصبر، و قيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين.

السادس عشر: في حديث سلمة بن الأكوع و غيره «أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- نزل عن البغلة ثم قبض قبضه من تراب» إلخ. و في حديث ابن مسعود أن رسول- صَلَّى الله عليه و سلم- قال له حين انهزم أصحابه «ناولني كفاً من تراب» فناوله،

و في حديث ابن عباس عن البراء أن علياً ناول رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- التراب فرمى به في وجوه الكفار، و الجمع بين ذلك أنّ النبي- صَلَّى الله عليه و سلم- أولاً قال لصاحبه «ناولني» فناوله، فرماهم، ثم نزل عن البغلة فأخذ بيده فرماهم أيضاً، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين و في الأخرى التراب، و أن كلا ممن ذكر ناوله.

السابع عشر: في رميه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الكفار، وقوله: «انهزموا و ربّ الكعبة» إلخ، معجزتان ظاهرتان لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إحداهما فعلية، والأخرى خبرية، فإنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أخبر بهزيمتهم و رماهم بالحصى فولوا مدبرين. و في رواية استقبل وجوههم فقال «شاهت الوجوه». و هنا أيضا معجزتان فعلية و خبرية.

الثامن عشر: في قول العباس: فوالله لكأن في عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. إلخ دليل أن فرارهم لم يكن بعيدا. التاسع عشر: في عقر علي - رضي الله عنه - بغير حامل راية الكفار دليل على جواز عقر فرس العدو و مركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله.

العشرون: في انتظار رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقسم غنائم هوازن إسلامهم جواز انتظار سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥١

الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار و دخولهم في الطاعة فيه و رده عليهم غنائمهم و متاعهم. الحادى و العشرون: اتفقوا على أنه لا يقبل قول من ادعى السلب إلا ببينة تشهد له. و نقل ابن عطية عن أكثر الفقهاء أن البينة هنا شاهد واحد يكتفى به.

الثانى و العشرون: قال في العيون أخذنا من الرّوض فرار من كان معه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم حنين قد أعقبه رجوعهم إليه بسرعة و قتالهم معه حتى كان الفتح، و في ذلك نزل و يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً إِلَى قَوْلِهِ: غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة ٢٥]: [٢٧] كما قال فيمن تولى يوم أحد (و لقد عفى الله عنهم) إن اختلف الحال في الوقعتين. و قال الحافظ:

العذر لمن انهزم من غير المؤلفة أن العدو كانوا ضعفهم في العدد و أكثر من ذلك، و كذا جزم في النور بأن هوازن كانوا أضعاف الذين كانوا معه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

الثالث و العشرون: في بيان غريب ما سبق:

حنين - بحاء مهملة و نون مصغر: واد إلى جنب ذى المجاز قريب من الطائف، بينه و بين مكة بضعة عشر ميلا، قال أبو عبيد البكرى سمى باسم حنين بن قانية بن مهلائيل.

و الأغلب عليه التذكير، لأنه اسم ماء. و ربما أنثته العرب، لأنه اسم للبقعة. فسُميت الغزوة باسم مكانها.

هوازن - بفتح الهاء و كسر الزاى، قبيلة كبيرة من العرب، فيها عدة بطون، و هى:

هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة - بحاء معجمة فصاد مهملة ففاء مفتوحتان - بن قيس عيلان - بعين مهملة، بن إلياس بن مضر أبو الزناد - بكسر الزاى، و بالتون، و بالدال المهملة.

ثقيف - بئاء مثله بوزن أمير: اسمه قسي - بفتح القاف و كسر السين المهملة و تشديد الياء - بن مته بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة - بفتح الخاء المعجمة، و الصاد المهملة، و بالفاء - ابن قيس عيلان.

أشفقوا: خافوا.

لا ناهية له: أى نهى: أى مانع.

حشدوا: اجتمعوا.

أجمعوا أمرا: أى عزموا عليه.

نصر - بفتح النون، و سكون الصاد المهملة، و بالراء: اسم قبيلة.

جشم - بضم الجيم و فتح الشين المعجمة: لا ينصرف للعلمية و العدل عن جاشم: أبو قبيلة كبيرة، و هو معاوية بن بكر بن هوازن بن قيس عيلان - بفتح المهملة، لقب قيس باسم عبد كان يملكه، و قيل باسم فرس له

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٢

كعب و كلاب بن أبى براء- بفتح الموحدة و تخفيف الراء و بالمد. و حكى القصر.
ناوآه: عاداه.

دريد- بضمّ الدال المهملة، و فتح الراء، و سكون التحتىّة و بالبدال المهملة.

الصّيمه- بكسر الصّاد المهملة، و تشديد الميم- و اسمه، الحارث بن بكر أو ابن الحارث بن بكر بن علقمة بن معاوية بن بكر هوازن
الجشمى- بضم الجيم و فتح الشين- من بنى محرب- بكسر الميم و إسكان الحاء المهملة ثم راء مفتوحة ثم موحدة يقال رجل
محرب- بكسر الميم: صاحب حروب أو طأ العرب: علاهم و قهرهم.
أجلى يهود: أخرجهم.

الدّل- بضمّ الدال المعجمة: الضعف و الهوان.

الصّغار- بفتح الصّاد المهملة: الضيم.

يومك هذا له ما بعده.

طوى عنه الخبر: كتبه.

الظّن- بضمّ الظاء المعجمة المشالّة، و العين المهملة.

أوطاس- بفتح أوله و سكون الواو و بالطاء و السين المهملتين: واد فى ديار هوازن، و الصحيح أنه غير وادى حنين، و سيأتى بيان ذلك
فى السرايا.

عسكر- موضع كذا: جمع عسكره به.

الأمداد: جمع مدد بفتحتين، و هو الجيش.

الشّجار- بكسر الشّين المعجمة و بالجيم و الراء: مركب مكشوف دون الهودج. و يقال له شجر أيضا.

مجال الخيل- بفتح الميم، و بالجيم المخففة، و باللام.

الحزن- بفتح الحاء المهملة، و سكون الزاى، و بالتّون: ما غلظ من الأرض الضّرس- بكسر الصّاد المعجمة، و سكون الزاء، و بالتّين
المهملة: الأكمة الخشنة، و فى الإملاء: هو الموضع فيه حجارة محدّده.

السهل: ضد الحزن.

دهس- بفتح الدال المهملة، و الهاء، و بالتّين المهملة. و الدهاس مثل اللّيث و اللّبات:

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٣

المكان السهل اللّين الذى لا يبلغ أن يكون رملا و ليس هو بتراب. و لا طين، و فى الإملاء: لّين كثير التراب.

رغاء الإبل- بضم الراء و بالغين المعجمة و المد: صوتها.

نهاق الحمير بضم النون و تخفيف الهاء و بالقاف: صوتها.

بعار الشّاء- بضمّ التّحتيّة و بالعين المهملة المخففة و بالراء: صوتها.

خوار البقر- بضمّ الخاء المعجمة، و بالواو و الراء: صوتها.

و لم- بفتح الميم: على الاستفهام.

فأنقض به- بفتح الهمزة، و سكون النون، و فتح القاف، و بالصّاد المعجمة الساقطة قال فى الرّوض: صوّت بلسانه من فيه، من النقيض و
هو الصّوت، و قيل: الإنقاض بالإصبع الوسطى و الإبهام كأنه يدفع بهما شيئا، و فى الإملاء، أى زجره كما تزجر الدابة، و الإنقاض
للدابة أن تلتصق لسانك بحنكك الأعلى و تصوت به.

راعى ضأن: يجهله بذلك.

فضح - بالبناء للمفعول.

البيضة هنا - الجماعة، وبيضة الثانية بالجر بدلا من الأولى.

عليا - بضم العين المهملة مقصور.

ممتع - بضم الميم الأولى، و سكون الثانية و فتح الفوقية، و كسر النون و بالعين المهملة.

الضياء - بضم الصاد المهملة، و تشديد الموحدة، قال في الإملاء: جمع صابئ، و هم المسلمون عندهم كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم صبئوا من دينهم أى خرجوا و قال في التور: أى الذين يشتهدون الحرب و يميلون إليها، و يحبون التقدّم فيها و البراز: قاله في النهاية.

المتون - جمع متن: الظاهر.

بين أضعاف الخيل: بين أثائها أو متقدمه دريئة.

ألفاك ذلك - بالفاء أى وجدك أو صادفك.

كبر عقلك - بكسر الموحدة: يشير إلى أنه قد خرف.

الجدع - بفتح الجيم، و الذال المعجمة، و بالعين: ما قبل الثنى، و الجمع جذعان و جذاع مثل جبل و جبال، و الأثنى جذع، و الجمع جذعات - بضم الجيم و كسرها: أى يا ليتنى فى هذه الحرب جذع، أى شاب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٤

الخبب: ضرب من السير و هو خطو فسيح دون العنق.

الوضع: ضرب من السير و هو الإسراع، قال الفراء: هو مثل الخبب.

الوظفاء بفتح الواو و بطاء مهملة ساكنة و بالفاء و المد: الطويلة الشعر.

الزعم - بفتح الزاى، و الميم، و بالعين المهملة: الشعر الذى فوق مربوط قيد الدابة، يريد فرسا صفتها كذا، و هو محمود فى وصف الخيل. الشاة - هنا الوعل - بفتح الواو، و كسر العين المهملة، و تسكن، و باللام: ذكر الأروى و هى الشاة الجبلية و الجمع: و عول مثل: فلس و فلوس، و الأثنى: و علة - بكسر العين، و سكونها، و الجمع: و عال، مثل كلبة و كلاب.

صدع - بفتح الصاد، و الدال، و بالعين المهملة: وصف للوعل، و هو الوسط منها، و ليس بالعظيم و لا الصغير، و لكنّه و عل بين الوعلين.

الحدّ - بفتح الحاء و بالدال المهملة: المنع.

الجد - بجيم مكسورة: الشجاعة و الجرأة.

يوم علاء - بفتح العين المهملة و بالمد - الرفع، و إنّما عطفها عليه لاختلاف اللفظ.

ذانك: تثنية ذا اسم إشارة.

الجدعان: تثنية جذع، يريد أنّهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الجدع فى سنه الكمين: الجيش المستخفى فى مكن - بفتح الميمين - بحيث لا يظن به ثم ينهض على العدو و على غفلة منهم، و جمعه كمناء، كأمير و أمراء، يقال كمن كمنونا، من باب قعد قعودا: توالى و استخفى.

كتر - بفتح الكاف و الراء المشددة: رجع.

الحملة لك: الغلبة.

لم يفلت - بضم التحتية و سكون الفاء.

مقدمة الجيش - بكسر الدال و قد تفتح: الجماعة تتقدمه.

بنو سليم: بالتصغير.

ينحى يعدل به.

السنن - بفتح السين المهملة و النون الأولى: الطريق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٥

شرح غريب استعماله - صلى الله عليه و سلم - عتابا، و استعارته من صفوان بن أمية أدرعا، و بعثه عبد الله بن أبى حدر، و خروجه للقاء هوازن

عتاب - بفتح العين المهملة، و الفوقية المشددة، و بالموحدة.

أسيد - بالسين و الدال المهملتين وزن أمير.

أجمع السير: عزم عليه.

ذكر له: بالبناء للمفعول.

أعرنا - بفتح أوله.

أبو حدر - بمهمات كجعفر، و اسمه سلامة بن عمير.

الخباء - بكسر الخاء المعجمة ككتاب: واحد الأخبية من وبر أو صوف، و لا يكون من شعر، و هو على عمودين أو ثلاثة، و ما فوق

ذلك فهو بيت.

الأغمار - بفتح أوله، و بالغين المعجمة: جمع غمر بضمين و تسكن الميم: و هو الرجل الذى لم يجزب الأمور.

الجفون - بضم الجيم: جمع جفن - بفتح الجيم، و هو هنا غلافه السيف، و قد يجمع على أجفان.

الخياف - بفتح الخاء المعجمة، و سكون التحتية و بالفاء، و هو فى الأصل المنحدر من غلظ الجبل، قد ارتفع من مسيل الماء، فليس

شرفا و لا حضيضا.

كنانة - بكسر الكاف، و بنون مخففا.

تقاسموا: تحالفوا و تعاهدوا جهينة - بالجيم: مصغر.

مزينة: مصغر، بالزاي و النون.

أسلم بهمزة مفتوحة، فسين مهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فميم غفار - بكسر الغين المعجمة و بالفاء.

أشجع - بفتح أوله، و بالسين المعجمة، و العين المهملة: الجميع أسماء قبائل.

الطلقاء - بضم الطاء المهملة، و فتح اللام: الذين أسلموا يوم فتح مكة من أهلها ممن غلبهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و

أطلقهم أو خلى سبيلهم دنا: قرب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٦

بدأ بكذا: قدمه.

كبت الله عدوك: أخزاه و أذله و صرفه و غاظه و أهلكه.

لم يغادر: لم يترك.

التظار - بضم النون: جمع ناظر.

الصدمة - بفتح الصاد المهملة.

أوقر بعيره: حمّله.

ذات أنواط: شجرة عظيمة قرب مكة، كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظمها و تعلق عليها سلاحها و يذبح عندها. يقال ناط الشيء

ينوطه نوطا علّقه، و كل ما علّق من شيء فهو نوط- بفتح النون، و الجمع: أنواط، و هي المعاليق.

يعكفون عليها: يلزمونها و يواظبون على خدمتها.

الحدو- بفتح الحاء المهملة، و سكون الدال المعجمة.

القدر- بفتح القاف، و سكون الدال.

القدّة بالقده- بكسر القاف فيها أخص من القدّ: و هو سير يقدّ من جلد غير مدبوغ.

أطنبوا السّير: بالغوا فيه.

عن بكرة أبيهم- بفتح الموحدة، و سكون الكاف: هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة و توفّر العدد، و أنهم جاءوا جميعا لم يتخلف

منهم أحد، و ليس هناك بكرة في الحقيقة، و هي التي يستقى عليها الماء، فاستعيرت في هذا الموضع.

أبو مرثد- بفتح الميم، و سكون الزاء، و بفتح التاء المثناة، و بالدال المهملة.

نغزّن- بضم النون و فتح الغين المعجمة و الراء المشددة.

قبلك- بكسر القاف، و فتح الموحدة، و اللام: أي من جهتك.

ثوب بالصّلاة: التّوب هنا إقامة الصّلاة، و الأصل في التّوب أن يجيء الرّجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى و يشتهر، فسّمى الدّعاء

تثويبا لذلك، و كلّ داع مثوّب، و قيل إنّما سمّى تثويبا من تاب يثوب إذا رجع، فهو رجوع- إلى الأمر بالمبادرة إلى الصّلاة، فإن

المؤدّن إذا قال حي على الصّلاة، فقد دعاهم إليها، فإذا قال بعده: الصّلاة خير من النّوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها.

خلال الشّجر: أي الفرج بينها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٥٧

أوجبت: أي عملت موجبا للجنّة.

التّبيان: البيان.

سليم- بضمّ السين المهملة، و فتح اللّام، و سكون التّحتية.

غشان- بفتح الغين المعجمة و تشديد السين المهملة، قال النّووى: المسموع فى كتب [أهل] الحديث و رواياتهم غير منصرف و ذكره

ابن فارس فى باب غسن، و هذا تصريح بأنه يجوز صرفه.

العضادة- بكسر العين المهملة، و بالضاد المعجمة: جانب الشىء.

الأجربان: سماهم بذلك تشبيها بالأجرب الذى يغزّب.

عبس- بفتح المهملة و سكون الموحدة: بطن من غطفان و من الأزد بن مراد.

ذبيان- بضمّ الدال المعجمة و كسرهما من زبيت شفته أى ذبلت من العطش، و هو إذا فعلان ينصرف للعلمية و الزيادة «شمر سيفك»

أدخله فى غمده «عيون المشركين» جمع عين و هو الجاسوس، يقال جسّ الأخبار و تجسسها تتبعها لأنه يتبع الأخبار و يفحص عن

بواطن الأمور، ثم استعير لنظر العين «تفرقت أوصالهم»: أى مفاصلهم جمع وصل بالكسر، و هو كل عظم على حدة لا يكسر و لا يخلط

به غيره «الذعر» بضم الدال المعجمة: الخوف.

لم يثنه الأمر: لم يرده.

واد أجوف: متسع.

خطوط- بخاء مفتوحة فطاء مضمومة، فواو ساكنة فطاء أخرى مهملات منحدر، أو عز إليه بالعين المهملة و الزاى: تقدم إليه.

ربيع بن أنس بلفظ اسم الشهرة.

بنو شيبان- بفتح الشّين المعجمة، و سكون التّحتية، و بالموحدة، و النون: هو شيبان بن ذهل، قبيلة من بكر بن وائل.

فصل من مَكَّة: خرج.

حزام- بالزأى والد حكيم، وكذا كل مكى قرشى، وحرام بالراء فى الأنصار.

شرح غريب ذكر كيفية الوقعة

مضايق- جمع مضيق.

عمايه الصبح- بفتح العين المهملة وتخفيف الميم: بقيه ظلمته.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الديمقى، ج ٥، ص: ٣٥٨

شعابه- جمع شعب: وهو ما انفرج بين الجبلين.

أجنابه: جوانبه.

راعنا: أفرعنا.

الكتائب- بالفوقية جمع كتيبة: وهى الطائفة المجتمعة من الجيش شدوا علينا: حملوا يقتلوننا.

سواد العسكر: ما يشتمل عليه من الدواب والمضارب وغيرهما.

الغيش- بفتح الغين المعجمة، وسكون الموحدة، وبالمعجمة: ظلامه.

إن شعرنا: ما علمنا.

انكشف الخيل وتبعهم الناس منهزمين هذا مجاز، لم ينهزم كل الناس، ولا نعرف فى موطن من المواطن أن كل الناس انهزموا.

ما يلوون على شىء: لا يبقون عليه.

التقع- بفتح التّون، وسكون القاف: الغبار.

انحاز: إلى كذا تنحى إليه.

هلم إلى: اسم فعل فى لغة الحجازيين فلا يبرز فاعلها، وفعل فى لغة تميم فيقولون هلم وهلمى وهلموا وهلمن.

الشّبان- بضم الشين: جمع شاب، وهو سن قبل الكهولة.

سرعان الناس- بفتح السين والراء: أوائلهم.

كأنها رجل جراد بكسر الراء وسكون الجيم، الجماعة الكثيرة من الجراد خاصته، وهو جمع على غير لفظ الواحد.

أطنّ قدمه بنصف ساقه: قطعها، يراد بذلك صوت القطع.

انجعف: وقع.

اجتلد الناس: تضاربوا بالسيف.

الجفأة- جمع جاف: وهو الغليظ الطبع، والمراد هنا- والله أعلم- من كان غليظا على الإسلام. ممن لم يتمكن الإيمان فى قلبه.

الضّغن- بكسر الضّاد، وإسكان الغين- المعجمتين- والنون- الضغينة بالفتح- وهما:

الحقد.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الديمقى، ج ٥، ص: ٣٥٩

الأزلام: القداح التى كانت فى الجاهلية، واحداها زلم- بفتحات- عليها مكتوب الأمر والنهى، إفعل و لا- تفعل، كان الرّجل من

المشركين يضعها فى وعاء له، فإذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما أدخل يده وأخرج منها زلما، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن

خرج النهى كفّ عنه فلم يفعله.

الكنانة: جعبة السهام.

جبله: كذا عند ابن إسحق، و هو تصحيف، و صوابه كلده- بفتح الكاف و اللام بن الحنبل بفتح الحاء المهملة و سكون النون و بالموحدة، و يقال: ابن عبد الله بن الحنبل، أسلم بعد ما قال بحنين ما قال.
 فضّ الله فاه: أسقط أسنانه، و الفضّ: الكسر بالترفة.
 يربّتي - بضم الراء: يملكني و يدبر أمرى و يصير لى ربّاً أى سيّدا.
 المازنى - بكسر الزاى و النون.
 كاد: قرب.
 حاجب الشمس: ناحيتها.
 يا للأنصار - بفتح اللام.
 عبّاد - بفتح العين المهملة و بالموحدة المشددة.
 بشر بكسر الموحدة، و سكون المعجمة.
 أبو نائلة - بهمزة بعد الألف على صورة الياء.
 لا يجبرونها: أى: لا مجبر منها.
 الشّعار - بكسر الشين المعجمة، و العين المهملة: العلامة التى كانوا يتعارفون بها.

شرح غريب ذكر ارادة شيبه بن عثمان و النضير بالتصغير بن الحرث الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم

الفتك: القتل على غفلة، أو القتل مطمئنا مجاهرة.
 عنوة - بعين مهملة مفتوحة، فنون ساكنة، فواو مفتوحة، فناء تأنيث: قهرا و غلبة. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ٣٥٩
 شرح غريب ذكر ارادة شيبه بن عثمان و النضير بالتصغير بن الحرث الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم ص : ٣٥٩
 مرصد - بكسر الصاد المهملة: اسم فاعل.
 اقتحم عن بغلته: ألقى نفسه عنها.
 أصلت السيف: سله من غمده.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٠
 أسوره - بفتح الشين المهملة و كسر الواو المشددة: أعلوه.
 سورة - بفتح الشين المهملة، و سكون الواو، و فتح الزاء، و سورة الخمر و غيره: حدتها، و المجد أثره و علامته و ارتفاعه، و البرد شدته، و السلطان شدته و اعتداده.
 الشواظ - بضم الشين المعجمة و كسرها: اللهب الذى لا دخان فيه.
 يتمحشنى - بتحتية ففوقية مفتوحتين، فميم مفتوحة، فحاء مشددة و شين معجمة:
 يحرقنى.
 مشيت القهقرى: المشى إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه.
 يا شيب: منادى مرخم، و يجوز فيه ضم الموحدة و فتحها.
 شرحيل - بضم الشين المعجمة و فتح الراء و سكون الحاء المهملة، و كسر الموحدة، و باللام.
 العبدرى، بفتح العين المهملة، و سكون الموحدة، و آخره راء فياء نسب.
 الدبرة - بفتح الدال المهملة و بالموحدة و تسكن: الهزيمة، و هو اسم من الإدبار.

الفئتان - تشبيه فئه بكسر الفاء و بالهمز: الفرقة من الناس جمعها فئون و فئات.
الحيز - بالحاء المهملة المفتوحة و التحتية الساكنة و بالزاي الناحية.
عمدت له: قصدت.

إليك إليك: اسم فعل بمعنى الزم أو انتبه الزعب: الفزع.

حلب ناقة: أى قدر ذلك.

يا للخزرج - بفتح اللام.

أرعدت جوارحي: ارتعشت.

غترات الناس بضم الغين المعجمة و فتح الموحدة المشددة: جمع غير كذفر: و هو جمع غابر، و هو هنا بمعنى الباقي.

خمر الشجر - بفتح الخاء المعجمة و الميم و بالراء: ما وراك منه.

الجعرانة - بكسر الجيم و سكون العين - خفف الأكثر الراء و شددتها غيرهم: موضع على سبعة أميال من مكة من جهة الطائف.

العبر - بكسر العين المهملة و فتح الموحدة جمع عبرة بفتح أوله و كسر ثانيه: و هى الاعتبار و التفكير فى عواقب الأمور.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦١

لقيته كفه كفه - بكسر الكاف فيهما، أى كفاحا، و ذلك إذا استقبلته مواجهة، و هما اسمان جعلوا واحدا و بنيا على الفتح مثل خمسة عشر.

آن لك و حان أى قرب فيه.

توضع: تسرع.

شرح غريب ذكر ثبات رسول الله - صلى الله عليه و سلم

فروة: بلفظ اسم الملبوس.

نفائة - بضم النون و تخفيف الفاء و آخره ثاء مثله.

الجدامى بضم الجيم، و بالذال المعجمة.

طفق: شرع.

قبل - بكسر القاف، و فتح الموحدة: تلقاءه أى جهته.

ير كض: يسرع.

أخذ - بمد أوله، و كسر الخاء المعجمة.

الحكمة - بفتح الحاء المهملة، و الكاف، و الميم، و بتاء تأنيث: حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس، و حنكيه تمنعه من مخالفة راحته.

شجرتها - بشين معجمة، أى ضربتها بالحكمة حتى فتحت فاها.

المقنع - بضم الميم و فتح القاف، و التون المشددة، و بالعين المهملة: الذى على رأسه البيضة.

أنشدك ما وعدتنى: أسألك ذلك.

لا يظهرنا علينا: يغلبونا.

أصحاب السمره، يشير بذلك إلى أصحاب بيعة الحديبية، لأنهم بايعوا تحت الشجرة، و كانت سمره.

يا أصحاب سورة البقرة: خصت بالذكر حين الفرار لتضمنها كم من فئه قليلة غلبت فئه كثيرة بإذن الله [البقرة ٢٤٩] أو لتضمنها و أوفوا

بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة ٤٠] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ [البقرة ٢٠٧].

الحرجة- بفتح الحاء المهملة و الزاء، و بالجيم: مجتمع شجر ملتف كالغيضة، و الجمع حرج و حراج.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٢

يشنى بعيره بفتح أوله: يدير رأسه صوب رسول الله- صلى الله عليه و سلم.

الدرع من الحديد: مؤنثه، و لهذا قال فيقذفها، أى يرميها.

يؤم الصوت: يقصده.

صبر عند اللقاء- بضم الصاد المهملة، و تشديد الموحدة المفتوحة: أى أشداء أقوياء.

مجتلدهم- بميم مضمومة، فجيم ساكنة، فمثناة فوقية، فلام مفتوحة: موضع جلادهم، أى ضرابهم.

المتناول: الذى مدّ عنقه لينظر إلى الشىء يبعد عنه.

الوطيس: هو شىء كالتنور يخبز فيه شبه شدة الحرب به، و قيل: حجارة مدورة إذا حميت منعت الوطاء عليها، فضرب مثلا للأمر يشتد.

حدّهم- بفتح الحاء: قوتهم.

كليلا: ضعيفا.

أفاء الله على رسوله أموالهم: غنمه ذلك.

الفهري- بكسر الفاء، و سكون الهاء.

كرز- بضم الكاف، و سكون الزاء، و بالزاي.

قائظ: شديد الحر.

اللامه: الدرع.

الفسطاط- بضم الفاء و تكسر بيت من شعر:

حان الرواح: قرب.

أجل: كنعم، وزنا و معنى.

دفتاه: دف الرجل و دفته- بالفتح، و تشديد الفاء جانب كور البعير و هو سرجه، و الدف و الدفة: الجانب من كل شىء.

الأشر- بفتحيتين: البطر و كفر التعمه و عدم شكرها. قال الراغب: الأشر: أبلغ من البطر، و البطر: أبلغ من الفرح، فإن الفرح و إن كان فى

أغلب أحواله مذموما كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ [القصص ٧٦] فقد يحمد تارة إذا كان على قدر ما يجب، و فى الموضع

الذى يجب قال تعالى: فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا [يونس ٥٨] و ذلك أن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضيه العقل فليس بمكروه، و الأشر

لا يكون إلّا فرحا بحسب قضيه الهوى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٣

تسامت الخيلان: [تبلدت و تطاولت] حثاها: ألقاها.

شاهت وجوههم: تشوّهت و قبحت.

الصّلصلة: صوت كل ذى صوت.

الطست: تقدّم الكلام عليه فى الرضاع و فى الكلام على شقّ صدره الشريف فراجع.

دلدل- بضم الدالين المهملتين، و سكون اللام الأولى بينهما، و سيأتى الكلام عليها فى ذكر بغاله- صلى الله عليه و سلم.

حم: أشبعت الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل كتاب «القول الجامع الوجيز للخادم للقرآن العزيز» فراجع.

السوائى- بضم السين المهملة، و تخفيف الواو و الهمزة بعد الألف.

القذى - بالقاف و الذال المعجمة: ما يقع فى العين و الماء و الشراب من تراب أو طين أو وسخ أو غير ذلك: جمع قذاه، و جمع القذى أقذاء.

اهتف بهم: صح وادعهم.

الشهب: جمع شهاب.

السبيعى - بفتح السين المهملة و كسر الموحدة فتحتية فعين مهملة.

حسر - بضم الحاء و فتح السين المهملتين و بالراء.

الثبية: كل عقبه مسلوكة.

احمرّ البأس - بكسر أوله، و سكون الحاء المهملة، و فتح الميم، و تشديد الزاء: اشتدت الحرب.

غشوه: ازدحموا عليه و كثروا.

شرح غريب ما قيل أن الملائكة قاتلت يوم حنين

قوله مسؤمين: معلمين.

البيجاد - بكسر الموحدة، و تخفيف الجيم، و بالذال المهملة: الكساء، جمعه أبجد نمل مبثوث: متفرق.

أم برثن - بضم الموحدة، و سكون الراء، و ضمّ الثاء المثناة، و بالنون - و قيل بالميم كيناهم: قلبناهم راجعين.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ٣٦٤

تطن - بفوقية، فطاء مهملة، تصوت.

الخفقان: الاضطراب و التحرك.

الطساس - جمع طست و تقدم الكلام عليه فى الكلام على شق صدره الشريف.

الكتائب - جمع كتيبة بفتح الكاف، و كسر الفوقية: و هى الطائفة المجتمعه من الجيش.

ما يليقون - بيائين تحتين بينهما لام مكسورة فقاف، يقال: لا يليق بك: لا يعلق.

الرعدة - بالكسر: اسم من ارتعد إذا اضطرب.

شرح غريب ذكر من ثبت معه - صلى الله عليه و سلم - يومئذ

حارثة بن النعمان - بحاء مهملة، فألف، فراء، فمثلة.

نكص على عقبه بنون، فكاف، فصاد مهملة مفتوحات رجع.

الحكم - بفتحيتين.

عتبه بن أبى لهب - بضم العين المهملة، و سكون الفوقية، و بالموحدة.

معتب - أخوه بضم الميم، و فتح العين المهملة و كسر الفوقية المشددة و بالموحدة.

أبو دجانه - بضم الدال المهملة، و بالجيم المخففة، و النون.

أبو بشير المازنى كأمر.

الحضير - بضم الحاء المهملة، و كسر الضاد المعجمة، و سكون التحتية أم سليم - بضم أوله.

ملحان - بكسر الميم، و فتحها، قال فى المطالع: و الأول أشهر، و عليه اقتصر ابن الأثير و النووى.

نسيه ككريمة و قيل بالتصغير.

يغر بها الجمل بالغين المعجمة.
الخزام- بكسر الخاء المعجمة.
برة- بضمّ الموحدة، و تخفيف الراء: حلقة من صفر و نحوه يشد في أنف الناقة، يشد بها الزمام.
الخطام- بكسر الخاء المعجمة: ما يقاد به الجمل.
الخنجر- بفتح الخاء المعجمة و كسرهما سكين كبير.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٥
بعج بطنه: شقه.
جمل أورك: في لونه بياض إلى السواد، أو يضرب لونه إلى الخضرة.
يوضع به جملة: يسرع.
أثبتته: أصاب مقتله.
مصلت السيف: مخرجه من غمده.
الغمدة- بكسر الغين المعجمة: قراب السيف.
ناقة فتوح- بفتح الفاء، و ضمّ الفوقية المخففة: واسعة الإحليل.
بنو مازن- بكسر الزاى.
الشعار: العلامة في الحرب.
صعصعة بمهملات و فتح أوله، و سكون ثانيه.
اليعسوب- بفتح التحتية، و سكون العين، و ضمّ السين المهملتين و بالموحدة: ملك النحل.
النسمة- بفتححات: الإنسان.
لن تلووه: لن تشربوا منه مرة ثانية.
لن تغلوه: لن تعذبوه.
ثاب- بالمثلثة: رجع.
اجزروهم: استأصلوهم.
المشقص- بكسر الميم، و سكون الشين المعجمة، و فتح القاف: سهم فيه نصل عريض.
الكنانة- بكسر الكاف: ما يجعل فيه السهام.
بجاد- بفتح الموحدة و بالجيم و الدال المهملة، و لم أر له ذكرا فى الصحابة و كأنه لم يسلم.
الشيماء: تقدّم الكلام عليها فى الرضاع.
و ما علامة ذلك- بكسر الكاف: خطاب المؤنث.
متورّكتك: أى جعلتك على وركى.
وادی السرر- بكسر السين المهملة و بضمّها و فتح الزاء: على أربعة أميال من مكة.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٦
البهم بفتح الموحدة.
أطلان بفتح الطاء المهملة و باللام.
محببة- بضم الميم، و الموحدة المشددة اسم مفعول و كذا مكزّمة.

وإفاهها: [لحق بها] عسكروا بأوطاس: اجتمعوا.

نخلة- بالخاء المعجمة: اسم موضع.

بنو غيرة- بكسر الغين المعجمة، وفتح التحتية، و بالزاء: بطن من ثقيف.

ربيعه- براء، فموحدة، فمثناء، فعين مهملة.

رفيع بالتصغير.

أهبان- بضم أوله.

العجان- بكسر العين المهملة، و بالجيم، و التّون: ما بين الخصية و حلقة الدبر.

التّنية: الطريق في الجبل.

ليه- بكسر اللام، و فتح التحتية المشددة: جبل بالطائف، كان به حصن مالك بن عوف سراقه- بضم السين المهملة.

رقيم- بضم الزاء، و فتح القاف.

لوذان- بفتح اللام، و سكون الواو، و بالذال المعجمة.

زعمه- بفتح الزاي و الميم و بسكونها، و بالعين المهملة.

جمع به فرسه: استعصى عليه.

الجنّاح- بلفظ جناح الطائر.

استحزّ القتل: اشتدّ و كثر. و هو استفعل من الحزّ.

ذو الخمار: اسمه سبيع بن الحارث بن مالك لم يعلم له إسلام.

شرح غريب ذكر بركة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في براء جرح عائذ بن عمرو و في الماء، و نهي عن قتل النساء، و قوله: انا بن العواتك

عائذ- بهمزة بعد الألف، فذال معجمة.

التّندوة- بالثاء المثناة، و سكون النون، و ضمّ الدال المهملة و من ضمّ الثاء: همز، و من فتحها لم يهمز كالتّدى للمرأة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج، ٥، ص: ٣٦٧

حشرج- بفتح الحاء المهملة، و سكون الشين المعجمة، و فتح الراء و بالجيم.

سابله: مستطيلة عريضة.

غرّة الفرس: بياض في جبهته فوق الدرهم.

التّطفه- بضمّ التّون: و المراد بها هنا الماء الصّافى القليل.

الإداوة بكسر أوله و بالذال المهملة: المطهرة.

رباح- بفتح الزاء، و تخفيف الموحدة، و بالحاء المهملة.

ربيع بفتح الراء.

العسيف: الأجير لفظا و معنى، و هو أيضا المملوك.

سيابه- بفتح السين المهملة و تخفيف التحتية و بالموحدة.

شرح غريب ذكر قوله - صلى الله عليه و سلم - من قتل قتيلاً فله سلبه

السلب- بفتح السين المهملة، و اللّام: ما يسلب، أى ينزع.
 حبل العاتق: و هو الوريد، و العاتق: موضع الرّداء من المنكب.
 أجهضت عنه: غيبت عنه و أزيلت.
 أسود بن خزاعي- بضم الخاء المعجمة.
 ربعى بكسر الراء.

الجولة: حركة فيها اختلاط.

يختله- بفتح التّحتية، و سكون الخاء المعجمة، و كسر الفوقية: يأخذه على غرّة.
 فقطعت الدّرغ: أى الّتي كان لا بسها، و خلصت الضربة إلى يده فقطعتها.
 وجدت منها ريح الموت: أى شدّتها.
 أرسلنى: أطلقنى.
 أمر الله: حكمه و قضاؤه.

لاها الله- قال الجوهري: «ها» للتنبية، و قد يقسم بها، يقال: ها الله ما فعلت كذا، قال ابن مالك: فيه شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التّنبية، قال: و لا- يكون ذلك إلّا مع الله، أى لم يسمع لاها الرّحمن، كما سمع لا و الرّحمن، قال: و فى النّطق بها أربعة أوجه، أحدها: ها لله باللّام بعد الألف، بغير إظهار شىء من الألفين، ثانيها مثله، لكن بإظهار ألف واحدة بغير همز، ثالثها بثبوت الألفين و بهمزة قطع، رابعها بحذف الألف و ثبوت همزة القطع، انتهى. و المشهور فى الرّواية الثّالث ثم الأوّل.
 سبل الهدى و الرّشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٨

إذا- قال الحافظ أقوال كثيرة ممّن تكلم على هذا الحديث: أنّ الذى وقع فيه بلفظ إذا خطأ، و إنّما هو ذا تبعاً لأهل العربية، و من زعم أنّه ورد فى شىء من الرّوايات خلاف ذلك فلم يصب، بل يكون ذلك من إصلاح بعض من قلّم أهل العربية، قد ثبت فى جميع الرّوايات المعتمدة و الأصول المحقّقة من الصّحّيحين و غيرهما بكسر الألف، ثم ذال معجمة منونة، قال الطيبى: ثبت فى الرّوايات «لاها الله إذن» و الحديث صحيح، و المعنى صحيح، و هو كقولك لمن قال لك: أفعل كذا؟ فقلت: لا و الله إذن لا أفعل، فالتقدير: و الله إذن لا يعتمد إلى أسد ..

إلخ. قال أبو العباس القرطبي: الّذى يظهر لى أن الرّواية المشهورة صواب و ليست بخطأ، و ذلك أنّ الكلام وقع على جواب إحدى الكلمتين للأخرى، و الهاء هى التى عوّض بها عن واو القسم، و ذلك أنّ العرب تقول فى القسم: الله لأفعلن، بمدّ الهمزة و بقصرها، فكأنهم عوضوا من الهمزة هاء فقالوا «ها لله» لتقارب مخرجيهما، و كذلك قالوا: «ها» بالمدّ و القصر، و تحقيقه أنّ الّذى مد مع الهاء كأنه نطق بهمزتين أبدل من إحداهما ألفاً، استتقالاً لاجتماعهما، كما تقول:

«الله». و الّذى قصر كأنه نطق بهمزة واحدة كما تقول: «الله». و أمّا إذا فهى بلا شك حرف جواب و تعليل، و هى مثل الّذى وقعت فى قوله- صلى الله عليه و سلّم-، و قد سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال «أ ينقص الرّطب إذا جفّ» قالوا: نعم قال: «فلا إذن» فلو قال: فلا و الله إذا كان مساوياً لما وقع هنا- و هو قوله: «لاها الله إذا» من كلّ وجه، لكنّه لم يحتج هنا إلى القسم فتركه، قال: فقد وضح تقدير الكلام و مناسبتة و استقامته معنى و وضعاً من غير حاجة إلى تكلف بعيد يخرج عن البلاغة، و لا سيّما من ارتكب و أبعد و أفسد، فجعل «الهاء» للتنبية «و ذا» للإشارة، و فصل بينهما بالمقسم به، قال: و ليس هذا قياساً فيطرد، و لا فصيحاً فيحمل عليه الكلام التّبوى، و لا مروياً برواية ثابتة. قال: و ما وجد للعدري و الهروي فى مسلم «لاها الله ذا» فإصلاح ممّن اغترّ بما حكى عن بعض أهل العربية، و الحقّ أحقّ أن يتبع.

و قال أبو جعفر الغرناطى نزىل حلب- رحمه الله تعالى- استرسل جماعة من القدماء فى هذا الإشكال إلى أن جعلوا المخلص من

ذلك أن اتهموا الإثبات في التصحيح فقالوا:

الصَّواب «لاها الله ذا» باسم الإشارة، قال: ويا عجباً من قوم يقبلون التشكيك على الروايات الثابتة. و يطلقون لها تأويلاً، و جوابهم أن «ها الله» لا يستلزم اسم الإشارة. كما قال ابن مالك، و أما من جعل لا يعمد جواب فأرضه فهو سبب الغلط و ليس بصحيح ممن زعمه و إنما هو جواب شرط مقدّر يدلّ عليه قوله «إن صدق فأرضه» فكأنّ «أبو بكر» قال: إذا صدق في أنه صاحب السلب إذا لا يعمد إلى السلب فيعطيك حقه، فالجزاء على هذا صحيح لأن صدقه سبب الا يفعل ذلك، قال: و هذا واضح لا تكلف فيه، قال الحافظ: فهو توجيه حسن، و الذي قبله أقعد و يؤيده كثرة وقوع هذه الجملة في كثير من الأحاديث. و سردها الحافظ، و بسط الكلام على

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٦٩

هذا اللفظ هو و الشيخ في شرح الموطأ، فمن أراد الزيادة على ما هنا فليراجع كلامهما رحمهما الله تعالى.

لا يعمد بالتحية للأكثر، و للنوى بالنون: أى لا يقصد رسول الله - صلى الله عليه و سلم إلى رجل كأنه أسد في الشجاعة يقاتل على دين الله و رسوله - فيأخذ حقه و يعطيه بغير طيبة من نفسه.

كلًا: حرف ردع و زجر.

أصبيغ بمهملة، ثم معجمة عند القابسى. و بمعجمة ثم مهملة عند أبى ذرّ، قال ابن التين: وصفه بالضعف و المهانة. و الأصبيغ نوع من الطير، أو شبهه بنبات ضعيف يقال له الصبغا إذا طلع من الأرض يكون أول ما يلي الشمس منه أصفر، ذكر ذلك الخطابى، و هذا على رواية القابسى، و على الرواية الثانية تكون تصغير الضبع على غير قياس، كأنه لما عظم أبو قتادة» بأنه أسد صغر خصمه و شبهه بالضبع لضعف افتراسه، و ما يوصف به من العجز، و قال ابن مالك:

أصبيغ - بمعجمة و عين مهملة - تصغير أضبع، و يكنى به عن الضعيف.

و يدع - بالرفع و النصب و الجزم أى يترك.

صدق: أى القائل.

فأعطه - بصيغة الأمر، يقول: اعترف بأن السلب عنده.

المخرف - بفتح الميم، و الزاء، و سكون الخاء المعجمة بينهما، و يجوز كسر الزاء، أى بستانا سمي بذلك لأنه يخترف منه التمر أى يجتنى، و أما بكسر الميم فهو اسم الآلة التى يخترف بها.

فى رواية خرافا - بكسر الخاء: و هو التمر الذى يخترف أى يجتنى، و أطلقه على البستان مجازاً فكأنه قال: بستان خراف.

فى بنى سلمة - بكسر اللام: بطن من الأنصار، و هم قوم أبى قتادة.

تأثنته بالفوقية و الثاء المثناة: أى تأصلته، و أثله كل شيء أصله.

اعتقدته جعلته عقدة، و الأصل فيه من العقد لأن من ملك شيئاً عقد عليه.

نتضحى معه: نأكل وقت الضحى.

انتزع طلقاً: قيدا من جلود.

من حقه - بفتح المهملة و القاف: جبل يشدّ به الرّحل إلى بطن البعير ممّا يلى ثيله.

رقه من الظهر: ضعف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٠

ناقة ورقاء فى لونها بياض إلى السواد و يضرب لونها إلى الخضرة.

اخترط سيفه: سلّه من غمده، و هو افتعل من الخرط.

الوبرة من البعير - بفتح الواو و الموحدة.

عينه - بضم العين المهملة و كسرها و فتح التحتية الأولى و سكون الثانية.

حصن - بكسر الحاء، و سكون الصاد المهملتين، و بالنون.

ابن الأضبط - بوزن الأحمر بالصاد المعجمة، و الموحدة، و الطاء المهملة.

محلّم - بضم الميم، و فتح الحاء المهملة، و كسر اللام المشددة، و بالميم.

جثامه - بفتح الجيم، و تشديد التاء المثناة و بعد الألف ميم مفتوحة و تاء تأنيث و اسمه زيد بن قيس.

خندف - بكسر الخاء المعجمة و سكون النون، و كسر الدال المهملة، و بالفاء.

مكيتل - بضم الميم، و فتح الكاف، و سكون التحتية، و كسر الفوقية، و اللام، و يروى بكسر التاء المثناة، و باللام.

الشكة بكسر الشين المعجمة: السلاح.

و الرّجل المجتمع: الذي بلغ أشده.

غزوة الإسلام بالغين المعجمة أوله «فورنا» بفتح الفاء و سكون الواو و بالراء هنا: الوقت الحاضر: الذي لا تأخير فيه، ثم استعمل في الحالة التي لا بطء فيها.

يؤزونه - بالرّاي يغرون و يهيجون.

ضرب - بفتح الضاد المعجمة و سكون الرّاء، و بالموحدة، و هو هنا الخفيف اللحم المشقوق المستدق.

آدم - بالمد: أسمى.

ينفذ به الناس - بالنون، و الفاء، و الدال المعجمة: يسمعهم.

الحصين - بضم الحاء، و فتح الصاد المهملتين مصغر.

نهيك - ككريم - آخره كاف.

غمره - بغين - معجمة مفتوحة، فميم ساكنة: منهل من مناهل طريق مكة، يصل بين تهامة و نجد.

أطأ الخبر: أعلنه و أبينه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧١

معدن - بفتح الميم، و كسر الدال المهملة.

سليم - بضم السين.

المصلّى - بضم الميم، و فتح الصّاد المهملة، و اللّام المشدّدة: موضع الصّلاة، و هو موضع مصلّى النّبى - صلّى الله عليه و سلّم فى

الأعياد خارج المدينة بالعقيق معروف.

شرح غريب شعر العباس بن مرداس رضى الله عنه

الرّابية: المكان المرتفع.

إخال - بالخاء المعجمة.

يخايره: يقول أنا خير منه.

المخير - بفتح الميم و كسر الخاء المعجمة: يغلبه فى الخير.

قسى - بفتح القاف، و كسر السين المهملة، و تشديد التّحتية: تقدم.

وجّ - بفتح الواو و تشديد الجيم: موضع بالطائف.

الغابات - جمع غابة.

ضاحية- بالصاد المعجمة، و الحاء المهملة: بارزة لا تخفى نَوْم: نقصد.

الحنق- بالحاء المهملة و التّون: الغضب.

يغوروا- بالغين المعجمة: يذهبوا.

ليه- بكسر اللام تقدم.

ثم- بفتح التاء المثناة.

التّصور- بضم التّون، و الصّاد المهملة: يعنى بنى نصر.

تمور: تسيل.

و يروى قوله: بنى خطيط بالحاء المعجمة و الحاء المهملة، و بطاءين مهملتين بينهما تحتية.

زور- بضم الزّاي: مائلة.

سنن المنايا- بفتح السين و النون: طرقها.

الجريص- بفتح الجيم، و كسر الزّاء، و سكون التّحتية، و بالصاد المعجمة الساقطة:

المنخق بريقه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٢

التّوانى: الفترة، و الإبطاء و الكسل.

الغلق- بفتح الغين المعجمة، و كسر اللّام: الكثير الحرج كأنه تنغلق عليه أمره.

الصّريّة- تصغير ضرورة: و هو الذى لا يأتى النساء و هو فى الإسلام الذى لم يحج.

الحصور- بفتح الحاء، و ضمّ الصّاد المهملتين: و هو هنا العيى.

أحانهم: أهلّكهم.

تميح: تمشى مشيا حسنا.

الفصافص- بفتح الفاء، و كسر الثانية بعد كلّ صاد مهملة جمع فصفصة: و هو النّبات الذى تأكله الدّواب.

عمّوها- بضمّ العين و كسر الميم الأولى: أسندت إليهم و قدّموا لها.

يمن بضم التّحتية و سكون الميم.

الجدود: الحظوظ.

أنوف النّاس: المقدمون فيهم.

ما سمر السّمير: أى أهله، فحذف المضاف و يكون فيهم السّمير، أسماء الجماعة السّمّار.

غزّية- بفتح الغين المعجمة، و كسر الزّاي، و تشديد التّحتية.

العنقير بفتح العين المهملة، و سكون التّون، و فتح القاف، و كسر الفاء، و سكون التّحتية، و بالزّاء: من أسماء الدّاهية.

شرح غريب قصيدة العباس بن مرداس - رضى الله عنه - العينية

عفا: درس.

المجدل- بكسر الميم، و سكون الجيم، و فتح الدّال المهملة، و باللّام: و هو هنا بلد طيب بالخابور إلى جانبه، عليه قصر، و الأصل فيه اسم القصر، و يقال الحصن.

و متالع- بضمّ الميم، و كسر اللّام: جبل بنجد، و بناحية البحرين بين السوداء و الإحساء، و قيل: جبل لغنى، و قيل: لبنى عبيله، و قيل:

اسم ماء في شرقي الظهران عند الفؤارة في جبل القنان.

المطلى - بكسر الميم، و سكون الطاء المهملة يمد و يقصر: أرض تقعد الرجل عن المشى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٣

أريك - بفتح الهمزة، و كسر الزاء، و سكون التحتية، و بالكاف: موضع في ديار غنى أو ذبيان.

المصانع - بفتح الميم، و تخفيف الصاد المهملة، و بعد الألف نون، فعين مهملة:

مواضع تصنع للماء، تشبه الصهاريج.

جمل - بجيم مضمومة، فميم ساكنة، فلام: اسم امرأة، لا ينصرف للعلمية و التأنيث المعنوى.

جل - بضم الجيم: معظم.

الزخى: الواسع.

صرف الدهر: تغيره.

حبيبة - بضم الحاء المهملة، و فتح الموحدة، و سكون التحتائية الأولى و كسر الموحدة، و فتح التحتية المشددة: منسوبة إلى بنى حبيب

بالتصغير، و حبيبة منسوبة إلى بنى حبيب بوزن عليم و حبيبة تصغير حبيبة، و كلها روايات.

ألوت: ذهب.

غربة - بفتح الغين المعجمة، و سكون الزاء، و فتح الموحدة، فتاء تأنيث: بعد.

التوى: الفراق.

ملومة - من اللوم: و هو العتاب.

خزيمة - بضم الخاء المعجمة و فتح الزاى، و سكون التحتية بن جزىء بفتح الجيم و قيل بضمها و كسر الزاى، و آخره بعد المد همزة،

أو تسهل فتصير الياء مدغمة كذا ذكر الحافظ فى التبصير.

و قال فى الإصابة: إنه بكسر الزاى. و قال فى التقريب: بفتح الجيم، و سكون الزاى، بعدها همزة: صحابى.

و المرار - بفتح الميم، و تشديد الزاء، و بعد الألف راء أخرى ابن صحابى.

و واسع: صحابى أيضا لم أقف على اسم أبيهما الثلاثة سليميون. وفدوا إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم.

لبوس - بفتح اللام، و ضم الموحدة المخففة.

رائع - براء، و بعد الألف تحتية، و بعين مهملة: معجب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٤

الأخشبان - بالخاء، و الشين المعجمتين فموحدة، يضافان مرة إلى مكة، و مرة إلى منى، و هما واحد، أحدهما أبو قبيس، و الآخر

قعيقان، و يقال بل الجبل المشرق الأحمر هنا لك و قال. ابن وهب: الأخشبان: الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد.

يد الله - منصوب على التعظيم.

نبايع: نقدم عليه.

جسنا: وطننا، قال تعالى ... فجاسوا خلال الديار ... [الإسراء ٥]: تخللوا فطلبوا ما فيها عنوة - بفتح العين المهملة: قهرا.

النقع - بفتح النون، و سكون القاف، و بالعين المهملة: الغبار.

كاب - بالموحدة: مرتفع.

ساطع: متفرق.

علانية - بعين مهملة مفتوحة فلام فألف فنون مكسورة فتحتية مفتوحة فتاء تأنيث: أى جهرا من غير استخفاء.

الخيال مبتدأ. متونها: مفعول مقدم، و الفاعل: حميم، و هو هنا العرق.

آن- بمد الهمزة: الدّم المسخّن الحار.

ناقع- بنون و بعد الألف قاف مكسورة فعين مهملة: طرى، و قال أبو ذر: كثير.

الأضالع- جمع ضلع، بضاد معجمه مكسورة، فلام مكسورة و قد تسكن تخفيفا فعين مهملة سمي بذلك من الضلع و هو الاعوجاج.

الضحاك بن سفيان السلمى و ليس الكلبى كما ذكره ابن البرقى.

لا يستفزنا: يستخفنا.

قراع الأعادى- بقاف مكسورة فراء فألف فعين: ضربهم.

أمام رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قدام.

يخفق: يضطرب.

الخدروف- بضم الخاء، و سكون الذال المعجمه فراء مضمومة، فواو ساكنه، ففاء:

البرق اللامع المتقطع منها، و قال أبو ذر: خدروف السحابة طرفها، و أراد به هنا السرعة فى تحرك هذا اللواء و اضطرابه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٥

معتص بالسيف- بميم مضمومة، فعين مهملة ساكنه، ففوقية مفتوحة، فصاد مهملة، قال فى الإملاء: أى ضارب، يقال: اعتصوا بالسيوف

إذا ضاربوا بها، و فى الصحاح: العصى مقصور مصدر قولك عصى- بالكسر- بالسيف يعصى: إذا ضرب، و فلان يعصى على عصى:

أى يتوكأ عليها، و يعصى بالسيف: أى يجعله عصى.

كانع- بنون مكسورة، فعين مهملة: حاضر نازل، و فى الإملاء أنه يقال: كنع به عند الموت إذا دنا.

ندود أخانا من أخينا: أى يريد أنه من سليم، و سليم من قيس كما أن هوازن من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن

قيس، و المعنى: نقاتل إخوتنا و ندودهم، أى نمنعهم عن إخوتنا من سليم.

و لو نرى: أى حكم الدين.

مصالا- بفتح الميم، و بالصاد المهملة: من الصولة.

لكنا الأقربين: يعنى هوازن.

نتابع بنون ففوقية.

و لكن- بتشديد التّون.

دين الله بالنصب- اسم لكن.

دين محمد بالرفع: خبرها.

حمه الله- بفتح الحاء المهملة، و تشديد الميم فهاء حمه: أى قصده، يقال حممت حمك، أى قصدت قصدك.

شرح غريب قصيدة العباس الرائية

قوله: العائر- بعين مهملة و بعد الألف تحتية و بالراء: وجع العين.

سهر- بكسر الهاء: اسم فاعل من السهر، و هو امتناع التّوم، و جعله سهرا، و إنما السهر أمر جميل لأنه لم يفتر فكأنه قد سهر و لم ينم.

الحماطة- بفتح الحاء و تخفيف الميم و بعد الألف طاء مهملة فتاء تأنيث: و هى هنا بزة تكون فى جفن العين، و قال فى الروض: هى

من ورق الشجر ما فيه خشونة.

أغضى- بالغين، و الضّاد المعجمتين وزن أعطى.

الشَّفر- بضم الشين المعجمة، و الفاء. قال في الإملاء: جفون العين.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٦

تأويها- بفوقية، فهمزة مفتوحة، فواو مشددة مفتوحة فموحدة، جاءها مع الليل.

الشَّجو- بفتح الشين المعجمة، و سكون الجيم و بالواو: الحزن.

الأرق- بفتح الهمزة و الراء و القاف: السهر، و هو امتناع النوم.

و الماء: المراد به هنا الدَّمع.

يغمره- بالغين المعجمة و ضم الميم: يغطيه.

طورا: تارة.

السلك- بكسر السين المهملة، و سكون اللام، و بالكاف: الخيط الذى ينظم فيه.

منبتر- بميم مضمومة، فنون ساكنة فموحدة مفتوحة ففوقية مثناة: أى منقطع، و يروى منتشر- بالنون ففوقية فثاء مثناة.

الصيَّمان- بضمَّ الصياد المهملة، و تشديد الميم، و بعد الألف نون: موضع إلى جنب أرض عالج، أى بالعين المهملة، فألف، فلام

مكسورة فجيم: مكان بالبادية كثير الزمال.

الحفر- بفتح الحاء المهملة و الفاء، كما ذكره أبو عبيد البكرى، و الحازمى و خلائق:

اسم لعدَّة مواضع و الله أعلم أيها أراد العباس. و قول من قال يعنى به: حفر الذى بالكوفة أو بالبصرة ليس بيِّن لأن العباس قال هذه

القصيدة فى غزوة حنين، و البصرة و الكوفة حدثتا بعد النَّبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - بدهر.

الرَّعر- بفتح الزاى و العين: قلة الشَّعر، و فى نسخة: الدَّعر- بالدال المعجمة و العين المهملة المضمومتين: و هو الفزع.

البلاء- بفتح الموحدة: الصَّنح.

سليم الأولى و الثانية- بضمَّ السين المهملة و فتح اللام.

مفتخر- بالخاء المعجمة.

مشتجر- بكسر الجيم.

لا يغرسون فسيل النَّخل- بفتح الفاء و كسر السين المهملة، فتحية ساكنة، فلام و الجمع فسلات، و هو الودى بفتح الواو، و كسر الدال

و تشديد التحتية: النَّخل.

وسطهم- بإسكان السين، و إن جاز فيه الفتح من حيث اللغَّة، لكنه ساكن لأجل الوزن مضموم الميم يعير بذلك أهل المدينة الشريفة.

و لا تخاور- بفوقية، فحاء معجمة، فألف، فواو مفتوحة و بالراء من الخوار، و هو أصوات

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٧

البقر، و يروى: يجاور بالجيم و الراء، و يحاوز بالحاء المهملة و الزاى، و صوب فى الإملاء الأول.

السَّوابح- بفتح السين المهملة و بعد الألف موحدة مكسورة: جمع سابح يقال: سبح الفرس فى جريه فهو سابح.

العقبان- جمع كثرة للعقاب، و هو طائر من الجوارح، و لفظه مؤنث.

مقرب- بضمَّ الميم، و سكون القاف و فتح الرِّاء و بالموحدة، الفرس الذى يدنى و يكرم و الأنتى مقربة و لا تترك أن تروى و إنما

يفعل ذلك بالإناث لثلا يقرعها فحل لثيم.

الدارة: أخص من الدار.

الأخطار- جمع خطر- بكسر الخاء المعجمة و إسكان الطاء المهملة و الراء، و هو القطيع من الإبل.

العكر- بفتح العين المهملة و الكاف، و يجوز إسكانها، و هنا محركة لا غير للوزن: جمع عكرة: و هو القطيع الضخم من الإبل ما بين

الخمسين إلى المائة، وقيل: الخمسون إلى الستين إلى السبعين، وقيل إلى المائة، وقيل ما فوق الخمسمائة من الإبل، يقال: أعكر الرّجل إذا كان عنده عكرة.

خفاف- بضمّ أوله، وتخفيف الفاء- بن عمير بن الحارث بن رشيد السلمى المعروف بابن ندبة- بنون- وهى أمه، كان من فرسان قيس و شعرائها المذكورين، شهد حنيناً، وثبت على إسلامه فى الرّدة.

وعوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى شهد الفتح و كانت معه رايه أشجع- رضى الله عنه. و حىّ ذكوان- بفتح الذال المعجمة و سكون الكاف.

الميل: بكسر الميم و إسكان التّحتية و باللام جمع أميل: و هو الذى لا سلاح معه.

الصّجر- بضم الضاد المعجمة و الجيم، جمع ضجور، و الصّجر: الحرج و سوء الاحتمال. الضاربون: جمع ضارب.

جنود- بالتّصّب: مفعول اسم الفاعل.

ضاحية- بفتح الضاد المعجمة، و بعد الألف حاء مهملة مكسورة، فتحتية فتاء تأنيث: منكشفة بارزة.

الظّاهر بالطاء المعجمة المشالة و هو من الأرض ما غلظ منها.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٨

منقعر: منقلع من أصله.

ينجاب- بفتح التّحتية و سكون النون و بالجيم و الموحدة: ينكشف.

الساطع هنا: الغبار.

كدر: متغير إلى السواد.

تحت اللّواء مع الصّحّاك، يقدمنا: كذا فى الزّوايه، و قال فى الإملاء، و رواه الخشنى:

تحت اللوامع. و الصّحّاك هو ابن سفيان السلمى.

الليث- بالتاء المتثثة من أسماء الأسد.

الخدرد: الدّاخل فى خدره، و الخدر هنا غابه الأسود.

المأزق- بهمزة ساكنة: بعد الميم، و الرّأى المكسورة و بالقاف: موضع الحرب، و أصله الضيق.

الكلكل- بفتح الكافين و إسكان اللام الأولى: الصّدر.

يكاد يقرب: يأفل- بضم الفاء: يغرب.

تأؤب- بتشديد الواو المفتوحة و بالموحدة: رجع.

منازلهم: بالتّصّب.

إلا قد أصبح بالنقل للوزن.

شرح غريب قصيدته السينية

قوله: تهوى به: تسرع.

الوجناء- غليظة الوجنات بارزتها، و ذلك يدلّ على غور عينيها، و هم يصفون الإبل بغور العينين عند طول السّفاد، و يقال فى الوجنة من الآدميين رجال موجنة و امرأة موجنة، و لا يقال و جناء.

مجمرة: مجتمعة منضمة.

المناسم - جمع منسم، بفتح الميم، و سكون النون و كسر السين المهملة، و هو مقدم طرف خف البعير.
 العرمس - بكسر العين المهملة، و سكون الراء، و كسر الميم و بالسين المهملة: الحجاره الصلبة، تشبه بها الناقه الشديده الجلده، و هي المراد هنا.

المطى - جمع مطية: البعير لأنه يركب مطاه أى ظهره.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٧٩

تقدع - بفتح الفوقية، و سكون القاف، و فتح الدال، و بالعين المهملة: تكف.

الكماة - بضم الكاف. الشجعان واحدهم كمي.

تضرس - بضم الفوقية، و سكون الضاد المعجمة، و فتح الزاء، و بالسين المهملة، قال فى الإملاء: تجرح، و قال فى الروض: تضرب أطرافها باللجم، يقال ضرس أى أصيبت أضراسه، كما تقول: رأس أى أصبت رأسه.
 سال: ارتفع.

الأفناء - كأحمال: هنا أخلاط الناس.

بهثة - بفتح الموحدة و سكون الهاء، و بالثاء المثثة، و بناء التانيث: قبيلة من سليم.

المخارم - بالخاء المعجمة و الراء: الطرق فى الجبال، واحدها مخرم.

ترجس - بالجيم: تهتّر و تتحرك.

الفيلق - بالفاء المفتوحة فالتحتية الساكنة، فاللام، فالقاف: الجيش.

شهباء: كثيرة السلاح.

الهمام - بضم الهاء: السيد.

الأشوس - بفتح أوله و سكون الشين المعجمة، و فتح الواو، و بالسين المهملة: الذى ينظر بمؤخر عينيه متكبرا.

الأغلب: الشديد الغليظ.

محكمة: متقنة.

الدخال - بكسر الدال المهملة و بالخاء المعجمة و اللام: يعنى نسيج الدروع.

القونس - بفتح القاف، و سكون الواو، و فتح النون و بالسين المهملة: أعلى بيضة الخوذة.

يروى - بضم التحتية، و سكون الراء.

القناة - بالقاف و النون: الرمح.

الوغى - بفتح الواو، و الغين المعجمة: الحرب.

تخاله: تظنه.

العضب - بفتح العين المهملة، و سكون الضاد المعجمة الساقطة و بالموحدة: السيف القاطع.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٠

لذن - بفتح اللام و سكون الدال المهملة اللين من كل شىء:

مدعس: بكسر الميم و سكون الدال، و فتح العين و بالسين المهملتين - الشديد من الرماح الغليظ.

العرندس - بفتح العين و بالسين المهملتين الأسد الشديد.

دريئة - من روى دريئة بالهمز فمعناه: مدافعة، و من رواه دريئة بتشديد التحتية فمعناه:

تستر، و في الروض الدرّية: الحلقة التي يتعلم عليها الرمي، أي كانوا كالدرية للرمح.
و الشمس يومئذ عليهم أشمس، يريد لمعان الشمس في كلّ بيضة من بيضات الحديد كأنها شمس، و هو معنى صحيح و تشبيه مليح.
كفت: قلبت و منعت.

الإخاوة: مصدر أخوا و آخى، و المعنى طلب اتخاذ الأخوة.

الغير - بفتح المهملة: حمار الوحش.

تعاقبه السباع: مفرّس - بضم الميم، و فتح الفاء، و الراء المشددة و بالسین المهملة: تعتور فرسته السباع.

شرح غريب قصيدته الهائية

قوله: الحواسر: الجموع الذين لا درع عليهم، و يقال: رجل حاسر إذا لم يكن عليه درع.

عامل الرّمح: أعلاه.

يدود - بالدال المعجمة، و بعد الواو المهملة: يطرد.

حومة الموت: معظمه.

شاجره: مخاصمه و مخالطه، و يحتمل أن يكون شاجره هنا مخالطه بالرّمح، يقال شجرته بالرّمح إذا طعنته به و شجرت الرّمح إذا دخل بعضها في بعض.

بطانة الرّجل: من كان حاط به مطلقاً على سرّه.

الشّعار: ما يلي جسد الإنسان من الثياب، فاستعاره هنا.

شرح غريب قصيدته الميمية

قوله قديداً: تصغير قد، اسم موضع.

تماروا بنا: شكوا فينا.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨١

فتيان - جمع فتى.

الغاب بالمعجمة هنا: الرّمح.

دقّاع - بضم الدال المهملة و تشديد الفاء.

الأتى - بفتح أوله، و كسر الفوقية، و تشديد التحتية: السيل يأتي من بلد إلى بلد.

العمرم: الكثير الشّديد.

سراة: سادتهم.

تسلّم - بتشديد اللام، يريد في سليم من اعتزى أي انتهى إليهم من حلفائهم فتسلّم بذلك كما تقول تقيس الرجل إذا اعتزى إلى قيس.

و حبّ إلينا - بفتح الحاء المهملة و تشديد الموحدة فعل ماض و أصله حبب - بضمّ الموحدة، ثم أسكنت و أدغمت في الثانية.

الئهى - بفتح التّون، و كسرهما، و سكون الهاء، و آخره تحتية: الغدير من الماء.

يلملم - بفتح التّحتية، و اللّامين، و سكون الميم بينهما: اسم موضع.

الحصان - بكسر الحاء المهملة: الفرس العتيق، ثم كثر حتّى سمى به كلّ ذكر من الخيل.

الورد - بلفظ المشموم، ما بين الكميت و الأشقر.

يسومًا- بضم التحتية و تشديد الواو: يعلم نفسه بعلامة يعرف بها.

لذن: ظرف مكان بمعنى عند.

غدوة- بالنصب و التنوين.

دوافعه: مجارى السيول فيها.

زفه- بالزاي، و الفاء: ساقه سوقا رفيقا.

قد أحجما- بحاء مهملة، فجيم: رجح و انقبض. و أحجم بالجيم فالحاء بمعناه.

الطمره: الفرس السريعة الوثابة.

محطم: مكسر.

الشرب- بفتح السين و سكون الزاء: المال الزراعى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٢

الباب التاسع والعشرون فى غزوة الطائف

إشارة

لما قدم فلّ ثقيف الطائف رمّوا حصنهم و أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم، و تهيّئوا للقتال، و كانوا أدخلوا فيه قوت سنة لو حصروا و جمعوا حجارة كثيرة، و أعدوا سكا من الحديد و أدخلوا معهم قوما من العرب من عقيل و غيرهم، و أمروا بسرحهم أن يرفع فى موضع يأمنون فيه، و قدّم رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- بين يديه خالد بن الوليد فى ألف من أصحابه إلى الطائف، فأتى خالد الطائف فنزل ناحية من الحصن، و قامت ثقيف على حصنها بالرجال و السلاح، و دنا خالد فى نفر من أصحابه فدار بالحصن من كان متتحيا عنه، و نظر إلى نواحيه، ثم وقف فى ناحية من الحصن فنادى بأعلى صوته: ينزل إلى بعضكم أكلمه و هو آمن حتى يرجع، أو اجعلوا لى مثل ما جعلت لكم، و أدخل عليكم حصنكم أكلمكم. قالوا: لا- ينزل إليك رجل منا و لا تصل إلينا، و قالوا: يا خالد إن صاحبكم لم يلق قوما يحسنون قتاله غيرنا. قال خالد: فاسمعوا من قولى، نزل رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- بأهل الحصون و القوة بيثرب و خيبر، و بعث رجلا واحدا إلى فدك فنزلوا على حكمه، و أنا أحذركم مثل يوم بنى قريظة، حصرهم رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- أياما، ثم نزلوا على حكمه، فقتل مقاتلتهم فى صعيد واحد ثم سبى الذرية، ثم دخل مكة فافتتحها و أوطأ هوازن فى جمعها، و أتم فى حصن فى ناحية من الأرض، لو ترككم لقتلكم من حولكم ممن أسلم. قالوا: لا نفارق ديننا، ثم رجع خالد بن الوليد إلى منزله.

و سار رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- بعد خالد و لم يرجع إلى مكة، و لابتها عرج على شىء إلا على غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حنين و قبل كل شىء و ترك السبى بالجعرانة و ملئت عرش مكة منهم.

و كان مسيره فى شوال سنة ثمان، و قال شداد بن عارض الجسمي- رضى الله عنه- فى مسير رسول الله- صلى الله عليه و سلّم:-

لا تنصروا اللات إن الله مهلكهاو كيف ينصر من هو ليس ينتصر؟

إنّ التي حرقت بالسد فاشتعلت و لم تقايل لدى أحجارها هدر

إنّ الرسول متى ينزل بلادكم يظعن و ليس بها من أهلها بشر قال ابن إسحاق- رحمه الله تعالى- فسلك رسول الله- صلى الله عليه و سلّم- من حنين إلى الطائف على نخلة اليمانية، ثم على قرن ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من ليث، فابتنى بها مسجدا فصلّى فيه، و أقاد يومئذ بحرة الرغاء حين نزلها بدم، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، أتى برجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به.

و أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو بليّة بحصن مالك بن عوف فهدم. و صَلَّى الظّهر بليّة. ثم سلك في طريق يقال لها الضّيقة،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٣

فلما توجه إليها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و سأل عن اسمها فقيل: الضّيقة، فقال: «بل هي اليسرى» فخرج منها على نخب حتى نزل تحت سدره يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف، قد تمّع فيه، فأرسل إليه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «إما أن تخرج و إما أن نحرق عليك حائطك» [١] فأبى أن يخرج فأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بإحراقه.

ذكر إعلامه - صَلَّى الله عليه و سلم - بقبر أبي رغال، و ما وقع في ذلك من الآيات

روى ابن إسحاق، و أبو داود، و البيهقى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال:

سمعت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يقول: «حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم «هذا قبر أبي رغال، و هو أبو ثقيف، و كان من ثمود، و كان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته التّقيّة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، و آية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه» [٢]. قال: فابتدره الناس فنبشوه فاستخرجوا منه الغصن.

ذكر محاصرته - صَلَّى الله عليه و سلم - الطائف

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - : ثم مضى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب عسكريه، و أشرفت ثقيف على حصنهم - و لا - مثال له في حصون العرب - و أقاموا رماتهم، و هم مائة رام، فرموا بالسّهام و المقاليع من بعد من حصنهم، و من دخل تحت الحصن دلّوا عليه سلك الحديد محمّاة بالنّار يطير منها الشرر، فرموا المسلمين بالتّبل رميا شديدا، كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراح، و قتل منهم اثنا عشر رجلا، فارتفع - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى موضع مسجده اليوم، الذى بنته ثقيف بعد إسلامها، بناه أمية بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك، و كانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم حتى يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرات، فكانوا يرون أن ذلك تسيح، و كان معه من نسائه أم سلمة و زينب، فضرب لهما قبتين و كان يصلّى بين القبتين طول حصار الطائف كله، و قال عمرو بن أمية الثّقفى - و أسلم بعد ذلك، و لم يكن عند العرب أدهى منه - لا يخرج إلى محمد أحد إذا دعا أحد من أصحابه إلى البراز، و دعوه يقيم ما أقام، و أقبل خالد بن الوليد و نادى: من يبارز؟ فلم يطلع إليه أحد، ثم عاد فلم ينزل إليه أحد، ثم عاد فلم ينزل إليه أحد، فنادى عبد

[١] المغازى للواقدي ٣ / ٩٢٥.

[٢] أخرجه أبو داود (٣٠٨٨) و عبد الرزاق (٢٠٩٨٩) و البيهقى في السنن الكبرى ٤ / ١٥٦ و في الدلائل ٦ / ٢٩٧، ٧ / ٤٩٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٤

ياليل: لا ينزل إليك أحد، و لكننا نقيم في حصننا، خبأنا فيه ما يصلحنا سنين، فإذا أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إليك بأسيفنا جميعا حتى نموت عن آخرنا.

فقاتلهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالرمى عليهم و هم يقاتلونهم بالرمى من وراء الحصن، فلم يخرج إليه أحد، و كثرت الجراحات له من ثقيف بالتّبل، و قتل جماعة من المسلمين.

ذكر بعثه مناديا ينادى: من نزل من العبيد فهو حر

قال ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير: حدثنى عبد الله بن المكرم الثقفى، و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: نادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أئما عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حر» فخرج من الحصن بضعة عشر رجلا: المنبعث، و كان اسمه المضطجع فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبعث حين أسلم، و كان عبدا لعثمان بن عامر بن معتب، و كان جوادا روميًا، و الأزرق بن عقبه بن الأزرق و كان عبدا لكلداء - بفتح الكاف و سكون اللام، و بالبدال المهملة - الثقفى ثم صار حليفا فى بنى أمية، و وردان و كان عبدا لعبد الله بن ربيعة الثقفى، و يحنس - بضم التّحتية و فتح الحاء المهملة و النون المشددة و بالسین المهملة - التّبال و كان عبدا ليسار بن مالك الثقفى، و أسلم سيده بعد، فردّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه و لاءه، و إبراهيم بن جابر، و كان عبدا لخرشء - بفتح الحاء المعجمة و الراء و الشين المعجمة الثقفى، و يسار، و كان عبدا لعثمان بن عبد الله. و أبو بكره نفيح - بضم النون و فتح الفاء و سكون التّحتية - بن مسروح - بفتح الميم و سكون السین المهملة و ضم الراء و بالحاء المهملة - و كان عبدا للحارث بن كلداء، و إنّما كنى بأبى بكره لأنه نزل فى بكره من الحصن، و نافع أبو السايب و كان عبدا لغيلان بن سلمة، فأسلم غيلان بعد، فردّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و لاءه إليه، و نافع بن مسروح، و مرزوق غلام لعثمان بن عبد الله. و روى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الطائف «من خرج إلينا من العبيد فهو حر» فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكره، فأعتقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

[(١)] .

و روى الشيخان عن أبى عثمان التّهدى قال: سمعت سعدا - و هو أول من رمى بسهم فى سبيل الله - و أبا بكره - و كان قد تسوّر حصن الطائف قالوا: سمعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من ادعى إلى غير أبيه و هو يعلم فالجنة عليه حرام» [(٢)] . و فى رواية نزل إلى التّنبى - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة

[(١)] أخرجه أحمد ١ / ٢٤٨ و ابن سعد ٢ / ١١٥، و انظر المجمع ٤ / ٢٤٥ و البداية ٤ / ٣٤٧ .

[(٢)] أخرجه البخارى ١٢ / ٥٤ (٦٧٦٦)، و مسلم ١ / ٨٠ (١١٥ / ٦٣) .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٥

و عشرون من الطائف - فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، و اغتاضوا على غلمانهم - فأعتقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و دفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه و يحمله فكان أبو بكره إلى عمرو بن سعيد بن العاص، و كان الأزرق، إلى خالد بن سعيد بن العاص، و كان وردان إلى أبان بن سعيد بن العاص، و كان يحنس التّبال إلى عثمان بن عفان، و كان يسار بن مالك إلى سعد بن عبادة، و كان إبراهيم بن جابر إلى أسيد بن الحضير، و أمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقرئوهم القرآن، و يعلموهم السنن، فلما أسلمت ثقيف تكلمت أشرافهم فى هؤلاء المعتقين، منهم الحارث بن كلداء يردونهم إلى الرّق،

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أولئك عتقاء الله، لا سبيل إليهم»

[(١)] .

ذكر رميه - صلى الله عليه وسلم - حصن الطائف بالمنجنيق

قال محمد بن عمير: قاله: ه شاه، و سئل الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه، فقال له سلمان الفارس: - ض الله عنه: - نا سئل الله

أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فإننا كتبنا بأرض فارس نصب المنجنيقات على الحصون. و تنصب علينا، فنصيب من عدونا و يصيب منا بالمنجنيق، و إن لم يكن منجنيق طال الثواء، فأمره رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فعمل منجنيقا بيده، فنصبه على حصن الطائف، و هو أول منجنيق رمى به في الإسلام.

و روى ابن سعد عن مكحول - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوما، و يقال: قدم به يزيد بن زمعة بن الأسود و بدبابتين، و يقال:

الطفيل بن عمرو، و يقال: خالد بن سعيد قدم من جرش بمنجنيق و بدبابتين، و نثر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الحسك، شقتين من حسك من عيدان حول حصنهم، و دخل المسلمون من تحت الدبابه، و هى من جلود البقر. و ذلك اليوم يقال له يوم الشدخه لما شدخ فيه من الناس، ثم زحفوا بها إلى جدار الحصن ليحفروه، فأرسلت ثقيف بسكك الحديد المحماه بالنار، فحرقت الدبابه، فخرج المسلمون من تحتها و قد أصيب منهم من أصيب، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل منهم رجال فأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بقطع أعنابهم و نخيلهم و تحريقها، قال عروة: أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات و خمس حبالات، فقطع المسلمون قطعاً ذريعا.

فنادت ثقيف: لم تقطع أموالنا؟ إنا أن تأخذها إن ظهرت علينا، و إنا أن تدعها لله و للرحم فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: فإنى أدعها لله و للرحم فتركها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -.

و كان رجل يقوم على الحصن فيقول: روحوا رعاء الشاء روحوا جلابيب محمد أترونا نبتس على أحبل أصبتموها من كرومنا؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «اللهم روح مروحا إلى النار».

[(١)] انظر نصب الرابه ٣ / ٢٨١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٦

قال سعد بن أبى وقاص فأرميه بسهم فوقه فى نحره فهوى من الحصن ميتا، فسّر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بذلك.

ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى إتيان أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام، و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى أبو نعيم و البيهقى عن عروة بن الزبير - رحمه الله تعالى - قال استأذن عيينة ابن حصن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يأتى أهل الطائف يكلمهم لعل الله تعالى - أن يهديهم، فأذن له، فأتاهم و دخل فى حصنهم، و قال بأبى أنتم تمسكوا بمكانكم فوالله لنحن بأذل من العبيد، و أقسم بالله لو حدث به حدث ليملكن العرب عزّا و منعه، و إياكم أن تعطوا بأيديكم، و لا يتكاثر عليكم قطع هذا الشجر، ثم رجع إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال له: «ما قلت لهم يا عيينة؟» قال:

أمرتهم بالإسلام، و دعوتهم إليه، و حذرتهم النار، و دللتهم على الجنة، فقال له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «كذبت، بل قلت لهم كذا و كذا» [(١)] و قصّ عليه قوله، فقال: صدقت يا رسول الله، أتوب إلى الله و إليك من ذلك.

ذكر اشتداد الأمر و حثه - صَلَّى الله عليه و سلم - على الرمي

قال: و عن عمرو بن عبسة - رضى الله عنه - حاصرنا قصر الطائف مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فسمعتة يقول: «من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة» فبلغت يومئذ ستة عشر سهما، و سمعتة يقول: «من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرّر، و من شاب شبيهة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة، و أيما رجل أعتق رجلا مسلما فإن الله سبحانه و تعالى جاعل كل عظم من عظامه و قاء كل عظم بعظم، و أيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله عزّ و جلّ جاعل كل عظم من عظامها و قاء كل عظم من عظامها فى النار» [(٢)]

رواه يونس بن بكير و أبو داود و الترمذی و صححه النسائي

. ذكر نهيه - صَلَّى الله عليه و سلم - عن دخول المختنين على النساء

روى يونس بن بكير في زيادة المغازي، و الشيخان عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: كان عندي مخنث - و هو في عرف السلف: الذي لا هم له إلى النساء لا غير ذلك. كما سيأتي:

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ١٥٧ / ٥.

[(٢)] أخرجه أبو داود (٣٩٦٥) و أحمد ٣٨٤ / ٤ و النسائي ١٠٤ / ٧، و الحاكم ٥٠ / ٣ و احمد ١١٣ / ٤، و البيهقي في الدلائل ١٥٩ / ٥، و في السنن ٢٧٢ / ١٠.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٨٧

فقال لعبد الله أخى: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فإني أدلكك على ابنه غيلان فإنها تقبل بأربع و تدبر بثمان. فسمع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قوله. فقال: «لا أرى هذا يعلم ما هنا لا تدخلن هؤلاء عليكن» و كانوا يرونه من غير أولى الأربى من الرجال، قال ابن جريج: اسمه هيت. قال ابن إسحاق: كان مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مولى لخالته فاخته بنت عمرو بن عائذ مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و يكون في بيته و لا يرى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أنه يفتن لشيء من أمور النساء ممّا يفتن الرجال إليه، و لا يرى أن له في ذلك إربا، فسمعه و هو يقول لخالد بن الوليد: يا خالد إن فتح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الطائف فلا تفلتن منك بادية بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع و تدبر بثمان. فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - حين سمع هذا منه «لا أرى الخبيث يفتن لما أسمع» ثم قال لنسائه «لا تدخلن عليكن» فحجب عن بيت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -

[(١)].

ذكر منام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الدال على عدم فتح الطائف حينئذ و إذنه بالرجوع و اشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح

قال ابن إسحاق: و بلغني أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال لأبي بكر: «إني رأيت أني أهديت لى قعبة مملوءة زيدا فنقرها ديك، فهراق ما فيها» فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «و أنا لا أرى ذلك».

و روى محمد بن عمر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف، استشار رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عليه و سلم - نوفل بن معاوية الديلي - رضي الله عنه - فقال: «يا نوفل ما ترى في المقام عليهم» قال: يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، و إن تركته لم يضررك.

قال ابن إسحاق: ثم إن خولة بنت حكيم السلمية، و هي امرأة عثمان بن مظعون، قالت:

يا رسول الله، اعطني، إن فتح الله عليك الطائف - حلتي بادية بنت غيلان، أو حلتي الفارعة بنت عقيل - و كانتا من أحلى نساء ثقيف - فروي: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال لها: «و إن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خولة؟» فخرجت خولة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فدخل على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال: يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة؟» زعمت أنك قلتها؟ قال «قد قلتها» قال «أو ما أذن فيهم» قال: «لا» قال: أ فلا أؤذن الناس بالرحيل؟ قال:

[(١)] أخرجه البخارى (٤٣٢٤، ٤٣٢٥)، و مسلم ٣ / ١٧١٥ (٣٢)، و البيهقى فى السنن الكبرى ٨ / ٢٢٤، و فى الدلائل ٥ / ١٦١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٨٨

و روى الشيخان عن ابن عمرو أو ابن عمر - رضى الله عنهم - قال: لَمَّا حاصر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - الطائف و لم ينل منهم شيئاً قال «إنا قافلون غدا إن شاء الله تعالى» فثقل عليهم، و قالوا:

أ نذهب و لا نفتح؟ و فى لفظ فقالوا: لا نبرح أو نفتحها، فقال: «اغدوا على القتال» فغدوا فقاتلوا قتالا شديداً، فأصابهم جراح، فقال: «إنا قافلون غدا إن شاء الله تعالى» قال: فأعجبهم، فضحك رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - قال عروة - رحمه الله تعالى - كما رواه البيهقى - و أمر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - الناس أن لا يسرّحوا ظهرهم، فلما أصبحوا، ارتحل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - و أصحابه و دعا حين ركب قافلاً و قال: «اللهم اهدهم و اكفنا مؤنتهم» [(١)].

و روى الترمذى - و حسنه عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال يا رسول الله أحرقتنا نار ثقيف، فادع الله - تعالى - عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفا و أت بهم» [(٢)].

قال ابن إسحاق فى رواية يونس و حدثنى عبد الله بن أبى بكر، و عبد الله بن المكرم عن أدركوا من أهل العلم: أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - حاصر أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ثم انصرف عنهم و لم يؤذن فيهم، فقدم وفداهم فى رمضان فأسلموا، قلت: و سيأتى بيان ذلك فى الوفود إن شاء الله تعالى. قال ابن إسحاق فى رواية زياد: «و حاصرهم بضعا و عشرين ليلة، و قيل: عشرين يوماً و قيل: بضع عشرة ليلة» قال ابن حزم: و هو الصحيح بلا شك.

و روى الإمام أحمد، و مسلم عن أنس أنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة و استغربه فى البداية. قال محمد بن عمر: فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سَلَّم - لأصحابه حين أرادوا أن يرتحلوا: «قولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده و نصر عبده، و أعزّ جنده، و هزم الأحزاب وحده» فلما ارتحلوا و استقبلوا قال: «قولوا آتون، إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون».

ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف و هم اثنا عشر رجلاً

سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية.

و عرفطه - بضم العين المهملة، و سكون الراء، و ضم الفاء، و بالطاء المهملة - ابن حباب - بضم الحاء المهملة، و تخفيف الموحدة. و يزيد بن زمعة - بفتح الزاى - و سكون الميم - ابن الأسود - جمع به فرسه إلى حصن الطائف فقتلوه.

[(١)] أخرجه البخارى (٤٣٢٥) و مسلم فى الجهاد باب غزوة الطائف (٨٢)، و البيهقى فى الدلائل ٥ / ١٦٩.

[(٢)] أخرجه الترمذى (٣٩٤٢) و أحمد ٣ / ٣٤٣ و ابن سعد ٢ / ١١٥ و ابن أبى شيبه ١٢ / ٢٠١، ١٤ / ٥٠٨ و انظر البداية ٤ / ٣٥٠، ٣٥٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٣٨٩

و عبد الله بن أبى بكر الصّيدى - رضى الله عنهما - رمى بسهم فلم يزل جريحا حتى مات بالمدينة بعد رسول الله - صَلَّى الله عليه و

سَلَّمَ - وهو غير شهيد عند الشافعية لأنه توفي بعد انقضاء الحرب بمدّة مديدة. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ٣٨٩ ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف و هم اثنا عشر رجلا ص : ٣٨٨
عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومي، رمى فى الحصن.
و عبد الله بن عامر بن ربيعة.

و السائب بن الحارث بن قيس السهمى، و أخوه عبد الله بن الحارث بن قيس.
و جليحة - بضم الجيم، و فتح اللام، و سكون التحتية، و بالحاء المهملة، ابن عبد الله.
و ثابت بن الجذع - بفتح الجيم و الدال المعجمة و بالعين المهملة، و اسمه ثعلبة السلمى - بفتح السين، و اللام.
و الحارث بن سهل بن أبى صعصعة.
و المنذر بن عبد الله بن نوفل.

و ذكر فى العيون هنا: رقيم بن ثابت بن ثعلبة مع ذكره له فيمن استشهد بحنين، تبع هناك ابن إسحاق، و هنا ابن سعد.

ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من الطائف إلى الجعرانة

قالوا: خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من الطائف فأخذ على دحنا، ثم على قرن المنازل، ثم على نخلة، ثم خرج إلى الجعرانة وهو على عشرة أميال من مكة، قال سراقه بن جعشم رضى الله عنه: لقيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - وهو منحدر من الطائف إلى الجعرانة فتخلصت إليه - و الناس يمضون أمامه أرسالا - فوقف فى مقب من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونى بالزّماح و يقولون: إليك إليك، ما أنت؟ و أنكرونى، حتى إذا دنوت و عرفت أنّ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يسمع صوتى أخذت الكتاب الذى كتبه لى أبو بكر فجعلته بين إصبعين من أصابعى، ثم رفعت يدى به و ناديت: أنا سراقه بن جعشم، و هذا كتابى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «هذا يوم وفاء و برّ، ادنوه فأدريت منه، فكأنى أنظر إلى ساق رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى غرزه كأنها الجمارة، فلما انتهيت إليه سلمت و سقت الصدقة إليه، و ما ذكرت شيئا أسأله عنه إلا أتى قلت: يا رسول الله أ رأيت الضالة من الإبل تغشى حياضى و قد ملأتها لإبلى هل لى من أجر إن سقيتها؟ قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «نعم فى كل ذات كبد حرّى أجر»

رواه قال محمد بن عمر: و قد كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كتب لسراقه كتاب موادة سأل سراقه إياه، فأمر به فكتب له أبو بكر، أو عامر بن فهيرة، و تقدم بيان ذلك فى أبواب الهجرة إلى المدينة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٠

و روى محمد بن عمر عن أبى رهم الغفارى - رضى الله عنه - قال: بينا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يسير و أنا إلى جنبه، و على نعلان غليظان، إذ زحمت ناقتى ناقه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و يقع حرف نعلى على ساق رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأوجعته، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أوجعنتى آخر رجلك» و قرع رجلى بالسوط فأخذنى ما تقدم من أمرى و ما تأخر، و خشيت أن ينزل فى قرآن لعظم ما صنعت، فلما أصبحنا بالجعرانة، خرجت أرعى الظهر و ما هو يومى، فرقا أن يأتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و رسول الله يطلبنى، فلما روّحت الرّكاب سألت: فقيل لى طلبك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقلت: إحداهن و الله، فجئت و أنا أترقب، فقال «إنك أوجعنتى برجلك، فقرعتك بالسوط فأوجعتك، فخذ هذه الغنم عوضا عن ضربى» قال أبو رهم: فرضاه عنى كان أحبّ إلى من الدنيا و ما فيها.

و قال ابن إسحاق فى رواية سلمة: حدّثنى عبد الله بن أبى بكر أن رجلا ممن شهد حيننا قال و الله إنى لأسير إلى جنب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على ناقه لى و فى رجلى نعل غليظة إذ زحمت ناقتى ناقه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و يقع حرف نعلى

على ساق رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأوجعته فقرع قدمي بالسوط، و قال: «أوجعتني فتأخر عني» فانصرفت، فلما كان من الغد إذا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يلتمسني، فقلت: هذا و الله لما كنت أصبت من رجل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالأمس، قال فجئته و أنا أترقب فقال «إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها» فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني.

قال ابن إسحاق و غيره: و نزل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الجعرانة فيمن معه، و معه سبي هوازن ستة آلاف من الذراري و النساء، و من الإبل و الشاء ما لا ندرى عدته. و ذكر محمد بن عمر، و ابن سعد، أن السبي كان ستة آلاف رأس. و الإبل أربعة و عشرين ألف بعير، و الغنم لا يدرى عدتها و قال ابن سعد: أكثر من أربعين ألفا، و أربعة آلاف أوقية فضة، فاستأني رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالسبي لكي يقدم عليه و فدهم.

قدوم وفد هوازن ورد السبي إليهم

قال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بحنين، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم و سبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة، و هم أربعة عشر رجلا، و رأسهم زهير بن صرد، و فيهم أبو بركان عم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من الرضاة و قد أسلموا - فقالوا: يا رسول الله إنا أصل و عشيرة، و قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك.

و قام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبائ عمتك و خالاتك و حواضك اللاتي كن يكفلنك. و لو أنا ملحنا - و قيل: منحنا - للحرث بن أبي

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩١

شمر، أو للنعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما و عطفهما، و أنت يا رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول: فذكر بعض الشعر الآتى:

أخبرنا الأئمة المسندون، أبو فارس عبد العزيز. الحافظ عمر بن فهد الهاشمى العلوى بقراءتى عليه بالمسجد الحرام، و أبو الفتح جمال الدين بن الإمام أبو الفتح علاء الدين القلقشندى. قرأه عليه و أنا أسمع بمنزله بحارة بهاء الدين من القاهرة، و أبو الفضل عبد الرحيم بن الإمام محب الدين بن الأوجاقى فى إجازة خاصة - الشافعيون رحمهم الله تعالى.

قال الأول: أخبرنا المشايخ الأربعة قاضى القضاة شهاب الدين أبو جعفر محمد بن شهاب الدين أحمد بن عمر بن الصدياء القرشى الأموى الشهير بابن العجمى، و ابن أمير الدولة محمد بن على بن عبد الرحمن بن عبد الغفور الحلبيان، و قاضى المسلمين عز الدين أبو محمد عبد الرحيم بن ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات الحنفى، و الأصيله أم محمد سارة بنت عمر بن عبد العزيز بن جماعة المصرىان مكاتبه فى كل منهم، قالوا: أنبأنا مسند الدنيا صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبى عمر الصالحى - زاد ابن الفرات و سارة فقالا: و النجم أحمد بن النجم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى عمر، البهاء حسن بن أحمد بن هلال بن الهبل، و زين الدين أبو حفص عمر بن حسن بن يزيد بن أمية المراعى، و زاد ابن الفرات فقال: و أم محمد ست العرب ابنة محمد بن على بن البخارى، قالوا: أخبرنا رحالة الدنيا فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن البخارى، قالت حفيدته: حضورا - و قال الآخرون: إجازة، قال فى رواية حفيدته: أنبأنا أبو جعفر محمد بن نصر الصيدلانى، و قال فى رواية الآخريين: أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن القاسم الصييدلانى، و أم هانئ عفيفة ابنة أحمد الأصبهانية، و قال شيخنا الثانى: أخبرنا المسند الرحالة زين الدين أبو زيد عبد الرحمن القبانى إجازة مكاتبه و أم الحسن فاطمة ابنة الخليل بن أحمد و قريبتها أم أحمد عائشة بنت على بن أحمد الحنبلتان - إجازة، إن لم يكن سماعا، قالوا:

أخبرنا أبو الحزم محمد بن محمد القلانسي قال الأولون إجازة، وقالت الأخيرة قراءة و أنا حاضرة، أنبأنا المسندة مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب قراءة عليها و أنا أسمع: أنبأنا أبو الفخر سعد بن سعيد بن روح. و أبو سعد أحمد بن محمد بن أبي نصر، و أم هانئ عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفارقاني، و أم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر، -إجازة- و قال شيخنا الثالث أخبرنا شهاب الواسطي -قراءة عليه و أنا أسمع- قال: أخبرنا مسند الوقت، الصدر أبو الفتح الميدومي عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن يحيى بن محمود أخبره -إن لم يكن سماعا فإجازة- قالوا: أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٢

الجوزدانية، زاد يحيى بن محمود و محمد بن أحمد بن المظفر -حضورا- قالوا: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المظفر ريذة الضبي قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني قال: حدثنا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة أربع و سبعين و مائتين قال: حدثنا أبو عمر، و زياد بن طارق، و كان قد أتت عليه مائة و عشرون سنة قال: سمعت أبا جرويل زهير بن صرد الجشمي -رضى الله عنه- يقول: لما أسرنا رسول الله -صلى الله عليه و سلم- يوم حنين و يوم هوازن و ذهب يفرق السبي و الشاء أتته و أنشأت أقول هذا الشعر.

امن علينا رسول الله في كرم فإتتك المرء نرجوه و ننتظر [(١)]

امن على بيضة قد عاقها قدر مشئت شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتافا على حزن على قلوبهم الغماء و الغمر

إن لم تداركها [(٢)] نغماء تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك مملوءة من مخضها الدرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها و إذ يزينك ما تأتي و ما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامتة و استبق منا فإنا معشر زهر

إننا لنشكر للنعماء إذا كفرت و عندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر

يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إننا نؤمل عفو منك تلبسه هادي البرية إن تعفوا و تنتصر

فاعف عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فلما سمع رسول الله -صلى الله عليه و سلم- هذا الشعر قال: «ما كان لي و لبنى عبد المطلب فهو لكم»

[(١)] و قالت قریش: ما كان لنا فهو لله و لرسوله. هذا حديث جيد الإسناد عال جدا، رواه الضياء المقدس في صحيحه و رجح الحافظ

بن حجر أنه حديث حسن. و بسط الكلام عليه في بستان الميزان.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- «نساؤكم و أبناءكم أحب إليكم أم أموالكم؟»

[(٢)].

و في الصيحيح عن المسور بن مخرمة -رضى الله عنهما- و مروان بن الحكم: فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- «فيمن ترون؟ و

أحب الحديث إليّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إنا

[(١)] تقدم.

[(٢)] أخرجه البيهقي في السنن ٣٣٦/٦، ٧٥/٩، و في الدلائل ١٩٥/٥ و البداية ٣٥٣/٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٣

السبى، و إنا المال و قد كنت استأنيت بكم» و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - غير رادّ عليهم إلا - إحدى الطائفتين قالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا و أموالنا؟ بل أبناؤنا و نساؤنا أحبّ إلينا، و لا نتكلم فى شاء و لا بعير، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم، و إذا أنا صليت بالناس فأظهروا إسلامكم، و قولوا: إنا إخوانكم فى الدين، و إنا نستشفع برسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى المسلمين و بالمسلمين إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأنى سأعطيكم ذلك، و أسأل لكم الناس» و علمهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - التشهد، و كيف يكلمون الناس. فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالناس الظهر قاموا فاستأذنوا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى الكلام، فأذن لهم، فتكلم خطبواؤهم بما أمرهم به رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأصابوا القول فأبلغوا فيه و رغبوا إليهم فى ردّ سبيهم، فقام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين فرغوا ليشفع لهم. و فى الصحيح عن المسور و مروان: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قام فى المسلمين فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، و إنى قد رأيت أن أردّ عليهم سبيهم، فمن أحبّ أن يطيب ذلك فليفعل، و من أحبّ منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول فىء يفيئه الله علينا فليفعل» فقال الناس قد طبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» [(١)] فرجع الناس [فكلمهم] عرفاؤهم. قال ابن إسحاق: و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون و ما كان لنا فهو لله و لرسوله، و قالت الأنصار: و ما كان لنا فهو لله و لرسوله. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا و بنو تميم فلا. و قال عيينة بن حصن: أمّا أنا و بنو فزارة فلا. و قال العباس بن مرداس: أمّا أنا و بنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال العباس بن مرداس: و هتمونى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «من كان عنده منهن شىء فطابت نفسه أن يرده فسيب ذلك، و من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستّ فرائض من أول فىء يفيئه الله فردّ المسلمون إلى الناس نساءهم و أبناءهم، و لم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن فإنه أخذ عجوزا فأبى أن يردها كما سيأتى».

قال محمد بن عمر و محمد بن سعد: و كسى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - السبى قبضيّة، قال ابن عقبة كساهم ثياب المعقّد.

[(١)] أخرجه البخارى ٧/ ٦٢٧ (٤٣١٨، ٤٣١٩).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٤

ذكر دعائه - صلى الله عليه و سلم - على من أبى أن يرد شيئا من السبى أن يخيس

روى أبو نعيم عن عطية السعدى - رضى الله عنه - أنه كان ممن كتم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى سبى هوازن، و كتم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أصحابه، فردّوا عليهم سبيهم إلّا رجلا - واحدا، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «اللهم أخس سهمه» فكان يمرّ بالجارية فيدع ذلك حتى مرّ بعجوز، فقال آخذ هذه فإنها أمّ حى فيفدونها عليه. فكبر عطية و قال: خذها. خذها و الله ما فوها بباردو لا تديها بناهد

و لا زوجها بواحد عجوز يا رسول الله مالها أحد فلما رأى أنه لا يعرض لها أحد تركها.

و ذكر ابن إسحاق و محمد بن عمر و اللفظ له: أن عيينة بن حصن حين أبى أن يرده حظه من السبى خيروه فى ذلك، فنظر إلى عجوز كبيرة، فقال: هذه أمّ الحى، لعلهم أن يغلوا فداءها، فإنه عسى أن يكون لها فى الحى نسب، فجاء ابنها إلى عيينة فقال: هل لك فى مائة

من الإبل؟ فقال عيينة: لا، فرجع عنه و تركه ساعة فقالت العجوز: ما أربك في، بعد مائة ناقة، أتركه فما أسرع أن يتركني بغير فداء، فلما سمعها عيينة قال: ما رأيت كاللوم خدعة، قال: ثم مرّ عليه ابنها فقال له عيينة: هل لك في العجوز لما دعوتني إليه؟ قال ابنها: لا أزيدك على خمسين. قال عيينة: لا أفعل، قال: فلبث ساعة ثم مر به أخرى و هو يعرض عنه فقال له عيينة: هل لك في العجوز بالمدى بذلت لي؟ قال الفتى: لا أزيدك على خمس و عشرين فريضه هذا الذي أقوى عليه، قال عيينة: لا أفعل و الله، بعد مائة فريضه خمس و عشرون!! فلما تخوف عيينة أن يتفرق الناس و يرتحلوا، جاء عيينة فقال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ فقال الفتى: هل لك في عشر فائض أعطيكها، قال عيينة: و الله لا أفعل، قال الفتى: و الله ما ثديها بناهد و لا بطنها بوالد، و لا فوها ببارد، و لا صاحبها بواجد، فأخذتها من بين من ترى، قال عيينة: خذها لا بارك الله لك فيها، فقال الفتى: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قد كسا السبي فاحطأها من بينهم بالكسوة، فهل أنت كاسيها ثوبا؟ فقال: لا - و الله ما ذلك لها عندي، قال: لا و تفعل، فما فارقه حتى أخذ منه سمل ثوب، ثم ولى الفتى و هو يقول: و الله إنك لغير بصير بالفرض.

و ذكر محمد بن إسحاق أنه ردها بست فرائض.

و روى البيهقي عن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - أنه ردها بلا شيء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٥

ذكر قسمته - صلى الله عليه و سلم - أموال هوازن بعد أن رد عليهم سبيهم

روى ابن إسحاق في رواية يونس عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما فرغ من ردّ سبايا هوازن، ركب بعيره و تبعه الناس يقولون: يا رسول الله، أقسم علينا فيئنا حتى اضطرّوه إلى شجرة فانتزعت رداءه، فقال: «يا أيها الناس، ردّوا على ردائي، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألقيتموني بخيلاً و لا كذاباً»، ثم قام رسول الله - إلى جنب بعيره، فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه فقال: «أيها الناس و الله ما لي من فيئكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم، فأدّوا الخياط و المخيط و إياكم و الغلول فإن الغلول عار و شنار على أهله يوم القيامة» فجاء رجل من الأنصار بكتيبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «أما حتى منها فهو لك» فقال الرجل: أما إذ بلغ الأمر فيها هذا فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده [١].

و روى عبد الرزاق في جامعه عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عقيل بن أبي طالب - رضي الله عنه - دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه و سيفه ملطخ دماً، فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك فدفعها إليها، فسمع منادى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من أخذ شيئاً فليردّه حتى الخياط و المخيط، فرجع عقيل و قال: ما أجد إبرتك إلا ذهبت منك، فأخذها فألقاها في المغنم. و عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوم حنين إلى جنب بعير من المغنم فلما سلم تناول وبرة بين أنمّتين و في رواية فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس، إن هذه من مغنمكم، و ليس لي فيها إلا نصيبى معكم، الخمس، و الخمس مردود عليكم فأدّوا الخيط و المخيط، و أكثر من ذلك و أصغر، و لا تغلوا فإنه عار و شنار على أهله في الدنيا و الآخرة» رواه الإمام أحمد و ابن ماجه.

و روى عبد الرزاق و البخارى عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه بينما هو مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و معه الناس مقفلة من حنين علق الأعراب برسول الله - صلى الله عليه و سلم - يسألونه، حتى اضطرّوه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ثم قال: «اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً و لا كذاباً

[(١)] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ / ٣٣٧.

[(٢)] أخرجه البخارى (٢٨٢١)، و أحمد ٤ / ٨٢ و الطبرانى فى الكبير ٢ / ١٣٥، و انظر البدايه و النهايه ٤ / ٣٥٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٦

و عن أنس قال: كنت أمشى مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و عليه برد نجرانى غليظ الحاشيه، فأدركه أعرابى فجذبه جذبه شديده ثم قال: مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو يضحك، ثم أمر له بعطاء و رداء.

قالوا: و جمعت الغنائم بين يدى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فجاءه أبو سفيان بن حرب و قال: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالا، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه و سلم -.

ذكر إعطائه - صلى الله عليه و سلم - المؤلفه قلوبهم قبل غيرهم

قال ابن إسحاق: أعطى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المؤلفه قلوبهم، و كانوا أشرفا من أشرف العرب، يتألفهم و يتألف بهم قومهم.

قال محمد بن عمر، و ابن سعد: بدأ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالأموال فقسمها، و أعطى المؤلفه قلوبهم أول الناس، قلت: فمنهم من أعطاه مائه بعير و أكثر، و منهم من أعطاه خمسين، و جميع ذلك يزيد على الخمسين، و قد ذكرهم أبو الفرج ابن الجوزى فى التلخيص، و ابن طاهر فى مبهمات، و الحافظ فى الفتح، و البرهان الحلبي فى النور، و هو أحسنهم سياقاً و أكثرهم عدداً، و عند كل منهم ما ليس عند الآخر، و لم يتعرض أحد منهم لما أعطى كل واحد، و قد تعرض محمد بن عمر، و ابن سعد، و ابن إسحاق لبعض ذلك كما سأنتبه عليه و هم: أبى - بضم الهمزة، و تشديد التحيه و هو الأخنس - بالخاء المعجمه و النون و السين المهمله، بن شريق - بالسين المعجمه و القاف.

أحيه - بمهملتين مصغر - بن أميه.

أسيد - بفتح أوله و كسر السين المهمله - بن جارية. بالجيم و التحيه - الثقفى، أعطاه مائه.

الأقرع - بالقاف و الراء - ابن حابس - بالخاء المهمله و بالموحده و السين المهمله - التميمى، أعطاه مائه.

جبير - بالجيم و الموحده مصغر - بن مطعم - بضم الميم و سكون الطاء و كسر العين المهملتين.

الجد - بكسر الجيم و تشديد الدال المهمله - بن قيس الهيمى، كذا أورده التلخيص، و لم يذكره الحافظ فى الفتح و لا فى الإصابه، و إنما ذكره فىهما الجد بن قيس الأنصارى، و لم يتعرض لكونه من المؤلفه و لم يذكر فى النور أنه سهمى أو أنصارى، فإن صح أنه سهمى فهو وارد على الإصابه.

الحارث بن الحرث بن كلده - بفتح الكاف و اللام و بالدال المهمله. أعطاه مائه.

الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، أعطاه مائه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٧

حاطب بن عبد العزى العامرى.

حرملة بن هوذه - بفتح الهاء و سكون الواو و بالدال المعجمه بن ربيعه بن عمرو بن عامر العامرى.

حكيم - بوزن أمير - بن حزام - بكسر الحاء المهملة، و بالزاي - بن خويلد، أعطاه مائه، ثم سأله مائة أخرى، فأعطاه أياها. روى الشيخان وغيرهما و محمد بن عمر - و اللفظ له - عن حكيم بن حزام - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بحنين مائة من الإبل فأعطانيها ثم سأله مائة من الإبل فأعطانيها ثم قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «يا حكيم إن هذا المال حلوة خضرة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، و من أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، و كان كالمذى يأكل و لا يشبع، و اليد العليا خير من اليد السفلى، و ابدأ بمن تعول» فقال: و الذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا، فكان عمر بن الخطاب يدعوه إلى عطائه فيأبى، أن يأخذه، فيقول عمر: أيها الناس أشهدكم على حكيم بن حزام، أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه. [(١)].

قال ابن أبي الزناد: أخذ حكيم المائة الأولى فقط و ترك الباقي.

حكيم بن طليق - بوزن أمير - ابن سفيان.

حويطب - بضم المهملة، و فتح الواو، و سكون التحتية، و كسر الطاء المهملة و بالموحدة - ابن عبد العزى القرشى العامري، أعطاه مائة. خالد بن أسيد - بوزن أمير - ابن أبي العيص بن أمية. خالد بن قيس السهمي.

خالد بن هوذة - بفتح الهاء و بالذال المعجمة - ابن ربيعة بن عامر العامري.

خلف بن هشام، نقله في النور عن بعض مشايخه عن الصغاني، ثم قال في النور: أنا لا أعرفه في الصحابة قلت: لم يذكره الذهبي في التجريد، و لا الحافظ في الإصابة، فإن صح فهو وارد عليه.

و ذكر في العيون: رقيم بن ثابت بن ثعلبة، و تقدم أنه استشهد بحنين و الله أعلم.

زهير بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم المؤمنين أم سلمة.

زيد الخيل بن مهلهل الطائي، عزاه في الفتح لتلقيح ابن الجوزي، و لم أجده في نسختين.

السائب بن أبي السائب.

[(١)] أخرجه البخارى (١٤٧٢).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٣٩٨

صيفى بن عائد - بهمزة بعد الألف فذال معجمة - المخزومي.

سعيد بن يربوع بن عنكثة - بفتح العين المهملة - و سكون النون و فتح الكاف، و التاء المثناة، أعطاه خمسين.

سفيان - بالحركات الثلاث في سينه و بسكون الفاء و بالتحية - بن عبد الأسد المخزومي.

سهل بن عمرو بن عبد شمس العامري و أخوه سهيل بن عمرو، أعطاه مائة.

شيبه بن عثمان القرشى العبدري.

صخر بن حرب أبو سفيان، أعطاه مائة من الإبل و أربعين أوقية فضة.

صفوان بن أمية الجمحي، أعطاه مائة، و روى البخارى عن صفوان قال: ما زال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يعطينى من غنائم

حنين و هو أبغض الخلق إلى حتى ما خلق الله - تعالى - شيئا هو أحب إليّ منه. و فى صحيح مسلم أنه - صلى الله عليه و سلم - أعطاه

مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة [(١)]،

قال محمد بن عمر: يقال إن صفوان طاف مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يتصفح الغنائم إذ مرّ بشعب مملوء إبلا ممّا أفاء الله به

على رسوله - صلى الله عليه و سلم - فيه غنم و إبل و رعاؤها مملوء، فأعجب صفوان و جعل ينظر إليه، فقال رسول الله - صلى الله عليه

و سلم: «أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟» قال: نعم. قال: «هو لك بما فيه» فقال صفوان: أشهد أنك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي.

طليق بن سفيان والد حكيم السابق.

العباس بن مرداس - بكسر الميم و سكون الراء و بالدال المهملة. قال ابن إسحاق: أعطاه أباعر، و قال محمد بن عمر و ابن سعد: أربعا من الإبل فسخطها.

و روى الإمام أحمد، و مسلم، و البيهقي عن رافع بن خديج - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أعطى المؤلفه قلوبهم من سبي حنين كل رجل منهم مائة من الإبل، فذكر الحديث فيه [(٢)]: و أعطى العباس بن مرداس دون المائة، نقص من المائة و لم يبلغ به أولئك، فأنشأ العباس بن مرداس يقول:

أ تجعل نهبي و نهب العبيد بين عينه و الأقرع
فما كان حصن و لا حابس يفوقان مرداس فى المجمع
و قد كنت فى الحرب ذا تدرإفلم أعط شيئا و لم أمنع

[(١)] مسلم ٢ / ٧٣٧.

[(٢)] أخرجه مسلم ٢ / ٧٣٧ (١٣٧ / ١٠٦٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٣٩٩، و ما كنت دون امرئ منهما من تضع اليوم لا يرفع فأتّم له رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المائة، و رواه البيهقى [(١)] عن ابن إسحاق رحمه الله بلفظه: فقال العباس بن مرداس يعاتب رسول الله - صلى الله عليه و سلم -:

كانت نهايا تلافيتها بكرى على المهر فى الأجرع
و إيقاظى القوم أن يرقدوا إذا أهجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي و نهب العبيد بين عينه و الأقرع
و قد كنت فى الحرب ذا تدرإفلم أعط شيئا و لم أمنع
و إلّا أفائل أعطيتها عديد قوائمها الأربع
و ما كان حصن و لا حابس يفوقان مرداس فى المجمع
و ما كنت دون امرئ منهما من تضع اليوم لا يرفع

فبلغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فدعاه و قال: «أنت القائل فأصبح نهبي، و نهب العبيد بين الأقرع و عينه؟» فقال أبو بكر الصديق: - رضى الله عنه - بأبى أنت و أمى لم يقل كذلك، و لا و الله ما أنت بشاعر، و ما ينبغى لك، و ما أنت براوية. قال: «فكيف قال؟» فأنشده أبو بكر - رضى الله عنه - فقال النبى - صلى الله عليه و سلم - «اقطعوا عنى لسانه»

ففرغ منها ناس، و قالوا: أمر بالعباس بن مرداس أن يمتل به، و إنما أراد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بقوله: «اقطعوا عنى لسانه» أى يقطعوه بالعطية من الشاء و الغنم.

عبد الرحمن بن يربوع الثقفى.

عثمان بن وهب المخزومى أعطاه خمسين.

عدى بن قيس بن حذافه السهمى أعطاه خمسين.

عكرمة بن عامر العبدرى.

عكرمة بن أبي جهل.

عمرو بن هشام، نقله في النور عن بعض مشايخه عن ابن التين.

علقمة بن علاثة- بضم العين و التخفيف، و بالثاء المثلثة- بن عوف- بالفاء عمرو بن الأهتم- بالفوقية.

عمرو بن بعكك- بموحدة، فعين مهملة، فكافين، وزن جعفر، أبو السنابل- جمع سنبله عمرو بن مرداس السلمى أخو عباس.

[(١)] البيهقي في الدلائل ٥ / ١٨١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠٠

عمير- بضم أوله، و فتح الميم، و سكون التحتية- بن ودقة- بفتح الواو و الدال المهملة.

عمير بن وهب الجمحى، أعطاه خمسين.

العلاء بن جارية- بالجيم و التحتية- التثنية أعطاه خمسين. و قال ابن إسحاق: مائة.

عينه- بضم العين المهملة، و كسرهما، و فتح التحتية الأولى- بن حصن- بكسر الحاء، و بالصاد المهملتين و بالنون- الفزارى، أعطاه مائة.

قيس بن عدى السهمى، أعطاه مائة كذا ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر. و قال بعضهم: صوابه عدى بن قيس- على العكس- و

قال الحافظ: هما واحد فانقلب، أم اثنان؟

قلت: و هو الظن، لاتفاق ابن إسحاق و الواقدى على ذلك.

قيس بن مخرمه- بفتح الميم، و سكون الخاء المعجمة، و فتح الراء، و الميم- ابن المطلب بن عبد مناف.

كعب بن الأخنس نقله في التور عن بعض مشايخه، ثم قال: و لا أعرفه أنا. قلت: لا ذكرته في التجريد، و لا فى الإصابة.

ليبد- بوزن أمير- بن ربيعة العامرى.

مالك بن عوف بالفاء- النصرى بالنون، و الصاد المهملة- رأس هوازن، أعطاه مائة.

مخرمه- بفتح الميم، و الراء، و سكون الخاء المعجمة بينهما،- بن نوفل الزهرى، أعطاه خمسين.

مطيع بن الأسود القرشى العدوى.

معاوية بن أبى سفيان.

أبو سفيان صخر بن حرب، أعطاه مائة من الإبل و أربعين أوقية فضلة.

المغيرة بن الحارث أبو سفيان القرشى الهاشمى.

النضير- بالصاد المعجمة و التصغير- بن الحرث بن علقمة، أعطاه مائة من الإبل.

نوفل بن معاوية الكنانى.

هشام بن عمرو القرشى العامرى أعطاه خمسين.

هشام بن الوليد المخزومى.

يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب أعطاه مائة بعير و أربعين أوقية.

أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشى العدوى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠١

أبو السنابل، اسمه عمرو، تقدم.

فهؤلاء بضع و خمسون رجلا لعلك لا تجدهم مجموعين محزّرين هكذا فى كتاب غير هذا الكتاب و الله الموفق للصواب.

و روى البخارى عن أبى موسى الأشعري [(١)] -رضى الله عنه- قال: كنت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و هو نازل بالجعزانه بين مكة و المدينة- و معه بلال- فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعرابي فقال: ألا تنجزنى ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت على من البشر. فأقبل على أبى موسى و بلال كهيئة الغضبان فقال: «ردّ البشرى فاقبلا أنتما، قالا قبلنا» ثم دعا بقدر فغسل يديه و وجهه، و مسح فيه، ثم قال: «اشربا منه و أفرغا على و جوهكما و نحوركما، و أبشرا» فأخذا القدر ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا منه طائفة.

قالوا: ثم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زيد بن ثابت بإحضار الناس و الغنائم، ثم فضّها على الناس فكانت سهامهم، لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة، فإن كان فارسا أخذ اثنتى عشرة من الإبل أو عشرين و مائة شاة، و إن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له.

ذكر بيان الحكمة في إعطائه -صلى الله عليه وسلم- أقواما من غنائم حنين و منعه آخرين

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن قائلا قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أصحابه، قال محمد بن عمر: هو سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله، أعطيت عينه بن حصن، و الأقرع بن حابس مائه، و تركت جعيل بن سراقه الضمري؟! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أما و الذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عينه بن حصن، و الأقرع بن حابس، و لكننى تألفتهم ليسلما، و وكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه».

و روى البخارى عن سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- قال: أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رهطا و أنا جالس فترك منهم رجلا هو أعجبهم إلى، فقلت: مالك عن فلان و الله إنى لأراه مؤمنا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أو مسلما» ذكر ذلك ثلاثا، و أجابه بمثل ذلك، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «إنى لاعطى الرجل و غيره أحبّ إلى منه خشية أن يكبه الله -تعالى- فى النار على وجهه» [(٢)].

[(١)] سيأتى فى شرح الغريب أن الصواب بين مكة و الطائف.

[(٢)] البخارى ٣ / ٣٩٩ (١٤٧٨).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص ٤٠٢.

و روى البخارى عن عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوما و منع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال: «إنى أعطى أقواما أخاف هلعمهم و جزعهم، و أكل أقواما إلى ما جعل الله -تعالى- فى قلوبهم من الخير و الغنى، منهم عمرو بن تغلب» [(١)].

قال عمرو: فما أحببت أن لى بكلمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حمر النعم.

ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أعطى قريشا و لم يعط الأنصار شيئا و جمعه إياهم و استعطافه لهم

روى ابن إسحاق، و الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى، و الإمام أحمد، و الشيخان من طريق أنس بن مالك، و الشيخان عن عبد الله بن يزيد بن عاصم -رضى الله عنهم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصاب غنائم حنين، و قسم للمتألفين من قريش و سائر العرب ما قسم، و فى رواية:

طفق يعطى رجلا المائة من الإبل، و لم يكن فى الأنصار منها شىء قليل و لا كثير، فوجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم، حتى كثر

فيهم القالة حتى قال قائلهم: يغفر الله - تعالى - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن هذا لهو العجب يعطى قريشا، و في لفظ الطلقاء و المهاجرين، و يتركنا و سيوفنا تقطر من دمائهم، إذا كانت شديدة فنحن ندعى و يعطى الغنيمه غيرنا وددنا أنا نعلم ممن كان هذا، فإن كان من أمر الله تعالى صبرنا، و إن كان من رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعتبناه [(٢)].

و في حديث أبي سعيد: فقال رجل من الأنصار لأصحابه: لقد كنت أحدثكم أن لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم. فردوا عليه رداً عنيفا. قال أنس: فحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمقالتهم،

و قال أبو سعيد: فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله: إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم. قال: «فيم» قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك و في سائر العرب و لم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، و في لفظ في هذه القبة، فإذا اجتمعوا فأعلمني»، فخرج سعد يصرخ فيهم حتى جمعهم في تلك الحظيرة.

و قال أنس: فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم و لم يدع غيرهم، فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم فيهم، فدخلوا، و جاء آخرون فرددتهم، حتى إذا لم يبق أحد من الأنصار إلا اجتمع له. أتاه فقال يا رسول الله: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن

[(١)] أخرجه البخارى ٢٨٨ / ٦ (٣١٤٥).

[(٢)] أخرجه البخارى من حديث أنس (٣١٤٧).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمققى، ج٥، ص: ٤٠٣

أجمعهم، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «هل منكم أحد من غيركم؟» قالوا: لا يا رسول الله إلا ابن أختنا، قال: «ابن أخت القوم منهم» فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبا فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللا فهداكم الله - تعالى - و عالء فأغناكم الله، و أعداء فألف بين قلوبكم، و في رواية متفرقين فألفكم الله؟» قالوا: بلى يا رسول الله، الله و رسوله أمن و أفضل.

و في رواية قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا- تجيئون يا معشر الأنصار؟» قالوا: و ما نقول يا رسول الله؟ و ما ذا نجيبك؟ المنّ لله - تعالى - و لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: «و الله لو شئتم لقلتم فصدقتم و صدقتم، جئنا طريدا فاويناك، و عائلا فأسيناك، و خائفا فأمّناك، و مخذولا فنصرناك، و مكذبا فصدقناك» فقالوا: المنّ لله - تعالى - و رسوله، فقال: «و ما حديث بلغني عنكم؟» فسكنوا، فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئا، و أما أناس منّا حديثه أسنانهم قالوا يغفر الله - تعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - يعطى قريشا و يتركنا، و سيوفنا تقطر من دمائهم!! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إني لأعطي رجلا حديثي عهد بكفر لأتألفهم بذلك»

[(١)].

و في رواية إن قريشا حديثو عهد بجاهليّة و مصيبة، و إنى أردت أن أجبرهم و أتألفهم، أو جردتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعائهم من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا، و وكلتكم إلى ما قسم الله - تعالى - لكم من الإسلام، أ فلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب التّياس إلى رحالهم بالشّاة و البعير و تذهبون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رحالكم تحوزونه إلى بيوتكم، فو الله لمن تنقلبون به خير ممّا ينقلبون به، فو الذى نفسى بيده لو أنّ الناس سلخوا شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلك شعبا الأنصار.

و في رواية لو سلك الناس واديا و سلكت الأنصار شعبا - أنتم الشّعار و الناس دثار، الأنصار كرشى و عيبتي، و لو لا أنّها الهجرة لكنت

امراً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، و أبناء الأنصار فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، و قالوا: رضينا بالله و رسوله حظاً و قسماً. و ذكر محمد بن عمر أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أراد حين إذ دعاهم أن يكتب بالبحرين لهم خاصة بعده دون الناس، و هي يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأرض، فقالوا: لا حاجة لنا بالدنيا بعدك، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «إنكم ستجدون بعدى أثره شديدة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»
و كان حسان بن ثابت - رضى الله عنه - قال قبل جمع النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - الأنصار.

[(١)] أخرجه البخارى (٣١٤٦، ٣١٤٧، ٣٥٢٨، ٣٧٧٨، ٣٧٩٣، ٤٣٣١، ٤٣٣٢، ٤٣٣٣، ٤٣٣٤، ٤٣٣٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٠٤ زاد الهموم فماء العين منحدرسحاً إذا حفلته عبرة درر
وجدا بشمّاء إذ شمّاء بهكنه هيفاء لا ذنن فيها و لا خور
دع عنك شمّاء إذ كانت مودّتها نورا و شرّ وصال الواصل التّزر
وائت الرّسول فقل يا خير مؤتمن للمؤمنين إذا ما عدّد البشر
علام تدعى سليم و هى نازحة قدام قوم هموا آووا و هم نصروا
سمّاهم الله أنصارا بنصرهم دين الهدى و عوان الحرب تستعر
و سارعوا فى سبيل الله و اعترضوا اللّناثبات و ما خافوا و ما ضجروا
و النّاس إلب علينا فيك ليس لنا إلّا السيوف و أطراف القنا و زر
نجالد النّاس لا نبقى على أحدو لا نضّيع ما توحى به السّور
و لا تهزّ جناة الحرب ناديناو نحن حين تلظّى نارها سعر
كما رددنا بيدر - دون ما طلبوا - أهل النّفاق ففينا ينزل الظّففر
و نحن جندك يوم النّعف من أحد إذ حزبت بطرا أحزابها مضر
فما و نينا و ما خمنا و ما خبروا ممّا عثارا و كلّ النّاس قد عثروا

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق و النفاق على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى القسمة العادلة، و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى الشيخان و البيهقى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: لما قسم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لنا هوازن يوم حنين آثر أناسا من أشرف العرب، قال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما عدل فيها، و ما أريد فيها وجه الله، فقلت: و الله لأخبرن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأخبرته، فتغيّر وجهه حتى صار كالصّيرف و قال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله و رسوله، رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر» [(١)].

و الرجل المبهم: قال محمد بن عمر هو معتّب بن قشير.

قصة أخرى:

روى ابن إسحاق عن ابن عمرو، و الإمام و الشيخان عن جابر، و الشيخان و البيهقى عن أبى سعيد - رضى الله عنهم - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بينا هو يقسم غنائم هوازن إذ قام إليه رجل - قال ابن عمر و أبو سعيد: من تميم يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه و هو يعطى الناس فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «أجل، فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت، عدل. فغضب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و قال: «شقيت إن لم

[(١)] البخارى (١١٣٨) و مسلم ٧٣٩ / ٢ (١٤٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٠٥

أعدل، ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعنى أقتل هذا المنافق، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى، دعوه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميئه، ينظر فى النصل فلا يوجد فيه شيء، ثم فى القدح فلا يوجد فيه شيء، ثم فى الفوق فلا يوجد فيه شيء، و فى لفظ ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصيبه و هو قدحه، فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث و الدّم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم» و لفظ رواية جابر: «إن هذا و أصحابه يقرؤون القرآن لا- يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميئه، آيتهم أن فيهم رجلا أسود، إحدى عضديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس» و فى رواية «على حين فرقة».

قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم و أنا معه، و أمر بذلك الرجل فالتمس حتى أتى به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الذى نعت.

ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و من يذكر معه

قالوا: و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لوفد هوازن: «ما فعل مالك بن عوف» قالوا يا رسول الله: هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف. فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «أخبروه أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله، و أعطيته مائة من الإبل» و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أمر بحبس أهل مالك بمكة عند عمته أم عبد الله بنت أبى أمية، فقال الوفد: يا رسول الله - أولئك سادتنا و أحبنا إلينا، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «إنما أريد بهم الخير» فوقف مال مالك فلم يجر فيه السهام، فلما بلغ مالكا ما فعل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى قومه و ما وعده رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أن أهله و ماله موفور و قد خاف مالك ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال له ما قال، فيحبسونه، فأمر راحلته فقدمت له حتى وضعت لديه بدحنا، و أمر بفرس له فأتى به ليلا فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلا، فركضه حتى أتى دحنا فركب بعيره حتى لحق برسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأدركه بالجعرانة - أو بمكة - فردّ عليه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أهله و ماله، و أعطاه مائة من الإبل و أسلم فحسن إسلامه، فقال مالك حين أسلم:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله فى الناس كلهم بمثل محمد

أوفى و أعطى للجزيل إذا احتذى و متى تشأ يخبرك عما فى غد

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٠٦ و إذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسّمهرى و ضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر فى مرصد فاستعمله رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على من أسلم من قومه، و من تلك القبائل من هوازن و فهم و سلمة و ثماله. و كان قد ضوى إليه قوم مسلمون، و اعتقد له لواء، فكان يقاتل بهم من كان على الشرك و يغير بهم على ثقيف فيقاتلهم بهم، و لا يخرج لثقيف سرح إلا أغار عليه، و قد رجع حين رجع - و قد سرح الناس مواشيهم، و آمنوا فيما يرون حين انصرف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عنهم، و كان لا يقدر على سرح إلا أخذه، و لا على رجل إلا قتله، و كان يبعث إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بالخمس مما يغنم، مرة مائة بعير، و مرّة ألف شاة، و لقد أغار على سرح لأهل الطائف فاستاق لهم ألف شاة فى غداة واحدة.

روى أبو داود، و أبو يعلى، و البيهقي، عن أبي الطفيل - رضى الله عنه - قال: كنت غلاما أحمل نضو البعير و رأيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقيم بالجعرانة و امرأة بدويّة، فلمّا دنت من النبي - صلى الله عليه و سلم - بسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ فقالوا: أمّه التي أَرْضَعته.

و روى أبو داود فى المراسيل عن عمر بن السائب - رحمه الله تعالى - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جالسا يوما، فجاء أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شقّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أجلسه بين يديه.

ذكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى المدينة

قال محمد بن عمر و ابن سعد: انتهى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، و أمر بقايا السبي فحبس بمجّنة بناحية مَرّ الظهران. قال فى البداية و الظاهر أنه - صلى الله عليه و سلم - إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب بين مكة و المدينة: فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا، فأحرم بعمره من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى، و دخل مكة فطاف و سعى ماشيا، و حلق و رجع إلى الجعرانة من ليلته، و كأنه كان باثنا بها، و استخلف عتاب - بالمهملة و تشديد الفوقية و بالموحدة - ابن أسيد بالدال - كأمر - على مكة - و كان عمره حينئذ نيفا و عشرين سنة - و خلف معه معاذ بن جبل - زاد محمد بن عمر و الحاكم: و أبا موسى الأشعري - رضى الله عنهم يعلمان الناس القرآن

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠٧

و الفقه فى الدين، و ذكر عروة بن عقبه أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خلف عتابا و معاذا بمكة قبل خروجه إلى هوازن، ثم خلفهما حين رجع إلى المدينة.

قال ابن هشام: و بلغنى عن زيد بن أسلم - رحمه الله تعالى - أنه قال: لَمّا استعمل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عتابا على مكة رزقه كلّ يوم درهما، فقام فخطب الناس فقال: «أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم!! فقد رزقتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - درهما كلّ يوم، فليست لى حاجة إلى أحد».

قلت: ترجمته و بعض محاسنه فى تراجم الإماء.

قال محمد بن عمر و ابن سعد: فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من أمره غدا يوم الخميس راجعا إلى المدينة، فسلك فى وادى الجعرانة، حتى خرج على سرف، ثم أخذ فى الطريق إلى مَرّ الظهران، ثم إلى المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة - فيما زعمه - أبو عمرو المدنى.

قال أبو عمرو: و كانت مدة غيبته - صلى الله عليه و سلم - من حين خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها، و واقع هوازن، و حارب أهل الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين و ستة عشر يوما.

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى هذه الغزوة

قال بجير بن زهير بن أبى سلمى - بضم أوائل الثلاثة - رضى الله عنه - يذكر حيننا و الطائف:

كانت علالة يوم بطن حنين و غداة أو طاس و يوم الأبرق

جمعت يا غواء هوازن جمعها فتبدّوا كالطائر المتمزق

لم يمنعوا منّا مقاما واحداً إلّا حبارهم و بطن الخندق
و لقد تعرّضنا لكيما يخرجوا فتحصّنا منّا بباب مغلق
ترتدّ حسرانا إلى رجراجه شهباء تلمع بالمنايا فيلق
ملمومه خضراء لو قذفوا بها حصنا لظلّ كأنه لم يخلق
مشى الضراء على الهراس كأننا قدر تفرّق في القياد و تلتقى
في كلّ سابغة إذا ما استحصنت كالتّهي هبّت ريحه المتررق
جدل تمسّ فضولهم نعالنا من نسج داود و آل محرّق و قال كعب بن مالك- رضى الله عنه- في مسير رسول الله- صلى الله عليه و
سلم- إلى الطائف.

قضينا من تهامة كلّ ريب و خبير ثمّ أجمنا السيّوف
نخبّرها و لو نطقت لقاتل قواطعهم دوسا أو ثقيفا
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠٨ فلست بحاضن إن لم تروها بساحة داركم منّا ألوفا
و ننتزع العروش ببطن وجّ و تصيح دوركم منكم خلوفا
و يأتيكم لنا سرعان خيل يغادر خلفه جمعا كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها ممّا أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات يزدن المصطلين بها الحتوفا
كأمثال العقائق أخلفتها قيون الهند لم تضرب كتيفا
تخال جدية الأبطال فيها غداة الرّحف جاديا مدوفا
أجدّهم أليس لهم نصيح من الأقوام كان بنا عريفا
يخبّره بآنا قد جمعنا عتاق الخيل و النّحت الطّروفا
و أنا قد أتيناهم بزحف يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم التّبيّ و كان صلبانقى القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذا حكم و علم و حلم لم يكن نزقا خفيفا
نطيع نبينا و نطيع ربّاهو الرّحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السّلم نقبل و نجعلكم لنا عضدا و ريفا
و إن تأبوا نجاهدكم و نصبرو لا يك أمرنا رعشا ضعيفا
نجالد ما بقينا أو تنيبوا إلى الإسلام إذعانا مضيّفا
نجاهد لا نبالي من لقينا أهلكتنا التّلالد أم الطّريفا
و كم من معشر ألّوا علينا صميم الجدم منهم و الحليفا
أتونا لا يرون لهم كفاء فجذّعنا المسامع و الأنوفا
بكلّ مهند لين صقيل نسوقهم بها سوقا عنيفا
لأمر الله و الإسلام حتّى يقوم الدّين معتدلا حنيفا
و نفنى اللّات و العزى و ودّو نسلبها القلائد و الشّنوفا
فأمسوا قد أقروا و اطمأنّوا و من لا يمتنع يقبل خسوفا

الأول: الطائف بلد كثير الأعداب و النخيل على ثلاث مراحل من مكة من جهة المشرق، قال في القاموس: سمي بذلك لأنه طاف بها في الطوفان، أو لأن جبريل - صلى الله عليه و سلم - طاف بها على البيت، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم - صلى الله عليه و سلم - أو لأن رجلا من الصدق أصاب دما بحضر موت ففر إلى وج، و حالف مسعود

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٠٩

بن معتب، و كان معه مال عظيم، فقال: هل لكم أن أبني لكم طرفا عليكم يكون لكم رداء من العرب؟ فقالوا: نعم. فبناه بماله و هو الحائط المطيف به.

الثانى: اقتضت حكمه الله تعالى - تأخير فتح الطائف فى ذلك العام لئلا يستأصلوا أهله قتلا، لأنه تقدّم فى باب سفره إلى الطائف أنه - صلى الله عليه و سلم - لمّا خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله - تعالى - و أن يؤوه حتى يبلغ رسالته ربه تبارك و تعالى، و ذلك بعد موت عمه أبى طالب فردّوا عليه رداً عنيفاً، و كدّبوه و رموه بالحجارة حتّى أدموا رجله، فرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مهموما فلم يستفق من همومه إلا عند قرن الثعالب [(١)] فإذا هو بغمامة و إذ فيها جبريل - صلى الله عليه و سلم - و معه ملك الجبال - صلى الله عليه و سلم - فناداه ملك الجبال،

فقال: يا محمد إن الله - تعالى - يقرئك السّلام، و قد سمع قوله قومك و ما ردّوا عليك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت»، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «بل أستأنى بهم لعلّ الله عزّ و جلّ أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله - تعالى - وحده لا يشرك به شيئاً»

فناسب قوله: بل أستأنى بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم، و إن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين فى رمضان من العام القابل كما سيأتى فى الوفود.

الثالث: لما منع الله سبحانه و تعالى - الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهباً و لا فضةً و لا متاعاً و لا سبياً و لا أرضاً، و كانوا قد فتحوها بأنجاب الخيل و الرّكاب، و هم عشرة آلاف و فيهم حاجة إلى ما يحتاجه الجيش من أسباب القوة، حرّك الله - سبحانه و تعالى - قلوب المشركين فى هوازن لحربهم، و قذف فى قلب كبيرهم مالك بن عوف إخراج أموالهم و نعمهم و شائبهم و شيبهم معهم نزلاً و كرامةً و ضيافةً لحرب الله - تعالى - و جنده، و تتمّ تقديره تعالى بأن أطمعهم فى الظفر، و ألاح لهم مبادئ النصر ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. و لو لم يكن يقذف الله - تعالى - فى قلب رئيسهم مالك بن عوف أن سوقهم معهم هو الصواب لكان الرأى ما أشار به دريد، فخالفه فكان ذلك سبباً لتصييرهم غنيمةً للمسلمين، فلما أنزل الله تعالى نصره على رسوله و أوليائه و ردّت الغنائم لأهلها و جرت فيها سهام الله - تعالى - و رسوله، قيل لا - حاجة لنا فى دمائكم و لا فى نسائكم و ذرائيكم، فأوحى الله - تعالى - إلى قلوبهم التوبة فجاءوا مسلمين. فقيل من شكران إسلامكم و إتيانكم أن تردّ عليكم نساءكم و أبناءكم و سبيكم و إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا أخذ منكم و يغفر لكم و الله غفورٌ رحيمٌ [الأنفال ٧٠].

الرابع: اقتضت حكمه الله - تعالى - أن غنائم الكفار لما حصلت قسّمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشرى من محبة المال، فقسّمه فيهم لتطمئن قلوبهم،

[(١)] و قرن المنازل، و هو قرن الثعالب: ميقات أهل نجد تلقاء مكة، على يوم و ليلة. مرصد الإطلاع ٣ / ١٠٨٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٠

و تجتمع على محبته، لأنها جبلت على حبّ من أحسن إليها، و منع أهل الجهاد من كبار المجاهدين و رؤساء الأنصار مع ظهور

استحقاقهم لجميعها، لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم بخلاف قسمه على المؤلفه لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضى رئيسهم، فلما كان ذلك العطاء سببا لدخولهم في الإسلام و لتقوية قلب من دخل إليه قبل، تبعهم من دونهم في الدخول، فكان ذلك مصلحة عظيمة.

الخامس: ما وقع في قصة الأنصار، اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك من بعض أتباعهم وأحداثهم، ولما شرح لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما خفى عليهم من الحكمة فيما صنعوا رجعوا مذعنين، و علموا أن الغنيمة العظيمة: ما حصل لهم من عود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بلادهم.

فسلوا عن الشاة والبعر والسبايا بما حازوه من الفوز العظيم ومجاوره النبي الكريم حيا وميتا، وهذا دأب الحكيم يعطى كل أحد ما يناسبه.

السادس: رتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما من الله - تعالى - به على الأنصار على يديه من التعم ترتيبا بالغا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازنها شيء من أمور الدنيا، و ثنى بنعمة الإيمان و هي أعظم من نعمة المال، لأن الأموال قد تبذل في تحصيلها و قد لا تحصل، فقد كانت الأنصار في غاية التنافر و التقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث و غيرها، فزال ذلك بالإسلام كما قال تعالى: لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ [الأنفال ٦٣].

السابع:

قوله - صلى الله عليه وسلم - «لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار».

قال الخطابي: أراد بهذا الكلام: تأليف الأنصار و استطابة نفوسهم و الثناء عليهم في دينهم، حتى رضى أن يكون واحدا منهم لو لا ما منعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها و نسبة الإنسان تقع على وجه: الولادة و الاعتقادية و البلادية و الصناعية، و لا شك أنه لم يرد الانتقال عن نسب آبائه لأنه ممتنع قطعاً، و أما الاعتقادي فلا- معنى للانتقال عنه فلم يبق إلا القسمان الأخيران، كانت المدينة دار الأنصار و الهجرة إليها أمراً واجبا، أى لو لا أن النسبة الهجرية لا يسعنى تركها لانتسبت إلى داركم.

و قال القرطبي: معناه لتسميت باسمكم و انتسبت إليكم لما كانوا يتناسبون بالحلف، لكن خصوصية الهجرة و ترتيبها سبقت فمنعت ما سوى ذلك، و هي أعلى و أشرف فلا تبدل بغيرها.

الثامن:

قوله - صلى الله عليه وسلم - «لسلكت وادى الأنصار» أو «شعب الأنصار»

أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا أو ما بعده التنبيه على جزيل ما حصل للأنصار من ثواب النصرة و القناعة بالله

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١١

و رسوله عن الدنيا، و من هذا وصفه فحقه أن يسلك طريقه و يتبع حاله. قال الخطابي: لما كانت العادات أن المرء يكون في نزوله و ارتحاله مع قومه - و أرض الحجاز كثيرة الأودية و الشعاب - فإذا تفرقت في السفر الطرق سلك كل قوم منهم واديا و شعبا، فأراد أنه مع الأنصار قال: و يحتمل أن يريد بالوادى المذهب، كما يقال فلان في واد و أنا في واد.

التاسع: فى شرح غريب ما سبق:

الفلّ - بفتح الفاء و تشديد اللام: القوم المنهزمون.

رموا - بتشديد الميم المضمومة.

عقيل - بضم العين.

السرّح - بفتح السين المهملة، و سكون الراء: المال السائم.

خيابر - لغة فى خيبر، و تقدم ذلك فى غزوتها.

فدك- بفتح الفاء و الدال المهملة- مكان، قال ابن سعد: على ستة أميال من المدينة.

أرضنا هوأزن: دخل أرضهم قهرا.

لم يعرج عليه: لم يمل.

عرش- بضم العين و الراء و الشين المعجمة: جمع عريش .. بيوت مكة سميت بذلك لأنها كانت عيدانا تنصب و يظلل عليها.

عارض- بالعين المهملة و الضاد المعجمة بينهما راء مكسورة.

هرقت- بهاء مهملة فراء فقفاف مفتوحات.

الهدر: الباطل الذي لا يؤخذ بثأره.

يظعن- بالطاء المعجمة المشالة: يرحل.

نخلة- بلفظ واحدة النخل بالخاء المعجمة: موضع على ليله من مكة.

قرن- بفتح القاف و سكون الراء، و غلظوا من فتحها، و هو قرن الثعالب و المنازل يبعد عن مكة نحو مرحلتين.

المليح- بالحاء المهملة و التصغير واد بالطائف.

بحرة- بفتح الموحدة و سكون الحاء المهملة. و بالراء.

الرّعاء- براء مكسورة، فعين مهملة، فألف ممدودة: جمع راع.

ليه: تقدم.

أقاد من القاتل: قتله بمقتوله.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٢

الضيقة: ضد الواسعة.

نخب- بفتح النون و كسر الخاء المعجمة، و قيل بسكونها، فموحدة: واد بالطائف قيل بينه و بينه ساعة.

الصادرة- بصاد و دال مهملتين بينهما ألف فراء فتاء موضع.

أبو رغال- بكسر الراء و بالغين المعجمة و اللام.

الغصن- بضم الغين المعجمة: واحد الأغصان، و هى أطراف الشجر، و المراد به هنا قضيب من ذهب.

شرح غريب ذكر محاصرته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الطائف و ذكر بعثه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مناديا ينادى: من نزل من العبيد فهو حر و

ذكر رميه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حصن الطائف بالمنجنيق

رجل جراد- بكسر الراء و إسكان الجيم و هو الجراد الكثير، و تقدم بزيادة فى غريب ألقاظ غزوة حنين.

السارية: الأستوانة.

التقيض- بفتح النون و كسر القاف، و سكون التحيّة و بالضاد المعجمة: الصوت.

عبد ياليل- بتحتيتين و كسر اللام الأولى.

معتب- بضم الميم و فتح العين المهملة و كسر الفوقية المشددة و بالموحدة.

التبّال- بفتح النون و تشديد الموحدة و باللام.

البكرة- بفتح الموحدة: و بالكاف و تسكن آله يستقى عليها.

الغيظ- بالطاء المعجمة المشالة: الغضب.

يمونه: يقوم بأمره.

المنجنيق - بفتح الميم وقد تكسر، يؤنث و هو أكثر، و يذكر، فيقال: هي المنجنيق، و على التذكير: هو المنجنيق: و يقال: المنجنوق و منجنيق، و هو معرب، و أول من عمله قبل الإسلام إبليس حين أرادوا رمى سيدنا إبراهيم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و هو أول منجنيق رمى به في الإسلام، أما في الجاهلية فيذكر أن جذيمة - بضم الجيم، و فتح الذال المعجمة و سكون التحيّة ابن مالك المعروف بالأبرش أول من رمى بها، و هو من ملوك الطوائف.

الثواء - بفتح الثاء المثناة: الإقامة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٣

ابن زمعة - بفتح الزاى و الميم و بسكونها، فعين مهملة.

الدّبابة - بالذال المهملة: فموحدة مشددة، و بعد الألف موحدة فتاء تأنيث: آله من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيندفعون بها إلى الأسوار لينقبوها.

جرش - بضم الجيم و فتح الراء و بالشين المعجمة: من مخاليف اليمن من جهة مكة.

الحسك - بحاء فسين مهملتين فكاف مفتوحات: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم و ورقه كورق الرجل و أدوره و عند ورقه شوكة ملوز صلب ذو ثلاث شعب.

و الشّدخ - بفتح الشين المعجمة و سكون الدال المهملة، و فتح الخاء المعجمة فتاء تأنيث، و الشدخ: كسر الشىء.

الحبلات - بحاء مهملة، فباء فلام مفتوحات فألف فتاء جمع حبله بفتحات و ربما سكنت الباء: الأصل أو القضيبة من شجر الأغانب.

التّفر: ما دون العشرة من الرجال.

الذريع - بالذال المعجمة: السريع.

الجلابيب - بالجيم [فاللام فألف] فموحدة فتحيّة فموحدة - وزن دنانير - الغرباء.

يدعها الله - بفتح الدال: يتركها.

تبتّس: تحزن.

أحبل - بفتح أوله و سكون الحاء المهملة و ضم الموحدة: جمع حبله - بفتح الحاء و الموحدة: شجر العنب.

تسور حصن الطائف: صعد إلى أعلاه ثم تدلى منه.

ثالث ثلاثة و عشرين بنصب ثالث.

شرح غريب ذكر اشتداد الأمر و ما يذكر معه

عبسة بفتح العين المهملة و الموحدة و السين المهملة.

عدل - بفتح العين و سكون الدال المهملة - مثل الأجر.

المحرر: المعتق.

المخث - بضم الميم، و فتح الخاء المعجمة، و النون المشددة - و كسرهما أفصح، و فتحها أشهر - فمثلة: و هو من فيه انخناث أى تكسر

و تشن كالنساء.

غيلان بن سلمة - بفتح الغين المعجمة، أسلم بعد فتح الطائف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٤

تقبل بأربع: أى من العكن - بضم العين المهملة جمع عكة و هى ما انطوى و تشنى من لحم البطن، سمناء، و المراد أطراف العكن التى

فى بطنها.

تدبر بثمان في جنبها لم يقل ثمانية، و الأطراف مذكرة لأنه لم يذكرها كما يقال هذا الثوب سبع في ثمان أي سبعة أذرع في ثمانية أشبار، فلما لم يذكر أشبار أنت لتأنيث الأذرع التي قبلها، قال الدماميني في المصاييح: أحسن من هذا أنه جعل كلاً من الأطراف عكته تسمية للجزء باسم الكل، فأنت بهذا الاعتبار.
 من غير أولى الإربة: الحاجة إلى النكاح.
 جريج- بضم الجيم و فتح الراء و سكون التحتية و بالجيم.
 هيت: بهاء و ياء تحتية ففوقية، و ضبطه ابن درستويه بهاء مكسورة فنون ساكنة فموحدة، و زعم أن ما سواه تصحيف.
 عائد- بالهمز و الدال المعجمة.
 ماتع- بميم فألف ففوقية فعين مهملة.
 أرى- بضم أوله: أظن.
 فلا تفلتن- تطلقن- بالبناء للمفعول فيهما.
 بادية- بموحدة فألف ففدال مهملة مكسورة فتحتية، و قيل: بالنون بدل التحتية- أسلمت.
 الخبيث: خلاف الطيب.

شرح غريب ذكر منام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الدال على عدم فتح الطائف و ما يذكر معه

أهديت- بالبناء للمفعول.

القبعة: كالقصعة [(١)].

هراق- بفتح الهاء.

الدلي- بكسر الدال المهملة و سكون التحتية.

الجحر- بضم الجيم و سكون الحاء المهملة.

[(١)] القبعة: القدح الضخم الغليظ الجافي، انظر اللسان (قعب).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٥

خوله: بالخاء المعجمة.

حكيم- وزن أمير.

مظعون- بالطاء المعجمة المشالة-.

حلى- بضم الحاء المهملة و كسر اللام.

الفارعة- بالفاء و كسر الزاء.

عقيل- بوزن أمير.

زعمت- بزاي فعين مهملة فميم فتاء: تحدثت بما لا يوثق به.

أؤذن الناس: أعلمهم بالرحيل.

قافلون: راجعون إلى المدينة.

اغدوا على القتال، سيروا أول النهار لأجل القتال.

سرح الظهر: أرسله.

آثيون: راجعون.

الأحزاب: أهل الخندق الذين تحزبوا على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قريش وغيرهم، أو أحزاب الكفر. جمع به فرسه: أسرع به نحو عدوه.

شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الطائف وما يذكر معه

/ قوله - دحنا - بفتح الدال و سكون الحاء المهملتين و بالنون، و بالقصر و المد: أرض بين الطائف و الجعرانة.

الجعرانة - بكسر الجيم و سكون العين المهملة و قد تكسر و تشدد الراء.

سراقة - بضم السين المهملة.

جعشم - بضم الجيم و سكون العين المهملة و ضم الشين المعجمة.

المقنب - بكسر الميم و سكون القاف و فتح النون و بالموحدة، جماعة الخيل و الفرسان، و قيل: هي دون المائة.

إليك إليك - اسم فعل أمر: معناه تنح و ابعده.

الغرز - بفتح الغين المعجمة و سكون الراء و الزاي، ركاب الإبل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٦

الجمارة - بضم الجيم: قلب النخلة.

الضالة من الإبل: الضائعة.

تغشى: تأتي.

كبد حرى: بتشديد الراء: تأنيث حران، و هما للمبالغة من الحر، يريد أنها لشدة حرها قد عطشت و يبست من العطش، و المعنى أن فى

سقى كل ذى كبد حرى أجرا.

أبو رهم - بضم الراء و سكون الهاء «الغفارى» بكسر الغين المعجمة.

الفرق - بفتحيتين: الخوف.

رؤحت - بفتح الراء و الواو المشددة و الحاء المهملة.

الركاب: الإبل.

أترقب: أنتظر.

السبى: ما غنم من النساء و الأولاد.

الذرارى: الأولاد.

أستأنى بهم: انتظر مجيئهم.

زهير - بضم الزاي و فتح الهاء و سكون التحيئة.

صرد - بضم الصاد المهملة و فتح الراء و بالدال المهملة، و هو مصروف و ليس معدولا.

أبو برقان - بفتح الموحدة و سكون الراء و بالقاف و النون، و هو عمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الرضاعة.

إنا أصل و عشيرة - بعين مهملة مفتوحة فشين مكسورة فتحيئة فراء: بنو الأب الأدنون أو القبيلة، و الجمع: عشائر.

الحظائر - بالطاء المعجمة المشالة: جمع حظيرة و هو الزرب الذى يصنع للإبل و الغنم ليكنها، و كان السبى فى حظائر مثلها.

عماتك و خالاتك: أى من الرضاع.

حواضنك: يعنى اللاتى أرضعن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و حضنه من بنى سعد هوازن.

ملحنا- بفتح الميم و اللام و سكون الحاء المهملة: أَرْضَعْنَا، و الملح: الرضاع.

الحارث بن أبي شمر: ملك الشام من العرب.

النعمان بن المنذر: ملك العراق من العرب.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٧

عائديهما: فضلهما و نيلهما و شفقتهما.

الأوجاقى [(١)].

الهبلى [(٢)]: ابن يزيد بالزاي و الدال المهملة وزن أمير.

أمينه- بوزن عظيمة.

عفيفة بعين مهملة و فاءين وزن عظيمة.

الصيدلانى [(٣)] بفتح الصاد المهملة و سكون التحتية و بالدال المهملة و بالنون.

القبابى- بكسر القاف و تخفيف الموحدة و بعد الألف موحدة أخرى.

مؤنسه روح- بفتح الراء.

الفارقانى: بالفاء و سكون الراء و فاء أخرى.

معمر- بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة.

الفاخر- بالفاء و الخاء المعجمة.

الجوزدانية- بجيم مضمومة فواو ساكنة فزاي فدال مهملة فألف فنون.

ريذة- بكسر الراء و سكون التحتية و فتح الدال المعجمة فتاء تأنيث.

الضبي- بفتح الضاد و بالموحدة المشددة.

رماحس- بضم الراء و تخفيف الميم و بعد الألف حاء فسين مهملتين. قال فى النور:

الذى يظهر أنه غير منصرف للعلمية و العجمة و ليس فيما يظهر من أسماء العربية.

القيسى. بالقاف المفتوحة و التحتية الساكنة.

رمادة الرمله- بفتح الراء: قرية بقربها.

[(١)] ١٢٧- (محمد) بن محمد بن أحمد بن عز الدين المحب أبو عبد الله القاهرى الشافعى والد الرضى محمد و عبد الرحيم و

أحمد المذكورين، و يعرف بابن الاوجاقى. ولد سنة سبعين و سبعمائة أو التى قبلها بالدرب المعروف بوالده فى خط باب اليانسية

خارج باب زويلة من القاهرة و نشأ بها فأخذ الفقه عن البلقيني و الملقن و غيرهما. الضوء اللامع ٩ / ٥٤٩ / ٥٠.

[(٢)] الحسن بن أحمد بن هلال بن سعد بن فضل الله الصرخدى ثم الصالحى المعروف بابن هبل الطحان ولد سنة ثلاث و ثمانين و

ستمائة و سمع من الفخر بن البخارى و من التقى الواسطى و أجازا له و سمع بنفسه من التقى سليمان و أخيه و فاطمة بنت سليمان و

الدمشقى و عثمان الحمصى و عيسى المغارى و غيرهم و حدث بالكثير و رحل إليه الناس و توفى فى صفر، الشذرات ٦ / ٢٤١، ٢٤٢.

[(٣)] الصييدلانى [بفتح الصاد المهملة، و سكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين، و فتح الدال المهملة، و بعدها اللام ألف، و النون ..

هذه النسبة لمن يبيع الأدوية و العقاقير.] و اشتهر بهذه النسبة جماعة كثيرة، منهم: الأنساب ٣ / ٥٧٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٨

زيد بن طارق [بالزاي المكسورة و الياء التحتية و الألف الممدودة] و الدال المهملة.

أبو جرول- بفتح الجيم و سكون الراء و فتح الواو و لام.

زهير- بالزاي و التصغير.

الجشمى- بضم الجيم و فتح الشين المعجمة.

امنن- بهمزة مضمومة فميم ساكنة فنون مضمومة و أخرى ساكنة، أى أحسن إلينا من غير طلب ثواب و لا جزاء.

المرء- بفتح الميم و بالراء و الهمز: الرّجل، و أل هنا لاستغراق أفراد الجنس، أى أنت المرء الجامع للصفات المحمودّة المتفرقة فى الرجال.

البيضة هنا: الأهل و العشيرة.

الغير- بكسر الغين المعجمة: تغيير الحال و انتقالها عن الصلاح إلى الفساد.

هتّافا- بفتح الهاء و بالفوقية و بالفاء: أى ذا هتف، أى صوت.

الغمّاء- بفتح الغين المعجمة و تشديد الميم.

الحزن: سمي بذلك لأنه يغطى السرور.

الغمر- بغير معجمة مفتوحة و تكسر، فميم فراء: الحقد.

يختبر بالبناء للمفعول.

ترضعها- بضم الفوقية.

إذ: حرف تعليل.

فوك: فمك.

المحض- بفتح الميم و سكون الحاء المهملة و بالضاد المعجمة الساقطة، اللبب الخالص.

الدرر- بكسر الدال المهملة و فتح الرّاء الأولى: جمع درة، و هى كثرة اللبب و سيلانه.

يزينك- بتحتية مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية فنون.

تذر: تترك.

و لا تجعلنا- بفوقية مفتوحة فجين ساكنة فعين فلام مفتوحة فنون مشددة فألف.

شالت نعامة: أى هلكت و النعامة باطن القدم، و شالت: ارتفعت، و من هلك ارتفعت رجلاه و سكن رأسه فظهرت نعامة قدمه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤١٩

استبق: بسين مهملة فمثناء فتحتية موحدة فقفاف.

زهر بضم الزاي و الهاء.

نعماء- بنون مفتوحة فعين ساكنة فميم فألف ممدودة: النعمة.

كفرت- بضم الكاف و كسر الفاء و فتح الراء.

مدّخر- بميم مضمومة فدال مشددة فحاء معجمة مفتوحتين، أصله مذتخر، فلما أرادوا الإدغام ليخف النطق قلبوا التاء إلى ما يقاربها من

الحروف، و هى الدال المهملة لأنهما فى مخرج واحد فصارت متخر مدخر، و الأكثر أن تقلب الدال المعجمة دالا مهملة ثم تدغم فيها

فتصير دالا مشددة.

فألبس- بفتح الهمزة و كسر الموحدة.

مشتهر- بميم مضمومة فشين معجمة ساكنة فمثناء فوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء:

ظاهر.

مرحت- بفتح الميم و الراء و الحاء المهملة: نشطت و خفت.

الکمت- بضم الكاف و سکون الميم و مثناء فوقيه جمع كميته، و هو من الخيل.

يستوى فيه المذكر و المؤنث من الكمته و هي حمرة خالطتها قنوة، قال الخليل: إنما صغر لأنه بين السواد و الحمرة كأنه لم يخلص له واحدة منهما فأرادوه بالتصغير لأنه منها قريب.

الجياد تقدم تفسيره.

الهياج- بكسر الهاء و تخفيف التحيه و بالجيم: القتال.

استوقد بالبناء للمفعول.

الشرر: تقدم تفسيره.

نؤمل: نرجو.

تلبسه- بضم الفوقيه و سکون اللام و كسر الموحده.

راهبه- بالموحده خائفه.

يهدى- بالبناء للمفعول.

الظفر: الفوز.

المسور- بكسر الميم و سکون السين المهملة و فتح الواو.

مخرمه- بفتح الميم و سکون الخاء المعجمه و فتح الراء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٠

البضع- فى العدد بكسر الموحده، و بعض العرب يفتحها: من الثلاثه إلى التسعه، يقال بضع رجال و بضع نسوة و من ثلاثه عشر إلى تسعه عشر بضعه مع المذكر و بضع مع المؤنث.

قفل- بفتح القاف و الفاء: رجع.

الأحساب: جمع حسب بفتحيتين: الشرف. قال الأزهري: له و لآبائه من الحساب. و هو عد المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عد كل واحد مناقبه و مناقب آبائه.

العرفاء- جمع عريف و هو مدبر أمر القوم و القائم بأمر ساستهم.

يفىء الله علينا- بضم التحيه و كسر الفاء، و همز آخره.

سليم- بضم أوله و فتح اللام.

وهتمونى: ضعفتمونى.

فسبيل ذلك- بفتح اللام على أنه مفعول بفعل مقدر و بضمها على أنه خبر مبتدأ محذوف.

الفرائض- جمع فريضة، و هو البعير المأخوذ فى الزكاه، سمي فريضة لأنه فرض، على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة.

المعقد- بضم الميم و فتح العين و تشديد القاف، و هو ضرب من برود هجر.

شرح غريب ذكر دعائه - صلى الله عليه و سلم - على من أبى أن يرد شيئاً من السبى أن يخيس سهمه

قال فى الصحاح: خاست الجيفه أى أروحت، و منه قيل خاس البيع و الطعام كأنه كسد حتى فسد.

السهم هنا: النصيب.

قبطيه- بضم القاف: ثياب بيض رقاق من كتان و قطن.

هل لك في كذا [هل تريد كذا].

بناهد- بنون فألف فهاء فدال: يقال نهدي الثدى: كعب.

بواجد- من الوجد و هو الحزن: أى لا يحزن زوجها عليها لأنها عجوز كبيرة.

الدر: اللبن.

المالد: القربء هنا.

السمل- بفتح السين المهملة و الميم و باللام: الخلق- بفتح الخاء و كسر اللام.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢١

الفرص- بضم الفاء و فتح الراء و بالصاد المهملة جمع فرصة، و هى اسم من تفرص القوم الماء القليل لكل منهم نوبء و أطلق على

النهزة- بضم النون و سكون الهاء و بالزاي.

شرح غريب - ذكر قسمه - صلى الله عليه و سلم - أموال هوازن

اتترعت رداءه: اقتلعتة.

تهامة- بكسر الفوقية: ما انخفض من الأرض.

النعم- بفتح النون و العين: المال الراعى، و أكثر ما يقع على الإبل.

ألفيتمونى: وجدتمونى.

السنام: أعلى ظهر البعير.

الوبرء: واحد الوبر.

الخياط و المخيط: الإبرة.

السّنار- بفتح الشين المعجمة و بالنون: أقبح العار.

الكبة من الشّعر و نحوه- بضم الكاف و تشديد الموحدة.

عبادة- بضم العين المهملة و تخفيف الموحدة.

الأنملة- بتثليث الهمزة مع تثليث الميم: العقد من الأصابع أو رؤوسها.

علقت به الأعراب: لزموه و جبدوا أثوابه.

اضطروه إلى شجرة: ألجئوه إليها و أحوجوه.

السّمرء- بفتح السين و ضمّ الميم من شجر الطلح.

العضاء- ككتاب: شجر الشوك كالطلح و العوسج، و الهاء أصلية، الواحدة عضء بالهاء و التاء، و الأصل عضهء كعنبهء.

برد نجرانى- منسوب إلى نجران- بفتح النون و سكون الجيم و بالنون: إقليم معروف.

جذبه- بفتح الجيم و بالذال المعجمة: شده إلى نفسه: أى سحبه إليه.

شرح غريب ذكر إعطائه - صلى الله عليه و سلم - المؤلفه قلوبهم و قول العباس بن مرداس

كانت: أى الإبل و الماشية.

النهاب بكسر النون و بالهاء و بعد الألف موحدة جمع نهب- و هو ما ينهب و يغنم.

تلافيتها: تركتها.

الكر- بفتح الكاف و تشديد الراء: عود الفارس للقتال.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٢
 المهر- بضم الميم و سكون الهاء: ولد الخيل.
 الأجرع- بفتح أوله و سكون الجيم و فتح الراء و بالعين المهملة: المكان السهل.
 الإيقاظ: مصدر أيقظه من نومه إذا تبّهه.
 القوم- بالفتح مفعول.
 هجع هنا: نام.
 العبيد- بلفظ تصغير عبد- اسم فرسه.
 ذو تدرأ- بضم الفوقية و سكون الدال المهملة و بالراء و بالهمز، أى ذو دفع من قولك درأه إذا دفعه.
 الأفائل- جمع أفأل- بفتح أوله و سكون الفاء و بالهمز و هى الصغار من الإبل.
 عديد قوائمها الأربع- بعين فداين مهملات بينهما تحتية كالعدد اسمان للعدّ. و هو الإحصاء.
 و ما كان حصن: والد عينه.
 و لا حابس: والد الأقرع.
 يفوقان- بتحتية ففاء فواو ففاف، يعلوان شرفا.
 شيخى: يعنى أباه مرداس، و من قال شيخى تثنية شيخ فيعنى أباه وجدّه، و يروى يفوقان مرداس.
 بين مكة و المدينة كذا فى الصحيح. و الصواب بين مكة و الطائف، و به جزم النووى.
 ألا تنجز لى ما وعدتنى من غنيمه حنين، و كان ذلك وعدا خاصا به.
 أبشر- بقطع الهمزة أى بقرب القسمة، أو بالثواب الجزيل على الصبر.
 فأقبلا بفتح الموحدة.
 مَجّ فيه: بميم مفتوحة فجيم مشددة: رمى.
 و أفرغا بقطع الهمزة و كسر الراء: صبّا.
 أفضلا- بقطع الهمزة و كسر الضاد المعجمة.
 لأمكما: تعنى نفسها.
 طائفه: بقيه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٣

شرح غريب ذكر بيان الحكمة فى عطائه - صلى الله عليه و سلم - أقواما

جعيل - بالتصغير.
 سراقه - بضم السين.
 طلاع الأرض - بكسر الطاء: ما ملأها حتى يطلع عنها و يسيل.
 الرّهط - بفتح الراء و سكون الهاء و فتحها. ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، أو منها إلى الأربعين.
 مالك عن فلان: [ما صرفك عنه].
 تغلب - بفتح الفوقية و سكون الغين المعجمة و كسر الموحدة لا ينصرف.

الهلع: أشد الجزع.
الجزع كالتعب: ضد الصبر.
حمر التعم [خيارها].

شرح غريب ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

سائر الناس - هنا باقيهم، ويكون بمعنى جميعهم كما ذكره الجوهري وابن الجواليقي وابن بزّي، وغلط من غلط الجوهري، و استشهد له قال ابن ولّاد: سائر توافق بقيّة: نحو أخذت من المال و تركت سائره لأن المتروك بمنزلة البقيّة و تفارقها من حيث أن السائر - لما كثر و البقيّة لما قل: لهذا نقول: أخذت من الكتاب بقيته و تركت سائره، و لا نقول تركت بقيته.
وجدوا - بفتح الواو و الجيم: حزنوا. و في رواية وجد بضم الواو و الجيم جمع واجد، و وجد عليه في نفسه: غضب.
القاله: الكلام الرديء.

يغفر الله لرسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالوه توطئة و تمهيدا لما يرد بعده من العتاب لقوله تعالى:
عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ [التوبة ٤٣] الطلقاء بضم الطاء المهملة و فتح اللام و بالقاف و المد: جمع طليق، فعيل بمعنى مفعول - منقول و هم من منّ عليهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم فتح مكة و لم يأسرهم و لم يقتلهم.
و سيوفنا تقطر من دمائهم: جملة في محلّ النصب على الحال مقررة لجهة الإشكال، و هو من باب عرضت الناقه على الحوض.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٤
إذا كانت شديدة - بالرفع و النصب.

استعتبناه: طلبنا منه العتبى - بضم العين و سكون التاء و فتح الباء: طلب الرضى.
فحدّث - بضم الحاء و كسر الدال مبني للمفعول، أى أخبر بمقاتلهم.
أين أنت من ذلك.

الحظيرة - بالحاء المهملة و الطاء المعجمة المشالة، يشبه الزرب للماشية و الإبل.
في قبة من آدم - بفتح الهمزة المقصورة و الدال المهملة: جلد بلا دبغ.
فجاء رجل من المهاجرين.

ضلّالا بضم الضاد المعجمة و تشديد اللام الأولى: أى بالشرك.
عالة - بعين مهملة فلام مخففة: فقراء لا مال لكم.
الله و رسوله آمنّ: من المنّة و هى النعمة.
المخذول: الذى ترك قومه نصره.

حديثو عهد بجاهلية و مصيبة من نحو قتل أقاربهم و فتح بلادهم.

أجبرهم - بفتح الهمزة و سكون الجيم و ضم الموحدة: من الجبر عند الكسر. و فى رواية أجيزهم - بضم الهمزة و كسر الجيم بعدها تحتية ساكنة فزاي: من الجائرة.

اللّعاعة - بضم اللام و بعينين مهملتين، بقله خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا و نعيمها فى قلّه بقائها.
القسم - بكسر القاف: الحظّ و النّصيب.

الرحل هنا: منزل الرّجل و مسكنه و بيته الذى فيه أثاثه، ذكّرهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما غفلوا عنه من عظم ما اختصّوا به منه بالنسبة إلى ما اختصّ به غيرهم من عرض الدنيا الفانية.

الشَّاءُ و البعير اسما جنس يقع كلٌّ منهما على الذكر و الأنثى.

يحوزونه- بالحاء المهملة.

الشَّعْب- بكسر الشين المعجمة و سكون العين: الطريق في الجبل.

الوادي: المكان المنخفض، و قيل: الذى فيه ماء، و المراد بلدهم.

لو سلك الأنصار واديا أو شعبا لسلك وادى الأنصار أو شعبيهم، أشار- صَلَّى اللهُ عليه و سلم- بذلك إلى ترجيحهم بحسن الجوار و الوفاء بالعهد لا و جوب متابعتهم إياهم إذ هو- صَلَّى اللهُ عليه و سلم- المتبوع المطاع لا التابع المطيع، فما أكثر تواضعه- صَلَّى اللهُ عليه و سلم-.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٥

الشَّعَار- بكسر الشين المعجمة: الثوب الذى يلى الجسد. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ ٤٢٥ شرح غريب ذكر عتب

جماعة من الأنصار على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ص : ٤٢٣

دثار- بكسر الدال المهملة و بالثاء المثناة المفتوحة: ما يجعل فوق الشَّعَار، أى أن الأنصار بطانته و خاصته و أنهم أحقَّ به و أقرب إليه من غيرهم، و هو تشبيهه بليغ.

أخضلوا لحاهم- بفتح أوله و سكون الخاء و فتح الضاد المعجمتين: بلَّوها بالدموع.

أثره- بفتح الهمزة و الشاء المثناة، و بضم الهمزة و سكون المثناة و بفتحتين، و يجوز كسر أوله مع إسكان ثانيه، أى يستأثر عليكم بمالككم فيه اشتراك فى الاستحقاق.

فاصبروا حتَّى تلقونى على الحوض يوم القيامة فيحصل لكم الانتصاف ممَّن ظلمكم على الثواب الجزيل على الصبر.

شرح غريب شعر حسان - رضى الله عنه

السَّح- بفتح السين و تشديد الحاء المهملتين: الصَّب، يقال: سَحَّ المطر إذا صَبَّ.

حفلته- بفتح الحاء المهملة و الفاء و اللام و سكون الفوقية: أى جمعته، و منه المحفل و هو مجتمع الناس.

العبرة- بفتح العين المهملة و سكون الموحدة: الدمع.

درر- بادل مهملة و راءين: سائلة.

الوجد: الحزن.

شَاء- بشين معجمة مفتوحة فميم مشددة [فألف] فهمز: اسم امرأة.

البهكنة- بفتح الموحدة و سكون الهاء و فتح الكاف و بالنون: المرأة ذات الشباب غضه، و قال فى الإملاء كثيرة اللحم.

هيفاء: ضامرة الخاصرة، و من روى قوله لا- ذن بالبدال المهملة فمعناه: تطامن الصَّيد و غوره، و من رواه بالمعجمة فمعناه: القدر

بالقاف المفتوحة و الذال المعجمة المكسورة، و منه الذنين و هو ما يسيل من الأنف، و من رواه لا أذن فمعناه: [الذى يسيل منخراه

جميعا].

الخور- بفتح الخاء المعجمة و الواو و بالراء: الضعف.

دع: أترك.

النزر: القليل.

علام- حذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها.

نازحة بالنون و الزاى و الحاء المهملة: بعيدة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٦

الحرب العوان: هى التى قوتل فيها مرّة بعد مرّة.

تستعر: تلتهب و تشتعل.

اعترفوا: صبروا.

النائبات: ما ينوب الإنسان و ما ينزل به من المهمات و الحوادث.

و ما خاموا- بالخاء المعجمة ما جنبوا و ما ضجروا، أى ما أصابهم حرج و لا ضيق.

الناس ألب- بهمزة مفتوحة فلام ساكنة فموحدة، أى مجتمعون على التدبير للعدو من حيث لا نعلم.

القنا- بالقاف و النون: الرماح.

الوزر- بفتح الواو و الزاى: الملجأ.

نجالد الناس: نقاتلهم.

توحى- بمثناة فوقية مضمومة فواو ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فتحتية من الوحى.

لا تهر- بفوقية مفتوحة فحاء مكسورة فراء: لا تكره.

جناة الحرب- بجيم مضمومة فنون فالف فتاء تأنيث: جمع جان.

التأدى- بالنون: المجلس.

تلظى- بفوقية فلام فطاء معجمة مفتوحات فتحتية. تلتهب و تضطرم، و هو من لظى من أسماء النار لا ينصرف للعلمية و التأنيث.

نسعر: نوقد الحرب و نشعلها.

النعف- بفتح النون و سكون العين و بالفاء: أسفل الجبل.

حرّبت- بفتح الحاء المهملة و تشديد الزاى: أجمعت و أعان بعضها بعضا.

ما و نينا- بواو مفتوحة فنون فتحتية ساكنة فنون ما فترنا.

و ما خمنا: تقدم.

شرح غريب ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق و ما يذكر معه

قوله: الشقاق- بكسر الشين: الخلاف و المعاندة.

الصّرف- بكسر الصاد، و هو هنا صبح يصبح به الأديم.

معّتب- بضم الميم و فتح العين المهملة و كسر الفوقية المشددة و بالموحدة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٧

قشير- بقاف و شين معجمة و بالتصغير.

ذو الخويصرة- بالخاء المعجمة تصغير خاصة.

أجل: كنعم و زنا و معنى.

شقيت- بشين معجمة مفتوحة فقاء مكسورة فتحتية فتاء، روى ضمّها و فتحها.

معاذ الله: أى أعوذ بالله معاذا، يقال: معاذ الله و معاذة الله و عوذ الله و عياذة الله بمعنى واحد، أى أستجير بالله.

شيعه الرّجل- بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية فعين مهملة: أتباعه.

يتعمقون: يتبعون أقصاه، و عمق الشّىء بعد قعره، و هو بعين مهملة.

الرّمِيَّةُ - براء مفتوحة فميم مكسورة فتحتية مشددة فتاء تأنيث: الصيد: الذي ترميه فتصيده و ينفذ فيه سهمك، و قيل: هي كل دابة مرمية.

النّصل - حديدة السهم.

القدح - بكسر القاف: السهم، قبل أن يراش و يركب نصله.

الفوق - بضم الفاء يذكر و يؤنث: طرف السهم الذي يباشر الوتر.

الرّصاف - بكسر الراء و بالصاد المهملة و الفاء عقب بفتحتين - يلوى على مدخل النصل في السهم.

النّضى - بفتح النون و كسر الضاد المعجمة الساقطة: نصل السهم، و قيل: هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحا. قال أبو موسى

المديني و ابن الأثير: و هو أولى، لأنه قد جاء في الحديث ذكر النّصل بعد النّضى، و قيل: هو من السهم ما بين الريش و النّصل قالوا

سمى نضيا لكثرة البرى و النحت، فكأنه جعل نضوا أى هزيلا.

القدذ - بفتح القاف و فتح الذال المعجمة و آخره [ذال] أخرى: ريش السهم واحدتها قدذة.

الفرث: ما يوجد في كرش ذى الكرش.

الحناجر - جمع حنجرة: الحلقوم.

يمرقون من الذين يجوزونه و يخرقونه و يتعدونه كما يخرق السهم الشىء المرمى به و يخرج منه.

آيتهم: علامتهم.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٨

العضد بتثليث العين كرجل - و يسكن و كبد و حمل، و بضميتين و يسكن: ما بين المرفق إلى الكتف.

الثدى - بمثلثة مفتوحة فдал مهملة ساكنة.

البضعة - بفتح الموحدة: القطعة.

تدردر - بفتح الفوقية و الدال المهملة، و سكون الراء و بالذال المهملة آخره [راء] تترجرج. مضارع مرفوع حذف منه التاء.

يخرجون على حين - بالحاء و النون.

فرقة - بضم الفاء: أى افتراق من المسلمين، و روى على خير بالمعجمة و الراء، فرقة بالكسر: و هو على و أصحابه.

شرح غريب ذكر قدوم مالك بن عوف - رضى الله عنه -

الموفور: الكثير.

دحا - بضم الدال و تفتح و سكون الحاء المهملتين، بالقصر و المد: أرض بين الطائف و الجعرانة.

ركضه: استحثه الجرى.

العطاء الجزيل: العطاء الكثير.

إذا اجتدى - بضم أوله و سكون الجيم و ضم الفوقية و كسر الدال المهملة: أى طلبت منه العطية.

الكتيبة - بالفوقية: الطائفة المجتمعه من الجيش.

عردت - بعين مهملة فراء فдал مهملة مفتوحات فتاء: اعوجت.

أنيابها - جمع ناب: السنّ خلف الرباعية، مؤنث.

السمهري - بفتح السين المهملة و سكون الميم و فتح الهاء و بالراء: الرماح المنسوبة إلى سمهر: قرية بالهند.

المهّند: السيف المطبوع من حديد الهند.

الليث: الأسد.

الأشبال: جمع شبل و هو: ولد الأسد.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٢٩

الهباءة: الغيرة، و يروى المباءة، بفتح الميم و الموحدة و الهمز: منزل القوم فى كل موضع.

الخادر: الداخل فى خدره، و الخدر هنا غابة الأسد.

المرصد: الموضع الذى يرصد منه و يترقب.

فهم - بفتح الفاء و سكون الهاء.

سلمة - بكسر اللام.

ثمالة - بضم التاء المثناة.

قد ضوى: [أى انضم].

اعتقد لواء: عقده.

السرْح: [المال يسام فى المرعى من الأنعام].

شرح غريب ذكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى المدينة

قوله مجنة - بفتح الميم و الجيم و النون المشددة.

مر - بفتح الميم و تشديد الراء مضاف إلى الظهران تشبیه ظهر الحيوان: موضع على مرحلة من مكة.

سرف - بفتح السين المهملة و كسر الراء و بالفاء: موضع.

شرح غريب شعر بجير

بجير - بموحدة مضمومة فجيم مفتوحة فتحية ساكنة فراء.

زهير بالتصغير ابن أبى سلمى - بضم السين المهملة و سكون اللام و فتح الميم.

العلالة: بضم العين المهملة «من العلل»، و هو الشرب بعد الشرب، و أراد به هنا معنى التكرار. و قال فى الإملاء و فى الروضة: العلالة

جرى بعد جرى، أى قتال بعد قتال، يريد أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم، و حذف التنوين من علالة ضرورة و أضمر

فى كانت اسمها و هو ضمير القصة.

يوم - بالخفض فى عده نسخ صحيحة من السيرة، و جاز على هذا فى علالة النصب خبر كان، و يكون اسمها عائدا على شىء تقدم

ذكره، و يجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى اليوم على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد، و يجوز أن تجعل اسما على المصدر

مثل بزة و فجار، و نصب يوما على الظرف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٠

أوطاس: اسم موضع يأتى ذكره فى السرايا.

الأبرق: موضع، و أصله الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة و الرمل.

الإغواء - بالغين المعجمة: من الغى الذى هو خلاف الرشد.

حسرانا: يعنى الذين أعيوا منا من الحسير و قد يجوز أن يكون الحسرى هنا الذين لا درع لهم.

الرجراجة - بفتح الراء و سكون الجيم الأولى: الكتبية التى يموج بعضها فى بعض.

المنايا- جمع متيّة: و هي الموت.
 الفيلىق - بفتح الفاء و سكون التحتىّة و فتح اللام و بالقاف: الجيش الكثير الشديد.
 ملمومة: مجتمعة.
 خضراء: يعنى من لون السلاح.
 حزن - بفتح الحاء المهملة و الضاد المعجمة و بالنون: اسم جبل.
 الضراء - بكسر الضاد المعجمة الساقطة و بالراء: الأسود الضارية.
 الهراس - بفتح الهاء و الراء و السين المهملة: نبات به شوك.
 فدر - بضم أوله و الدال المهملة و تسكن و بالراء، فمن رواه بالقاف عنى خيلا تجعل أرجلها فى موضع أيديها إذا مشت، و من رواه بالفاء عنى الوعول، واحدها فادر.
 القيادة - بقاف مكسورة فتحتية فألف فдал مهملة.
 السابعة بالعين المعجمة: الدرع الكاملة.
 استحصنت: احتمت بالحصن.
 التهى - بكسر النون و سكون الهاء: الغدير من الماء.
 المترقق: المتحرك.
 جدل - بضم الجيم و الدال المهملة و باللام: جمع جدلاء: و هى: الدرع الجيدة النسج.
 فضولهن: ما انجرّ منهن.
 محرّق: لقب عمرو بن هند ملك الحيرة.

شرح غريب شعر كعب بن مالك - رضى الله عنه -

تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣١
 الريب: الشك.
 أجمنا: بالجمع: أرحنا.
 الحاضن: المرأة التى تحضن ولدها.
 ساحة الدار: وسطها، و يقال فناؤها.
 العروش بالشين المعجمة: و هى هنا سقف بيوت مكة.
 وجّ - بفتح الواو و تشديد الجيم: اسم موضع.
 الخلوف - بضم الخاء المعجمة و اللام و بالفاء: الغائبون، و فى غير هذا الموضع بمعنى الحاضرين، و هو من الأضداد.
 السرعان - بفتح السين و الراء و بالعين المهملات: المتقدمون.
 الكثيف - بالثاء المثناة: الملتف، و من رواه كشيفا بالشين المعجمة. فمعناه [مكشوف، أو منكشف، و الكشف: رفعك الشىء عما يواريه و يغطيه].
 الرّجيف - براء مفتوحة فجمع مكسورة فتحتية ففاء: الصوت الشديد مع زلزال مأخوذ من الرجفة، و من رواه: و جيفا بالواو و الباقي كما تقدم: عنى سريعا يسمع صوت سرعته.

قواضب- بالقاف و الضاد المعجمة و الموحدة: السيوف القاطعة.

المرهفات: جمع مرهف و هو السيف المرقق الحواشى القاطع.

المصطلون: المبشرون لها.

العقائق- جمع عقيقة: و هى شعاع البرق هنا.

القيون- بالقاف: جمع قين، و هو الحداد.

الكتيف- بالفوقية- جمع كتيفة: و هى صفائح الحديد تضرب للأبواب و غيرها.

تخال- بالخاء المعجمة: تظن.

الجدية- بفتح الجيم و كسر الدال و تشديد التحتية: الطريقة من الدم.

الجدى- بالجيم و الدال المهملة المكسورة: الزعفران.

مدوفا- بالدال المهملة و تعجم: مختلطا.

أجدهم- بفتح الهمزة و فتح و كسر الجيم و تشديد الدال المهملة، أى:

العريف هنا- بمعنى عارف.

التّجب: جمع نجيب، و هو العتيق الكريم من الخيل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ٤٣٢

الطّروف- بضم الطاء المهملة: جمع طرف. و هو الكريم من الخيل أيضا.

الزّوع: الفزع.

الزّحف: دنو الناس بعضهم من بعض.

العزوف- بالعين المهملة و الزاى و بالفاء: الصابر.

التّرق- بفتح النون و كسر الزاى: الخفيف الطائش.

الزّيف- بكسر الراء و بالفاء: الموضع الخصب الذى على الماء.

الرّعش: المتقلب غير الثابت.

الإذعان- بكسر أوله و بالذال المعجمة: الانقياد.

المضيف- بضم الميم و كسر الضاد المعجمة و بالفاء و هو هنا: المشفق الخائف، يقال أضاف من الأمر إذا أشفق منه و خاف.

التّالد- بالفوقية و كسر اللام و بالدال المهملة: المال القديم.

الطريف- بفتح الطاء المهملة و بالفاء: المال المحدث.

باء: رجع.

ألّبوا- بتشديد اللام، و بالموحدة جمعوا.

الصميم- مفعول ألّبوا: و هو خلاصة الشىء.

الجذم- بجيم مفتوحة و ذال معجمة ساكنة: الأصل.

الجدع- بالجيم و الذال المعجمتين: القطع، و أكثر ما يستعمل فى الأنوف، و يقال فى المسامع صلمتا، فلما جمعهما، أعمل فيهما فعلا

واحدا.

لين: مخفف لئين بتشديد التحتية.

عنيف- بفتح العين و كسر النون و سكون التحتية و بالفاء: ليس برقيق.

الشَّنُوف بضم الشين المعجمة و النون جمع شنف: و هو القرط الذى يكون فى الأذن.
الخسوف: الدَّل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٣

الباب الثلاثون فى غزوة تبوك

إشارة

و يقال إنها غزوة العسرة و الفاضحة: اختلف فى سببها، فقيل إن جماعة من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الروم جمعوا جموعا كثيرة بالشام، و أن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، و أجلبت معهم لحم و جذام و عاملة و غسان و غيرهم من متصيرة العرب، و جاءت مقدمتهم إلى البلقاء و لم يكن لذلك حقيقة، و لما بلغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ذلك ندب الناس إلى الخروج - نقله محمد بن عمر و محمد بن سعد.

و روى الطبرانى بسند ضعيف عن عمران بن حصين - رضى الله عنهما قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذى قد خرج يدعى النبوة هلك و أصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلا من عظمائهم و جهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأمر بالجهاد [(١)].

و قيل: إن اليهود قالوا لرسول الله - صلى الله عليه و سلم - يا أبا القاسم إن كنت صادقا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء، فغزا تبوك لا يريد إلما الشام. فلما بلغ، تبوك أنزل الله تعالى الآيات من سورة بنى إسرائيل: و إن كادوا لَيَسِفُنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَ إِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء ٧٦] رواه ابن أبى حاتم، و أبو سعد، التيسابورى، و البيهقى بإسناد حسن.

و قيل: إن الله سبحانه و تعالى لما منع المشركين من قربات المسجد الحرام فى الحج و غيره قالت قريش: لتقطعن عنا المتاجر و الأسواق و ليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله تعالى - عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا و إن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون [التوبة ٢٨، ٢٩] و قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و يجنّدوا فيكم غلظة و اعلموا أن الله مع المتقين [التوبة ١٢٣] و عزم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، و أولى الناس بالدعوة إلى الحق لقبهم إلى الإسلام رواه ابن مردويه عن ابن عباس و ابن أبى شيبه و ابن المنذر عن مجاهد، و ابن جرير عن سعيد بن جبير.

[(١)] انظر المجمع ١٩٤ / ٦ و قال فيه العباس بن الفضل الأنصارى و هو ضعيف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٤

ذكر عزمه - صلى الله عليه و سلم - على قتال الروم و بيان ذلك للناس

لما عزم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على قتال الروم عام تبوك، و كان ذلك فى زمان عسرة من الناس و شدة من الحر و جذب من البلاد، و حين طابت الثمار، و الناس، يحبون المقام فى ثمارهم و ظلالهم و يكرهون الشخصوس على تلك الحال من الزمان الذى هم عليه، و بين - صلى الله عليه و سلم - للناس مقصده، و كان - صلى الله عليه و سلم - قل أن يخرج فى غزوة إلا كتى عنها و

ورى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعث الشدة و شدة الزمان و كثرة العدو الذى يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهتبه، فأمر الناس بالجهاز، و دعا من حوله من أحياء العرب للخروج معه، فأوعب معه بشر كثير، و بعث إلى مكة، و تخلف آخرون، فعاتب الله - تعالى - من تخلف منهم لغير عذر من المنافقين و المقصرين، و وبخهم و بين أمرهم، فقال سبحانه و تعالى: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أنفقتم إلى الأرض أرضاً يتيم بالحياء الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً و يشد تبدل قوماً غيركم و لا تضروهم شيئاً و الله على كل شئ قدير [التوبة ٣٨، ٣٩] ثم قال تعالى انفروا خفافاً و ثقلاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. لو كان عرضاً قريباً و سافراً قاصداً لتبؤوك و لكن بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو اشتطعنا لخرجننا معكم يهلكون أنفسهمهم و الله يعلم إنهم لكاذبون [التوبة ٤١، ٤٢] إلى آخر الآيات.

و روى ابن شيبه، و البخارى، و ابن سعد عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قلما يريد غزوة يغزوها إلا و رى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى قيظ شديد، و استقبال سفراً بعيداً، و غزى و عدداً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، و أخبرهم بوجهه الذى يريده [١].

ذكر حته - صلى الله عليه و سلم - على النفقة و الحملان فى سبيل الله تبارك و تعالى

فى حديث عمران بن حصين - رضى الله عنهما - عند الطبرانى أن النبى - صلى الله عليه و سلم - كان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو فيقول: «اللهم أن تهلك هذه العصابة لن تعبد فى الأرض. فلم يكن للناس قوة [٢].»

[١] أخرجه البخارى (٢٩٤٨).

[٢] أخرجه مسلم ٣/ ١٣٨٣، ١٣٨٤ و احمد ١/ ٣٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٥

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - حرض رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على الصدقات فجاءوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - جاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» [١] فقال: أبقيت لهم الله و رسوله. و جاء عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بنصف ماله، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» قال: نعم مثل ما جئت به،

و حمل العباس، و طلحة بن عبيد الله، و سعد بن عباد - رضى الله عنهم - و حمل عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - مائتى أوقية إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و تصدق عاصم بن عدى - رضى الله عنه - بسبعين وسقا من تمر، و جهز عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ثلث ذلك الجيش حتى أنه كان يقال: ما بقت لهم حاجة حتى كفاهم شئ أسقيتهم.

قلت: كان ذلك الجيش زيادة على ثلاثين ألفاً، فيكون - رضى الله عنه - جهز عشرة آلاف.

و ذكر أبو عمرو فى الدرر، و تبعه فى الإشارة: أن عثمان حمل على تسعمائة بعير و مائة فرس بجهازها، و قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - أنفق عثمان فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها.

و نقل ابن هشام عمّن يثق به: أن عثمان - رضى الله عنه - أنفق فى جيش العسرة ألف دينار قلت غير الإبل و الزاد و ما يتعلق بذلك. قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض». و روى الإمام أحمد، و الترمذى و حشيه، و البيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة - رضى الله عنه - قال: جاء عثمان إلى رسول - صلى الله عليه و سلم - بألف دينار فى كتمه حين جهز

رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - جيش العسرة، فصَبَّها في حجر النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - فجعل النبي - صَلَّى الله عليه و سلم - يلقبها بيده و يقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» [(٢)] يرددُها مرارا.

و روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، و الترمذى، و البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب - بالمعجمة و موحدتين - رضى الله عنه - قال: خطب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فحثَّ على جيش العسرة، فقال عثمان - رضى الله عنه - على مائة بعير بأحلاسها و أقتابها، ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحثَّ فقال عثمان - رضى الله عنه -: على مائة أخرى بأحلاسها و أقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحثَّ فقال عثمان - رضى الله عنه -: على مائة أخرى

[(١)] الواقدي في المغازى ٣ / ٩٩١.

[(٢)] أخرجه الترمذى (٣٧٠١) و الحاكم ٣ / ١٠٢ و ابن أبي عاصم ٢ / ٥٨٧ (٥٩٢) و البيهقى في الدلائل ٥ / ٢١٥، و انظر البدايه و النهايه ٥ / ٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٦

بأحلاسها و أقتابها. فرأيت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يقول بيده - هكذا - يحركها كالمتعجب «ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم» أو قال: - بعدها - [(١)].

و روى الطيالسى، و الإمام أحمد، و النسائى عن الأحنف بن قيس - رحمه الله تعالى - قال: سمعت عثمان - رضى الله عنه - يقول لسعد بن أبى وقاص و على و الزبير و طلحة:

أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قال: «من جهَّز جيش العسرة غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما و لا عقالا؟ قالوا: اللهم نعم [(٢)].

و يأتى في ترجمة عثمان - رضى الله عنه - أحاديث كثيرة في ذلك.

قال محمد بن عمر - رحمه الله: و حمل رجال، و قوى ناس دون هؤلاء من هم أضعف منهم، حتى إن الرجل ليأتى بالبعير إلى الرجل و الرجلين فيقول: هذا البعير بيننا نعتقبه، و يأتى الرجل بالنفقة فيعطيه بعض من يخرج حتى أن كان النساء يبعثن بما يقدرن عليه، و حمل كعب بن عجرة وائله بن الأسقع، و روى أبو داود، و محمد بن عمر عن وائله بن الأسقع، - رضى الله عنه - قال: نادى منادى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلى - و قد خرج أول أصحابه - فطفت فى المدينة أنادى: ألا من يحمل رجلا و له سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار - سماه محمد بن عمر: كعب بن عجرة - فقال: سهمه على أن تحمله عقبه و طعامه معنا؟ فقلت: نعم، فقال: سر على بركة الله تعالى، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا.

قال محمد بن عمر: بعثه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مع خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة. قال:

فأصابنى قلائص - قال محمد بن عمر: ستة - فسقتهن حتى أتيته بهن، فخرج فقعد على حقيبته من حقائب إبله ثم قال: سقهن مقبلات. فسقتهن، ثم قال: سقهن مدبرات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراما، فقلت: إنما هى غنيمتك التى شرطت لك، قال: خذ قلائصك يا ابن أخى، فغير سهمك أردنا.

ذكر بعض ما دار بين رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و بين بعض المنافقين و تبيطهم الناس عن الخروج معه

روى ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و أبو نعيم فى المعرفة عن ابن عباس و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه عن جابر بن عبد الله -

رضى الله عنهم - و ابن عقبة، و محمد بن إسحاق،

[(١)] أخرجه الترمذى (٣٧٠٠) و أحمد ٧٥ / ٤ و ابن سعد ٥٥ / ٧، و أبو نعيم فى الحلية ٩٩ / ١، و الدولابى فى الكنى ١٧ / ٢، و البخارى فى التاريخ ٥ / ٢٤٧.

[(٢)] أخرجه البيهقى ١٦٧ / ٦ أو الدارقطنى ٢٠٠ / ٤ و النسائى فى الاحباس باب (٤) و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢١٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٧

و محمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - عن شيوخهم [(١)] زاد ابن عقبة: أن الجد بن قيس أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو فى المسجد معه نفر، فقال: يا رسول الله ائذن لى فى القعود، فإنى ذو ضبعة و علة فيها عذر لى، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «تجهز فإنك موسر»، ثم اتفقوا فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «تجهز تجهز فإنك موسر، لعلك تحقب من بنات بنى الأصفر؟» قال الجد: أو تأذن لى و لا تفتنى، فو الله لقد عرف قومى ما أحد أشد عجباً بالنساء منى، و إنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قال: «قد أذنا لك»

زاد محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - فجاءه ابنه عبد الله بن الجد - و كان بدرياً - و هو أخو معاذ بن جبل لأمه، فقال لأبيه: لم ترد على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مقالته فو الله ما فى بنى سلمة أحد أكثر مالا منك، فلا تخرج و لا تحمل؟! فقال: يا بنى ما لى و للخروج فى الريح و الحر الشديد و العسرة إلى بنى الأصفر، فو الله ما آمن - خوفاً - من بنى الأصفر و أنا فى منزلى، أفأذهب إليهم أغزوهم؟! إنى و الله يا بنى عالم بالدوائر، فأغلظ له ابنه و قال: لا و الله و لكته النفاق، و الله لينزلن على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فىك قرآن يقرأ به، فرفع نعله فضرب به وجه ولده، فانصرف ابنه و لم يكلمه، و أنزل الله تعالى: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْ لى وَ لَا تَفْتِنى أَلَا فى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [التوبة ٤٩] أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر، و ليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و الرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: و إن جهنم لمن ورائه.

و جعل الجد و غيره من المنافقين يثبطون المسلمين عن الخروج، قال الجد لجبار بن صخر و من معه من بنى سلمة: لا تنفروا فى الحر، زهادة فى الجهاد، و شكاً فى الحق، و إرجافاً برسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأنزل الله سبحانه و تعالى فىهم و قالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلاً و ليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون [التوبة ٨١، ٨٢].

و روى ابن هشام - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن حارث - رضى الله تعالى عنه - قال: بلغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن ناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فى غزوة تبوك، فبعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - فى نفر من أصحابه، و أمره أن يحرق عليهم بيت سويلم اليهودى ففعل طلحة، و اقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله و اقتحم أصحابه فأفلتوا.

[(١)] أخرجه البيهقى فى السنن ٣٣ / ٩ و فى الدلائل ٥ / ٢٢٥ و انظر الدر المنثور ٣ / ٢٤٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٣٨

و جاء أهل مسجد الضرار إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله قد بنينا مسجداً لذى العلمة و الحاجة و الليلة المطيرة، و نحب أن تأتينا فتصلى فيه، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «إننا فى شغل السفر، و إذا انصرفت سيكون».

ذكر خبر المخلفين و المعذرين و البكائين

قال ابن عقبة- رحمه الله تعالى:- و تخلف المنافقون، و حدّثوا أنفسهم أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- لا يرجع إليهم أبداً، فاعتذروا. و تخلف رجال من المسلمين بأمر كان لهم فيه عذر، منهم السقيم و المعسر.

قال محمد بن عمر: و جاء ناس من المنافقين إلى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- ليستأذنه في القعود من غير علة، فأذن لهم- و كانوا بضعة و ثمانين رجلاً.

و روى ابن مردويه عن جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما- استدار برسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- رجال من المنافقين حين أذن للجعد بن قيس يستأذنون يقولون: يا رسول الله ائذن لنا فأنا لا نستطيع أن نغزو في الحرّ، فأذن لهم، و أعرض عنهم [(١)].
و جاء المعدّرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله، قال ابن إسحاق: و هم نفر من بنى غفار، قال محمد بن عمر، كانوا اثنين و ثمانين رجلاً، منهم، خفاف ابن أيماء.

و روى ابن جرير، و ابن مردويه عن ابن عباس- رضى الله عنه- و ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي و ابن إسحاق، و ابن المنذر، و أبو الشيخ عن الزهري، و يزيد بن رومان، و عبد الله بن أبي بكر، و عاصم بن محمد بن عمر بن قتادة و غيرهم: أن عصابة من أصحاب رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- جاءوه يستحملونه، و كلهم معسر ذو حاجة لا يحب التخلف عن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلّم- «لا- أجد ما أحملكم عليه تولّوا و أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون»،

و هم سبعة، و اختلفوا في أسمائهم، فالذى اتفقوا عليه سالم بن عمير من بنى عمرو بن عوف الأوسى و عبله- بضم العين المهملة و سكون اللام و بالموحدة- بن زيد- و أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب. و هرمي- و يقال بإسقاط التحتية- ابن عبد الله- و هو بها- و الذى اتفق عليه القرظي، و ابن إسحاق، و تبعهم ابن سعد، و ابن حزم، و أبو عمرو، و السهيلي و لم يذكر الأخير، و الواقدي. عرباض- بكسر العين المهملة و سكون الراء و بالضاد المعجمة بن سارية بالمهملة و بالتحية، و جزم بذلك ابن حزم، و أبو عمرو، و رواه أبو نعيم عن ابن عباس، و الذى اتفق عليه القرظي و ابن عقبة و ابن إسحاق. عبد الله بن مغفل- بميم

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/ ٣١٨، و الدر المنثور ٣/ ٢٦٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٣٩

مضمومة فعين معجمة ففاء مشددة مفتوحتين- المزني، و فى حديث ابن عباس: عبد الله بن مغفل فيهم، و روى ابن سعد و يعقوب بن سفيان و ابن أبي حاتم عن ابن مغفل قال: إنى لأجد الرهط الذين ذكر الله تعالى: و لا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ [التوبة ٩٢] الآية.

و الذين اتفق عليهم القرظي و ابن عمر: سلمة بن صخر، و لفظ القرظي سلمان، و الذى اتفق عليه القرظي و ابن عقبة: عمرو بن عنمة بفتح العين المهملة و النون- ابن عدى- و عبد الله بن عمرو المزني- حكاه ابن إسحاق قولاً بدلاً عن ابن مغفل، و انفرد القرظي بذكر عبد الرحمن بن زيد أبى عبله من بنى حارثة، و بذكر هرمي بن عمرو من بنى مازن.

قال محمد بن عمر: و يقال إن عمرو بن عوف منهم.

قال ابن سعد: و فى بعض الروايات من يقول فيهم: معقل- بالعين المهملة و القاف ابن يسار، و ذكر فيهم الحاكم حرمى بن مبارك بن النجار كذا فى المورد و لم أر له ذكراً فى كتب الصحابة التى وقفت عليها.

و ذكر ابن عائذ فيهم: مهدى بن عبد الرحمن، كذا فى العيون، و لم أر له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة، و ذكر فيهم محمد بن كعب: سالم بن عمرو الواقفى، قال ابن سعد: و بعضهم يقول: البكاءون بنو مقرن السبعة، و هم من مزينة انتهى، و هم: النعمان، و سويد، و معقل، و عقيل، و سنان و عبد الرحمن و السابع لم يسم، قيل اسمه عبد الله، و قيل النعمان، و قيل ضرار، و قيل [...] و حكى

ابن فتحون- قولاً- أن بنى مقرن عشرة فيتعين ذكر السبعة منهم.

و ذكر ابن إسحاق فى رواية يونس و ابن عمر: أن عبلة بن زيد لما فقد ما يحمله و لم يجد عند رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ما يحمله خرج من الليل فصلّى من ليلته ما شاء الله تعالى، ثم بكى و قال: اللهم إنك أمرتنا بالجهاد و رغبت فيه، و انى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «أين المتصدق هذه الليلة» فلم يبق أحد، ثم قال: «أين المتصدق فليقم» فقام إليه فأخبره، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «أبشر، فو الذى نفسى بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة».

قال ابن إسحاق و محمد بن عمر: لما خرج البكاءون من عند رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و قد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه لقى يامين بن عمرو النضرى أبا ليلى و عبد الله بن مغفل و هما بيكيان، فقال: ما بيكيكما؟، قال: جئنا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، و ليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، و نحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فأعطاهما ناضحاً له، و زود كل واحد منهما صاعين من تمر، زاد محمد بن عمر:

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٠

و حمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين، و حمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذى جهّز من الجيش.

ذكر حديث أبى موسى فى حلف رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أنه لا يحملهم ثم حملهم

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى- رضى الله عنه- قال: أتيت رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى نفر من الأشعرين ليحملنا، و فى رواية: أرسلنى أصحابى إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أسأله لهم الحملان، فقلت: يا رسول الله إن أصحابى أرسلونى لتحملهم، فقال: «و الله لا أحملكم على شىء، و ما عندى ما أحملكم عليه» و وافقته و هو غضبان و لا أشعر، فرجعت حزينا من منع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و من مخافة أن يكون رسول الله- صلى الله عليه و سلم- وجد فى نفسه، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم بالذى قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ثم جىء رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بنهب إبل فلم ألبث إلّا سويعة إذ سمعت بلالا- ينادى: أين عبد الله بن قيس؟ فأجبته، فقال: أجب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يدعوك، فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «خذ هذين القرينين و هذين القرينين و هذين القرينين» لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد، و فى رواية: فأمر لنا بخمس ذود غزّ الدرى، فقال «انطلق بهن إلى أصحابك فقل إن الله- أو قال: إن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يحملكم على هؤلاء فاركبوا» قال أبو موسى فانطلقت إلى أصحابى فقلت: إن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يحملكم على هؤلاء، و لكن و الله لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حين سألته لكم و منعه فى أول مرّة، ثم إعطائه إياى بعد ذلك، لا تظنوا إنى حدثكم شيئاً لم يقله، فقالوا لى و الله إنك عندنا لمصدق و لنفعلن ما أحببت فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من منعه إياهم ثم إعطائه بعد ذلك فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى، قال أبو موسى، ثم قلنا: تغفلنا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يمينه، و الله لا يبارك لنا، فرجعنا فقلنا له، فقال «ما أنا حملتكم و لكن الله حملكم» قال: «إنى و الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت التى هى خير و تحلتها» فقال: «كفرت عن يمينى»

[١].

ذكر مجيء المعذرين من الأعراب إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ليأذن لهم فلم يعذرهم

قال محمد بن عمر، و ابن سعد: و هما اثنان و ثمانون رجلاً من بنى غفار، و أنزل الله

[(١)] أخرجه البخارى ١١ / ٦٠١ (٦٧١٨)، و مسلم ٣ / ١٢٦٩ (١٦٤٩).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤١

- تبارك و تعالى - فى ذلك كله و إذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله و جاهدوا مع رسوله استأذنتك أولوا الطول منهم و قالوا ذرنا نكن مع الفاعدين. رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. لكن الرسول و الذين آمنوا معه جاهدوا بأمورهم و أنفسهم و أولئك لهم الخيرات و أولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم. و جاء المعدرون من الأعراب ليؤذن لهم و قعد الذين كذبوا الله و رسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم. ليس على الضعفاء و لا على المرضى و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله و رسوله ما على المحسين من سبيل و الله غفور رحيم. و لا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا و أعينهم فيض من الدمع حزناً ألاً يجدوا ما ينفقون. إنما السبيل على الذين يستأذنونك و هم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون [التوبة: ٨٦: ٩٣].

ذكر من تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو صحيح الإيمان غير شاك

قال ابن إسحاق و محمد بن عمر رحمه الله تعالى: و كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى تخلفوا عنه من غير شك و لا ارتياب منهم: كعب بن مالك، و هلال بن أمية، و أبو خيثمة، و أبو ذر الغفارى. و كانوا نفر صدق لا يهتمون فى إسلامهم - انتهى - و سيأتى أن أبا خيثمة، و أبا ذر لحقا برسول الله - صلى الله عليه و سلم - و ستأتى قصة الثلاثة.

ذكر من استخلفه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على أهله، و من استخلفه على المدينة

قال ابن إسحاق: و خلف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على بن أبى طالب - رضى الله عنه - على أهله، و أمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون و قالوا: ما خلفه إلا استثقالا له، و تخففا منه، فلما قالوا ذلك أخذ على سلاحه و خرج حتى لحق برسول الله - صلى الله عليه و سلم - و هو نازل بالجرف، فأخبره بما قالوا، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «كذبوا، و لكنى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فإخلفنى فى أهلى و أهلكت، أ فلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبى بعدى» فرجع على إلى المدينة -

و هذا الحديث رواه الشيخان [(١)]، و له طرق تأتى فى ترجمة سيدنا على - رضى الله عنه.

[(١)] أخرجه البخارى ٧ / ٧١ (٣٧٠٦) و مسلم ٤ / ١٨٧٠ (٣٠ / ٢٤٠٤).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٢

و استخلف رسول الله - صلى الله عليه و سلم - على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى - رضى الله عنه - قال: و ذكر الدراوردي: أنه استخلف عام تبوك سبع بن عرفة، زاد محمد بن عمر - بعد حكاية ما تقدم - و يقال ابن أم مكتوم، و قال: و الثابت عندنا محمد بن مسلمة، و لم يتخلف عنه فى غزوة غيرها، و قيل: على بن أبى طالب، قال أبو عمرو و تبعه ابن دحية: و هو الأثبت، قلت:

و رواه عبد الرزاق فى المصنف بسند صحيح عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - و لفظه:

أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة على بن أبى طالب، و ذكر الحديث.

و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كل بطن من الأنصار و القبائل من العرب أن يتخذوا لواء و رايه، و أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جيشه من الاستكثار من النعال،

و قال «إن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعلاً»

[(١)] و أمر أبا بكر - رضي الله عنه - أن يصلي بمن تقدمه - صلى الله عليه و سلم - .

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أين عسكر؟ و خروج عبد الله بن أبي معه مكرًا و مكيدة، و رجوعه أخزاه الله تعالى

قالوا: خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في رجب سنة تسع فعمسك - صلى الله عليه و سلم - في ثنية الوداع و معه زيادة على ثلاثين ألفاً، قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد، و رواه محمد بن عمر و نقله ابن الأيمن عن زيد بن ثابت، و روى الحاكم في الإكليل عن معاذ بن جبل قال:

خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً، و نقل الحاكم في الإكليل عن أبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين ألفاً، و جمع بين الكلامين بأن من قال: ثلاثين ألفاً لم يعدّ التابع. و من قال سبعين ألفاً عدّ التابع و المتبوع. و كانت الخيل عشرة آلاف فرس، و قيل بزيادة ألفين.

و روى عبد الرزاق و ابن سعد عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى تبوك يوم الخميس، و كانت آخر غزوة غزاها، و كان يستحب أن يخرج يوم الخميس، و عسكر عبد الله بن أبيّ معه على حدة، عسكره أسفل منه نحو ذباب، قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و كان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين. قال ابن حزم: و هذا باطل، لم يتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط، فأقام ابن أبيّ ما أقام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فلما سار رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نحو تبوك تخلف ابن أبيّ راجعاً إلى المدينة فيمن تخلف من المنافقين، و قال: يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحال و الحرّ

[(١)] أخرجه مسلم في كتاب اللباس (٦٦).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٣

و البلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعاب، و الله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال، إرجافاً برسول الله - صلى الله عليه و سلم - و بأصحابه.

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: خرج المسلمون في غزوة تبوك الرجال و الثلاثة على بعير واحد. رواه البيهقي، و خرج مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ناس من المنافقين لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة.

و لما رحل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من ثنية الوداع عقد الألوية و الرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - و رايته العظمى إلى الزبير بن العوام، و دفع راية الأوس إلى أسيد بن الحضير، و راية الخزرج إلى أبي دجانة، و يقال إلى الجباب بن المنذر، و أمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواء، و رأى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - برأس الثنية عبداً متسلحاً، فقال العبد:

أقاتل معك يا رسول الله فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «ارجع إلى سيدك لا تقتل معي فتدخل النار»،

و نادى منادى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لا يخرج معنا إلا مقوف فخرج رجل على بكر صعب فصرعه بالسويداء، فقال الناس: الشهيد الشهيد فبعث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - منادياً: لا يدخل الجنة عاص.

و كان دليله - صلى الله عليه و سلم - إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي - رضي الله عنه - .

ذكر تخلف أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - لما عجز بعيره، و ما وقع في ذلك من الآيات

و روى ابن إسحاق عن ابن مسعود- رضى الله عنه- قال: لما سار رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى تبوك جعل بتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه» حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذرّ و أبطأ به بعيره، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه»

[(١)] و تلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ماشياً، قال محمد بن عمر: قالوا: و كان أبو ذرّ الغفارى يقول: أبطأت على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى غزوة تبوك من أجل بعيرى.

و كان نضوا أعجف، فقلت أعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله- صلى الله عليه و سلم- فعلفته أياماً، ثم

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٢١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمققى، ج ٥، ص: ٤٤٤

خرجت فلما كنت بذى المروة أذمّ بى فتلومت عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعى فحملته. قال ابن مسعود: و أدرك رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فى بعض منازلهم،

قال محمد بن عمر: قال أبو ذرّ: فطلعت على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- نصف النهار و قد أخذ منى العطش، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«كن أبا ذرّ» فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو و الله أبو ذرّ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «رحم الله أبا ذرّ، يمشى وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده»

فكان كذلك كما سيأتى فى المعجزات فى أبواب إخباره- صلى الله عليه و سلم- بأحوال رجال،

فلما قدم أبو ذرّ على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أخبره خبره، فقال «قد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتنى» [(١)] و وضع متاعه عن ظهره، ثم استقى فأتى بإناء من ماء فشربه.

قصة أبي خيثمة- رضى الله عنه-

روى الطبرانى عن أبى خيثمة- رضى الله عنه- و ابن إسحاق، و محمد بن عمر عن شيوخهما قالوا: لما سار رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أياماً دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه، و قد رشت كل منهما عريشها و برّدت له فيه ماء، و هيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته و ما صنعتا له فقال:

سبحان الله! رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فى الصّحّ و الريح و الحر يحمل سلاحه على عنقه و أبو خيثمة فى ظل بارد و طعام مهياً، و امرأة حسنة، فى ماله مقيم؟! ما هذا بالنّصف! ثم قال: و الله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله- صلى الله عليه و سلم- فهيناً لى زادا، ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فارتحلته، ثم خرج فى طلب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حتى أدركه حين نزل تبوك، و قد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك

قال أبو خيثمة لعمير بن وهب:

إنّ لى ذنبا فلا عليك أن تخلف عنى حتى أتى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و سلم- قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «كن أبا خيثمة» فقال رجل: هو و الله يا

رسول الله أبو خيثمة، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أولى لك يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الخبير، فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: خيرا، ودعا له بخير، قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك: لَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافِقُوا تَيْتِ التِّي كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمَا

[(١)] أخرجه مسلم في التوبة باب ٩ (٥٣) والطبراني في الكبير ٦ / ٣٨، ١٩ / ٤٣، ٨٥ و البيهقي في الدلائل ٥ / ٢٢٣، ٢٢٦، وانظر البداية لابن كثير ٨ / ٥ و الطبري ١١ / ٤٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٥ و بايعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثما و لم أغش محرما تركت خضيبا فى العريش و صرمة صفيا كراما بسرهما قد تحمما و كنت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

ذكر إخباره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بما قاله جماعة من المنافقين الذين خرجوا معه

قال محمد بن إسحاق، و محمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - كان رهط من المنافقين يسرون مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمه منهم: وديعه بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف. و الجلاس بن سويد بن الصامت.

و مخش بن النون - قال أبو عمرو و ابن هشام مخشى بالتحية - ابن حمير من أشجع، حليف لبنى سلمه، زاد محمد بن عمر: و ثعلبة بن حاطب.

فقال بعضهم لبعض، عند محمد بن عمر: فقال ثعلبة بن حاطب: أ تحسبون جلاد بنى الأصفر كجلاد العرب بعضهم بعضا، لكأنى بكم غدا مقرنين فى الجبال، إرجافا برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و إرهابا للمؤمنين.

و قال الجلاس بن عمرو، و كان زوج أم عمير، و كان ابنها عمير يتيما فى حجره: و الله لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير، فقال عمير: فأنت شر من الحمير، و رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صادق و أنت الكاذب، فقال مخش بن حمير: و الله لو ددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلده، و إنا ننفلت أن ينزل فىنا قرآن لمقاتلكم هذه!!

فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد اخترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل بلى قلتكم كذا و كذا»

[(١)] فانطلق عمر إليهم فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعتذرون إليه، فقال وديعه بن ثابت و رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على ناقته و قد أخذ وديعه بن ثابت بحقبتها و رجلاه تسفيان الحجاره و هو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض و نلعب، فأنزل الله تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَّ، لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة ٦٥، ٦٦] و حلف الجلاس ما قال من ذلك شيئا، فأنزل الله سبحانه و تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمُومَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة ٧٤].

[(١)] انظر المغازى للواقدي ٣ / ١٠٠٣، و الدر المنثور للسيوطي ٣ / ٢٥٤.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٦

و قال مخش بن النون: يا رسول الله، قعد بى اسمى و اسم أبى، فسماه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبد الرحمن أو عبد الله، و كان الذى

عفى عنه في هذه الآية، و سأل الله تعالى أن يقتل شهيدا و لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، و لم يعرف له أثر.

ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بذي المروة، و ما وقع في ذلك من الآيات

روى الطبراني عن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما مرّ بالخليجة في سفره إلى تبوك قال له أصحابه: المبرك يا رسول الله الظل و الماء - و كان فيها دوم و ماء، فقال «إنها أرض زرع نفر»، دعوها فإنها مأمورة - يعنى ناقته - فأقبلت حتى بركت تحت الدومة التي كانت في مسجد ذى المروة [(١)].

ذكر مروره - صلى الله عليه و سلم - بوادى القرى

قال أبو حميد الساعدي - رضى الله عنه - خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عام تبوك حتى جئنا وادى القرى، فإذا امرأة في حديقته لها، فقال رسول - صلى الله عليه و سلم - لأصحابه «أخرصوا» فخرص القوم و خرص رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عشرة أوسق، و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - للمرأة «احفظي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله تعالى» و لما أقبل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من غزوة تبوك إلى وادى القرى قال للمرأة «كم جاءت حديقتك؟» قالت: عشرة أوسق خرص رسول الله - صلى الله عليه و سلم - [(٢)] رواه ابن أبي شيبة، و الإمام أحمد، و مسلم.

قال محمد بن عمر: و لما نزل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - وادى القرى أهدى له بنو عريض اليهودى هريسة فأكلها و أطعمهم أربعين وسقا، فهي جارية عليهم إلى يوم القيامة قال محمد بن عمر: فهي جارية عليهم إلى الساعة.

ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بالحجر، و ما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام مالك، و أحمد، و الشيخان عن عبد الله بن عمر، و الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله، الإمام أحمد بسند حسن عن أبي كبشة الأنماري، و ابن إسحاق عن رواية ابن يونس عن الزهري، و الإمام أحمد عن أبي حميد الساعدي رضى الله عنهم: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما مرّ بالحجر تقنع بردائه و هو على الرحل، فانتزع راحلته حتى خلف آيات ثمود، و لما نزل هناك سارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، و استقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا و نصبوا القدور باللحم، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فنودى في الناس: الصلاة جامعة، فلما اجتمعوا قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن

[(١)] ذكره الهيثمي في المجمع ١٩٦ / ٦، و قال فيه راو لم يسم.

[(٢)] أخرجه ابن أبي شيبة ١٤ / ٥٤٠، و مسلم ٤ / ١٧٨٥ (١١)، و أحمد ٥ / ٤٢٤ و البيهقي ٤ / ٢٢ و في الدلائل ٤ / ٢٣٩.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٧

تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، و لا تشربوا من مائها و لا تتوضئوا منه للصلاة، و اعلفوا العجين الإبل» ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين التي كانت تشرب منها الناقة، و قال: «لا تسألوا الآيات. فقد سألتها قوم صالح، سألتوا نبيهم أن تبعث آية، فبعث الله تبارك و تعالى لهم الناقة، فكانت ترد هذا الفج و تصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، و كانت تشرب مياههم يوما، و يشربون لبنها يوما، فعقروها فأخذتهم صيحة أهدم الله تعالى من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله تعالى، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال «أبو رغال» فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناده رجل منهم:

تعجب منهم، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم فينبئكم بما كان قبلكم و ما هو كائن بعدكم فاستقيموا و سدّدوا، فإن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئا، و سيأتى الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم بشيء، و إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقوم أحد، و من كان له بعير فليوثق عقاله، و لا يخرج أحد منكم إلا و معه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلا رجلين من بنى ساعدة، خرج أحدهما لحاجته و الآخر فى طلب بعيره، فأما الذى خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه - أى موضعه - و أما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طىء اللذين يقال لأحدهما أجا و يقال للآخر سلمى، فأخبر بذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: ألم أنهكم عن أن يخرج منكم أحد إلا و معه صاحبه ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى، و أما الآخر فإن طيئا أهدته لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين رجع إلى المدينة [(١)] .

ذكر استسقاؤه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ربه حين شكوا إليه العطش، و ما وقع فى ذلك من الآيات

روى البيهقى عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب رحمه الله تعالى - قال:

خرج المسلمون إلى تبوك فى حر شديد فأصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها و يشربوا ماءها، فكان ذلك عسرة فى الماء، و عسرة فى النفقة، و عسرة فى الظهر [(٢)] و روى الإمام أحمد و ابن خزيمة، و ابن حبان، و الحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال عمر: خرجنا إلى تبوك فى يوم قيظ شديد، فنزلنا منزلا و أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى أن كان الرجل يذهب يلتمس

[(١)] أخرجه البخارى ١٢٥ / ٨ (٤٤١٩) و مسلم ٢٢٨٦ / ٤ (٣٨)، ٣٩ / ٢٩٨٠، و أحمد ٩ / ٢، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧، و البيهقى فى الدلائل ٢٣٣ / ٥، و فى السنن ٢ / ٤٥١ و الحميدى (٦٥٣) و عبد الرزاق (١٦٢٥) و الطبرانى فى الكبير ١٢ / ٤٥٧ و انظر الدر المنثور ٤ / ١٠٤ .

[(٢)] البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٢٧ .

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٨

الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه و يجعل ما بقى على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله عزّ و جل قد عودك فى الدعاء خيرا، فادع الله تعالى لنا، قال «أ تحب ذلك؟» قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر [(١)]، و روى ابن أبى حاتم عن ابن حرزة - رحمه الله تعالى - قال: نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار فى غزوة تبوك.

و نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل، ثم نزل منزلا آخر و ليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقام فصلى ركعتين، ثم دعا فأرسل الله سبحانه و تعالى سحابة فأمرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك قد ترى ما دعا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأمر الله علينا السماء، فقال:

إنما أمطرنا بنوء كذا و كذا، فأنزل الله تعالى: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [الواقعة ٨٢] ذكر ابن إسحاق أن هذه القصة كانت بالحجر، و روى عن محمود بن لبيد عن رجال من قومه قال: كان رجل من المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و روى عن محمود بن لبيد عن رجال من قومه قال: كان رجل من المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فلما كان من أمر الحجر ما كان، و دعا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين دعا فأرسل الله تعالى السحابة

فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك، هل بعد هذا شيء؟ قال: سبحانه مرة [(٢)]

• ذكر إضلال ناقه رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وما وقع في ذلك من الآيات

قال محمد بن إسحاق، و محمد بن عمر - رحمه الله تعالى: ثم إن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجها إلى تبوك فأصبح في منزل فضلت ناقه رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال محمد بن عمر: هي القصواء - فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - عمارة بن حزم، وكان عقيبا بدريا، قتل يوم اليمامة شهيدا، وكان في رحله زيد بن اللصيت، أحد بنى قينقاع، كان يهوديا فأسلم فنافق وكان فيه خبث اليهود وغشهم، وكان مظاهرا لأهل النفاق، فقال زيد وهو في رحل عمارة بن حزم، وعمارة عند رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -:

محمد يزعم أنه نبي وهو يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته!!

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وعمارة عنده: «أن منافقا قال هذا محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته، وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله تعالى، وقد دلتنى الله عز وجل عليها، وهى فى

[(١)] أخرجه البيهقي ٣٥٧ / ٩ والدلائل ٥ / ٢٣١ وابن خزيمة (١٠١) وابن حبان ذكره الهيثمي فى الموارد (١٧٠٧) وانظر المجمع ١٦ / ١٩٥.

[(٢)] المغازى (٣ / ١٠٠٩).

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٤٩

الوادى فى شعب كذا وكذا - لشعب أشار لهم إليه حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونى بها» فذهبوا فجاءوا بها. قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - الذى جاء بها الحارث بن خزيمة الأشهلى، فرجع عمارة إلى رحله فقال: والله، العجب لشيء حدثناه رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أنفا عن مقالة قائل أخبرها الله تعالى عنه، قال كذا وكذا للذى قال زيد، فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة - قال محمد بن عمر: وهو عمرو بن حزم أخو عمارة - ولم يحضر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - زيد - والله - قائل هذه المقالة، قبل أن تطلع علينا، فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه، ويقول: يا عباد الله، إن فى رحلى لداهية وما أشعر، أخرج يا عدو الله من رحلى فلا تصحبنى. قال ابن إسحاق: زعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهما بشراً حتى هلك.

ذكر اقتدائه - صَلَّى الله عليه وسلم - بعبد الرحمن بن عوف فى صلاة الصبح

روى ابن سعد بسند صحيح عن المغيرة بن شعبه - رضى الله عنه - قال: كنا فيما بين الحجر و تبوك ذهب رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لحاجته وكان إذا ذهب أبعد، وتبعته بماء بعد الفجر وفى رواية قبل الفجر فأسفر الناس بصلاتهم، وهى صلاة الفجر حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - فصلى بهم فحملت مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أداة فيها ماء، وعليه جبة رومية من صوف، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعهما فإننى أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما، فانتبهنا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع ركعة، فسبح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - حتى كادوا يفتنون، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أن أثبت، فصلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواب الناس، وقام رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يقضى الركعة الباقية ثم سلم

بعد فراغه منها، ثم قال: «أحسنتم، أو- قد أصبتم- فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها- إنه لم يتوفَّ نبي حتى يؤمّه رجل صالح من أمته» و رواه مسلم بنحوه [(١)].

ذكر حكومته - صَلَّى الله عليه و سلم - في رجل عرض فانتزع ثيابه

عن يعلى بن أمية - رضي الله عنه - أتى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بأجير له قد نازع رجلا من العسكر فعضه ذلك الرجل فانتزع الأجير يده من فم العاص فانتزع ثيابه. فلزمه العاص فبلغ به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - وقمت مع أجيري لأنظر ما يصنع، فأتى بهما رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال

[(١)] المغازي للواقدي ٣ / ١٠١٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥٠

«أيعمد أحدكم فيعض أخاه كما يعض الفحل» فأبطل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ما أصاب من ثيابه، و قال «أفيدع يده في فيك تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها؟» [(١)] رواه البخارى و غيره.

ذكر إردافه - صَلَّى الله عليه و سلم - سهيل بن بيضاء

عن سهيل بن بيضاء - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أردفه على رحله في غزوة تبوك، قال سهيل و رفع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - صوته «يا سهيل» كل ذلك يقول سهيل: يا لبيك يا رسول الله - ثلاث مرات - حتى عرف الناس أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يريدهم فانتشى عليه من أمامه و لحقه من خلفه من الناس، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرّمه الله على النار» [(٢)] رواه الإمام أحمد و الطبرانى و محمد بن عمر.

ما ذكر أن حية عظيمة عارضت الناس في مسيرهم إن صح الخبر

ذكر محمد بن عمر، و أقره أبو نعيم في الدلائل، و ابن كثير في البداية، و شيخنا في الخصائص الكبرى قال: عارض الناس في مسيرهم حية - ذكر من عظمها و خلقها فانصاع الناس عنها، فأقبلت حتى واقفت رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو على راحلته طويلا و الناس ينظرون إليها، ثم التوت حتى اعتذلت الطريق، فقامت قائمة فأقبل الناس حتى لحقوا برسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -، فقال: «هل تدرون من هذا؟» قالوا: الله و رسوله أعلم. قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلى يستمعون القرآن، فرأى عليه من الحق - حين ألم به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن يسلم عليه، و ها هو يقرئكم السلام، فسلموا عليه فقال الناس جميعا: و عليه السلام و رحمة الله و بركاته [(٣)].

ذكر نزوله - صَلَّى الله عليه و سلم - بتبوك و ما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام مالك، و ابن إسحاق، و مسلم عن معاذ بن جبل و الإمام أحمد برجال الصحيح عن حذيفة - رضي الله عنهما - قال معاذ: إنه خرج مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عام تبوك قال: فكان يجمع بين الظهر و العصر و بين المغرب و العشاء، قال: فأخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر و العصر جميعا، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب و العشاء جميعا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى - عين تبوك، و إنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمَس من مائها شيئا حتى آتى»

و في حديث حذيفة «بلغ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أن في الماء قلته، فأمر مناديا ينادي في الناس أن لا يسبقني إلى الماء أحد»، قال فجئناها و قد سبق إليها رجلان

[(١)] أخرجه البخارى (٤٤١٧).

[(٢)] أخرجه احمد ٣١٨ / ٥، ٢٣٦، ٣١٨، و ابن حبان ذكره الهيثمى فى الموارد، و انظر المجمع ٢٥٢ / ٦.

[(٣)] المغازى للواقدى ٣ / ١٠١٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥١

و العين مثل الشراك تبض بشىء من مائها، فسألها رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «هل مسستما من مائها شيئا» قالا: نعم. فسبها و قال لهما «ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلا - قليلا حتى اجتمع فى شن، ثم غسل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فيه وجهه و يديه و مضمض ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير. و لفظ ابن إسحاق فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه: إن له حسا كحس الصواعق و ذلك الماء فواره تبوك. انتهى، فاستسقى الناس، ثم قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -:

«يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا ملئ جنانا».

و روى البيهقى و أبو نعيم عن عروة أن النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - حين نزل تبوك - و كان فى زمان قل ماؤها فيه فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها فقارت عينها حتى امتلأت. فهى كذلك حتى الساعة [(١)].

و روى الخطيب فى كتاب الرواه عن الإمام مالك عن جابر - رضى الله عنه - قال: انتهى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى تبوك و عينها تبض بماء يسير مثل الشراك فشكونا العطش، فأمرهم فجعلوا فيها ما دفعها إليهم فجاشت بالماء، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لمعاذ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا»

[(٢)].

ذكر نومه - صَلَّى الله عليه و سلم - حتى طلعت الشمس قبل وصوله إلى تبوك

روى البيهقى عن عقبه بن عامر - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فى غزوة تبوك، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح قال «ألم أقل لك يا بلال اكلا لنا الفجر» فقال يا رسول الله ذهب بى النوم، و ذهب بى مثل الذى ذهب بك، قال: فانتقل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من منزله غير بعيد، ثم صلى، و سار مسرعا بقيه يومه و ليلته فأصبح بتبوك.

ذكر نزوله - صَلَّى الله عليه و سلم - تبوك و اتخذه مسجدا

قال شيوخ محمد بن عمر: لما انتهى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى تبوك وضع حجرا قبله مسجدا تبوك و أوام بيده إلى الحجر و ما يليه ثم صلى بالناس الظهر، ثم أقبل عليهم فقال: «ما ها هنا شام، و ما ها هنا يمن».

[(١)] البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٢٦.

[(٢)] أخرجه مسلم ٤ / ١٧٨٤ - ١٧٨٥ حديث (٧٠٦ / ١٠) و أحمد ٥ / ٢٣٨ و ابن حبان ذكره الهيثمى فى الموارد (٥٤٩)، و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٣٦ و ابن خزيمة (٩٦٨) و مالك فى الموطأ ١٤٤، و انظر كنز العمال (٣٥٣٩٨).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥٢

و روى الإمام أحمد: خطب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عام تبوك و هو مسند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا- أخبركم بخير الناس و شر الناس، إن من خير الناس رجلا يحمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت. و إن من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه» [١].

و روى البيهقي عن عقبه بن عامر- رضى الله عنه- أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما أصبح بتبوك حمد الله تعالى و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، و أوثق العرى كلمة التقوى، و خير الملل مله إبراهيم، و خير السنن سنة محمد، و أشرف الحديث ذكر الله، و أحسن القصص القرآن، هذا و خير الأمور عوازمها، و شر الأمور محدثاتها و أحسن الهدى هدى الأنبياء، و أشرف الموت قتل الشهداء، و أعمى العمى الضلالة بعد الهدى، و خير الأعمال ما نفع و شر العمى عمى القلب، و اليد العليا خير من اليد السفلى، و ما قلّ و كفى خير مما كثر و ألهى، و شرّ المعذرة حين يحضر الموت، و شر الندامة يوم القيامة، و من الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا، و منهم من لا يذكر الله إلا هجرا، و من أعظم الخطايا اللسان الكذاب، و خير الغنى غنى النفس، و خير الزاد التقوى، و رأس الحكمة مخافة الله عز و جل، و خير ما وقر في القلوب اليقين، و الارتياح من الكفر، و التياحة من أعمال الجاهليّة، و الغلول من جثى جهنم، و السكركة من النار، و الشعر من إبليس، و الخمر جماع الإثم، و النساء حباله الشيطان، و الشباب شعبة من الجنون، و شرّ المكاسب كسب الرّبا، و شر المأكّل مال اليتيم، و السعيد من وعظ بغيره، و الشقى من شقى فى بطن أمه، و إنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، و الأمر إلى الآخرة، و ملاك العمل خواتمه، و شر الرؤيا رؤيا الكذب، و كل ما هو آت قريب، و سباب المؤمن فسوق، و قتال المؤمن كفر، و أكل لحمة من معصية الله عز و جل، و حرمة ماله كحرمة دمه، و من يتألّ على الله يكذّبه، و من يغفر يغفر له، و من يعف يعف الله عنه، و من يكظم الغيظ يأجره الله، و من يصبر على الرّزية يعوضه الله، و من يتبع السيئة يسمع الله به، و من يصبر يضعف الله له، و من يعص الله يعذبه الله. اللهم اغفر لى و لأمتى - قالها ثلاثا- استغفر الله لى و لكم»

[٢].

و ذكر ابن عائذ- رحمه الله تعالى- أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نزل تبوك فى زمان قلّ ماؤها

[١] أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٣٧، ٥٨، ٤١٤، و الحاكم ٢/ ٦٧ و النسائي ٦/ ١٢.

[٢] البيهقي ٥/ ٢٤١ قال الحافظ ابن كثير فى البداية ٥/ ١٣، ١٤ هذا حديث غريب، و فيه نكارة، و فى إسناده ضعيف.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٥٣

فيه، فاغترف رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت حتى امتلأت، فهى كذلك حتى الساعة.

ذكر من استعمله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الحرس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر: استعمل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد- بفتح العين المهملة و تشديد الموحدة- ابن بشر- بكسر الموحدة- رضى الله عنه- فكان عباد يطوف فى أصحابه على العسكر، فغدا على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوما فقال: يا رسول الله، ما زلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا، فولّيت أحدنا يطوف على الحرس، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «ما فعلت، و لكن عسى أن يكون بعض المسلمين انتدب» فقال سلكان- بكسر السين المهملة و سكون اللام- ابن سلامة: يا رسول الله، خرجت فى عشرة من المسلمين على خيلنا فكنا نحرس الحرس فقال رسول

اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- «رحم اللّٰه حرس الحرس في سبيل اللّٰه، و لكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعا أو دابة».

ذكر أكله - صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- من جبن أهده له أهل الكتاب بتبوك

عن ابن عمر- رضي اللّٰه عنهما- قال: أتى رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- بجبنة في تبوك فدعا بالسكين فسمّى و قطع [(١)]، رواه أبو داود.

ذكر دعائه - صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- على غلام مر بينه و بين القبلة و هو في الصلاة

روى الإمام أحمد، و أبو داود عن يزيد بن نمران- بكسر النون و سكون الميم- قال: رأيت رجلا بتبوك مقعدا، فقال: مررت بين يدي رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- و أنا على حمار، و هو يصلي- فقال «اللهم اقطع أثره» فما مشيت عليها بعدها. و روى أيضا عن سعيد بن غروان- بفتح المعجمة و سكون الزاي- عن أبيه أنه نزل بتبوك و هو حاج فإذا رجل مقعد قال: سأحدثك حديثا فلا تحدث به ما سمعت أني حي، إن رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- نزل بتبوك إلى نخلة فقال: «هذه قبلتنا»، ثم صلى إليها، فأقبلت و أنا غلام أسعى حتى مررت بينه و بينها، فقال: «قطع صلاتنا قطع اللّٰه أثره» فما قمت عليها إلى يومى هذا [(٢)].

[(١)] الطبراني في الكبير ٣٠٣ / ١١.

[(٢)] أخرجه أبو داود (٧٠١) و (٧٠٥)، و أحمد ٤ / ٦٤، و البيهقي في السنن ٢ / ٢٧٥، و الدلائل ٥ / ٢٣٤ و البداية ٥ / ١٤، و البخاري في التاريخ ٨ / ٣٦٦. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥٤.

ذكر الآية في التمر و الأقط الذى جاء بهما بلال بتبوك

روى محمد بن عمر [(١)] عن شيوخه قالوا: قال رجل من بنى سعد هذيم: جئت رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- و هو جالس بتبوك في نفر فقال «يا بلال أطمعنا». فبسط بلال نطعا ثم جعل يخرج من حميت له فأخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن و أقط، فقال رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم-:

«كلوا» فأكلنا حتى شبعنا، فقلت: يا رسول اللّٰه، إن كنت لآكل هذا وحدي، فقال رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- «الكافر يأكل في سبعة أمعاء و المؤمن يأكل في معاء واحد»، ثم جئت في الغد متحينا لغدائه لأزداد في الإسلام يقينا، فإذا عشرة نفر حوله فقال: «هات أطمعنا يا بلال» فجعل يخرج من جراب تمرا بكفه قبضة قبضة فقال: «أخرج و لا تخش من ذى العرش إقلالا» فجاء بالجراب و نشره. فقال: فحزرته مدين، فوضع رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- يده على التمر و قال: «كلوا باسم اللّٰه» فأكل القوم و أكلت معهم، و أكلت حتى ما أجد له مسلكا. قال: و بقي على النطع مثل الذى جاء به بلال كأننا لم نأكل منه ثمرة واحدة. قال: ثم غدوت من الغد و عاد نفر فكانوا عشرة أو يزيدون رجلا أو رجلين. فقال رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- «يا بلال أطمعنا» فجاء بلال بذلك الجراب بعينه، أعرفه، فشره، و وضع رسول اللّٰه- صَلَّى اللّٰه عليه و سلّم- يده عليه و قال: «كلوا باسم اللّٰه» فأكلنا حتى نهلنا ثم رجع مثل الذى صبّ ففعل ذلك ثلاثة أيام.

روى محمد بن عمر، و أبو نعيم، و ابن عساكر عن عرباض بن سارية- رضى الله عنه- قال: كنت أُلزم باب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الحضر و السفر، فرأيتنا ليلة و نحن بتبوك و ذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منزل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- و قد تعشى و من معه من أضيافه، و رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يريد أن يدخل قبه- و معه زوجته أم سلمة- فلما طلعت عليه قال: أين كنت منذ الليلة؟ فأخبرته، فطلع جعال بن سراقه و عبد الله بن مغفل المزني فكنّا ثلاثة كلنا جاع إنما نغشى باب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فدخل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- البيت فطلب شيئا نأكله فلم يجده، فخرج إلينا فنادى: «يا بلال هل من عشاء لهؤلاء نفر» فقال: و الذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا و حمتنا، قال: «انظر عسى أن تجد شيئا»، فأخذ الجرب يفضها جرابا جرابا، فتقع التمرة و التمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها، ثم وضع يده على التمرات، و سمى الله- تعالى- فقال: «كلوا باسم الله» فأكلنا، فحصيت أربعاً و خمسين ثمرة، أعدّها عدداً و نواها في يدي الأخرى، و صاحباي يصنعان مثل ما أصنع، و شبعنا، فأكل كل واحد منا خمسين ثمرة، و رفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي. فقال: «يا بلال ارفعها فإنه لا يأكل منها أحد إلّا نهل شبعاً» فلما أصبح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صلى صلاة الصبح

[(١)] المغازي للواقدي ٣/ ١٠١٧.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٥٥

ثم انصرف إلى فناء قبه فجلس و جلسنا حوله، فقرأ من «المؤمنون» عشرا فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «هل لكم في الغذاء؟» قال عرباض: فجعلت أقول في نفسى أى غداء، فدعا بلالا بالتمر، فوضع يده عليهن فى الصحفة، ثم قال: «كلوا بسم الله فأكلنا- فوالذى بعثه بالحق- حتى شبعنا و إنا لعشرة، ثم رفعوا أيديهم منها شبعاً و إذا التمرات كما هي، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «لو لا- أنى أستحى من ربي لأكلنا من هذا التمر حتى نرد المدينة عن آخرنا»، و طلع عليهم غلام من أهل البدو فأخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- التمرات فدفعها إليه فولى الغلام يلوكه

[(١)].

ذكر طوافه - صلى الله عليه وسلم - على الناس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر: كان رجل من بنى عذرة يقال له عدى يقول: جئت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بتبوك فرأيتته على ناقه حمراء يطوف على الناس، يقول «يا أيها الناس، يد الله فوق يد المعطى و يد المعطى الوسطى، و يد المعطى السفلى، أيها الناس فتغنوا و لو بحزم الحطب اللهم هل بلغت» ثلاثا فقلت: يا رسول الله إن امرأتى اقتلتنا، فرميت إحداهما فرمى فى رميتى- يريد أنها ماتت- فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «تعقلها و لا- ترثها» فجلس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فى موضع مسجده بتبوك فنظر نحو اليمين، و رفع يده يشير إلى أهل اليمن فقال «الإيمان يمان» و نظر نحو الشرق فأشار بيده إن الجفاء و غلظ القلوب فى الفدادين أهل الوبر من نحو المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه

[(٢)].

ذكر إخباره - صلى الله عليه وسلم - بموت عظيم من المنافقين لما هبت ريح شديدة

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى: و هاجت ريح شديدة بتبوك فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «هذا لموت منافق عظيم النفاق» [(٣)] فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم النفاق قد مات.

و روى محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: «قدم على رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - نفر من سعد هذيم فقالوا: يا رسول الله، إنا قدمنا إليك و تركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها، و هذا القيظ، و نحن نخاف إن تفرقنا أن نقتطع، لأن الإسلام لم يفش حولنا بعد، فادع الله تعالى لنا فى مائها، فإننا إن رويناه به فلا قوم أعز منا لا يعبر بنا أحد مخالف لديتنا. فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ابغوا لى

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠١٧.

[(٢)] المغازى ٣ / ١٠١٧.

[(٣)] أخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٣٤١.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥٦

حصيات فتناول بعضهم ثلاث حصيات فدفعهن إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ففركهن بيده ثم قال:

«أذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوها واحدة واحدة و سموا الله تعالى» [(١)] فانصرف القوم من عند رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ففعلوا ذلك، فجاشت بئرهم بالرواء، و نفوا من قاربهم من أهل الشرك و وطئوهم فما انصرف رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - إلى المدينة حتى أوطئوا من حولهم غلبة و دانوا عليه بالإسلام.

ذكر قوله - صَلَّى الله عليه و سلم - بتبوك أعطيت خمسا ما أعطيهن أحد قبلى

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بتبوك، فقام من الليل يصلى، و هو كثير التهجد من الليل و لا يقوم إلا استاك - فقام ليلة فلما فرغ أقبل على من كان عنده فقال: «أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى:

بعثت إلى الناس كافة - و كان النبى يبعث إلى قومه - و جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا، أينما أدركتنى الصلاة تيممت و صلّيت، و كان من قبلى لم يعطوا ذلك، و كانوا لا يصلّون إلا - فى الكنائس و البيع و أحلت لى الغنائم آكلها، و كان من قبلى يحرمونها، و الخامسة هى ما هى، هى ما هى، هى ما هى، «ثلاثا - قالوا: يا رسول الله، و ما هى؟ قال: «قيل لى سل فكلّ نبى قد سأل، فهى لكم و لمن شهد أن لا إله إلا الله»

[(٢)].

ذكر صلاته - صَلَّى الله عليه و سلم - على معاوية بن معاوية المزنى فى اليوم الذى مات فيه بالمدينة

روى الطبرانى - فى الكبير و الأوسط - من طريق نوح بن عمر الطبرانى فى الكبير - من طريق صدقة بن أبى سهيل عن معاوية بن أبى سفيان، و ابن سعد و البيهقى من طريق العلاء أبو محمد الثقفى، و ابن سعد و ابن أبى يعلى و البيهقى عن طريق عطاء بن أبى ميمونة كلاهما عن أنس - رضى الله عنهم - قالوا كنا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بتبوك، قال أنس: فطلعت الشمس بضياء و شعاع و نور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى فأتى جبريل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -: «يا جبريل مالى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء و شعاع و نور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى» قال: «ذلك معاوية بن معاوية المزنى مات بالمدينة اليوم، فبعث الله تعالى سبعين ألف ملك يصلون عليه، فهل لك فى الصلاة عليه؟ قال: «نعم»، فخرج رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يمشى، فقال جبريل بيده هكذا يفرج له عن الجبال و الآكام، و مع جبريل سبعون

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠٣٤.

[(٢)] المصدر السابق.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٥٧

ألف ملك، فصلّى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و صفّ الملائكة خلفه صفين، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال لجبريل «بم بلغ هذه المنزلة» قال: «بجبه قل هو الله أحد يقرؤها قائما أو قاعدا، أو راكبا أو ماشيا و على كل حال» قال الحافظ فى لسان الميزان فى ترجمه محبوب بن هلال: هذا الحديث علم من أعلام النبوة، و له طرق يقوى بعضها ببعض، و قال فى فتح البارى، فى باب الصفوف على الجنابة: إنه خير قوى بالنظر إلى مجموع طرقه، و قال فى اللسان فى ترجمه نوح بن عمر طريقة أقوى طرق الحديث - انتهى. و أورد الحديث النووى فى الأذكار فى باب «الذكر فى الطريق» فعلم من ذلك ردّ قول من يقول: إن الحديث موضوع لا أصل له [(١)].

ذكر إرساله - صلى الله عليه و سلم - دحية إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام و قدوم [رسول] هرقل على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و ما وقع فى ذلك من الآيات

لما وصل رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تبوك كان هرقل بحمص، و لم يكن يهيم بالذى بلغ رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عنه من جمعه، و لا حدثته نفسه بذلك.

و روى الحارث بن أبى أسامة عن بكر بن عبد الله المزنى - رحمه الله تعالى - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «من يذهب بهذا الكتاب إلى قيصر و له الجنة»؟ فقال رجل: و إن لم يقبل؟

قال: «و إن لم يقبل» فانطلق الرجل فأتاه بالكتاب، فقرأه فقال: اذهب إلى نبيكم فأخبره أنى متبعه، و لكن لا أريد أن أدع ملكى، و بعث معه بدنانير إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فرجع فأخبره، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «كذب» و قسم الدنانير [(٢)].

و روى الإمام أحمد. و أبو يعلى بسند حسن لا بأس به عن سعيد بن أبى راشد قال:

لقيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بحمص، و كان جاراً لى شيخا كبيرا قد بلغ المائة أو قرب، فقلت: ألا تحدثنى عن رسالته رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى هرقل؟ فقال: بلى، قدم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تبوك، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاء كتاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - دعا قسيسى الروم و بطارقتها، ثم أغلق عليه و عليهم الدار فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، و قد أرسل يدعونى إلى ثلاث خصال: أن أتبعه على دينه، أو أن أعطيه مالنا على أرضنا و الأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب. و الله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب لياخذن

[(١)] انظر البداية و النهاية ١٤ / ٤.

[(٢)] انظر الطبرانى فى الكبير ١٢ / ٤٤٢ و المجمع ٥ / ٣٠٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٥٨

أرضنا فهلم فلتبعه على دينه، أو نعطه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم و قالوا: تدعوننا أن نذر النصرانية أو نكون عبيدا لأعرابى جاء من الحجاز؟ فلما ظن أنهم إذا خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقاهم و لم يكذ و قال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلا - من عرب تجيب كان على نصارى العرب قال. ادع لى رجلا حافظا للحديث عربى اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاءنى فدفع لى هرقل كتابا، فقال: اذهب بكتابى هذا إلى هذا الرجل، فما سمعته

من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال هل يذكر صحيفته التي كتب بشيء؟ وانظر إذا قرأ كتابي هذا هل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل فيه شيء يريبك؟ قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكا فإذا هو جالس بين ظهري أصحابه محتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل ها هو ذا، قال فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: «ممن أنت؟» فقلت: أنا أخو تنوخ، فقال: «هل لك في الإسلام. الحنيفية ملء أبيك إبراهيم؟» فقلت: إني رسول قوم و على دين قوم [لا أرجع عنه] حتى أرجع إليهم. فضحك وقال إني لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين [القصص ٥٦] يا أخا تنوخ، إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه وممزق ملكه، و كتبت إلى النجاشي بصحيفة فمزقها، والله ممزقه وممزق ملكه. و كتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهما من جعبتي فكتبتها في جفن سيفي، ثم ناول الصحيفة رجلا عن يساره، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية. فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنه عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «سبحان الله أين النهار إذا جاء الليل» قال:

فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جفن سيفي، فلم فرغ من قراءة كتابي قال: «إن لك حقا، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون» قال قتادة فناداه رجل من طائفة الناس قال: أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو بحلة صفورية فوضعها في حجرى، قلت من صاحب الجائزة؟ قيل لى: عثمان، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أيكم ينزل هذا الرجل؟» فقال فتى من الأنصار: أنا، فقام الأنصارى و قمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس نادانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «تعال يا أخا تنوخ» فأقبلت أهوى حتى كنت قائما في مجلسى الذى كنت بين يديه، فحل حوته عن ظهره و قال: «ها هنا امض لما أمرت له، فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة» [١].

[١] قال الحافظ ابن كثير ١٦ / ٥ «هذا حديث غريب و إسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد».

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٥٩

قال محمد بن عمر: فانصرف الرجل إلى هرقل فذكر ذلك له. فدعا قومه إلى التصديق بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأبو حتى خافهم على ملكه، و هو فى موضعه بجمص لم يتحرك و لم يزحف، و كان الذى خير النبي - صلى الله عليه وسلم - من تعبته أصحابه و دنوه إلى وادى الشام لم يرد ذلك و لا هم به. و ذكر السهيلي رحمه الله تعالى: أن هرقل أهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - هدية - فقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هديته و فرقها على المسلمين.

ثم إن هرقل أمر مناديا ينادى: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد و اتبعه، فدخلت الأجناد فى سلاحها و طافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إني أردت أن أختبر صلابتكم فى دينكم، فقد رضيت عنكم، فرضوا عنه. ثم كتب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابا مع دحية يقول فيه: إني معكم و لكنى مغلوب على أمرى، فلما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابه قال: «كذب عدو الله، و ليس بمسلم بل هو على نصرانيته».

ذكر صلته - صلى الله عليه وسلم - على ذى الجادين رضى الله عنه

روى ابن إسحاق، و ابن مندة عن ابن مسعود- رضى الله عنه- و محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: كان عبد الله ذو البجادين من مزيته، مات أبوه و هو صغير فلم يورثه شيئا، و كان عمه ميلا فأخذه فكفله حتى كان قد أيسر، و كانت له إبل و غنم و رقيق، فلما قدم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام و لا- يقدر عليه من عمه، حتى مضت السنون و المشاهد كلها، فانصرف رسول الله- صلى الله عليه و سلم- من فتح مكة راجعا إلى المدينة، فقال عبد الله ذو البجادين لعمه: يا عم قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمدا، فائذن لي في الإسلام، فقال: و الله لئن اتبعت محمدا لا تركت بيدك شيئا كنت أعطيتكه إلا انتزعته منك حتى ثوبيك، فقال: و أنا و الله متبع محمدا و مسلم و تارك عبادة الحجر و الوثن، و هذا ما بيدي فخذ، فأخذ كل ما أعطاه حتى جرّده من إزاره، فجاء أمه فقطعت بجادا لها باثنين فائتر بواحد و ارتدى بالآخر،

ثم أقبل إلى المدينة فاضطجع في المسجد، ثم صلى مع رسول الله- صلى الله عليه و سلم- الصبح، و كان رسول الله- صلى الله عليه و سلم- يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فأنكره، فقال «من أنت؟» فانتسب له، فقال: «أنت عبد الله ذو البجادين» ثم قال: «أنزل منى قريبا» فكان يكون في أضيافه و يعلمه القرآن، حتى قرأ قرآنا كثيرا، و كان رجلا صيتا فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته في القراءة، فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن حتى قد منع الناس القراءة؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «دعه يا عمر: فإنه قد خرج مهاجرا إلى الله تعالى و إلى رسوله» فلما خرج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى تبوك قال: يا رسول الله. ادع الله تعالى لي بالشهادة، فقال: أبلغني بلحاء سمرة فأبلغه بلحاء سمرة، فربطها رسول الله- صلى الله عليه و سلم-

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٠

على عضده، و قال: «اللهم إني أحرم دمه على الكفار» فقال: يا رسول الله، ليس هذا أردت فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «إنك إذا خرجت غازيا في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد. و إذا وقصتك دابتك فأنت شهيد لا تبالى بأية كان» فلما نزلوا تبوك أقاموا بها أياما، ثم توفي عبد الله ذو البجادين، فكان بلال بن الحارث المزني يقول: حضرت رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و مع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفا بها، و إذا رسول الله- صلى الله عليه و سلم- في القبر، و إذا أبو بكر و عمر يدلّيانه إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و هو يقول: «أدنيا لى أخاكما» فلما هياه لشقه في اللحد قال: «اللهم إني قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتنى كنت صاحب اللحد [١].

و روى الطبرانى برجال و ثقوا، و أبو نعيم عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى عن أبيه عن جده- رضى الله عنه- قال: خرج رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى غزوة تبوك، و كنت على خدمته ذلك، فنظرت إلى نحي السمن قد قل ما فيه، و هيات للنبي- صلى الله عليه و سلم- طعاما فوضعت النحي في الشمس، و نمت فانتبهت بخير النحي، فقممت فأخذت رأسه بيدي. فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و رآنى: «لو تركته لسال الوادى سمنا» [٢].

ذكر مصالحته- صلى الله عليه و سلم- ملك أيلة و أهل جربا و أذرح و هو مقيم بتبوك قبل رجوعه

لما بعث رسول الله- صلى الله عليه و سلم- خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة- كما سيأتى بيان ذلك في السرايا- أشفق ملك أيلة يحته بن رؤبة أن يبعث إليه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- كما بعث إلى أكيدر، فقدم على النبي- صلى الله عليه و سلم- و قدم معه أهل جربا و أذرح و مقنا و أهدى لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- بغلة.

قال أبو حميد المساعدي- رضى الله عنه- قدم على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فأهدى إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بغلة بيضاء، و كساه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بردا و كتب له رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بجرهم. رواه ابن أبي شيبه و

روى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - قال: رأيت يحنَّ بن رؤبة يوم أتى به رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و عليه صليب من ذهب، و هو معقود الناصية فلما رأى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - كَفَّرَ و أوما برأسه فأوماً إليه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بيده أن ارفع رأسك، و صالحه يومئذ، و كساه

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠١٤.

[(٢)] أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٥٥).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦١

بردا يمينية فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار و أمر له بمنزل عند بلال انتهى.

قالوا: و قطع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - الجزية جزية معلومة ثلاثمائة دينار كل سنة، و كانوا ثلاثمائة رجل، و كتب لهم بذلك كتابا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب أمنه من الله تعالى و محمد النبى رسول الله ليحنَّ بن رؤبة و أهل أيلة لسفنههم و سائرهم السارح فى البر و البحر، لهم ذمة الله و ذمة رسوله - صَلَّى الله عليه و سلم - و لمن كان معهم من أهل الشام، و أهل اليمن، و أهل البحر، و من أحدث حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، و إنه طيب لمن أخذه من الناس، و إنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه و لا طريقا يردونه من بر أو بحر.

هذا كتاب جهيم بن الصلت و شرحيل بن حسنة ياذن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - [(١)].

و كتب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لأهل أذرح كتابا قال محمد بن عمر: نسخت كتابهم فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - لأهل أذرح و جربا، إنهم آمنون بأمان الله و أمان محمد، و أن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة، و الله كفيل عليهم بالنصح و الإحسان إلى المسلمين، و من لجأ من المسلمين من المخافة و التعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون، حتى يحدث إليهم محمد - صَلَّى الله عليه و سلم - قبل خروجه»

قالوا: و أتى أهل جربا و أذرح بجزيتهم بتبوك فأخذها.

و صالح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أهل مقنا على ربع ثمارهم و ربع غزولهم.

و روى ابن أبى شيبه، و الإمام أحمد، و مسلم عن أبى حميد الساعدي - رضى الله عنه - قال: جاء ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بكتاب و أهدى له بغلة بيضاء، فكتب له رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و أهدى له بردا [(٢)].

ذكر مشاورته - صَلَّى الله عليه و سلم - أصحابه فى مجاوزة تبوك إلى نحو دمشق

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى: شاور رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أصحابه فى التقدم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إن كنت أمرت بالمسير فسر، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم -:

«لو أمرت بالمسير لما استشرتكم فيه»

فقال: يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة، و ليس بها

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠٣٢.

[(٢)] أخرجه مسلم ٣ / ١٠١١ (٥٠٣ / ١٣٩٢).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٢

أحد من أهل الإسلام، و قد دنونا منهم، و قد أفرعهم دنوكم، فلو رجعنا هذه السنه حتى ترى أو يحدث الله لك أمرا. و روى البيهقى و غيره بسند جيد عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يوما فقالوا: يا أبا القاسم، إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر و أرض الأنبياء، فصدق ما قالوا، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آيات من سورة بنى إسرائيل بعد ما ختمت السورة و إن كادوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سِنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا [الإسراء ٧٦، ٧٧] فأمره الله تعالى بالرجوع إلى المدينة و قال: فيها محياك و مماتك و منها تبعث.

فرجع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فأمره جبريل فقال: اسأل ربك عز و جل، فإن لكل نبي مسألة - و كان جبريل له ناصحاً، و كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - له مطيعاً، قال: «فما تأمرني أن أسأل» قال: وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

[الإسراء ٨٠] [١] فهؤلاء الآيات أنزلت عليه في مرجعه من تبوك.

و في هذه الغزوة قال - صلى الله عليه و سلم -

ما رواه عكرمة عن أبيه أو عن عمه عن جده - رضى الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال في غزوة تبوك: «إذا وقع الطاعون بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا منها، و إذا كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها» [٢] رواه الإمام أحمد و الطبرانى من طرق قال في بذل الطاعون يشبه - و الله أعلم - أن يكون السبب في ذلك أن الشام كانت قديم الزمان و لم تزل معروفة بكثرة الطواعين، فلما قدم النبي - صلى الله عليه و سلم - تبوك غازيا الشام لعله بلغه أن الطاعون في الجهة التي كان يقصدها، فكان ذلك من أسباب رجوعه من غير قتال - و الله أعلم. انتهى.

قلت: قد ذكر جماعة أن طاعون شيرويه أحد ملوك الفرس، كان في أيام النبي - صلى الله عليه و سلم - و أنه كان بالمدائن.

ذكر إرادة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الانصراف من تبوك إلى المدينة، و ما وقع في ذلك من الآيات، و قدر إقامته - صلى الله عليه و سلم - بتبوك

روى مسلم عن أبي هريرة. و إسحاق بن راهويه، و أبو يعلى، و أبو نعيم، و ابن عساکر عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - و محمد بن عمر عن شيوخه قال شيوخ ابن عمر: و لما

[١] أخرجه البيهقى في الدلائل ٥ / ٢٥٤.

[٢] أحمد ١ / ١٧٥، ٣ / ٤١٦، ٥ / ٣٧٣، و الطبرانى في الكبير ١ / ٩٠ و انظر المجمع ٢ / ٣١٥ و الدولابى في الكنى ١ / ١٠٠، و الطحاوى في المعانى ٤ / ٣٠٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٣

أجمع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - السير من تبوك أرمل الناس إرمالا، فشخص على ذلك من الحال. انتهى.

قال أبو هريرة: فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا و ادهنا؟ قال شيوخ محمد بن عمر: فلقبهم عمر بن الخطاب و هم على نحرها فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها، ثم دخل على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في خيمة له ثم اتفقوا فقال يا رسول الله أ أذنت للناس في نحر حمولتهم يأكلونها؟ قال شيوخ محمد: فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: «شكوا إلي ما بلغ منهم الجوع

فأذنت لهم ينحر الزَّفَقَةَ البعير و البعيرين و يتعاقبون فيما فضل منهم فإنهم قافلون إلى أهليهم»- انتهى. فقال عمر: يا رسول الله لا تفعل، فإن يك في الناس فضل من الظَّهر يكن خيراً، فالظَّهر اليوم رفاق انتهى. و لكن يا رسول الله ادع بفضل أزوادهم، ثم اجمعها، و ادع الله تعالى فيها بالبركة لعلَّ الله تعالى أن يجعل فيها البركة. زاد شيوخ محمد كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حين أرمنا، فإن الله تعالى مستجيب لك انتهى، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- «نعم» فدعا بنطع فبسط- قال شيوخ محمد: بالأنطاع فبسطت- و نادى منادى رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-:

من كان عنده فضل من زاد فليأت به- انتهى فجعل الرجل يأتي بكف ذرة، و يجيء الآخر بكف تمر، و يجيء الآخر بكسرة. و قال شيوخ محمد: و جعل الرجل يأتي بالدقيق أو التمر أو القبضة من الدقيق و السويق و التمر و الكسر فيوضع كل صنف من ذلك على حدة و كل ذلك قليل و كان جميع ما جاءوا به من السويق و الدقيق و التمر ثلاثة أفرق حررا- و الفرق ثلثة آصع.

انتهى قال: فجزأنا ما جاءوا به فوجدوه سبعة و عشرين صاعا. قال شيوخ محمد: ثم قام رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فتوضأ و صلى ركعتين ثم دعا الله تعالى أن يبارك فيه. قال عمر: فجلس رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- إلى جنبه فدعا فيه بالبركة، ثم قال: «أيها الناس خذوا و لا تنتهبوا» فأخذوه في الجرب و الغرائر، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأخذ فيه، قال أبو هريرة- رضى الله عنه و ما تركوا في العسكر وعاء إلا- ملئوه، و أكلوا حتى شبعوا، و فضلت فضلة. قال شيوخ محمد بن عمر: قال بعض من الصحابة: لقد طرحت كسرة يومئذ من خبز و قبضه من تمر، و لقد رأيت الأنطاع تفيض، و جئت بجرايين فمألت أحدهما سويقا و الآخر خبزاً، و أخذت في ثوبي دقيقا كفاني إلى المدينة- قال: فأخذوا حتى صدروا. و إنه نحو ما كانوا يحرزون- قالوا كلهم: فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-: «أشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله، لا يأتي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة» و فى لفظ (لا يأتي بها عبد محق إلا وقاه الله حر النار)

[(١)]، و قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كما رواه ابن سعد أقام رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠٣٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٤

و على ذلك جرى محمد بن عمر و ابن حزم و غيرهم، و قال ابن عقبة، و ابن إسحاق: بضع عشرة ليلة. و الله أعلم.

ذكر بعض آيات وقعت فى رجوع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- من تبوك إلى المدينة

روى محمد بن عمر، و أبو نعيم عن أبي قتادة- رضى الله عنه- قال: بينا نحن نسير مع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فى الجيش ليلاً و هو قافل و أنا معه إذ خفق خفقة- و هو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعته فانتبه، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو قتادة يا رسول الله، خفت أن تسقط فدعمتك، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- «حفظك الله كما حفظت رسوله» ثم سار غير كثير ثم فعل مثل ذلك هذا فدعته فانتبه فقال: يا أبا قتادة، هل لك فى التعريس؟ فقلت: ما شئت يا رسول الله، فقال: «انظر من خلفك» فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال «ادعهم» فقلت: أجيئوا رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فجاءوا فعرسنا- و نحن خمسة- برسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- و معى إداوة فيها ماء و ركوة لى أشرب فيها، فمنا فما انتبهنا إلا بحرّ الشمس، فقلنا: إنّا لله فاتنا الصبح، فقال رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-: «لنغيظن الشيطان كما غاظنا» فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلة فقال: «يا أبا قتادة احتفظ بما فى الإداوة و الركوة، فإن لهما شأن» و صلى- صَلَّى الله عليه و سلم- بنا الفجر بعد طلوع الشمس، فقرأ بالمائدة، فلما انصرف من الصلاة قال: «أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر و عمر لرشدوا» و ذلك أن أبا بكر و عمر أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما،

فتزلوا على غير ماء بفلأة من الأرض، فركب رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلحق الجيش عند زوال الشمس و نحن معه. و قد كادت أعناق الخيل و الرجال و الركاب تقطع عطشا، فدعا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بالزكوة فأفرغ ما فى الإداوة فيها. و وضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه، و أقبل الناس فاستقوا و فاض الماء حتى رووا، و رووا خيلهم، و ركابهم، و كان فى العسكر اثنا عشر ألف بعير، و الناس ثلاثون ألفا، و الخيل اثنا عشر ألف فرس، فذلك قول رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «احتفظ بالزكوة و الإداوة».

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر: قالوا: و أقبل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قافلا حتى إذا كان بين تبوك و واد يقال له: وادى الناقة - و قال ابن إسحاق: يقال له وادى المشقق - و كان فيه و شل يخرج منه فى أسفله قدر ما يروى الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «من سبقنا إلى ذلك الوشل فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه» فسبقه إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير، و الحارث بن يزيد الطائى حليف فى بنى عمرو بن عوف، و وديعة بن ثابت، و زيد بن اللصيت، فلما أتاه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - وقف عليه فلم ير فيه شيئا. فقال «من سبقنا إلى هذا الماء؟» فقبل يا رسول الله فلان و فلان، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «ألم أنهكم؟» فلعنهم و دعا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٥

عليهم، ثم نزل و وضع يده تحت الوشل، ثم مسحه بإصبعيه حتى اجتمع منه فى كفه ماء قليل، ثم نضحه به، ثم مسحه بيده، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق منه الماء - قال معاذ بن جبل: و الذى نفسى بيده لقد سمعت له من شدة انخراقه مثل الصواعق - فشرب الناس ما شاءوا، و استقوا ما شاءوا، ثم قال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - للناس «لئن بقيتم. أو من بقى منكم» - لتسمعن بهذا الوادى و هو أخصب مما بين يديه و مما خلفه» [(١)] قال سلمة بن سلامة بن وقش:

قلت لوديعه بن ثابت: و يلك أبعده ما ترى شىء؟ أما تعتبر؟ قال: قد كان يفعل بهذا مثل هذا قبل هذا، ثم سار رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - عليه و سلم -.

و روى محمد بن عمر، و أبو نعيم عن جماعة من أهل المغازى قال: بينا رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يسير منحدرًا إلى المدينة، و هو فى قيظ شديد، عطش العسكر بعد المرتين الأوليين عطشا شديدا حتى لا يوجد للشفة ماء قليل و لا كثير، فشكوا ذلك لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فأرسل أسيد بن الحضير فى يوم صائف، و هو متلثم، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «عسى أن تجد لنا ماء» فخرج أسيد و هو فيما بين تبوك و الحجر فى كل وجه فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلن، فكلّمها أسيد، و أخبرها خبر رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقالت: فهذا الماء، فانطلق به إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و قد وصفت له الماء و بينه و بين الطريق هنيهة، فلما جاء أسيد بالماء دعا فيه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و دعا فيه بالبركة، ثم قال: «هلم أسقيتكم» فلم يبق معهم سقاء إلا ملئوه، ثم دعا بركابهم و خيولهم، فسقوها حتى نهلت، و يقال إنه - صَلَّى الله عليه و سلم - أمر بما جاء به أسيد فصبه فى قعب عظيم من عساس أهل البادية فأدخل رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فيه يده، و غسل وجهه و يديه و رجليه، ثم صلى ركعتين، ثم رفع يديه مدا، ثم انصرف و إن القعب ليفور، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - للناس «ردوا» فاتسع الماء و انبسط الناس حتى يصنف عليه المائة و المائتان فارتووا، و إن القعب لي جيش بالزواء، ثم راح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - مبردا مترويا [(٢)].

و روى الطبرانى بسند صححه الشيخ و حسنه الحافظ - خلافا لمن ضغفه - عن فضالة ابن عبيد - رضى الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - غزا غزوة تبوك فجهد الظهر جهدا شديدا فشكوا ذلك إليه، و رآهم يزجون ظهرهم، فوقف فى مضيق و الناس يمرون فيه، فنفخ فيها و قال: «اللهم احمل عليها فى سبيلك فإنك تحمل على القوى و الضعيف و الرطب و اليابس فى البر و البحر» فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا و هى تنازعنا أزمتهما [(٣)].

[(١)] المغازى للواقدي ٣ / ١٠٣٩.

[(٢)] المصدر السابق.

[(٣)] الطبراني في الكبير ١١ / ٣٠١ و ابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٧٠٦) و انظر المجمع ٦ / ١٩٣ و البيهقي في الدلائل ٦ /

١٥٥، و ابن كثير في البداية ٦ / ١٨٦.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٦٦.

ذكر إرادته بعض المنافقين الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة التي بين تبوك و المدينة و أطلع الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - على ذلك

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل، و البيهقي عن حذيفة، و ابن سعد عن جبير بن مطعم - رضى الله عنهم - و ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن الضحاك و البيهقي عن عروة، و البيهقي عن ابن إسحاق. و محمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين و ائتمروا بينهم أن يطرحوه من عقبة في الطريق. و فى رواية كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعلوا يلتمسون غرته، فلما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، و قالوا: إذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم، فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك العقبة نادى مناديه للناس: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، و اسلكوا بطن الوادى، فإنه أسهل لكم و أوسع، فسلك الناس بطن الوادى الّا النفر الذين مكرروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمعوا ذلك استعدوا و تلموا، و سلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقبة، و أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة و يقودها و أمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه، فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير من العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه، فنفروا ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سقط بعض متاعه و كان حمزة بن عمرو الأسلمى لحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعقبة، و كانت ليلة مظلمة،

قال حمزة: فنور لى فى أصابعي الخمس، فأضأت حتى جمعت ما سقط من السوط و الجبل و أشباههما، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و أمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم، و قد رأى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و معه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم و قال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى، فعلم القوم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أطلع على مكرهم، فانخطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، و أقبل حذيفة حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: اضرب الراحلة يا حذيفة، و امش أنت يا عمار، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها، و خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العقبة ينتظر الناس و قال لحذيفة: هل عرفت أحدا من الركب، الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله قد عرفت رواحلهم، و كان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل. قال: «هل علمتم ما كان من شأنهم و ما أرادوا؟» قالوا: لا و الله يا رسول الله. قال: «فإنهم مكرروا ليسيروا معي فإذا طلعت العقبة زحمنى فطرحونى منها- أن شاء الله تعالى- قد أخبرنى بأسمائهم و أسماء آبائهم و سأخبركم بهم إن شاء الله تعالى» قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس و يقولوا: إن محمدا قد وضع يده فى أصحابه فسماهم لهما ثم قال: «اكتماهم» فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لى، فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٦٧.

له أسيد بن الحضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادى؟ فقد كان أسهل من العقبة؟ فقال: «أ تدرى يا أبا يحيى أ تدرى ما أراد بى المنافقون و ما هموا به؟» قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي و نخسوها حتى يطرحونى عن

راحتلى فقال أسيد: يا رسول الله، قد اجتمع الناس و نزلوا، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذى يقتله، و إن أحببت- و الذى بعثك بالحق- فبئنى بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم. قال «يا أسيد إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم».

و فى رواية «إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا لما انقضت الحرب بينه و بين المشركين وضع يده فى قتل أصحابه» فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا بأصحاب، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى [و لا شهادة لهم] قال: «أليس يظهرون أنى رسول الله؟» قال: بلى. و لا شهادة لهم، قال: «فقد نهيت عن قتل أولئك» [١].

و قال ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير: فلما أصبح رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال لحذيفة: «ادع عبد الله»

قال البيهقى [٢]: أظن ابن سعد بن أبى سرح، و فى الأصل: عبد الله بن أبى سعد بن أبى سرح، لم يعرف له إسلام كما نبه إليه فى زاد المعاد، قال ابن إسحاق: و أبى حاضر الأعرابى، و عامرا و أبى عمر، و الجلاس بن سويد بن الصامت و هو الذى قال: لا تنتهى حتى نرمى محمدا من العقبة، و لئن كان محمد و أصحابه خيرا منا إنا إذا لغنم و هو الراعى، و لا عقل لنا و هو العاقل، و أمره أن يدعوا مجمع بن جارية، و فليح التيمى و هو الذى سرق طيب الكعبة و ارتد عن الإسلام، و انطلق هاربا فى الأرض فلا يدرى أين ذهب، و أمره أن يدعو حصين بن نمير الذى أغار على تمر الصدقة فسرقه،

فقال له رسول الله- صلى الله عليه و سلم- «ويحك، ما حملك على هذا؟» قال: حملنى عليه أنى ظننت أن الله تعالى لم يطلعك عليه أما إذا أطلعك عليه فإنى أشهد اليوم أنك لرسول الله، فإنى لم أؤمن بك قبل الساعة، فأقاله رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و عفا عنه بقوله الذى قاله، و أمر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حذيفة أن يأتيه بطعمه بن أبيرق، و عبد الله بن عيينة، و هو الذى قال لأصحابه: اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كله، فو الله مالكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل، فدعاه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فقال: «ويحك ما كان ينفحك من قتلى لو أنى قتلت يا عدو الله؟» فقال عدو الله: يا نبى الله، و الله ما تزال بخير ما أعطاك الله تعالى النصر على

[١] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ٢٥٧، و انظر المغازى للواقدى ٣/ ١٠٤٣، ١٠٤٤، و الدر المنثور ٣/ ٢٥٩ و ابن كثير فى البداية ٥/ ١٩.

[٢] البيهقى فى الدلائل ٥/ ٢٥٨.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٦٨

عدوك، فإنما نحن بالله و بك فتركه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و قال لحذيفة «ادع مرة بن الربيع» و هو الذى ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبى ثم قال: تمطى، أو قال: تمطى و النعيم كائن لنا بعده، نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين، فدعاه رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فقال:

«ويحك، ما حملك على أن تقول الذى قلت؟» فقال: يا رسول الله إن كنت قلت شيئا من ذلك فإنك العالم به، و ما قلت شيئا من ذلك.

فجمعهم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و هم اثنا عشر رجلا الذين حاربوا الله تعالى و رسوله، و أرادوا قتله، فأخبرهم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بقولهم و منطقتهم و سرهم و علانيتهم، و أطلع الله نبيه- صلى الله عليه و سلم- على ذلك يعلمه، و ذلك قوله عز و جل: وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا [التوبة ٧٤] و مات الاثنا عشر منافقين محاربين الله تعالى و رسوله.

قال حذيفة- كما رواه البيهقي: و دعا عليهم رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فقال: «اللهم ارمهم بالدبيلة» قلنا: يا رسول الله. و ما الدبيلة؟ قال: «شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك»
[١].

و روى مسلم عنه: أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- قال: «في أصحابي اثنا عشر رجلا منافقا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية يكفيهم الدبيلة، سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم»
[٢].

قال البيهقي: و روي عن حذيفة- رضى الله عنه- أنهم كانوا أربعة عشر- أو خمسة عشر [٣].

ذكر قوله- صَلَّى الله عليه و سلم- إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا إلا كانوا معكم

روى البخارى و ابن سعد عن أنس، و ابن سعد عن جابر رضى الله عنهما أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا و لا- قطعتم واديا إلّا كانوا معكم» فقالوا: يا رسول الله، و هم فى المدينة؟ قال: «و هم بالمدينة حبسهم العذر»
[٤].

[١] انظر المصدر السابق.

[٢] أخرجه مسلم فى صفات المنافقين (٩)، و أحمد ٣٩٠ / ٥ و البيهقي فى الدلائل ٢٦١ / ٥ و فى السنن ١٩٨ / ٨ و انظر البداية ٢٠ / ٥.

[٣] انظر الدلائل المصدر السابق.

[٤] أخرجه البخارى ٤٦ / ٦ فى الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو و فى المغازى (٤٤٢٣) و أبو داود (٢٥٠٨) و أحمد ١٠٣ / ٣، ١٠٦، ١٨٢، ٣٠٠ و ابن ماجه ٩٢٣ / ٢ (٢٧٦٤) و البيهقي فى الدلائل ٢٦٧ / ٥.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٦٩

ذكر قوله- صَلَّى الله عليه و سلم- لما أشرف على المدينة «هذه طابة»

روى الإمام أحمد و الشيخان عن أبى حميد الساعدى، و عبد الرزاق و ابن أبى شيبه فى مصنفيهما، و الإمام أحمد و البخارى عن أنس و الإمام أحمد و مسلم عن جابر، و ابن أبى شيبه فى مسنده عن أبى قتادة- رضى الله عنهم- قالوا: أقبلنا مع رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة» و زاد ابن أبى شيبه: أسكننيها ربى- تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد» انتهى. فلما رأى أحدا قال «هذا أحد جبل يحبنا و نحبه، ألا أخبركم بخير دور الأنصار» قلنا بلى يا رسول الله، قال «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بنى عبد الأشهل، ثم دار بنى ساعدة» فقال أبو أسيد: ألم تر أن رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- خير دور الأنصار فجعلنا آخرها دارا؟ فأدرك سعد رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم- فقال: يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخرها دارا. فقال: «أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟»
[١].

ذكر ملاقاته النساء و الصبيان رسول الله- صَلَّى الله عليه و سلم-

روى البخارى و أبو داود و الترمذى عن السائب بن يزيد- رضى الله عنه- قال: أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقى رسول الله- صَلَّى

اللّه عليه و سلم - إلى ثنية الوداع مقدمه من تيوك [(٢)].

و روى البيهقي عن ابن عائشة - رحمه الله تعالى - قال: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المدينة جعل النساء و الصبيان و الولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع [(٣)] سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥ / ٤٦٩ ذكر ملاقاته النساء و الصبيان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ص : ٤٦٩

و روى الطبرانى، و البيهقي عن خريم بن أوس بن لأم - رضى الله عنه - قال: هاجرت إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - منصرفه من تيوك فسمعت العباس ابن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم «قل لا يفضض الله فاك»

فقال:

من قبلها طبت فى الظلال و فى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشرأت و لا نطفه و لا علق

بل نطفه تركب السفين و قد ألجم نسرا و أهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم مضى طبق

[(١)] أخرجه البخارى ٨ / ١٢٥ (٤٢٢٢)، و مسلم فى الحج (٥٠٣) و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٦٦ و فى السنن ٦ / ٣٧٢، و انظر الكنز (٣٤٩٩٣) و ابن عساكر كما فى التهذيب ٧ / ٢٢٦.

[(٢)] أخرجه البخارى ٦ / ١٩١ (٣٠٨٢)، و أبو داود ٣ / ٩٠ (٢٧٧٩).

[(٣)] البيهقى فى الدلائل ٥٠ / ٢٦٦ و ابن كثير فى البداية ٥ / ٣٣.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٠ و ردت نار الخليل مكتتمافى صلبه أنت كيف يحترق حتى احتوى بيتك المهيم من حندق علياء تحتها النطق و أنت لما ولدت أشرق الأرض فضاءت بنورك الأفق

فحن فى ذلك الضياء و فى النسور و سبل الرشاد نخترق و لما قدم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المدينة بدأ بالمسجد بركعتين، ثم جلس للناس كما فى حديث كعب بن مالك.

قال ابن مسعود: و لما قدم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - المدينة قال: «الحمد لله الذى رزقنا فى سفرنا هذا أجرا و حسنة»

[(١)] و كان قدومه - صلى الله عليه و سلم - المدينة فى رمضان و كان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يخبرون عنه أخبار السوء، و يقولون: إن محمدا و أصحابه قد جهدوا فى سفرهم و هلكوا. فبلغهم تكذيب حديثهم و عافية رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، فساءهم ذلك، فأنزل الله تعالى: **إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ [التوبة ٥٠].**

ذكر بيع المسلمين أسلحتهم و قولهم: قد انقطع الجهاد

قال ابن سعد: و جعل المسلمون يبيعون أسلحتهم و يقولون: قد انقطع الجهاد فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فنهاهم و قال: «لا تزال عصابة من أمتى يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال»

[(٢)].

ذکر أمر مسجد الضرار عند رجوع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من غزوة تبوك

روى ابن إسحاق عن أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفارى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه من طريق آخر. و البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس - رضى الله عنه - و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن طريق آخر عن ابن عباس، و ابن المنذر عن سعيد بن جبير و محمد بن عمر عن يزيد بن رومان - رحمه الله تعالى - أن بنى عمرو بن عوف بنوا مسجدا فبعثوا إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - يأتيهم فيصلى فيه، فلما رأى ذلك ناس من بنى غنم بن عوف فقالوا: بنى نحن أيضا مسجدا كما بنوا، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه إلى الشام: ابنوا مسجدكم و استمدوا فيه بما استطعتم من قوة و سلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجيش من الروم فأخرج محمدا و أصحابه، فكانوا يرصدون قدوم أبى عامر الفاسق، و كان خرج من المدينة محاربا لله تعالى و لرسوله - صَلَّى الله عليه و سلم - فلما فرغوا من مسجدهم أرادوا أن يصلى فيه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - ليروج لهم ما أرادوه من الفساد و الكفر و العناد، فعصم الله تبارك و تعالى

[(١)] أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥ / ٢٦٧، ٢٦٨، و ابن كثير فى البداية ٥ / ٢٧، ٢٨.

[(٢)] أخرجه ابن سعد ١ / ٢ (١٢٠).

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧١

رسوله - صَلَّى الله عليه و سلم - رسوله - صَلَّى الله عليه و سلم - من الصلاة فيه،

فأتى جماعه منهم لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو يتوجه إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجدا لذى العله و الحاجة و الليلة المطيرة، و إنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه قال: «إنى على جناح سفر و حال شغل، و إذا قدمنا إن شاء الله صلينا لكم فيه» [(١)] فلما رجع رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - من غزوة تبوك و نزل بذي أوان - مكان بينه و بين المدينة ساعة - أنزل الله سبحانه و تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ كُفْرًا [التوبة ١٠٧] الآية.

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - فى قوله تعالى:

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا هُم أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ:

ابنوا مسجدكم و استمدوا ما استطعتم من قوة و من سلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأتى بجند من الروم فأخرج محمدا و أصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - فقالوا: فرغنا من بناء مسجدنا [و نحن نحب] أن تصلى فيه و تدعو لنا بالبركة، فأنزل الله عز و جل: لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ - يعنى مسجد قباء - أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ إِلَى قَوْلِهِ: شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [التوبة ١٠٩] قال الحافظ بن حجر: و الجمهور على أن المسجد المراد به الذى أسس على التقوى مسجد قباء، و قيل هو مسجد المدينة. قال: و الحق أن كلا منها أسس على التقوى.

و قوله تعالى - فى بقیة الآية - فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا يُوَكِّدُ أَنَّ الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ قِبَاءٍ.

قال الداودى و غيره: ليس هذا اختلاف، فإن كلا منهما أسس على التقوى، و كذا قال السهيلي و زاد أن قوله: مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يقتضى مسجد قباء، لأن تأسيسه كان من أول يوم وصل النبى - صَلَّى الله عليه و سلم - بدار الهجرة.

و روى ابن أبى شيبه، و ابن هشام عن عروة عن أبيه قال: كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها ليه كانت تربط حمارا لها فيه، فابتنى سعد بن خيثمة مسجدا، فقال أهل مسجد الضرار: نحن نصلى فى مربط حمار ليه؟ لا لعمر الله، لكننا بنى مسجدا فنصلى فيه، و كان أبو عامر برىء من الله و رسوله، و لحق بعد ذلك بالشام فتتصر فمات بها، فأنزل الله تعالى:

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا [التوبة ١٠٧]. قال ابن النجار: هذا المسجد بناه المنافقون مضاهيا لمسجد قباء، و كانوا مجتمعين فيه يعيرون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويستهنئون به،

[(١)] أخرجه البيهقي في الدلائل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٢

و قال ابن عطية: روى عن ابن عمر أنه قال: المراد بالمسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و المراد بقوله أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَسْجِدُ قَبَاءَ، و أن البنيان الذى أسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضرار بالاجماع.

قال ابن إسحاق، و كان الذين بنوه اثني عشر رجلا: خدام بن خالد من بنى عبيد بن زيد، و معتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد، و أبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد، و عباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف، و جارية بن عامر، و ابناه مجتم بن جارية و زيد بن جارية، و نفيل بن الحرث من بنى ضبيعة، و بحزج بن عثمان من بنى ضبيعة، و وديعة بن ثابت من بنى أمية بن عبد المنذر.

و قال بعضهم: إن رجالا من بنى عمرو بن عوف و كان أبو عامر المعروف بالراهب - و سماه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالفاسق - منهم، فدعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف، و معن بن عدى و أخاه عاصم بن عدى - زاد البغوى: و عامر بن السكن و وحشى قاتل حمزة، زاد الذهبى فى التجريد: سويد بن عباس الأنصارى - فقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فهدموه و حرّقه» فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف، فقال مالك لرفيقه: أنظرانى حتى أخرج إليكما، فدخل إلى أهله و أخذ سعفا من النخيل فأشعل فيه نارا، ثم خرجوا يشتدون حتى أتوا المسجد بين المغرب و العشاء، و فيه أهله و حرقوه و هدموه حتى وضعوه بالأرض و تفرق عنه أصحابه، فلما قدم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المدينة عرض على عاصم بن عدى المسجد يتخذه دارا، فقال عاصم يا رسول الله: ما كنت لأتخذ مسجدا - قد أنزل الله فيه ما أنزل - دارا، و لكن أعطه ثابت بن أقرم فإنه لا منزل له، فأعطاه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثابت بن أقرم. فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط. و لم ينق فى حمام قط و لم تحضن فيه دجاجة قط.

و روى ابن المنذر عن سعيد بن جبير، و ابن المنذر و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ عن قتادة، و ابن المنذر عن ابن جريج - رحمهم الله تعالى - قالوا: ذكر لنا أنه حفر فى مسجد الضرار بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها.

ذكر ملاقة الذين تخلفوا عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

قال ابن عتبة: لما دنا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه، و قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأصحابه: «لا تكلموا رجلا منهم و لا تجالسوهم حتى آذن لكم»

[(١)] فأعرض

[(١)] أخرجه البيهقي فى الدلائل ٢٨٠ / ٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٣

عنهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - و المؤمنون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه و أخيه، و حتى إن المرأة لتعرض عن زوجها، فمكثوا كذلك أياما حتى ركب الذين تخلفوا، و جعلوا يعتذرون إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالجهد و الأسقام، و يحلفون

له فرحمهم و بايعهم و استغفر لهم.

ذكر حديث كعب بن مالك و أصحابه - رضى الله عنهم -

روى ابن إسحاق، و عبد الرزاق، و ابن أبي شيبه، و الإمام أحمد، و الشيخان عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في غزوة غزاها إلا - في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت عن غزوة بدر و لم يعاتب الله أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد، و لقد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام، و ما أحب أن لي بها مشهد بدر، و إن كانت بدر أذكر - و في رواية: و إن كانت بدر أكثر ذكرا في الناس منها. كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى و لا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، و الله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، و لم يكن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يريد غزوة إلا ورى بغيرها، و كان يقول: «الحرب خدعة» حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في حر شديد، و استقبل سفرا بعيدا و مفازا و عددا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم - و في لفظ أهبة عدوهم - فأخبرهم بوجهه الذي يريد، و المسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كثيرون - و عند مسلم يزيدون على عشرة آلاف [(١)].

و روى الحاكم في الإكليل عن معاذ - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفا [(٢)]، و قال أبو زرعة الرازي: لا يجمعهم كتاب حافظ - قال الزهري: يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله تعالى.

و غزا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - تلك الغزوة حين طابت الثمار و الغلال في قيظ شديد، في حال الخريف و الناس خارفون في نخليهم، و تجهز رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و تجهز المسلمون معه، فخرج في يوم الخميس و كان يحب إذا خرج في سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم الخميس، فطفقت أعدوا لكي أتجهز معهم فأرجع و لم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، و في رواية: و أنا أقدر شيئا في نفسي على الجهاد و خفة الجهاد، و أنا في ذلك أصبو إلى الظلال

[(١)] أخرجه البخاري ١١٣ / ٨ (٤٤١٨) و مسلم ٢١٢٠ - ٢١٢٨ (٥٣)، و البيهقي في الدلائل ٢٧٣ / ٥، و المغازي للواقدي ٩٩٧ / ٣ و البداية ٢٣ / ٥.

[(٢)] انظر البداية ٢٣ / ٥.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٤

و الثمار، و لم يزل يتمادى بي الحاذ حتى اشتد بالناس الجدد، فأصبح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - غاديا و المسلمون معه يوم الخميس، و لم أقض من جهازى شيئا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأ-تجهز فرجعت و لم أقض شيئا. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أمعن القوم و أسرعوا و تفارط الغزو، و هممت أن أرتحل فأدر كهم - وليتني فعلت!! فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالنفاق، أو رجلا ممن عدّ الله - تعالى - من الضعفاء - و عند عبد الرزاق: و كان جميع من تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بضعه و ثمانين رجلا - و لم يذكرنى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حتى بلغ تبوك. فقال و هو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب ابن مالك؟» فقال رجل من بنى سلمة، و في رواية من قومي - قال محمد بن عمر: هو عبد الله بن أنيس السلمي - بفتح اللام - لا - الجهنى: يا رسول الله حبسه برداه و نظره في عطفه. فقال معاذ بن جبل - قال محمد بن عمر: و هو أثبت، و يقال: أبو قتادة: بس ما قلت! و الله يا رسول الله ما علمت عليه إلا خيرا. فسكت رسول الله - صلى الله عليه و سلم -.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - توجه قافلاً حضرنى همى، و طفقت أعد عذرا لرسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و أهيبى الكلام، و أقول: بما ذا أخرج من سخطه - صَلَّى الله عليه و سلم - غدا، و استعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى، فلما قيل إن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قد أطلّ قادما زاح عنى الباطل، و عرفت أنى لم أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب، فأجمعت صدقه، و عرفت أنه لا ينجينى منه إلا الصدق، و أصبح رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - قادما،

قال ابن سعد: فى رمضان، قال كعب: و كان إذا قدم من سفر لا يقدم إلا فى الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم يدخل على فاطمة ثم على أزواجه، فبدأ بالمسجد فركعهما، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، و يحلفون له، و كانوا بضعة و ثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - علانيتهم و بايعهم و استغفر لهم و وكل سرائرهم إلى الله تعالى، فجنّته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب، فقال: «تعال» فجنّت أمشى حتى جلست بين يديه - و عند ابن عائد: فأعرض عنه رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - فقال: يا نبى الله، لم تعرض عنى؟

فو الله ما نافقت، و لا ارتبت، و لا بدلت - قال كعب: فقال لى: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى إني و الله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، و لقد أعطيت جدلا، و لكنى - و الله - لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله تعالى أن يسخطك على، و لئن حدّثتك اليوم حديث صدق تجد علىّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله عنى، لا و الله ما كان لى من عذر، و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - «أما هذا فقد صدق، فقم

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الديمقى، ج ٥، ص: ٤٧٥

حتى يقضى الله تعالى فيك ما يشاء» فمضيت و ثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى،

فقالوا: ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، و لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - بما اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - لك. فو الله ما زالوا يؤنّبونى، حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى، فقلت: ما كنت لأجمع أمرين: أتخلف عن رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و أكذبه، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معى أحد؟ قالوا:

نعم رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، و هلال بن أمية الواقفى.

و عند ابن أبى حاتم من مرسل الحسن أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها، فقال فى نفسه: قد غزوت قبلها فلو أقيمت عامى هذا؟! فلما تذكر ذنبه قال: اللهم أشهدك أنى قد تصدقت به فى سبيلك. و أن الثانى كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أقيمت هذا العام عندهم. فلما تذكر قال: اللهم لك على أن لا أرجع إلى أهلى و لا مالى.

قال كعب: فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لى. و نهى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا - و عند ابن أبى شيبه. فطفقنا نغدو فى الناس لا يكلمنا أحد، و لا يسلم علينا أحد، و لا يرد علينا سلاما، و عند عبد الرزاق و تنكر لنا الناس حتى ما هم بالذى نعرف و تنكرت لنا الحيطان حتى ما هى بالتى نعرف انتهى. ما من شىء أهم إلى من أن أموت فلا يصلى علىّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد و لا يصلى علىّ - حتى تنكرت فى نفسى الأرض حتى ما هى التى أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبى فاستكانا، و قعدا فى بيتهما بيكيان، و أما أنا فكنت أشب القوم و أجلدتهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، و أطوف الأسواق فلا يكلمنى أحد، و لا يرد علىّ سلاما و أتى رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم - و هو فى مجلسه بعد الصلوة فأسلم عليه و أقول فى نفسى: هل حرّك شفّيته برد السلام علىّ أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل علىّ، فإذا التفت نحوه أعرض عنى. حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبى

قتاده، و هو ابن عمي: أى أنه من بنى سلمة و ليس هو ابن عمه أخو أبيه الأقرب، قال كعب: و هو أحب الناس إلي، فسلمت عليه فو الله ما رد علي، فقلت له: يا أبا قتاده، أنشدك بالله، هل تعلمنى أحب الله و رسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت [فعدت له فنشدته] فلم يكلمنى، حتى إذا كان فى الثالثة أو الرابعة قال: الله و رسوله أعلم. ففاضت عيناي، و توليت حتى تسورت الجدار، قال فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة إذا بنبطى من

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٦

أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان، و عند ابن أبي شيبه: من بعض من بالشام كتب إلى كتابا فى سرقة حرير فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك فأقصاك و لم يجعلك الله بدار هوان و لا مضيعة، فإن تك متحوّلا فالحق بنا نواسيك. فقلت: لما قرأتها: و هذا أيضا من البلاء، قد طمع فى أهل الكفر، فتيممت بها التّور فسجرت به.

و عند ابن عائد: أنه شكا قدره إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - و قال: ما زال إعراضك عنى حتى رغب فى أهل الشرك، قال كعب: حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - يأتينى. قال محمد بن عمر: و هو خزيمة بن ثابت، و هو الرسول إلى مرارة و هلاك بذلك. قال كعب: فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - يأمرك أن تعتزل امرأتك: أى عمرة بنت حمير ابن صخر بن أمية الأنصارية أو خيرة - بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية - فقلت: أطلقها أو ما ذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها و لا تقربها، و أرسل إلى صاحبى مثل ذلك. فقلت لامرأتى الحقى بأهلك، فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر. قال كعب: و جاءت امرأة هلال بن أمية، أى خولة بنت عاصم لرسول الله - صلى الله عليه و سلّم - فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم - و عند ابن أبي شيبه: إنه شيخ قد ضعف بصره - انتهى. فهل تكره أن أخدمه؟ قال:

«لا، و لكن لا يقربك» قالت: إنه و الله ما به حركة إلى شىء!! و الله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال كعب: فقال لى بعض أهلى: لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - فى امرأتك كما أذن لهلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: و الله لا أستأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - و ما يدرينى ما يقول رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - إذا استأذنته فيها، و أنا رجل شاب، فلبث بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - عن كلامنا.

و عند عبد الرزاق: و كانت توبتنا نزلت على النبى - صلى الله عليه و سلّم - ثلث الليل - فقالت أم سلمة:

يا نبى الله ألا نبشّر كعب بن مالك؟ قال: إذا يحطمكم الناس و يمعونكم النوم سائر الليلة

قال:

و كانت أم سلمة تجيئه فى ثانى عشرة بأمرى فلما صلّيت الفجر صبح خمسين ليلة و أنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال الذى ذكره الله تعالى قد ضاقت على نفسى و ضاقت على الأرض بما رحبت، سمعت صوتا صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر - و عند محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - أن الذى أوفى على سلع أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فصاح: قد تاب الله - تعالى - على كعب، يا كعب:

أبشر. و عند ابن عقبة أن رجلين سعيا يريدان كعبا يبشرانه، فسبق أحدهما، فارتقى المسبوق على سلع فصاح يا كعب، أبشر بتوبة الله - تعالى - و قد أنزل الله - تعالى - عز و جل فيكم القرآن، و زعموا أن اللذين سعيا أبو بكر و عمر، قال كعب: فخررت ساجدا أبكى فرحا بالتوبة،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٧

و عرفت أن قد جاء فرج، و آذن رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - بتوبة الله - تعالى - علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، و ذهب قبل صاحبى مبشرون، و ركض إلى رجل على فرس - و عند محمد بن عمر: هو الزبير بن العوام - رضى الله عنه - قال

كعب: و سعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل و عند محمد بن عمر: أنه حمزة بن عمرو الأسلمي: قال كعب: و كان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته، و هو حمزة الأسلمي يبشرني، نزلت له ثوبتي فكسوته إياهما ببشراه، و الله ما أملك غيرهما يومئذ. و استعرت ثوبين من أبي قتادة- كما عند محمد بن عمر- فلبستهما. قال: و كان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، فما ظننت أنه يرفع رأسه حتى تخرج نفسه، أي من الجهد، فقد كان امتنع عن الطعام حتى كان يواصل الأيام صياما لا يفتر عن البكاء، و كان الذي بشر مرارة بن الربيع بتوبته سلكان بن سلامة أو سلامة بن وقش.

قال كعب: و انطلقت إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- فتلقاني الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة، يقولون: لتهنك توبه الله- تعالى- عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله- صلى الله عليه و سلم- جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني و هنأني.

و الله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره و لا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله- صلى الله عليه و سلم- قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- و هو يبرق وجهه من السرور [أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أميك] فقلت: يا رسول الله، أ من عندك أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله» و كان رسول الله- صلى الله عليه و سلم- إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، و كنا نعرف ذلك: منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله- تعالى- و إلى رسوله- صلى الله عليه و سلم- قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: نصفه؟ قال «لا» قلت: ثلثه؟ قال: «نعم» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير، و قلت: يا رسول الله إنما نجانى الله- تعالى- بالصدق و إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت، فو الله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله- تعالى- في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- إلى يومي هذا كذبا، و اني لأرجو أن يحفظني الله- تعالى- فيما بقيت، فأنزل الله- تبارك و تعالى- على رسوله- صلى الله عليه و سلم-: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ: وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة ١١٧، ١١٩] فو الله ما أنعم الله عليّ من نعمه- بعد أن هداني للإسلام- أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله- صلى الله عليه و سلم- أن لا أكون كذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال في الذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، فقال تبارك و تعالى: سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى دمشقى، ج ٥، ص: ٤٧٨

انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

[التوبة ٩٥، ٩٦].

قال كعب: و كنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- حين حلفوا له فبايعهم و استغفر لهم، و أرجأ رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أمرنا حتى قضى الله سبحانه و تعالى فيه بذلك قال الله تعالى: وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا [التوبة ١١٨] و ليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو و إنما تحليفه إيانا و إرجاؤه أمرنا عن حلف له و اعتذر إليه، فقبل منه.

و روى ابن عساكر عن كعب بن مالك- رضى الله عنه- قال: لما نزلت توبتي قبلت يد رسول الله- صلى الله عليه و سلم-.

ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

روى ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما. و البيهقي عن سعيد بن المسيب رحمه الله- في قوله تعالى:

وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا [التوبة ١٠٢] قال ابن عباس كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك منهم: أبو لبابة، وسمى قتادة منهم: جد بن قيس و جذام بن أوس. رواه ابن أبي حاتم. فلما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رأهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من هؤلاء الموثقون أنفسهم» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فترضى عنهم و تعذرهم، وقد اعترفوا بذنوبهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «و أنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا عني و تخلفوا عن الغزو مع المسلمين» [١] فلما بلغهم ذلك قالوا:

و نحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تبارك و تعالى هو الذي يطلقنا، فأنزل الله تبارك و تعالى: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ [التوبة ١٠٢] و عسى من الله واجب، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة ٣٧] فلما نزلت أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فأطلقهم و عذرهم. قال ابن المسيب: فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي لبابة ليطلقه، فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطلقه بيده، فجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا و استغفر لنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما أمرت أن آخذ أموالكم» فأنزل الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ صَلَّاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ [التوبة ١٠٣]

[١] أخرجه البيهقي في الدلائل ٥ / ٢٧٢.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج٥، ص: ٤٧٩

يقول: رحمة لهم فأخذ منهم الصدقة، و استغفر لهم و كان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا سنة لا يدرون يعذبون أو يتاب عليهم، فأنزل الله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ [التوبة ١١٧] إلى آخر الآية. و قوله: وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة ١١٨] يعنى استقاموا فأنزل الله تبارك - و تعالى - فى شأن هذه الغزوة كثيرا من سورة براءة تقدم كثير من ذلك فى محاله.

قال البيهقي: و زعم ابن إسحاق أن ارتباط أبي لبابة كان فى وقعه بنى قريظة، و قد رويانا عن ابن عباس و سعيد بن المسيب ما دل على أن ارتباطه كان بتخلفه فى غزوة تبوك.

تنبيهات

الأول: تبوك - بفتح الفوقية و ضم الموحدة و هى أقصى أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هى فى طرف الشام من جهة القبلة، و بينها و بين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة. قال فى النور: و كذا قالوا، و قد سرناها مع الحجيج فى اثنتى عشرة مرحلة، و بينها و بين دمشق إحدى عشرة مرحلة. و المشهور ترك صرفها للعلمية و التأنيث. و فى حديث كعب السابق: و لم يذكرنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ تبوكا كذا فى جميع النسخ فى صحيح البخارى و أكثر نسخ صحيح مسلم تغليبا للموضع، و كذا قال النووى و الحافظ و جمع. قال فى التقريب: و هو سهو لأن علته منعه كونه على مثال الفعل «تقول» فالمذكر و المؤنث فى ذلك سواء.

قال فى الروض تبعاً لابن قتيبة: سميت الغزوة بعين تبوك، و هى العين التى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يمساها من مائها

فسبق إليها رجلا، و هي تبض بشيء من ماء فجعلا يدخلها فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قال لهما رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: ما زلتما تبوكانها منذ اليوم، فلذلك سميت العين تبوك.
البوك كالتقش و الحفر في الشيء، و يقال:

منه باك الحمار الأتان يبوكةا إذا نزا عليها. قال الحافظ: وقعت تسميتها بذلك في الأحاديث الصحيحة «إنكم ستأتون غدا عين تبوك». رواه مالك و مسلم. قلت: صريح الحديث دال على أن تبوك اسم على ذلك الموضع الذي فيه العين المذكورة. و النبي - صلى الله عليه و سلم - قال هذا القول قبل أن يصل تبوك بيوم. و ذكرها في المحكم في الثلاثي الصحيح، و ذكرها ابن قتيبة و الجوهري و ابن الأثير و غيرهم في المعتل في بوك.

الثاني: وقع في الصحيح ذكرها بعد حجة الوداع. قال الحافظ: و هو خطأ، و لا خلاف أنه قبلها و لا أظن ذلك إلا من السخا، فإن غزوة تبوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. و عند ابن عائذ من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بسنة أشهر،

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٠

و ليس مخالفا لقول من قال إنها في رجب إذا حذفنا الكسور لأنه - صلى الله عليه و سلم - قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطائف في ذى الحجة.

الثالث:

قول أبي موسى: إن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «خذ هذين القرينين و هذين القرينين، أى الجميلين المشدودين أحدهما إلى الآخر»

لسته أبعرة، لعله قال: هذين القرينين ثلاثا، فذكر الرواة مرتين اختصارا. و لأبى ذر عن الحموى و المستملى: و هاتين القرينتين و هاتين القرينتين، أى الناقتين. و فى رواية فى باب قدوم الأشعريين و أهل اليمن فى الصحيح:

فأمر لنا بخمس ذود. و فى باب الاستثناء فى الأيمان بثلاثة ذود. و الرواية الأولى تجمع بين الروايات، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أزواج، و رواية الخمس باعتبار أن أحد الأزواج كان قرينه تبعا فاعتد به تارة و لم يعتد به أخرى، و يمكن أن يجمع بينهما بأنه أمر لهم بثلاثة ذود أولا ثم زادهم اثنين، فإن لفظ زهدم أحد رواة الحديث: ثم أتى بنهب ذود غر الذرى فأعطانا خمس ذود فوقت فى رواية زهدم جملة ما أعطاهم، و رواية غيلان: مبدأ ما أمر لهم به و لم يذكر الزيادة، و أما رواية: خذ هذين القرينين ثلاثا مرار، و فى رواية: ستة أبعرة، فعلى ما تقدم أن تكون السادسة كانت تبعا فلم تكون ذودتها موصوفة بذلك، قال الحافظ فى رواية: ستة أبعرة إما أن يحمله على تعدد القصة أو زاداهم على الخمس واحدا.

الرابع: فى رواية أبى موسى قال: أتى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بنهب إبل فأمر لنا بخمس ذود. و فى رواية بعد قوله «خذ هذين القرينين»

ابتاعهن من سعد و لم ينه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل - و الله أعلم - أن يكون ما جاء من النهب أعطاه لسعد ثم اشتراه منه لأجل الأشعريين، و يحتمل على التعدد.

الخامس: قال الحافظ: إنما غلظ الأمر على كعب و صاحبيه و هو جروا، لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموما لزمهم النفير و لحق اللوم بكل فرد، أى لو تخلف قال ابن بطال: إنما اشتد الغضب على من تخلف و إن كان الجهاد فرض كفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك، و مصداق ذلك قولهم و هم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا و كأن تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالتكث لبيعتهم/ قاله ابن بطال: قال

السهيلى: و لا أعرف له وجهها غير الذى قاله ابن بطال. قال الحافظ: قد ذكرت وجهها غير الذى ذكره، و لعله أقعد و يؤيده قوله سبحانه و تعالى: ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الآية. و عند الشافعية: أن الجهاد كان فرض عين فى سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨١

زمنه - صلى الله عليه و سلم - فعلى هذا فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقا.

السادس: قول أبى قتادة لم سأله كعب: الله و رسوله أعلم. قال القاضى: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه، لأنه منهى عن كلامه. و إنما قال ذلك لنفسه لما ناشده، فقال أبو قتادة مظهرا لاعتقاده لا ليسمعه.

السابع: قول كعب: قال لى بعض أهلى. قال فى النور: الظن أن القائل له من بعض أهله امرأة، و ذلك أن النساء لم يدخلن فى النهى، لأن فى الحديث «و نهى المسلمين عن خطابنا» و هذا الخطاب لا يدخل فيه النساء، و أيضا فإن امرأته ليست داخله فى النهى، فدل على أن المراد الرجال، و قال الحافظ: لعل القائل بعض ولده أو من النساء، و لم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللاتى فى بيوتهن أو أن الذى كلمه كان منافقا أو الذى يخدمه. و لم يدخل فى النهى.

الثامن: قال فى النور: لعل الحكمة فى هجران كعب و صاحبيه خمسين ليلة أنها كانت مدة غيبته - صلى الله عليه و سلم - لأنه خرج فى رجب على ما قاله ابن إسحاق، و قدم فى رمضان، و قال بعضهم: فى شعبان، و تقدم أنه أقام فى تبوك بضعة عشر يوما، و يقال عشرين، هذا ما ظهر لى و أنت من رواها للبحث و التنقيب.

التاسع: دل صنع كعب بكتاب ملك غسان على قوة إيمانه و محبته لله - تبارك و تعالى - و رسوله - صلى الله عليه و سلم - و إلا فمن صار فى مثل حاله من الهجر و الإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، و تحمله الرغبة فى الجاه و المال على هجران من هجره، و لا سيما مع أنه من الملك الذى استدعاه إليه، لأنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة و أحرق الكتاب و منع الجواب، هذا مع كونه من البشر الذين طبعت نفوسهم على الرغبة و لا سيما مع الاستدعاء و الحث على الوصول إلى المقصود من الجاه و المال، و لا سيما و الذى استدعاه قريبه، و مع ذلك فغلب عليه دينه، و قوى عنده يقينه، و رجح ما فيه من التكر و التعذيب على ما دعى إليه من الراحة و التنعيم حبا فى الله تعالى و رسوله - صلى الله عليه و سلم - كما قال - صلى الله عليه و سلم - «و أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما».

العاشر: قال بعضهم: سبب قيام طلح لكعب رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كان آخى بينهما لما آخى بين المهاجرين و الأنصار، و الذى ذكره أهل المغازى: أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كان أبا الزبير لكن كان الزبير أبا طلحة فى أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه.

الحادى عشر: استشكل إطلاق

قوله - صلى الله عليه و سلم - «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»

بيوم إسلامه، فإنه مرّ عليه بعد أن ولدته أمه، و هو خير ما مرّ فليل هو مستثنى تقديرا، و إن لم ينطق به لعدم خفائه، قال الحافظ: «و الأحسن فى الجواب أن يوم توبته يكمل يوم إسلامه

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٢

فيوم إسلامه بداية سعادته و يوم توبته مكمل لها، فهو خير من جميع أيامه، و إن كان يوم إسلامه خيرا فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير يوم من يوم إسلامه المجرد عنها».

الثانى عشر: فى بيان غريب ما سبق:

العسرة - بمهملتين الأولى مضمومة و الثانية ساكنة، مأخوذ من قوله تعالى: الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ [التوبة ١١٧] أى الشدة و الضيق.

الأنباط: نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة، و يقال: إن النبط ينسبون إلى نبيط بن هانئ بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح.

الروم- جيل من الناس معروف كالعرب والفرس، وهم الذين يسميهم أهل بلادنا الفرنج، من ولد روم بن عيص بن إسحاق، غلب عليهم اسم أبيهم فصار كالاسم للقبيلة، وإن شئت قلت: هو جمع رومي منسوباً إلى الروم بن عيص.

هرقل- بكسر الهاء وفتح الراء والقاف هذا هو المشهور، و يقال بكسر الهاء والقاف وسكون الراء، وهو اسم علم له، ولقبه قيصر، وهو أعجمي تكلمت به العرب.

أجلت- بالجيم، والبناء للمفعول.

لخم نائب الفاعل بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة.

جدام- بضم الجيم وبالذال المهملة.

البلقاء- بفتح الموحدة وسكون اللام والقاف والمد.

حصين- والد عمران- بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون التحيته والنون.

السنون جمع سنه- بفتح السين المهملة، وهو الجذب ضد الخصب.

يستفزونك: يزعونك ويقتلونك. والأرض هنا أرض المدينة.

قربان المسجد- بضم القاف وكسرها فراء ساكنة فألف فنون: الدنو منه.

لتقطعن: بضم الفوقية. والمتاجر نائب الفاعل.

عن يد: قهر وإذلال.

صاغرون: ذليلون مهانون.

زمان عسرة: شدة.

الجذب- بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وبالموحدة: القحط.

المقام- بضم الميم وفتحها: الإقامة وعدم السفر.

الشَّخوص- بضم الشين والحاء والمعجمتين: الذهاب، يقال شخض من بلد إلى بلد شخوصاً إذا ذهب.

الشَّقَّة- بضم الشين المعجمة وتشديد القاف: وهو هنا السفر البعيد.

سبل الهدى والرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٣

الجهاز- بكسر الجيم وفتحها ما يحتاجه المسافر فى قطع المسافة.

أوعب معه: خرجوا بأجمعهم.

انفروا: أسرعوا.

أتأقلمتم إلى الأرض: اضطجعتم واطمأنتم، وأصله اتأقلمتم.

متاع الحياة الدنيا: المتاع كل شىء ينتفع به ثم يفنى، وأضيف إلى الحياة الدنيا إشارة إلى عدم بقائه.

خفافا: جمع خفيف.

و ثقالا: جمع ثقيل، أى شبانا وشيوخا، أو ركباناً ومشاةً وأغنياء وفقراء، وقيل غير ذلك.

عرضاً قريباً- بفتح العين والراء: ناحية قريبة.

وسفراً قاصداً: قريباً أو غير شاق.

الشَّقَّة- بضم الشين المعجمة المشددة هى فى الأصل السفر البعيد، والمراد هنا الناحية التى ندبوا إليها.

ورى بغيرها: سترها، و كنى عنها و أوهم أنه يريد غيرها، و أصله من الورى، أى ألقى البيان وراء ظهره.

شرح غريب حته - صلى الله عليه و سلم - على النفقة و الحملان

الحملان - بضم الحاء المهملة و سكون الميم: أى الشىء الذى يركبون عليه و يحملهم.
العصاة - بكسر العين المهملة - هنا: الجماعة من الناس.
الأحلاس: جمع حلس - بكسر الحاء المهملة و سكون اللام و بالسین المهملة: كساء يكون تحت البرذعة.
المرقاة و المرقى و المرتقى: موضع الرقى - بفتح الميم و كسرها.
يقول بيده هكذا: تقدم فى شرح غريب غزوة الفتح.
الطیالیسى - بفتح الطاء المهملة و كسر اللام.
الخطام - بكسر الخاء المعجمة: كل ما يقاد به البعير.
العقال - بكسر العين المهملة و بالقاف و الألف و اللام، يقال عقلت البعير أعقله - بالكسر: تئيت ضبعه أى خفّه مع ذراعه فشددتها معا فى وسط الذراع بحبل.
الاحتساب: ادخار أجر العمل و أن يحسبه العامل فى حسناته.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٤

شرح غريب بعض ما دار بين رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و بين بعض المنافقين

الجد بن قيس - بفتح الجيم و تشديد الدال المهملة.
الثفر - بفتح النون و الفاء: جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة.
الضبعة - بفتح الضاد المعجمة و سكون التحتية: واحدة الضباع.
تحقب: تردف خلفك.
بنات بنى الأصفر: يعنى الروم، قال فى الإملاء، يقال إنهم من أولاد عيص بن إسحاق، و كان فيما يقال مصفر اللون، و أما الروم القديمة فهم بزنان.
لجلاد - بكسر اللام و بكسر الجيم: الضراب بالسيوف.
الدوائر: جمع دائرة، و هى النائبة التى تنزل بالإنسان فتهلكه.
محيطة بالكافرين: مهلكتهم و جامعتهم.
ثبطه عن أمره: عوقه عنه.
جبار - بفتح الجيم و تشديد الموحدة.
صخر - بفتح الصاد المهملة و بالخاء المعجمة و بالراء.
الإرجاف: الخوض فى الأخبار الكاذبة فى الفتنة ليضطرب الناس.
عبد الله بن حارثة بالحاء المهملة و بالثاء المثناة.
سويلم - بسين مهملة مضمومة فواو فتحتية ساكنة فلام مكسورة فميم.
اقتحم: ألقى نفسه.
مسجد الضرار - بكسر الضاد المعجمة، و فى الأصل فعال من الضر - بفتح المعجمة:

أى مجازى من أضره بمثل فعله.

على جناح سفر: أى نريده.

شرح غريب خبر المخلفين و المعذرين و البكائين

المعذرون- جمع معذر بتشديد الذال المعجمة، و قد يكون صادقا، و قد يكون كاذبا.

فالصادق أصله المعتذر و لكن التاء قلبت ذالا فأدغمت فى الذال، و الكاذب معذر على أصله و هو المعرض المقصر الذى يتعلل بغير عذر صحيح.

القرظى بضم القاف و فتح الراء و بالطاء المعجمة المشالة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٥

هرمى - بفتح الهاء و كسر الراء و يقال هرم.

علبة- بضم العين المهملة و سكون اللام و بالموحدة و تاء تأنيث.

عرباض- بكسر العين المهملة و سكون الراء و بالموحدة و بالضاد المعجمة.

سارية- بالسین المهملة و كسر الراء و بالتحية.

حمام- والد عمرو- بضم الحاء المهملة و التخفيف.

الجموح- بفتح الجيم و ضم الميم و بالحاء المهملة.

عنمة: والد عمر بفتح العين المهملة و النون و الميم.

مغفل: والد عبد الله- بضم الميم و فتح الغين المعجمة و تشديد الفاء المفتوحة و باللام.

معقل بن يسار- بفتح الميم و سكون المهملة و كسر القاف، و أبوه بالتحية و المهملة.

بنو مقرن- بضم الميم و فتح القاف و تشديد الراء المكسورة.

ابن يامين- كذا فى نسخة من السيرة الهشامية، و العيون «ابن يامين» و صوابه «يامين» بإسقاط ابن.

النضرى- بفتح النون و سكون الضاد المعجمة.

الناضح- بنون و بعد الألف ضاد معجمة فحاء مهملة، و هو من الإبل الذى يستقى عليه الماء.

شرح غريب حديث أبى موسى الأشعري - رضى الله عنه - و ما بعده

لا أشعر: لا أعلم.

وجد عليه: حزن.

جىء- بالبناء للمفعول: أتى بضم الهمزة.

نهب إبل: بتنوين الموحدة و اللام.

البث: امكث.

سويعة: تصغير ساعة من الزمان.

القرنين: الجميلين المشدودين أحدهما إلى الآخر، و قيل النظيرين المتساويين، و فى رواية: هاتين القرينتين: أى الناقتين.

بخمس ذود- بفتح الذال المعجمة و سكون الواو و بالذال المهملة: ما بين الستة إلى التسعة من الإبل، و هى مؤنثة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٦

غزّ - بضم الغين و الراء.

الدّرى - بضم الذال المعجمة و فتح الراء: جمع ذروة، و هى أعلى كل شىء: أى بيض الأسنة.

الجرف - بضم الجيم و الراء و بالفاء على ثلاثة أميال من المدينة إلى جهة الشام.

سباع - بكسر السين المهملة و تخفيف الموحدة.

عرفطة - بضم العين المهملة و سكون الراء و ضم الفاء و بالطاء المهملة.

شرح غريب ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

قوله: عسكر - بعين فسین مهملة فكاف فراء: جمع.

ثنية الوداع - تقدم الكلام عليها مبسوطا فى أبواب دخوله - صلى الله عليه و سلم - المدينة.

على حدة - بكسر الحاء و فتح الدال المهملتين: أى منفردا وحده بعسكره لم يختلط بعسكر النبي - صلى الله عليه و سلم -.

ذباب - بذال معجمة وزن كتاب و غراب - لغتان: جبل بقرب المدينة.

مقرنين: مجعولين قرنا باليدين.

السويداء - تصغير سوداء: موضع على ليلتين من المدينة.

الفغواء - بفتح الفاء و سكون الغين المعجمة و بالواو.

الخزاعي - بضم الخاء المعجمة - و بالزاي.

أسيد - بضم أوله و فتح ثانيه و سكون ثالثه و بالدال المهملة.

و حضير - بالحاء المهملة و الضاد المعجمة كذلك.

دجانة - بضم الدال المهملة و تخفيف الجيم و بالنون.

شرح غريب قصة تخلف أبى ذر و أبى خيثمة - رضى الله عنهما و إخباره صلى الله عليه و سلم - بما قاله جماعة من المنافقين

نضو - بنون مكسورة فضاء معجمة فواو: الدابة التى اهترلتها الأسفار، و أذهبت لحمها.

أعجف: ضعيف.

أذمّ بى - بفتح أوله و الذال المعجمة و تشديد الميم: حبسنى.

التلّوم - بفتح الفوقية و اللام و تشديد الواو و بالميم: الانتظار و المكث.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٧

أبطأ - بهمز أوله و آخره.

يتبع - بالتخفيف و التشديد.

أثر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بفتح الهمزة و الثاء المثناة، و بكسر الهمزة و سكون الثاء، و حكى بثلاث الهمزة.

يمشى وحده، و كذا الباقي: أى منفردا.

كن أبا ذر - بلفظ الأمر، و معناه الدعاء، كما تقول اسلم، أى سلمك الله.

العريش - بفتح العين و كسر الراء: كل ما استظل به.

الحائط: البستان من النخيل إذا كان عليه حائط.

الصّحّ بكسر الضاد المعجمة و تشديد الحاء المهملة، قال فى الإملاء: الشمس، و فى النهاية هو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض و

هو كالقمر، و هذا أصل الحديث و معناه، و هو أشبه مما فسر به الهروي فقال: أراد كثرة الخيل و الجيش، يقال: حافلان بالضح و الريح، أى لما طلعت عليه الشمس و هبت عليه الريح يعنون المال الكثير.

التّصف- بفتح النون و الصاد المهملة و بالفاء.

أن تخلف عنى- بحذف إحدى التاءين و تشديد اللام المفتوحة.

أولى لك- قال فى الإملاء: كلمة فيها معنى التهديد، و هى اسم سمي به الفعل، و معناها فيما قاله المفسرون دين من الهلكة. الرهط: ما دون العشرة من الرجال.

وديعه- بفتح الواو و كسر الدال و بالعين المهملة.

ثابت- بالتاء المثناة و بالموحدة و الفوقية.

الجلاس- بضم الجيم و التخفيف و آخره سين مهملة.

مخشى- بفتح الميم و سكون الخاء و كسر الشين المعجمتين بعدها ياء كياء النسبة.

ابن حمير: بضم الحاء المهملة و فتح الميم المخففة و تشديد التحتية.

فليات- بهمزة مفتوحة قبل تاء التانيث الساكنة.

أقاضى- بضم الهمة و فتح الضاد المعجمة بالبناء للمفعول.

حقب الناقة: عجزها.

فتسفان التراب: ترفعانه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشى، ج ٥، ص: ٤٨٨

عفى عنه: بالبناء للمفعول.

و لا يعلم مكانه: كذلك.

اليمامة- بفتح التحتية: بلد باليمن.

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بالمروءة و نزوله بوادى القرى

ذى المروءة بلفظ أخت الصفا من أعمال المدينة على ثمانية برد منها الخليجة.

الدوم- بفتح الدال المهملة: جمع دومة كذلك و هى ضخام الشجر، و قيل هو شجر المقل.

وادى القرى- بضم القاف و فتح الراء: جمع قرية.

الحديقة: كل ما أحاط به البناء من البساتين، و يقال للقطعة من النخل حديقة و إن لم تكن محاطا بها.

الخرص- بفتح الخاء المعجمة و سكون الراء و بالصاد المهملة، و هو هنا الحزر الذى حزر ما على النخل من الرطب تمرًا.

الوسق- بفتح الواو و كسرهما: ستون صاعًا.

بنو العريض- بفتح العين المهملة و كسر الراء و بالصاد المعجمة.

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بالحجر

[الحجر] بكسر الحاء المهملة و سكون الجيم و بالراء: اسم ديار ثمود، بين المدينة و الشام.

أبو كبشة- بفتح الكاف و سكون الموحد و بالشين المعجمة.

الأنمارى بفتح أوله و بالنون.

أبو حميد- بضم الحاء المهملة و سكون التحتية و بالذال المهملة.
 تقنّع برادئه- بفتحات و النون مشددة: أى ستر رأسه.
 أوضع راحلته- بالضاد المعجمة و العين المهملة: أسرع بها.
 ثمود- إن أريد به اسم القبيلة لم ينصرف للعلمية و التأنيث المعنوي، و إن أريد به اسم الأب انصرف.
 أن يصيبكم- بفتح الهمزة مفعول له، أى كراهة الإصابة.
 أهريقوها: صبوا ما فيها.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٨٩
 الفجّ- بفتح الفاء و تشديد الجيم: الطريق الواسع، و الجمع فجاء بكسر الفاء.
 تصدر: ترجع بعد ورود مياههم.
 «عتوا عن أمر ربهم»: جاوزوا الحد فى التكبر و التجبر و ركوب البهتان.
 أهمدته الله تعالى: أهلكه.
 أبو رغال- بكسر الراء و بالغين المعجمة و اللام.
 من أنفسكم: منكم.
 لا يعبأ بعدابكم: ما يصنع به، أو ما يبالى به.
 خنق- بضم الخاء المعجمة و بالنون و البناء للمفعول.
 مذهبه- بفتح الميم و الهاء و سكون الذال المعجمة بينهما: و هو الموضوع الذى يتغوط فيه.
 جبلى طيء: هما أجأ بفتح الهمزة و الجيم و همز آخره، و بالقصر، و سلمى- بفتح السين المهملة و سكون اللام و بالقصر.

شرح غريب استسقائه - صلى الله عليه و سلم - حين شكوا إليه العطش و أخباره بإضلال ناقته، و ما بعد ذلك

قوله: القيظ- بفتح القاف و سكون التحتية و بالطاء المعجمة المشالة: شدة الحر.
 الفرت- بفتح الفاء و سكون الراء و بالثاء المثناة: السرجين فى الكرش.
 أبو حرزة الأنصارى- بفتح الحاء المهملة و سكون الراء بعدها زاي فتاء تأنيث.
 التّوء- بفتح النون و بالهمز: مصدر نأى النجم ينوء نوءا، و المراد سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر و طلوع رقيه من المشرق، و كانوا يعتقدون أنه لا بد عند ذلك من مطر أو ريح فمنهم من يجعله للطلع. لأنه ناء و منهم من ينسبه للمغرب، فنفى-
 صلى الله عليه و سلم- ذلك، و نهى عنه، و كفر من اعتقد أن النجم فاعل ذلك، و من جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة، قال فى النهاية: و من أسند ذلك للعادة التى يجوز انخامها فقد كرهه قوم و جوزه قوم.
 القصواء: كحمراء.
 عقيبا: شهد بيعة العقبة.

اللصيت: والد زيد، تصغير اللصت بتثيit اللام و سكون الصاد و بالفوقية: و هو اللص فى لغة طيء.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٠

قينقاع: تقدم فى غزوتها.

الشعب- بكسر الشين و سكون العين المهملة: ما انفرج بين الجبلين.

الزمام- بكسر الزاى: المقود الذى تقاد به الدابة.

آنفا- بفتح أوله و كسر النون و بالفاء «و المد و القصر»: قريبا.

يجأ في عنقه: يطعن.

الإداوة- بكسر أوله: المطهرة.

نكص على عقبه نكوصا، أى من باب قعد: رجح، قال ابن فارس: و النكوص الإحجام عن الشيء.

تواثب الناس: قاموا.

الغبطة: أن تحب أن يكون لك مثل ما أعجبتك من أمر أخيك دون أن يسلبه.

الفحل: الذكر من الحيوان، و المراد هنا ذكر الإبل.

فى فى فحل- فى الأولى حرف جر، و الثانية اسم للفم.

يقضمها- بفتح الضاد المعجمة و ضمها: أى يعضها، و القضم فى الأصل الأكل بأطراف الأسنان، فاستعير هنا للعض.

انصاع الناس عنها- بكسر أوله و سكون النون و بالصاد و العين المهملتين: تفرقوا مسرعين.

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه و سلم - بقرب تبوك و غريب نزوله بتبوك، و ما بعد ذلك

قوله الشراك: للنعل - بكسر الشين المعجمة: سيرها الذى على ظهر القدم.

تبض: بفتح الفوقية و كسر الموحدة و بالصاد المعجمة و تهمل: تسيل.

الشَّن بفتح الشين: القربة الخلق.

الجنان- بكسر الجيم جمع جنه بفتحها، سميت بذلك لجنها أى سترها الأرض بالشجر.

جاش الماء: ارتفع و جرى.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩١

استرقد: رقد، أى نام.

قيد رمح- بكسر القاف و بالبدال المهملة: قدره.

اكلأنا: احفظنا و أرصد لنا الصبح.

أوثق: أحكم.

العرى- بضم العين المهملة: و فتح الراء: جمع عروء و هذا مأخوذ من قوله تعالى: فَصَدِ اسْتِمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى [البقرة ٢٥٦] تأنيث

الأوثق أى المحكمه، قال الزجاج: معناه فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا.

كلمة التقوى: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الملل- بكسر الميم: جمع ملء.

السنن: جمع سنه، و هى الطريقة.

خير الأمور عوازمها: فرائضها التى عزم الله تعالى عليك بفعالها. و المعنى ذوات عزمها التى فيها عزم، و قيل، هى ما وكدت رأيك و

عزمك عليه و وفيت بعهد الله فيه، و العزم: الجد و الصبر.

لا يأتى الجمعه إلا ذبرا- بفتح الذال المعجمة و ضمها و سكون الموحدة و ضمها منصوب على الظرف: أى بعد ما يفوت وقتها.

إلا هجرا- بفتح الهاء و سكون الجيم: يريد الترك له و الإعراض عنه.

وقر الشيء: تمكن و ثبت.

الارتياح: الشك.

جثى جهنم - بضم الجيم وفتح الثاء المثناة: جمع جثوة بتثليث الجيم و سکون الثاء المثناة، و هى الشىء المجموع.
 الشكركة بضم السين المهملة و الكاف الأولى و سکون الراء نوع من الخمر، يتخذ من الذرة.
 حباله الشيطان - بكسر الحاء المهملة و الجمع حبال - بفتح الحاء: أى مصيدته التى يصيد بها.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٢

الشباب شعبة من الجنون: الشعبة - بضم الشين و سکون العين المهملة: الطائفة. من الشىء و القطعة منه، و إنما جعل الشباب شعبة منه لأن الشباب يزيل العقل و كذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات و الإقدام على المضار.
 من يتأل على الله يكذبه - بفتح أوله. و بعد الفوقية همزة فلام مشددة: أى من حكم عليه و يحلف، كقولك: فلان فى الجنة و فلان فى النار.

لا يرعوى بشىء منه: لا ينفك لا يترجر، من رعا يرعو إذا كف عن الأمور، و قد ارعوى عن القبيح يرعوى ارعواء.
 سعد هديم - بإضافة سعد إلى هديم - بضم الهاء - و فتح الذال المعجمة و سکون التحتية و بالميم.
 النطع: المتخذ من الأديم معروف، و فيه أربع لغات: فتح النون و كسرهما و مع كل واحد فتح الطاء و سکونها، و الجمع أنطاع و نطوع.
 الحميت - بفتح الحاء المهملة و كسر الميم و سکون التحتية و بالفوقية: زق السمن.
 الأقط ككتف - و يسكن، مثلث الهمزة: شىء يتخذ من اللبن المخض، قال ابن الأعرابى: من ألبان الغنم خاصة.
 الأمعاء: جمع معا بالقصر مثل عنب و أعناب، و بالمد جمعه أمعية مثل حمار و أحمره:
 و هو المصران، قوله: يأكل فى معاء واحد: مثل ضرب لزهة المؤمن و حرص الكافر، و هو خاص فى رجل بعينه كان يأكل كثيرا، فأسلم كما فى هذه القصة.
 تحيئا لفدائه: طلبنا حينه و هو وقته.

الجراب - بالكسر: وعاء من جلد، و قد يفتح، و منعه ابن السكيت، و عزاه الجوهري للعامة، و الجمع جرب مثل كتاب و كتب و أجربة.
 نثره نثرا - من بابى قتل و ضرب: رمى به متفرقا.
 تهجد: قام، و صلى، و الأخير المراد هنا.
 بعثت إلى الناس كافة: تقدم الكلام عليه فى الأسماء الشريفة فى حرف الكاف.
 هل لك: [أى هل تريد].

الآكام: جمع أكم مثل جبل و جبال، و هو و أكمت جمع أكم، مثل قصبه و قصبات و جمع آكام أكم ككتب و جمعه أكثام كأعناق: تل، و قيل شرفه كالراية، و هو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد و ربما غلظ و ربما لم يغلظ.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٣

شرح غريب ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - دحية إلى هرقل

دحية - بكسر الدال المهملة و فتحها.
 التثوخي - بفتح الفوقية و ضم النون المخففة و بالخاء المعجمة.
 قسيسى الروم بكسر القاف: جمع قسيس كذلك حذف النون للإضافة، و هو عالم النصارى، و يجمع بالواو و النون تغليبا لجانب الاسمى، و القس - بالفتح لغه فيه و جمعه قسوس مثل فلس و فلوس.
 البطارقة - بفتح الموحدة و كسر الراء: جمع بطريق - بكسر الموحدة، و هو كالقائد من العرب.
 نخرُوا - بالخاء المعجمة: تكلموا و كأنه كلام مع غضب و نفور، و نخر الحمار و غيره - ينخر بالضم - بخياشيمه.

رقاهم: من الرقى - بضم الراء و هو الصعود.
 لم يكد: لم يقرب.
 تجيب - بفتح الفوقية و هو أكثر، و بضمها: قبيلة من كنده.
 يريبك - بفتح التحتية و تضم: ما تشك فيه.
 كسرى - بفتح الكاف و كسرهما: و هو أفصح، و هو لقب من يملك من ملوك الفرس مزق الكتاب يمزقه - بالكسر - شقه، و مزقه مشددا، و مزقهم الله كل ممزق: أهلكهم.
 خرقت الثوب: قطعته، و خرّفته بالتشديد تخريقا مبالغة.
 البأس: القوة.
 الجعبة للنشاب - بفتح الجيم و الجمع جعاب مثل كلبه و كلاب، و جعبات مثل سجدات.
 سفر - بفتح السين المهملة و سكون الفاء: جمع مسافر كراكب و ركب.
 مرملون: بالراء: فرغ زادنا.
 الحلة - بضم الحاء المهملة: برد من برود اليمن لا يكون إلا ثوبين من جنس واحد.
 صفورية - بصاد مهملة مضمومة ففاء فراء فمثناء تحتية مشددة: جنس من النبات فكأن الحلة صبغت به.
 أهوى: أقصد.
 الغضروف - بضم الغين - و سكون الضاد الساقطة المعجمتين. رأس لوح الكتف.
 المحجمة و المحجم - بالكسر: قارورة الحجام.
 الضخمة: العظيمة.
 سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٤

شرح غريب ذكر صلاته - صلى الله عليه و سلم - على ذى البجادين - رضى الله عنه - و ما بعده

ميلا: بميم فتحية مشددة فلام مفتوحات فألف: ذا مال.
 لتتوق نفسه إلى كذا - بمثنتين فوقيتين فواو فقف: تشتاق.
 البجاد - بكسر الموحدة فالجيم و الدال المهملة، الكساء الغليظ الجافى.
 يتصفح الناس: ينظر فى صفحات وجوههم و هى جلدة بشرتها.
 لحاء شجر - بكسر اللام و بالحاء المهملة و المد و القصر: ما على العود من قشر، و لحوت العود لحوا من باب قال، و لحيته لحيا من باب باع: قشرته.
 سمره - بفتح السين المهملة و ضم الميم، و يجوز إسكانها.
 و قصته دابته و قصا من باب وعد: رمت به فدقت عنقه، فالعق موقوفة.
 النّحى - بكسر النون و سكون الحاء المهملة و التحتية: سقاء السمن، و الجمع أنحاء.
 مثل حمل و أحمال، و نحاء أيضا مثل بئر و بئار.
 الخريز - بالخاء المعجمة: صوت الماء، و استعير هنا للسمن.

شرح غريب ذكر مصالحته - صلى الله عليه و سلم - ملك أيلة و غريب ما بعده

قوله: أكيدر- تصغير أكدر.

دومة بضم الدال المهملة وفتحها و سكون الواو فيهما.

أشفق: بفتح أوله و سكون الشين المعجمة و فتح الفاء و بالقاف: خاف.

أيلة- بفتح الهمزة و إسكان التحتية: مدينة بالشام على النصف ما بين مصر و مكة على ساحل البحر.

يحنّ - بضم التحتية و فتح الحاء المهملة و النون المشددة و تاء تأنيث، و يقال: يحنّا بالألف بدل التاء، و لم أعلم له إسلاما، و كأنه مات على شركه.

رؤبة- بضم الراء و سكون الهمزة و بالموحدة.

جربا- بجيم مفتوحة فراء ساكنة فموحدة، تقصر و تمد: بلد بالشام تلقاء السراء.

أذرح- بفتح الهمزة و سكون الذال المعجمة و ضم الراء و بالحاء المهملة: مدينة بالشام، قيل هي فلسطين، قال في القاموس: بجنب جربا، و غلظه من قال بينهما ثلاثة أيام.

مقنا: قرية قرب أيلة.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٥

البحر- هنا بلدهم و أرضهم.

الأمنة- بفتح الهمزة و الميم و النون فتاء تأنيث: الأمان لسفنتهم و سائرهم.

يمنعوا- بالبناء للمفعول.

جهيم- بضم الجيم و فتح الهاء و سكون التحتية.

الصّلت- بفتح الصاد المهملة و سكون اللام و بالفوقية.

شرحيل- بضم الشين المعجمة و فتح الراء و سكون الحاء المهملة و كسر الموحدة.

حسنه: ضد سيئه.

وافية: كاملة تامة.

شخص: رجع.

النواضح- بفتح النون و كسر الضاد المعجمة: جمع ناضح، و هو البعير الذى يستقى عليه الماء، ثم استعمل فى كل بعير.

الحمولة- بفتح الحاء المهملة: الإبل التى تحمل.

رقاق: ضعاف.

الحديبية: تقدم فى غروتها.

أرملنا- بالراء: أنفد زادنا، و أصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل.

أفراق- بالفاء و القاف: جمع فرق بفتح الفاء و الراء و تسكن: مكيال يسع ستة عشر رطلا، و هى اثنا عشر مدّا و ثلاثة أصع.

آصع- بفتح أوله و ضم الصاد المهملة جمع صاع: مكيال، و هو أربع أمداد، و هى خمسة أرتال و ثلث بالبغدادى.

صدروا: رجعوا، و الصدر الانصراف عن الورد و كل شىء.

شرح غريب ذكر بعض آيات وقعت فى رجوع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - من تبوك

قوله: قافل - بالقاف و الفاء المكسورة: راجع.

خفق - بفتح الخاء المعجمة و الفاء و القاف: أخذته سنه من العّاس فمال برأسه دون سائر جسده.

دعته- بفتح الدال و العين المهملتين و سكون الميم: أسنده لثلا يميل.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٦

التعريس: النزول ليلا.

الفلاة: البرية التى لا ماء بها.

المشقق- بضم الميم و فتح الشين المعجمة فقاين الأولى مفتوحة: اسم ماء أو واد.

الوشل: بفتح الواو و الشين المعجمة و باللام: الماء القليل، و وشل الماء و شلا إذا قطر و فى الإملاء: الوشل حجارة جبل يقطر منه الماء

قليلا، و الوشل أيضا القليل من الماء.

سبقنا- بفتح الموحدة.

معتب- بضم الميم و فتح العين المهملة و كسر الفوقية و بالموحدة.

قشير- بالقاف و الشين المعجمة.

نضحه- بالضاد المعجمة و بالحاء المهملة: رشه.

امرأة من بلى بموحدة و كسر اللام و تشديد التحتية.

هنيهة- بضم الهاء و فتح النون و سكون التحتية و فتح الهاء و بتاء تأنيث: أى قليل من الزمان.

نهلت: رويت.

القعب- بفتح القاف و سكون العين المهملة و بالموحدة: قدح من خشب.

العساس- بعين فسین فألف فسین مهملات وزن سهام، و الأعساس وزن أقفال: جمع عس- بضم العين و تشديد السين: و هو القدح

الكبير.

يجيش: يفور.

الرواء- ككتاب جمعه ريان و ريا.

فضالى- بفتح الفاء- و بالضاد المعجمة المخففة.

يزجون ظهرهم- بالزاي و الجيم: يعوقون.

فاستمرت: قويت و سارت.

شرح غريب ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله - صلى الله عليه و سلم

قوله: الفتك: القتل غفلة.

يلتمسون: يطلبون.

غرته- بكسر الغين المعجمة: غفلته.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٧

إليكم إليكم: اسما فعل بمعنى تنحوا.

سرح: بفتح السين المهملة و سكون الراء و بالحاء المهملة.

أبو حاضر: ضد غائب.

الجلاس- بضم الجيم و بالسين المهملة و التخفيف.

مجمع- بالجيم بلفظ اسم الفاعل.

جارية: والد مجّع - بالجيم و التحيّة.

مليح: تصغير ملح.

حصين - بضم الحاء و فتح الصاد المهملة.

نمير - بوزنه.

أقاله عشرته: جبر زلته و سميت الزلّة عشره لأنها سقطت في الإثم.

طعمه - بضم الطاء المهملة و سكون العين المهملة.

أبيرق تصغير أبرق.

عيينه - والد عبد الله بلفظ تصغير عين.

مرّة بن الربيع - بلفظ ضد حلوة.

الدبيلة - بضم الدال المهملة و فتح الموحدة و سكون التحيّة: خراج أو دمّل كبير يظهر في الجوف تقتل صاحبها غالباً.

نياط القلب - بكسر النون. عرق علق به القلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه.

شرح غريب أمر مسجد الضرار

قوله: أبو رهم - بضم الراء و سكون الهاء.

كلثوم - بضم الكاف - و بالثاء المثناة.

الحصين - بلفظ تصغير حصن.

الغفاري - بكسر الغين المعجمة.

ابن عوف - بالفاء.

بنى غنم - بفتح الغين المعجمة و سكون النون.

يرصدون قدومه: ينتظرونه.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٨

العلة: المرض.

جناح سفر: أى مفارقة الأوطان.

ذو أوان - بفتح الهمزة و تخفيف الواو و بالنون: موضع قريب من المدينة.

الدّخشم - بضم الدال المهملة و سكون الخاء و ضم الشين المعجمتين و بالميم، و يقال بالنون بدلها، و يقال كذلك بالتصغير.

أنظرنى - بفتح الهمزة و سكون النون و كسر الظاء المعجمة المشالة: أى أخرنى و لا تعجلنى، هكذا الرواية، و يصح أن يقرأ بضم

الهمزة أن انتظرنى.

السّعف - بضم السين و العين المهملتين و بالفاء: أغصان النخل ما دامت بالخصوص، فإن زال الخوص عنها قيل جريدة، الواحدة سعفة.

شرح غريب ذكر حديث كعب بن مالك - رضى الله عنه -

لم يعاتب - بكسر الفوقية، و لم يعاتب الله تعالى أحدا، و فى روايه لم يعاتب بفتح الفوقية.

العيير - بكسر العين، الإبل التى تحمل الميرة.

حين تواتقنا - بفوقية و ثاء مثلثة ففاف: تعاهدنا و تعاقدنا.

و إن كانت بدر أذكر: أعظم ذكرا.
ورى بغيرها- بفتح الواو و الراء المشددة: أى أوهم غيرها، و التورية، أن يذكر لفظا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيوهم
إرادة القريب و هو يريد البعيد.
المفازة- بفتح الميم و الفاء و بالزاي: الفلاة التى لا ماء فيها.
فجلى- بالجيم و اللام المشددة، و يجوز تخفيفها: أوضح.
الأهبة- بضم الهمزة و الهاء: ما يحتاج إليه فى السفر و الحرب.
كتاب- بالتونين - حافظ: كذلك، و فى مسلم بالإضافة.
الديوان: بكسر الدال المهملة و تفتح.
يتغيب: يستخفى.
خارفون- بالخاء المعجمة: يقيمون فى الحيطان وقت اختراق الثمار، و هو الخريف هنا.
طفقت- بكسر الفاء أفصح من فتحها: أخذت و شرعت.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٤٩٩
أغدو- بالغين المعجمة.
يتمادى- بتحتية ففوقية فميم مفتوحات فألف فдал مهملة.
الحاذ- بحاء مهملة و بعد الألف ذال معجمة: الحال وزنا و معنى.
الجد- بكسر الجيم و الرفع فاعل و هو الجهد فى الشىء و المبالغة فيه، و فى رواية: حتى اشتد الناس الجد و ضربوا الناس بالرفع على
أنه فاعل، و الجد بالنصب على نزع الخافض.
أو نعت لمصدر محذوف أى اشتد الناس الاشتداد الجد.
أصبو: بصاد مهملة فباء موحدة: أميل.
جهازى- بفتح الجيم و كسرهما.
غدوت- بالغين المعجمة.
فصلوا- بصاد مهملة: خرجوا.
تفارت- بالفاء فالراء و الطاء المهملتين: فات و سبق.
يقدر- بالبناء للمفعول.
أنى لا أرى- بفتح همزة إن، و هى وصلتها فاعل أحزنى خلافا لمن قال للتعليل.
مغموصا- بفتح الميم و سكون الغين المعجمة بعدها ميم أخرى مضمومة فواو فصاد مهملة، متهما أى يظن به النفاق.
بنى سلمة- بكسر اللام.
السلمى بفتحيتين.
برداه: تثنية برد.
عطفية- بكسر العين المهملة تثنية عطف: أى جانبه، كناية عن كونه معجبا فى نفسه ذا زهو و تكبر، أو يكنى به عن مسيرته لتعجبه، و
القريب الرداء و سمي عطفا لوقوعه على عطف الرجل.
قافلا: راجعا.
قد أظل- بالطاء المشالة المعجمة: دنا.

زاح- بالزاي و الحاء المهملة: زال.

أجمعت صدقه: جزمت به و عقدت عليه قصدي.

بضعة- بكسر الموحدة و سكون الضاد المعجمة: ما بين الثلاث إلى التسع على المشهور.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٠٠

بدأ- بفتح الهمزة.

المخلفون: الذين خلفهم كسلهم و نفاقهم عن غزوة تبوك.

و وكل- بفتحات مع التخفيف.

المغضب- بفتح الضاد المعجمة.

خلفك بتشديد اللام المفتوحة.

ابتعت ظهرك: شريته.

أن- بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة.

سأخرج- بالضم.

جدلا- بفتح الجيم و الدال المهملة: فصاحة و قوة كلام بحيث أخرج من عهده ما نسب إلى مما يقبل و لا يرد.

يوشكن- بضم التحتية و كسر الشين المعجمة: يسرعن.

تجد- بكسر الجيم: تغضب.

أما هذا- بفتح الهمزة و تشديد الميم.

ثار رجال: وثبوا.

سلمة- بكسر اللام.

عجزت- بفتح الجيم أفصح من كسرها.

كافيك: خير كان.

ذنبك: مفعول كافيك.

استغفار: اسم كان، و ذكر بعضهم أن ذنبك منصوب بنزع الخافض، أى من ذنبك.

يؤتبونى بهمزة مفتوحة فنون مشددة فموحدة مضمومة و نونين: يلوموننى لوما عنيفا.

مرارة- بضم الميم و تخفيف الراءين. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى ج ٥، ص ٥٠٠ شرح غريب ذكر حديث كعب بن مالك -

رضى الله عنه - ص : ٤٩٨

ربيع- بفتح الراء.

العمري- بفتح العين المهملة و سكون الميم، نسبة إلى بنى عمرو بن عوف.

الواقفى، بتقديم القاف على الفاء نسبة إلى بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن أوس.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٠١

أسوء- بكسر الهمزة و ضمها.

أيها الثلاثة- بالرفع، و محله النصب على الاختصاص، أى خصوصا، الثلاثة، كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، و قال أبو سعيد

السيرافى: إنه مفعول فعل محذوف أى أريد الثلاثة أى أخص الثلاثة، و خالفه الجمهور و قالوا: إنه منادى، و الثلاثة صفة له، و إنما

أوجبوا ذلك لأنه فى الأصل كان كذلك فنقل إلى الاختصاص، و كل ما نقل من باب إلى باب فإعراجه بحسب أصله كأفعال التعجب.

اجتنبنا [بهمزة وصل و جيم ساكنة و فوقية مفتوحة و نون و باء و نون مفتوحات: بعد عنا].
الناس: فاعل اجتنب.
استكان: رجع.
أجلدهم: أقواهم.
أطوف: أدور.
أسارقه- بالسین المهملة و القاف- النظر: أنظر إليه في خفية.
جفوة الناس- بفتح الجيم و سكون الفاء: إعراضهم.
تسوّرت: علوت.
أنشدك- بفتح الهمزة و ضم الشين المعجمة: أسألك.
فنشدته- بفتح المعجمة: سألته به.
نبطى- بفتح النون و الموحدة و كسر الطاء: فلاح، و كان نصرانيا، و لم يسم.
من أنباط الشام- بفتح الهمزة و سكون النون و فتح الموحدة.
يشيرون- بضم أوله.
عشان- بفتح الغين و تشديد السين المهملة.
جبله بن الأيهم، و هو الحرث بن أبي شمر.
السرقة- بسين مهملة فراء فقا فمفتوحات فهاء تأنيث: الأبيض من الحرير، أو الحرير عامة.
دار هوان: [ذلة و مهانة].
مضيعة- بفتح الميم و سكون الضاد المعجمة، و فتح التحتية و بكسر الضاد و سكون التحتية: أى حيث يضيع حقك.
سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٠٢
متحوّلا- بالحاء المهملة و فتح الواو مكان تتحول فيه بفتح الحاء المهملة.
نواسيك- بضم النون و كسر السين المهملة من المواساء.
تيممت: قصدت.
التنور- بفتح الفوقية: الذى يخبز فيه.
سجرتة- بسين مهملة مفتوحة: أو قدته.
و أرسل إلى صاحبي- بتشديد التحتية.
الحقى بأهلك- بفتح الحاء.
حتى كملت- بفتح الميم.
ضاقت على نفسى [ضد اتسعت، كناية عن ما يعانيه من الشدة و الحزن و ضيق الصدر].
ضاقت على الأرض بما رحبت: أى بما هى عليه من السعة.
صارخ- بالخاء المعجمة.
أوفى- بالفاء مقصورا: صعد.
سلع- بفتح السين المهملة و سكون اللام.
يا كعب بن مالك- بفتح كعب و ابن، و ضم كعب و فتح ابن و ضمها.

أبشر - بهمزة.

قد جاء فرج - بالجيم.

آذن بالمد: أعلم.

و ذهب قبل - بكسر القاف و فتح الموحدة: جهه.

صاحبي: مرارة و هلال.

ركض إلى - بتشديد التحيه: استحث.

ثوبي: تنيه ثوب.

فوجا فوجا: جماعة جماعة.

لتهنك: بكسر النون.

توبه الله - بالرفع.

فقام إلى - بتشديد التحيه.

يهول: يسير بين المشى و العدو.

و لا أنساها لطلحة: أى هذه الخصلة، و هى بشارته إياى بالتوبه، أى لا أزال أذكر إحسانه إلى بذلك و كنت رهين مسرته.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٥، ص: ٥٠٣

يبرق - بفتح أوله.

إذا سر - بضم السين و تشديد الراء، مبني للمفعول.

كأنه قطعه قمر: تقدم الكلام عليه فى الصفات النبويه.

أن أنخلع: أخرج من مالى صدقه. قال الزركشى و الحافظ و البرماوى هى مصدر، فيجوز انتصابه بأنخلع، لأن معنى أنخلع أتصدق، و

يجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال، و تعقب ذلك الشيخ بدر الدين الدمامينى: بأنا لا نسلم أن الصدقه مصدر و إنما هى اسم لما

يتصدق به على الفقراء، فعلى هذا نصبها على الحال من مالى.

ما بقيت - بكسر القاف.

أبلاه الله - بالموحده الساكنه: أنعم الله عليه.

أحسن مما أبلانى: أنعم على، و فيه نفي الأفضليه لا نفي المساواه، لأنه شاركه فى ذلك هلال بن أميه.

أن لا أكون كذبت - بتخفيف الذال و سكون الموحده، و لا زائده كقوله تعالى: ما منعك ألا تتسجد [الأعراف ١٢] أى حدثته حديث

كذب.

فأهلك بكسر اللام و فتح الكاف.

شر ما قال لأحد: أى قال قولاً شراً - ما قال بالإضافة، أى شر القول الكائن لأحد من الناس.

أرجأ أمرنا - بالجيم و الهمزة: أخر.

مما خلفنا - بضم الخاء المعجمه و كسر اللام المشدده - و سكون الفاء.

إرجاؤه: تأخيره و تركه.

شرح غريب ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

أبو لبابه - بضم اللام و تخفيف الموحده الأولى.

جدّ بن قيس - بفتح الجيم و تشديد الدال المهملة.

جذام بن أوس ...

قفل - بفتح القاف و الفاء و اللام: رجع.

نجز الجزء الثاني من كتاب سبل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد يتلوه الجزء الثالث «جماع أبواب سراياه» أحسن الله تعالى عاقبتنا آمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين آمين آمين، و الحمد لله رب العالمين - على يد الفقير الراجى عفو الله على بن إبراهيم الباجى غفر الله له و لوالديه و لمشايخه آمين.

سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الدمشقى، ج ٦، ص: ٣